

التَّحْجَاتُ عَنْ عَبْدِ الْقَادِرِ

لِلْإِمَامِ نَاجِ الدِّينِ أَبِي الْحَاسَنِ عَبْدِ الْبَاقِيِّ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
(٦٨٠ - ٧٤٣ هـ)

دراسة وتحقيق

موسى بن سليمان آل برهيم

وقف لله تعالى على

مكتبة المسجد النبوي

من ريع كتاب (الأوقاف الإسلامية ودورها

الحضاري الماضي والحاضر والمستقبل)

لمؤلفه أ. د/ عبدالرحمن الضحيان غفر الله له وللجميع

تاريخ الشراء : ٢٧ / ١١ / ١٤١٤ هـ

مكتبة النبينا

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ لِلنَّاشِرِ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

مكتبة البتة
بغداد
الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

مكتبة البتة

الطَّائِفُ : هَائِفُ : ٧٤٥١٤٤ ص.ب. : ١٠٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه التحقيق

الحمد لله الذى هدانا لهذا . وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه . وبعد .

فهذه كلمات يسيرة أضعها بين يدي تحقيق هذا الكتاب القيم ، والذى أثار قضايا قرآنية كبيرة فى حجمها ، مفيدة فى موضوعها ، جديدة قديمة فى زيتها .

فرمت تجليتها وسطرت كلام العلماء فيها ، وسقت الأدلة على ترجيح ما ترجح لدى منها ، وقعدت قواعدها ، وأصلت مسائلها ، وتوخيت الإيجاز فيها . وتبسيط عبارتها ، وتوضيح أفكارها ، والكشف عن بعض أسرارها ، والغوص فى بحار لججها .

هذا وقد صدرت الكتاب بنبذة موجزة عن المؤلف وعصره ، وكذلك عرض بعض مجريات الأحداث التاريخية فى ذلك العصر الذى عاش فيه . لما لذلك من الأثر الكبير فى عطائه العلمى وتكوين حياته الشخصية والتى تلقي ولا شك بظلالها على كتاباته وفكره ومنهجه .

فبذلك تتم الإفادة . إن شاء الله . ويعم النفع للناظر والمطلع والباحث والمستغرق .

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل

المحقق

موسى بن سليمان آل إبراهيم

الرباح والسموم المنفعة ومن سعى من الناس الى الدار الآخرة
 بغير ربح ولا ربح في الدنيا ولا في الآخرة ولا في الآخرة
 انما هي في الدنيا والآخرة ولا في الآخرة ولا في الآخرة
 وقول الله تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم الله ولا تحزنوا
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله

فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله

انما هي في الدنيا والآخرة ولا في الآخرة ولا في الآخرة
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله

فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله

فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله

فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله
 فذلكم في الكون والآخرين ولا تفرحوا بما آتاكم الله

ترجمة المؤلف

هو الإمام العلامة تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله القرشي اليماني من علماء القرن الثامن الهجري . المولود عام (٦٨٠) هـ . والمتوفى عام (٧٤٣) هـ .

جاء في شذرات الذهب لإبن العماد وفيها تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله الإمام الأديب البارع اليماني الأصل المكي الشافعي ، ولد في رجب سنة ثمانين وستمائة بمكة وقدم دمشق ومصر وحلب ، ودرس بالمشهد النفيسي ، وأقام باليمن مدة ، وولى الوزارة ، ثم عزل وصودر ، ثم استقر بالقدس ، ودرس به واشتغل .

وله تأليف منها : " مطرب السمع في شرح حديث أم زرع " ومنها لقطة العجلان المختصر في وفيات الأعيان " وسمع منه البرزالي والذهبي ، وذكره في معجميهما " وابن رافع وخلاتق ، وكتب عنه الشيخ أبو حيان ، وأثنى عليه كثيراً . وعمل "تاريخاً" للنحاة ، واختصر الصحاح (١)

وأورد الحافظ ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة (. . .) وعمل تاريخاً لليمن وتاريخاً للنحاة وكتب عنه أبو حيان سنة ٧٠٨ هـ وقرظه وأثنى عليه ومدحه وله مطرب السمع في حديث أم زرع وغير ذلك .

وذكره البرزالي فقال كان من أعيان الأدباء نظماً ونثراً وله قصائد بليغة وفوائد وفنون

وذكره ابن فضل الله فقال تاج الدين أبو المحاسن مكمل فضائل ومجمل أواخر وأوائل واستمر في وصفه إلى أن قال حتى وضعت له بالقدس وظائف دام عليها حتى مات وبخط البرهان ابن جماعة في الهامش بل عاد إلى مصر تاركاً الوظائف القدسية وأقام بها قليلاً ومات .

(١) شذرات الذهب لإبن العماد الحنبلي

وذكر البرزالي في معجمه فقال : من أعيان الفضلاء له النظم ، والنثر ، والخطب البليغة وله اشتغال كثير في العلوم من الفقه والأصول وفنون الأدب ^(١) " أه باختصار

وأورد العلامة مصطفى بن عبد الله الرومي الحلبي في كشف الظنون ما نصه " عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليماني ثم المكي تاج الدين أبو المحاسن السماوي الأديب اللغوي ولد سنة ٦٨٠ وتوفي سنة ٧٤٣ . له الإكتفا في شرح ألفاظ الشفا للقاضي عياض ذيلَ وفَيَات الأعيان لابن خلكان بثلاثين ترجمة «زهر الجنان في المناظرة بين القنديل والشمعدان» . «طبقات النحاة» . «مطرب السمع في شرح حديث أم زرع» ^(٢) .

* عصر المؤلف

عاش المؤلف جزءاً من حياته في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، والنصف الأول من القرن الثامن الهجري .

ومعروف أن القرن الثامن الهجري - الذي عاشه مؤلفنا - يُعد من العصور الإسلامية التي اعتورتها أحداث كبار ومتغيرات كثيرة سواء كانت سياسية أو عقدية أو إجتماعية أو علمية ، وتلكم المتغيرات لا يمكن اعتبارها متفرقة بل هي متشابكة ومتعانة وتصب زخمها وزبدها في بعضها البعض . ومن أهم تلك المتغيرات الهامة :

١- الحروب الصليبية . (٤٩٠ - ٦٩٠) هـ

بدأت الحروب الصليبية قبل عصر المؤلف أبي المحاسن القرشي رحمه الله بنحو مائه وتسعين سنة ، ولم تنته إلا بعد ولادته بنحو عشر سنوات ، وقد تركت أثراً كبيراً في نفوس المسلمين في ذلك العصر . وانتشرت الفرق المنحرفة كالشيعة بجميع طوائفها ، والمعتزلة ، وغيرهم والذين أثروا سلباً في الحياة العامة والخاصة في الدولة الإسلامية .

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر (ج ١ ص ١٩٢) مجلد ١

(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة ٣١٠ ، ٩٥٩ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١١٠٧ ، ١٧١٨

وقد توالى الحملات الصليبية تترى على بلاد المسلمين على مدى قرنين من الزمان و هم بين منهزم تاره - وذلك فى حال اجتماع المسلمين وقوتهم - ، ومنتصر تاره أخرى - وذلك فى حال افتراق المسلمين وضعفهم - .

وكان خروجهم الأخير - من عكا - عام (٦٩٠) هـ على يد خليل بن المنصور قلاوون .

٢ - الحروب المغولية (٦٥٦ - ٦٥٨) هـ

تلقى العالم الإسلامى فى ذلك الوقت ضربات موجعة ، فإلى جانب الحروب الصليبية وهجماتهم الحاقدة على ديار الإسلام ، استغل المغول ضعف الخلافة الإسلامية فى ذاك الزمان ، وسيطرة الشيعة ، والباطنية على مقدرات الدولة وتمكنهم وخداعهم للمستعصم - آخر خلفاء بنى العباس - وقاموا بالهجوم على بغداد هجمة شرسة وسقطت الخلافة العباسية وقتل الخليفة وقتل معه خلق كثير وأبىدت المكتبات العامة وأحرقت الكتب النادرة ، وقد حفلت كتب التاريخ بالفضائع والمفجعات التى ارتكبت على يد المغول حتى ظن كثير من العامة - وقتها - أنه حانت القيامة ، وزوال أمة الاسلام .

هذا وقد سقطت الشام بعد بغداد فى يد هولاكو - ملك المغول - ودخلوا دمشق بعد أن هجرها المقاتلة ، ثم راموا المسير إلى مصر بمعية جيش من الصليبيين ، لكن الله سلّم ، وقيد لهم فى شهر كريم - رمضان عام (٦٥٨) هـ قائداً محنكاً وأميراً مسلماً هو سيف الدين قطز ، الذى هزمهم فى عين جالوت ، وبتر دابرهم ؛ ولم يكتف بذلك ؛ بل واصل مسيرته الظافرة حتى دخل دمشق دخول الظافر المنتصر ، وبذلك دخلت مصر والشام تحت حكم المماليك .

* آثار هذه الحملات على العالم الإسلامى :-

هذه الحروب والحملات على العالم الإسلامى والتى راح ضحيتها الكثير الكثير من الأرواح والأموال ، والتى دمرت فيها المدارس والمعاهد ودور العلم ، وأحرقت فيها

المكتبات ، كان لها أثر إيجابي ، رغم ذلك كله .

فكان من آثارها ، أن أوجدت في المسلمين روح التحدي ، والحماس لدينهم ، ومقدساتهم ، حيث أيقظت فيهم الايمان ، والجهاد والتضحية مما جعلهم يردون هذه الحملات على أعقابها ، بعد سنوات قليلة ، كما تعلموا الكثير من فنون الحرب والقتال .

وكذلك كان لها أثر إيجابي كبير في اهتمام علماء المسلمين بدراسة عقائد وانحرافات هؤلاء الغزاة ، كما كتبت دراسات عن الخونة من المنتسبين للإسلام ، كالإسماعيلية ، والنصيرية ، والشيعية كما هو واضح في موقف شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، في تعرية هذه المذاهب وفضح عوارها .

هذا . وسنعيش في الصفحات الآتية مع بيان واضح وحجة ناصعة لجهود علمائنا الأفاضل في الذب عن الدين ، وصلابتهم في الحق . والتصدي لكل غاشم ظلوم مُشوّه لأصوله وفروعه ، يتمثل ذلك في الدفاع عن القرآن ، والسنة النبوية المطهرة .

والعقيدة الإسلامية الصحيحة ، وقد اعتمد الباحث - وفقه الله تعالى - في دراسته هذه منهج السلف الصالح الذي أحكم قواعده أهل العلم الأثبات ، ودافع عنه بالحجة والبيان ، ولم يأل جهداً في البرهنة على صحته وسلامته ، ونقد المناهج الأخرى المناوئة له ، وبيان تهافتها ، ومخالفتها للحق ، وبُعدها عن الصواب .

وقد استهل الباحث دراسته هذه بمقدمات إضافية ضمنها عدة مباحث ، عن علم من أجل العلوم الإسلامية ألا وهو علم القرآن ، بدأها بالفاصلة القرآنية ثم عرّج على مصطلح مُهمّ من مصطلحات هذا الفن ألا وهو قراءات النبي صلى الله عليه وسلم وأجاب من خلاله على تساؤلات طالما شغلت بال المختصين بهذه العلوم وأشكلت على أئمتهم وفرسان ميدانه ، كما كشف النقاب عن مسألة المجاز ودحض شبه المبطلين ، وتحريف الغالين ، وانتقى كلام الراسخين في العلم حول هذه المسألة ، وتوسّع في دعم إبطال المجاز في القرآن بضرب الأمثال ، حتى بدا الحق ، وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .

هذا ، وقد عقد الباحث فصلاً تحدث فيه عن علم معانى الحروف فى القرآن ناهجاً فيه نهج السلف الصالح ، منبهاً على ما قد ينجم من سوء فهم لهذه القضية ، وما يترتبُ على ذلك من شطط فى استنباط الأحكام الشرعية وغيرها ، كما أفاض فى بيان جوهر مسألة المترادفات فى القرآن وأثر ذلك على علم أصول الفقه . وذلك بأسلوب واضح مناسب لقراء هذا الجيل . وأخيراً : أسأل الله التوفيق والسداد . وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد .

« التعريف بغريب القرآن وأهميته وعلماء هذا الفن »

اعتنى السلف الصالح بالقرآن عناية بالغة منذ صدر الإسلام ، ومن العلوم التي أولوها عناية خاصة معرفة غريب القرآن ، وهذا الباب عظيم الخطر ، لذا تهيب كثير من السلف تفسير القرآن وتركوا القول فيه حذراً أن يزلوا فيذهبوا عن المراد ؛ وإن كانوا علماء باللسان فقهاء فى الدين ، وكان الأصمعى وهو إمام اللغة لا يفسر شيئاً من غريب القرآن .

واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شئ من كلام الله ولا يكفى فى حقه تعلم اليسير منها ، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر ، وهذا أبوبكر وعمر رضى الله عنهما من أفصح قريش ، سئل أبوبكر عن "الأب" فقال أبوبكر : أى سماء تظّلنى ، وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كلام الله مالا أعلم ! وقرأ عمر سورة "عبس" فلما بلغ "الأب" قال : الفاكهة قد عرفناها ، فما الأب ؟ ثم قال : لعمر ك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف .

واعلم - رحمك الله - أن هذا الفن للمفسر ضرورى ، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى . قال يحيى بن نضلة المدينى : سمعت مالك بن أنس يقول : لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا . وقال مجاهد : لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب .

ويحتاج الكاشف عن غريب القرآن إلى معرفة علم اللغة ، وإلى الدراية الواسعة بكلام العرب شعره ونثره . روى عكرمة عن ابن عباس قال : إذا سألت منى عن غريب اللغة فالتمسوه فى الشعر ؛ فإن الشعر ديوان العرب .

ومسائل نافع بن الأزرق لابن عباس عن مواضع من القرآن واستشهاد ابن عباس فى كل جواب بيت معروف مشهور ، وعليه فإن معنى الغريب هو : معرفة مدلول اللفظ وتصيّد المعانى من السياق ؛ لأن مدلولات الألفاظ خاصة ! وقد صنف فيه جماعة ؛

منهم أبو عبيدة كتاب "المجاز" ، وأبو عمر غلام ثعلب "ياقوتة الصراط" . ومن أشهرها كتاب السجستاني ، ومن أحسنها كتاب "المفردات" للراغب .

١. هـ. بتصرف من البرهان للزركشى (ج ١ ص ٢٩١) وما بعدها .

منهج المؤلف ومميزات كتابه

أولاً : تفسيره القرآن بالقرآن :

(١) فى ص ٢٤ من المخطوطه من سورة المائدة عند قوله تعالى ﴿لجعلكم أمة واحدة﴾ {المائدة - ٤٨} استشهد رحمه الله بالقرآن الكريم فى عشرة مواضع لسبعة معانٍ لكلمة أمة .

ففسر أولاً كلمة أمة (بالدين) واستدل ذلك من القرآن ، وهو ذات التفسير الذى ذكره ابن كثير رحمه الله ، وهذا سرد هذه المعانى مع شواهدا من القرآن كما فى المخطوطه .

أ - الأمة الدين ، ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً﴾ {الحج - ٦٧} أى لكل أهل دين .

ب - والأمة الملة ، ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ {المائدة - ٤٨} أى عصبه .

ج - والأمة العصبه ، ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ {البقرة - ١٢٨} أى ملة .

والأمة العصبه ، ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ {الزخرف - ٣٣}

وقوله ﴿أمة من الناس يسقون﴾ {القصص - ٢٣}

د - والأمة الإمام ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ {النحل - ١٢٠}

هـ - والأمة الطريقة والسنة ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ {الزخرف - ٢٢ ، ٢٣}

و - والأمة الحين ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾ {هود - ٨}

وقوله ﴿وإذكر بعد أمة﴾ {يوسف - ٤٥}

ز - والأمة القوم ﴿أن تكون أمة هى أربى من أمة﴾ {النحل - ٩٢} أى قوم أزيد من قوم .

ثم بين من معانيها (القامة) واستدل لها من الشعر (حسان الوجوه طوال الأمام) وكذا من معانيها (الفريد فى دينه) واستدل له من الحديث كما قيل فى قس بن

ساعده ، (يحشر يوم القيامة أمة وحده)

ثم قال : وثمَّ أشياء ذكرت لكنها ترجع إلى الذى ذكرت فلاجل ذلك حذفها .
ولاشك أن استقصاء لمعانى الأمة فى لغة العرب والاستشهاد لها من عشرة مواضع
من القرآن الكريم فيه إثراء لهذا المنحى المهم من التفسير .
ثانياً : عنايته ببيان القراءات .

١- ص ٨ سورة البقرة {٢٠٨} عند قوله تعالى : ﴿ ادخلوا فى السلم كافة ﴾
قرئ بالكسر والفتح ، فمن فتح أراد الصلح ، ومن كسر ذهب به إلى الإسلام ،
وهى قرأة أبى عمرو .

وإشارته لقراءة أبى عمرو بن العلاء ، لأنها كانت مشتهرة فى زمانه وهو القرن
الثامن وإلى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى كما قال ذلك الشيخ محمد كريم راجح
فى كتاب القراءات العشر المتواترة ص ٦٠٩ ط ١٤١١ دار المهاجر .

٢- ص ٣٣ سورة الأعراف {١٣٢} عند قوله تعالى : ﴿ مهما تأتانا به ﴾
قال : اسم يتضمن معنى الشرط ، وذلك لعود الضمير إليه فى قوله به ، قيل أصله
مأما قلبت الألف همزة ثم ها ، وقيل أصله مه ، أى كُفَّ عما تقول ، ثم استأنف
فقال : (ما تأتانا به) فما وحدها للشرط ، ويؤيده قراءة الكسائي من الوقف على مه ،
والابتداء بما تأتانا ،

٣- ص ٧٠ سورة الإسراء {١} عند قوله تعالى : ﴿ سبحان الذين أسرى بعبده ليلاً ﴾
فسر معنى «سبحان وأسرى» بشواهد لغوية وشعرية ثم قال :
وليلاً منصوب على الظرفية فإن قيل فالسرى لا يكون إلا ليلاً ، قلنا جئ به مُنْكَرّاً
ليشعر بالمدة القليلة من الليل لإرادة البعضية ، ويؤيد ذلك قراءة عبد الله وحذيفة (ومن
الليل)

وهذه صور أخرى من عنايته بذكر القراءات

١ - ص ٣٧ سورة الأنفال {١} عند قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الأنفال﴾

قال بعد كلام طويل عن معنى الأنفال بلغ ما يقارب الصفحة : وفي الغريب عن ابن مسعود وجماعة يسألونك عن الأنفال من غير (عن) فسألوه الغنيمة دون الاستفتاء فيها .

ثالثاً : الأحاديث والآثار .

١ - ص ٥ سورة البقرة {٨٧} عند قوله تعالى : ﴿وقفينا من بعده﴾

بين معنى قفينا والتقفية واشتقاق الكلمة من القفا ، لأن الآتي بعده يكون في قفاه ، ومنه الكلام المقفَى ، ويقال للقفا قافية . واستدل بالحديث «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم» .

٢ - ص ٤٢ سورة التوبة {٣٧} عند قوله تعالى : ﴿انما النسئ زيادة في الكفر﴾

ذكر أقوالاً في معنى النسئ ، ومنها أن كفار مكة كانوا يؤخرون الحج في كل سنة شهراً فيجعلونه في المحرم ثم في صفر ثم هلمَّ جرّاً شهراً بعد شهر ، سنة بعد سنة ، ووافق حج أبي بكرٍ حجهم في ذي القعدة ، وحج النبي صلى الله عليه وسلم في ذي الحج ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : «إن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» .

٣ - ص ١٢٤ سورة محمد (القتال) {٣٥} عند قوله تعالى : ﴿ولن يترككم أعمالكم﴾

قال : مادته من الوتر ، وهو الإنفراد ، ومنه وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً يتفرد به ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ، أى أفرد عنهما» .

ومن أقوال الصحابة والتابعين

١ - ص ٥٩ سورة يوسف {٨٨} عند قوله تعالى : ﴿ببضاعة مزجاة﴾

قال : أى كاسدة ، وقال ابن عباس : حلق الحبال والغراير ، وقال مجاهد : دراهم رديّة ، وقيل صنوبر وقيل صوف وسمن . . . الخ .

رابعاً : عنايته بذكر أسباب النزول

١- فى ص ٤٣ سورة التوبة {٤٩} عند قوله تعالى : ﴿ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا﴾
بين الامام عبد الباقي معنى الفتنة ثم قال : أجمع المفسرون أنها نزلت فى جدّ بن
قيس المناقق لما تأهب النبى صلى الله عليه وسلم لغزوة تبوك فقال له : يا جدّ هل لك
فى جلاد بنى الأصفر تتخذ منهم سرارى ووُصفاً ، فقال : يا رسول الله أنا رجل مغرم
بالنساء وأخشى أن أفتن إن رأيت بنات بنى الأصفر ، لا تفتنى بهنّ وأذن لى فى
العودة ، أعنك بالمال . »

٢- فى ص ١٠١ سورة لقمان {٦٦} ، عند قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يشتري
لهو الحديث﴾

فسّر اللهو بأنه كل باطل ألهى عن الخير نحو السمرّ بالأساطير والتحدث بالخرافات
والغنا وتعلم الموسيقى ، ثم قال : نزلت فى النضر بن الحارث ، وكان يتجر إلى فارس
فيشتري كتب الأعاجم ، فيحدث بها قريشاً ، ويقول لهم : إن كان محمد يحدثكم عن
عادٍ وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم وبهram والأكاسرة وملوك الحيرة ، فيستملحون
حديثه ويتركون استماع القرآن .

٣- فى ص ١١٠ سورة الصافات {٦٢} ، عند قوله تعالى : ﴿أذلك خير نزلأ أم شجرة
الزقوم﴾

فسّر الزقوم بأنه شجر متّين مُرٌّ يقال لحمه رؤوس الشياطين ينبت بتهامه ، وقيل
الزقوم : طعام الجاهلية فيه تمرٌ وزبْدٌ . . . ثم قال : قال ابن عباس : لما أنزل الله
تعالى : ﴿إن شجرة الزقوم﴾ {الدخان - ٤٣} قال أبو جهل : الزبْد بالتمر فأنزل الله
تعالى : ﴿إنها شجرة تخرج فى أهل الجحيم﴾ {الصافات - ٦٤} .

خامساً : اللغة العربية

١- فى ص ٣ سورة البقرة {٩} عند قوله تعالى : ﴿يخادعون الله﴾

قال : خَدَعَهُ بِخَدْعِهِ خَدَعًا وَخَدَعًا ، أراد به المكروه من حيث لا يعلم ، والاسم الخديعة . فهنا نجد المؤلف يبين تصريفات الفعل ثم يشرح معناه وأخيراً يذكر الاسم منه .

٢- فى ص ٤ سورة البقرة {٥٩} ، عند قوله تعالى : ﴿رَجَزَ مِنَ السَّمَاءِ﴾

قال : الرَّجْزُ العذاب ، والرَّجْزُ مثل الرجس وهو القَدْرُ وبالضم الصنم .

هذا مثال واضح على أن عبارات هذا المؤلف غاية فى الدقة ووجاز العبارة مع كمال الإشارة إلى المعنى المراد ، فقد أفادنا هنا عدة فوائد ، فهو أولاً يبين معنى الرَّجْز بكسر الراء المشددة وهو العذاب ، ثم أفادنا ثانياً أن الكلمة تعطى معنى آخر حين نستبدل الزاى بالسين ، فيصبح المعنى : القَدْرُ وكأنه يشير إلى الرجس فى قوله تعالى فى سورة الأنعام {١٤٥} ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحَىٰ إِلَىٰ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ﴾ .

ثم بينَ وجهاً ثالثاً للكلمة حين تضم الراء المشددة ، فيصبح المعنى الصنم وهو يشير فى هذا إلى قوله تعالى : ﴿وَالرَّجْزُ فَاهْجُرْ﴾ سورة المدثر {٥} فقد قال المفسرون : أن الرَّجْز هنا بمعنى الصنم .

٣- فى ص ٢٩ سورة الأنعام {١٠٥} عند قوله تعالى : ﴿وَلِيَقُولُوا دَارَسْتُ﴾

قال : أى دَرَسْتُ الكتب ، أى كَرَرْتُ عليها ، تقول دارست الكتب وأدَارَسْتُها وتدارستها ، والدَّرْس فى الأصل ما عفا ودَرَسَتْهُ الرِّيح ، ودَرَسَ المكان يتعدى ولا يتعدى ، والقَدْرُ الجامع الإنتقال من حالة إلى حالة وكان انتقاله من السطور إلى الصدور بمنزلة العفاء ، أو لأن الدَّرْس هو التكرار ومنه دَرَسُ الحنطة .

وفى هذا المثال نلمح أن المؤلف رحمه الله تعالى قد كتب اللفظة على قراءة ابن عباس ومجاهد (دارست) وبين أن معناها كثرة معاودتها بالقراءة والإطلاع ، حيث قال : أى كررت عليها ، ثم بين بعض تصريفاتها فى اللغة .

ثم فصلّ في بيان أصل اشتقاق الكلمة مع ضرب المثل ، وذكر المعنى الأعم والإجمالى للفظ ، وهو الانتقال من حالة إلى حالة ، لأن انتقال العلم من السطور إلى الصدور بمنزلة عفاء الريح على الأثر ، ولأن التكرار على الكتاب وكثرة قراءته فيه معنى تذليله للحفظ والفهم ، كما يكرر الدرس على الحنطة فتثقل من حال إلى حال .
وهذه اشارات سريعة إلى اعتنائه بالبلاغة وسوق الشواهد الشعرية والأمثال ، وكذلك فقه اللغة .

أ - فى ص ٨ سورة البقرة {٢٢٣} عند قوله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾
أشار إلى أحد فنون البلاغة وهو التشبيه ، فقال : « شبه الجماع بالحرث ، والنطفة بالبذر ، والولد بالزرع »

ب - فى ص ١٦٩ سورة البروج {٨} عند قوله تعالى : ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله ﴾

وهنا يشير إلى علم البديع فيقول : أى أعابوا وعييبهم عندهم الإيمان بالله ، وهذا يسميه البديعيون تأكيد المدح بما يشبه الذمّ ومن ذلك قول الشاعر
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

ج - فى ص ١٤ سورة آل عمران {١١٢} عند قوله تعالى : ﴿ بحبل من الله وحبل من الناس ﴾ .

ساق عدة معانٍ للحبل ثم ضرب مثلاً لأحد هذه المعانى ، قال : وحبل الوريد عرقٌ ، وحبل الذراع فى اليد ، وفى المثل « هو على حبل ذراعك » أى بالقرب منك .
سادساً : النقول عن أئمة علماء القراءة والتفسير واللغة .

١ - فى ص ٣٤ سورة الأعراف {١٤٩} عند قوله تعالى : ﴿ ولما سَقَطَ فى أيديهم ﴾
قال : كناية عن الندم الخ

وقرئ في الغريب : سَقَطَ بفتحتيْن كأنه أضمر الندم وأجازه الأَخفش ، ومنع أبو عمرو (أَسْقَطَ) بالألف

وجوزَّه الأَخفش ، وقال أبو عبيدة وثعلب لا يجوز أسقط بالألف على ما لم يسم فاعله .

٢- في ص ٥٨ سورة يوسف {٧٠} عند قوله تعالى : ﴿جَعَلَ السَّاقِيَةَ﴾

فَسَّرَ السَّاقِيَةَ بالصُّوَاع الذي يشرب فيه الملك ، وبيَّن أن تسميته بالساقية تنبيهاً على أن كان يسقى به ، وتسميته صواعاً على أنه كان يُكَالُ به ، ثم قال : وقيل الصواع لغة في الصاع ، وقرأ أبو هريرة «صاع الملك» وابن عوف «صُوعُ» بالضم ، وابن جبير «صُوعُ» بالغين المعجمة . الخ

٣- في ص ٧١ سورة الإسراء {٢٣} عند قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفُ﴾

أفاض في بيان معنى «أف» ، وبيَّن فيها تسع لغات ، ثم قال : «هكذا نقله السَّجَّاوندى في عين المعانى في التفسير»

وفي الهامش أمام السَّجَّاوندى لَحَقَّ مكتوب فيه (الشيخ أثير الدين)

وهذه إلماحات أخرى إلى أسماء من نقل عنهم :

أ - في ص ٧١ في المثال السابق من سورة الإسراء ، قال أيضاً عن كلمة (أف) : ونقل بعض المتأخرين أنَّ فيها خمسين لغة ، ذكر ذلك أبو حيَّان في (ارتشاف الضَّرَب).

ب - في ص ٥٥ سورة يوسف {٢٠} عند قوله تعالى : ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾

بيَّن اللغات الثلاث في لفظ الدرهم ، وكسر الهاء وفتحها ودرهَّام ، وجمعه دراهم ، ثم قال : وليس من باب الإشباع كما ذهب إليه ابن مالك ونصَّ عليه الجوهري .

سابعاً : الفقه والأصول

١- في ص ٩ سورة البقرة {٢٢٦} عند قوله تعالى : ﴿يُؤْلُونُ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾

عرّف الإيلاء ، وبين صورته ومدته فى الجاهلية والإسلام .

فقال : « الإيلاء أن يحلف أن لا يقرب زوجته ، أو يحلف بما يلزمه غُرمه من صدقة أو عتق أو طلاق ، وكان إيلاء الجاهلية السنة أو الستين وأكثر ، فوقت الله تعالى فى الإسلام أربعة أشهر .

٢- ص ٩ سورة البقرة {٢٢٨} عند قوله تعالى : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾

قال : والقرء يطلق على الطهر والحيض وعلى الوقت .

٣- ص ٩٢ سورة النور {٣٣} عند قوله تعالى : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾

قال : الكتاب والمكاتبة مثل العتاب والمعاتبة ، وهو أن يقول الرجل لمملوكه : كتابتك على ألف درهم مثلاً فإن أدتها عتقتك وكتبت على نفسى بالوفاء بالعتق .

والأمر للندب عند عامة الفقهاء ، وعند الحسن للإباحة ، وفى رأى عمر بن الخطاب عزمة معزومات اللهوهو مذهب داود ، وعند أبى حنيفة يجوز المكاتبة حائلة ومؤجلة ، ومنجمة وغير منجمة ، وعند الشافعى لا يجوز إلا منجماً مؤجلاً ولا يجوز بنجم واحد ، لأن العبد لا يملك شئ .

نجد المؤلف هنا قرّب صورة المكاتبة بالتمثيل ، ثم أفاض فى حكمها استناداً إلى أقوال كبار الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب .

ومما ذكره فى هذا الباب .

أ - ص ٥ سورة البقرة {٦١} عند قوله تعالى : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾

قال : هذا ليس له مفهوم

وهى قضية أصولية تدخل تحت باب (دلالات الألفاظ) .

ثامناً : الجانب التاريخى

١- فى ص ٦ سورة البقرة {١٣٨} عند قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾

قال : أى دين الله ، وكانت النصارى تصبغ أولادهم فى ماء يقال له العمودى وقيل يقال له العموديه ليطهروهم بذلك ، فأنزل الله تعالى ﴿صبغة الله﴾ وقيل : سمي الدين صبغة لظهور آثار العبادة على الجسد .

ففى هذا المثال أثار المؤلف قضية عقدية كانت النصارى تعتقدها وهى التعميد .

٢- ص ٨٣ سورة الأنبياء {١١} عند قوله تعالى : ﴿وكم قصصنا من قرية﴾

بعد أن بين أن القصص بالقاف أقطع من الفصم لأنه يبين الأجزاء بعضها من بعض قال : وعن ابن عباس : القرية : حصورا والسَّحُولُ قَرِيَتَانِ من قرى اليمن بعث الله إليها نبياً فقتلوه فسَلَطَ الله عليهم بختنصرَ فاستأصلهم ، وظاهر الآية يدل على الكثرة ، وقيل : اسم النبى «حنظلة بن مروان» .

٣- ص ٩٥ سورة الشعراء {١٨٩} عند قوله تعالى : ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾

قال : يروى أنه حبس عنهم الريح سبعاً وسلَّطَ الله عليهم الرَّمْدَ فأخذ بأنفاسهم فخرجوا إلى البرية فأظلمت سحابة فاستروحوا بنسيمها وبردها فأذَّن بعضهم بعضاً بالاجتماع ، فلما تكاملوا تحتها ، أمطرت عليهم ناراً فاحترقوا .

روى أن شعيباً بُعِثَ إلى أمتين مدين وأصحاب الأيكة فأهلك مدين بصيحة جبريل وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة .

وهنا ذكر معنى عذاب يوم الظلة والأمتين اللتين بعث إليهما شعيب وهما مدين وأصحاب الأيكة .

وعما ذكره من القضايا والأحداث التاريخية والسيرة النبوية .

١ - ص ٩٢ سورة النور {٣٣} عند قوله تعالى : ﴿فكاتبوهم﴾ .

ذكر كلاماً جيداً فى صورة المكاتبه وحكمها ثم قال : «وأول مكاتب كوتب فى الإسلام عبد لعمر بن الخطاب يكنى أبا أمية ، وسبب نزولها أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك فسأله العبد المكاتبه فامتنع فترلت .

ب - ص ١٠٤ سورة الأحزاب {٥٢} عند قوله تعالى : ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَهَنَ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾
قال : أمره بالاعتصار عليهنَّ وهنَّ اللواتى مات عنهنَّ ثم سرد أسماء زوجاته التسع .

ج - ص ١٨٩ سورة النصر {١١} عند قوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾
تكلم فى نصف صفحة عن معنى النصر وعن فتح مكة وتاريخها وعدد
الصحابة وسواهم فيها ثم خروج الرسول من مكة إلى هوازن وحنين ، ثم موقفه
الأخلاقي التربوي من كفار مكة بعد أن مكثه الله من رقابهم ، حيث أطلقهم ، فلما
تبين الصبح لذى عينين دخلوا فى دين الله قبائل فقبائل .

د - ص ٨٦ سورة الحج {٢٥} عن قول تعالى : ﴿وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلَمٍ﴾
فسر الآية ثم ذكر قضية تاريخية فقال : فإن قيل فالحجاج أقدم عليه بالمنجنيق ،
فالجواد إنما قَدِمَ عليه متأولاً باخراج ما أدخله ابن الزبير من الكعبة لكونه كان على عهد
النبي صلى الله عليه وسلم .

تاسعاً : العناية بالتعاريف والمصطلحات والمفردات العلمية .

١- ص ٤ سورة البقرة {٤٧ ، ١٢٢} عند قوله تعالى : ﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾
قال : العالم لغة تطلق على جملة من المخلوق وفى الاصطلاح : كل موجود سوى
الله تعالى .

فهنا يزيل الغموض عن معنى العالم ببيان مدلولها اللغوى والاصطلاحى .

٢- ص ٧ سورة البقرة {١٥٨} عند قوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾
قال : الحج فى اللغة القصد وكذا الإعتمار ، وفى الشرع : عن أعمال مشروعة .

٣- ص ٨٧ سورة الحج {٣٦} عند قوله تعالى : ﴿وَالْبِدْنَ﴾ .

قال : جمع بدنة وهى ناقة أو بقرة تنحر بمنى مأخوذة من البدانة وهى السمن قاله
الجوهري ، . الخ

كما أن المؤلف اعتنى كثيراً بذكر أسماء الأعيان والأماكن والبقاع والبلدان والقبائل والأنساب والغزوات والأنهار ، وهذا بعض ما ذكره .

أ - صورة ١٤ سورة آل عمران {١٢٣} عند قوله تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر ﴾

قال : اسم بئر نسب المكان إليها ، ويقال حافرها (بدر)

وقيل : لأن البدر يرى فيها لصفائها وقيل لاستدارتها .

ب - ص ٨١ سورة طه {٨٥} عند قوله تعالى : ﴿ وأضلَّهُم السَّامِرَى ﴾ .

قال : والسَّامِرَى منسوب إلى قبيلة في بنى اسرائيل يقال لها (السَّامِرَة)

وقيل كان من أهل باجُرمًا ، وقيل كان علجاً من كرمان يقال له موسى بن ظفر ، وكان منافقاً فظهر الإسلام وكان من قوم يعبدون البقر . وهنا يفيض في بيان نسب وحال السَّامِرَى .

عاشراً : الاستنباطات العلمية في الأنفس والآفاق

يشير المؤلف هنا بعض ما أودعه الله في حنايا النفوس وجنابات الكون ، مما يدل على عظمته سبحانه وتعالى .

(١) ص ٧ سورة البقرة {٢٠٤} عند قوله تعالى : ﴿ وهو ألد الخصام ﴾

قال : أى شديد ، كأن اشتقاقه من اللدَّيدين وهما عرقان في جانبي العنق لأن المخاصم الذي يشتد خصامه ترى عرقين في جانبي عنقه ومنه لديد الوادي جانبه .

(٢) ص ١٠٩ سورة الصافات {٥} عند قوله تعالى : ﴿ ورب المشارق ﴾

قال : لأن الشمس لها ثلاثمائة وستون مشرقاً وكذلك المغارب ، ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين .

(٣) ص ١٣٣ سورة الرحمن {٢٢} عند قوله تعالى : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾

فسرَّ ماهية اللؤلؤ والمرجان وأصل نشأته هل هو من الماء المساح أم العذب ، ومما قاله

: وذهب بعضهم إلى أن اللؤلؤ انما يكون من المطر ، لأن السمكة تفتح صدفها لتلقى القطر وهى فى البحر فصح أن اللؤلؤ من مجموع العذب والمليح .

وهذا أقوى وأحكم من القول بأنه يخرج من أحدهما .

ومما ذكره فى هذا الباب العلمى ذا المنحى الروحانى .

أ - ص ١٦٦ سورة التكوير {١٦} عند قوله تعالى : ﴿الجوار الكنس﴾ .

قال : والجوارى السيارة ، والكنس : الغيب ، من كنس الوحش اذا دخل كناسه ، وقيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجرى مع الشمس نهاراً ، وتنكس ليلاً أى تبدو فى أبراجها كما يبدو الوحش فى بيته .

ب - ص ١٧١ سورة الأعلى {٣} عند قوله تعالى : ﴿والذى قدر فهدى﴾

قال : قدر لكل حيوان ما يصلحه وهداه إليه ، ومن غرائب المخلوقات :

ثم شرع يبين أن الحية اذا بلغت عمراً طويلاً أنها تعمى فيلهمها الله جل شأنه أن تمسح عينها بأصول الرأزيانج الغض فيزول ما بها من العمى . تعالى الله علواً كبيراً ، وربما كانت فى برية بعيدة من الرأزيانج فتطوى إليه المراحل والسباسب حتى تهجم على بعض البساتين على الشجرة فلا تخطئها .

ولاشك أن الاعتناء بجانب الهداية فى القرآن ، والتبصر فى الأنفس والتفكر فى الآفاق ، له الأثر البالغ فى خشوع القلب وزيادة المعرفة بالله .

حادى عشر : قوة أثر المؤلف فى كتابة

هذا القسم من أهم الأقسام التى تبين القيمة العلمية للكتبا ، حيث أن وضوح شخصية أى مؤلف فى كتاباته - سواء كان هذالوضوح إقراراً لما يسوقه من معلومات أو ترجيحاً عند تعدد الأقوال ، أو معارضة لما يطرحه سواه ، والمعارضة لا تكون إلا بدليل ، أو تعقباً واستدراكاً - يعتبر رصيذاً يزيد من أهمية الكتاب ، وسأذكر هنا عدداً من الأمثلة الدالة على أن الامام عبد الباقي كان يصنف المصنفات لا ليجمع العلم من

بطون الكتب ، ويرويه ، بل يصنفها ليغربل ويميز ما كتبه السابقون ببصيرة وعلم ، ويسوق أصح ما ذكروا ، أو يورد المرجوح أو الضعيف ويتعقبه ليدلل علي رجحانه .

وهذا أوان الأمثلة وسأسوقها حسب ورودها في الكتاب بدون ترتيب فني تجانسي مقتصراً على الشاهد من إيرادها وفي بداية كل مثال أذكر خلاصته .

١- استنباطه من الآيات دلالات فقهية .

في ص ٩ سورة البقرة {٢٣٢} عند قوله تعالى : ﴿فَلَا تَعْضَلُوهُمْ﴾

قال : أى تمنعونهم من النكاح . . وفي هذه الآية دلالة على أن المرأة لا تزوج نفسها .

٢- ينقل أقوال اللغويين وينقدها فيبين المرجوح

في ص ١٢ سورة آل عمران {٢٦} عند قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾

قال : رأى الخليل حذف حرف النداء وعوض فى آخر الاسم ميم مشددة اتصلت بالهاء ، ورأى الفراء أصله (ياالله أمنا) فحذف حرف النداء وأوصل بالهاء (أم) بغير مفعول ، وهو مرجوح .

٣- يعرف معنى الكلالة ثم ينقل تعريفها عن النبی صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ، ويصحح كلا القولين ، ويعلل وجه صحتها لعدم تعارضهما

في ص ١٥ سورة النساء {١٢} عند قوله تعالى : ﴿يُورِثُ الْكَلَالَةَ﴾

قال : الكلالة اسم لما عدا الولد والوالد من الورثة ، وعن ابن عباس هو اسم لما عدا الولد . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكلالة ، فقال : «من مات وليس له ولد ولاوالد فجعله اسم الميت» وكلا القولين صحيح ، فإن الكلالة مصدر يجمع الوارث والمورث .

٤- يذكر قولاً مرجوحاً ويرده باستنباط من الآية ويشرح وجه صحة استنباطه ويؤيده بحديث نبوى .

فى ص ٢٥ سورة المائدة {١١٤} عند قوله تعالى : ﴿مائدة من السماء﴾

ذكر ستة أقوال فى معنى المائدة واشتقاقها ، وأخيراً قال : «وقيل إنهم استدعوا طعاماً ، وقيل استدعوا علماً ، لأن العلم غذاء الأرواح كما أن الطعام غذاء الأشباح ، (وفيه نظر) لقوله تعالى : ﴿ناكل منها وتكون لنا عيدا﴾ {المائدة - ١١٤} لأن المعروف فى الأعياد الإجتماع على الطعام لا على العلم ، وأيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «أيام أكل وشرب وبعال» .

٥- يذكر اشتقاقاً لمعنى الاستخارة بصيغة التضعيف ، ويأتى بما يطمئن إليه ويراه ظاهراً .

فى ص ٣٤ سورة الأعراف {١٤٨} عند قوله تعالى : ﴿له خوار﴾

قال : أى صوت ، وهو فى الأصل للبقر ، وخار الحرّ والرجل خؤورة أى ضعف وانكسر ، والاستخارة يقال أنها من رفع الصوب بالخوار ، (والأظهر أنها من طلب الخيرة) .

٦- يردُّ على علماء البيان من سياق النص القرآنى

فى ص ٤٤ سورة التوبة {٦٩} عند قوله تعالى : ﴿فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم﴾

قال : الخلاق النّصيب ، وفى هذه الآية رد على علماء البيان أن اللفظة اذا تكررت لا يُعدُّ الكلام فصيحاً كقولهم : (وليس قُربُ قبرٍ حربٍ قبرُ)

٧- يرد قولاً للجوهري (مع كثرة نقوله عنه) معللاً رده بما جاء فى كلام أفصح الفصحاء .

فى ص ٥٧ سورة يوسف {٤٢} عند قوله تعالى : ﴿فلبث فى السجن بضع سنين﴾

قال : يقال بضع بكسر الباء وفتحها ، واختلف فيه ، ف قيل من الثلاثة إلى العشرة ، وقيل إلى التسعة ، وقيل إلى السبعة ، وقيل الخمسة ، ويقال : بضعة عشر رجلاً وبضع

عشرة امرأة ، وإذا جاوزت لفظ العشرة ذهب البضع لا تقول : بضع وعشرون . وهو قول الجوهري وفيه نظر ، لأنه جاء فى كلام أفصح الفصحاء «الايان بضع وسبعون شعبة» . . . الخ

وفى هذا المثال نلمح تعظيمه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديمه على كلام الرجال وآرائهم كما هو مذهب علماء السلف فى تعظيمهم لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وفى ذلك يقول الإمام الشافعى - رحمه الله - :

«إذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوا ما قلت» (مناقب الشافعى للبيهقى ١ / ٤٧٢ ، تحقيق السيد/أحمد صقر)

٨- يذكر أربعة أوجه لجواز انتصاب لفظة فى القرآن ويردُّ الوجه الرابع ويعلل لسبب رده .

فى ص ٨٢ سورة طه {١٣١} عند قوله تعالى : ﴿أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا﴾

قال : يجوز فى انتصاب (زهرة) أربعة أوجه ، الأول على الذم ، وعلى تضمين متعناً أعطينا ، وعلى ابداله من محل الجار والمجرور ، وعلى ابداله من أزواجاً على تقدير (زهرة) ويكون جمع أزهر .

قلت : وفى هذا الوجه نظر فإن المبدل حقه الجمود ، فلو جعل من باب حذف المضاف لكان سائغاً ، والتقدير (ذوى زهرة) .

٩- سياقه قولاً تفسيرياً وردّه بقوله « وهو مرجوح »

فى ص ١٢٤ سورة الفتح {١} ، عند قوله تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾

قال : نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية .

عدّة له . وجئ بالماضى جزماً بالوقوع على عادة اخبار رب العزة ، والفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحاً ، بحرب أو غير حرب ، لأنه متعلق بما لم يظفر به ، فإذا ظفر به

فقد فتح ما كان معلقاً بينه وبينه . (وقيل فتح الحديدية وهو مرجوح) .

١٠ - انتقاده لبعض ما ساقه أهل التفسير بقوله (ومن بدع التفاسير)

أى من تكلف ومجازفات بعض المفسرين . ومن ذلك

أ - فى ص ١١٩ سورة الزخرف {١٥} عند قوله تعالى : ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾

قال : جعلوا هاهنا بمعنى صَيَّرُوا ، والجزء البعض . جعلوا الملائكة بعض الله وسمَّوهم بناته ، ومن بدع التفاسير أن الجزء اسم الإناث ، وادَّعاء مثل ذلك على القرب كذب الخ .

ب - فى ص ١٨٧ سورة قريش {٤} عند قوله تعالى : ﴿وآمنهم من خوف﴾

قال والمراد بالخوف ، قيل الخوف من أهل الفيل ، وقيل الأمن من التخطف ومن بدع التفاسير : آمنهم من خوف أن تكون الخلافة فى غيرهم .

اكتفى بهذه الأمثلة للدلالة على ما سبقت الإشارة إليه من قوة أثر المؤلف فى كتابه ، وتمييزه الغث من السمين من أقوال أهل العلم .

وبهذا القسم أختتم عرض منهج المؤلف فى كتابه تفصيلاً ، وكذا ما أودعه فيه من علوم وفوائد هى فى الحقيقة فوائد تدل على ما حبا الله به المؤلف من علم وافر ، وحكمة صائبة ، وقدرة على البيان بأوجز عبارة ، وأبلغ إشارة .

نفعنا الله بالقرآن العظيم وعلومه ، وهدانا إلى خير ما يحب ويرضى ، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قسم الدراسة

الفصل الأول

المبحث الأول

"الفاصلة القرآنية"

تعريف الفاصلة : " هى كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر ، وقرينة السجع . . وهذا التعريف الاصطلاحي التمس له القائلون به مستنداً من القرآن . .

قال ابن منظور " وقوله عز وجل ﴿ كتاب فصلناه ﴾ {الأعراف-٥١} له معنيان :

أحدهما : تفصيل آياته بالفواصل .

ثانيهما : بيّناه . وقوله عز وجل ﴿ آيات مفصلات ﴾ {الأعراف -١٣٢} : بين كل

آيتين فصل ، تمضى هذه وتأتى هذه بين كل آيتين مهلة .

وقيل : مفصلات : مبيّنات وسمى المَفْصَل لِقِصَرِ أَعْدَادِ سُورِهِ مِنَ الْآيِ .

وقد ذهب بعض العلماء والأئمة إلى أن بعض الحقائق قد يتجاوز فيها مراعاة للفاصلة فهذا القراء (ت ٢٠٧ هـ) يقول حول قوله تعالى ﴿ ولن خاف مقام ربه جنتان ﴾ {الرحمن -٤٦} .

قال القراء* : وإنما ثنائهما هنا لأجل الفاصلة ، رعاية للتي قبلها والتي بعدها على هذا الوزن . والقوافي تحتل في الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام^(١) ، ونقل عنه السيوطي** قوله حول قوله تعالى ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾ {الشمس - ١٢} قال القراء : فإنهما رجلان قُدار وآخر معه ولم يقل أشقياها للفاصلة ١ هـ .

(١) ومن أنكر ذلك ابن قتيبة قال : إنما يجوز في رؤوس الآي زيادة هاء السكت أو الالف ، أو حذف همزة أو حرف . فاما أن يكون الله وعد جنتين فنجعلهما جنة واحدة من أجل رؤوس الآي فمعاذ الله . وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين ، قال : ﴿ ذواتا أفنان ﴾ {الرحمن -٤٨} ثم قال ﴿ فيهما ﴾ {الرحمن - ٥٠} ولو أن قائلنا قال في خزانة النار : إنهم عشرون ، وإنما جعلهم الله تسعة عشر لرأس الآية ، ما كان هذا القول إلا كقول القراء ١ هـ .

* البرهان للزركشي ١ / ٦٥

** الاتقان للسيوطي ٢ / ١٠٠

ونفس الشيء يقال فى مثل قوله تعالى ﴿فلا يخرجكما من الجنة فتشقى﴾ طه - ١١٧ .
وقوله ﴿قالوا آمنا بربّ هارون وموسى﴾ طه - ٧٠ .

وللرد على هذه الأقاويل نقول : إن الله سبحانه وتعالى أنزل هذا الكتاب وجعله متميزاً فى كل شئ ؛ فى أسلوبه وبيانه فى نظمه وتراكيبه فى فواصله ومقاطعته . فقد تنوعت فواصله بين القصّر والطول .

وخذ على سبيل المثال لا الحصر ، فواصل سورة المدثر فقد تميزت بالقصّر غير أنّ الآية الحادية والثلاثين منها لم تأخذ شكل بقية الآيات من القصّر المعهود .
والآن نأخذك إلى نزهة علمية طريفة حول فاصلة من فواصل سورة طه توقفك على أمرين مهمين .

الأمر الأول : وهو أن القرآن لم يراع أبداً مسألة السجع على حساب المعانى ذلك أن الكلام المسجوع يلتزم فيه تكرار الحروف الأخيرة كما تكرر القافية فى الشعر ، والقرآن لا يلتزم ذلك^(١)

والأمر الثانى أن السجع يُخضع المعنى لللفظ وقد تنزه القرآن عن هذا ، إذ إن توافق الأحرف الأخيرة فيه لا يُقصد لذاته بل يأتى تابعا للمعنى .

فمثلا فاصلة سورة طه والتي قدّم فيها ذكر هارون على موسى فمن قائل إنه لمكان السجع حصل التقديم ، ومن قائل إنه لنكتة إعجاز .

ونقول لقد اقترن "موسى وهارون" عليها السلام فى القرآن عشر مرات تسع منها يتقدم فيها ذكر موسى على هارون : أربع منها فى غير الفاصلة وخمس فى الفاصلة .

(١) ذكر الزمخشري أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجرد ما إلا مع بقاء المعانى على سدادها ، على النهج الذى يقتضيه حسن النظم والتثامه . كما لا يحسن تخيير الألفاظ المؤنقة فى السمع ، السلسلة على اللسان ؛ إلا مع مجيئها منقادة للمعانى الصحيحة المنتظمة ؛ فأما أن تهمل المعانى ، ويهتم بتحسين اللفظ وحده ، غير منظور فيه إلى مؤداه على بال ، فليس من البلاغة فى فتيل أو نقيير . انظر الكشف (ج ٢ ص ٤٢١)

وتقدم ذكر هارون على موسى فى موضع واحد وفى الفاصلة ، موضع الاستشهاد .

وقد أجاب نفر من العلماء إجابات أرى أنها قيمة بالتسجيل والإشادة . فمنها :-

أولاً : قُدِّم هارون على موسى لأن هارون أفصح من موسى وأكبر منه بثلاث سنوات ، وهما ميزتان تسوّغان تقدّمه فى أحد المواضع حين يُذكران .

ثانياً : السبب فى تقديم هارون على موسى هو خوف السحرة الذين آمنوا - من وقوع شبهة اعتقاد فرعون أنهم آمنوا به - لأنّ فرعون كان يدعى ربوبيته لموسى ، لأنه رباه فى صغره ، كما قال : ألم نريك فينا وليدا؟

ثالثاً : هناك وجه يبانى يصوّر الحالة النفسية التى كان عليها السحرة ، لما ظهرت معجزة موسى فألقوا سُجُداً يتلعثمون بالشهادة ، كحال العبد الذى فرح بلقاء راحلته بعد ضياعها . فقال من شدة الفرح " اللهم أنت عبدى وأنا ربك " أخطأ من شدة الفرح .

والذى يبدو لى أن هذا الأسلوب من أساليب القرآن يدل على جواز تقديم المفضل على الفاضل ولا يمتنع فى توجيه الخروج عن الأصل فى الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة ؛ فإن القرآن العظيم - كما جاء فى الأثر- " لا تنقضى عجائبه "

*والآن نجمل طرق معرفة الفواصل :-

الأولى : مساواة الآية لما قبلها وما بعدها طُولاً وقِصراً .

الثانية : مشكلة الفاصلة لغيرها مما هو معها فى السورة فى الحرف الأخير منها أو فيما قبله

الثالثة : الإتفاق على عدّ نظائرها فى القرآن الكريم

الرابعة : إنقطاع الكلام عندها

ولزيد من إيضاح المقصود بما سبق من طرق معرفة الفواصل نورد ما ذكره الجعبرى فى هذا الشأن قال : ولمعرفتها طريقان : توقيفى وقياسى .

الأول : التوقيف ، روى أبو داود عن أم سلمة : لما سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان يُقَطَّعُ قراءته آية آية . وقرأت بسم الله الرحمن الرحيم إلى " الدين " تقف على كل آية . فمعنى يقطع قراءته آية آية ؛ أى يقف على كل آية ، وإنما كانت قراءته صلى الله عليه وسلم ليعلم رؤوس الآى .

قال : وهم من سمّاه وقف السنة ، لأن فعله عليه السلام إن كان تعبدا فهو مشروع لنا ، وإن كان لغيره فلا . فما وقف عليه السلام عليه دائما تحققتنا أنه فاصلة وما وصله دائما تحققتنا أنه ليس بفاصلة ، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريفهما ، أو لتعريف الوقف التام ، أو للاستراحة . والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة ، وصلها لتقدم تعريفها .

الثانى : القياسى ؛ وهو ما ألحق من المُحتمل غير المنصوص بالمنصوص ، لمناسب . ولا محذور فى ذلك ؛ لأنه لا زيادة ولا نقصان ؛ وإنما غايته أنه محل فصل ، أو وصل . والوقف على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز .

واعلم أن سبب اختلاف العلماء فى عدّ الآى والكلم والحروف أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآى للتوقيف ، فإذا علم محلها وصل للتمام ؛ فيحسب السامع أنها ليست فاصلة . وأيضا البسمة نزلت مع السورة فى بعض الأحرف السبعة ؛ فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدّها ، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدّها (١)

(١) البرهان للزركشى (ج ١ ص ٢٥٢)

المبحث الثانى

"قراءات النبى صلى الله عليه وسلم"

عندما تقرأ فى بعض كتب التفسير كالبحر المحيط لأبى حيان ، والجامع للقرطبى ، وروح المعانى للألوسى وغيرها ؛ تلحظ أنّ هذه الكتب تشير إلى قراءات غير معروفة لنا ولا مشهورة بيننا ومنها عبارة وهى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم كحديث أبى الطفيل عامر بن واثلة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : فمن تبع هُدىً ، مقصورة مثقلة فإذا تتبعت سند هذا الحديث وجدت فى اسناده بكّار^(١) ، واسماعيل المكي وهو ضعيف فإسناد هذه القراءة ضعيف . وربّما صحّ الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أنّ هذه القراءة التى نُسبت إليه خالفت العرْضة الأخيرة التى كتبها زيد بن ثابت فى حضرة كبار الصحابة فلا يؤخذ بها لأنها منسوخة حيث إنّ الأُمَّة أجمعت على أنّ المعتمد فى القراءة ما بعد العرْضة الأخيرة ، ومثال ذلك .

مارواه مسلم فى صحيحه من طريق داود بن أبى هند عن الشعبى عن علقمة / قال : لقيت أبا الدرداء فى مسجد دمشق فقال : مَنْ أنت ؟ فقلت من أهل الكوفة . فقال : تقرأ من قراءة عبد الله شيئاً ؟ قلت : نعم . قال : اقرأ "والليل إذا يغشى" قال : فقرأت : " والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى والذكر والأنثى " فقال : كذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها ١ هـ .^(٢)

وقد يُنسبُ إلى القراء السبعة المشهورين أو إلى أحد رواتهم شيئاً من الأحرف التى لا يُقرأُ بها اليوم فيجب أن يُضرب على هذه الروايات لأن العلم على ما اشتهر ولأن هذه الروايات منقطعة الأسانيد فلا يجوز الأخذ من ذلك بشيئ .

(١) بكار بن عبد الله بن يحيى العوذى نقل ابن ابى حاتم عن أبيه أنه ليس بقوي .

(٢) صحيح مسلم (ج ١ ص ٥٦٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب ما يتعلق بالقراءات برقم ٢٨٤

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن ما القاعدة التى استند إليها الأئمة والعلماء من زمن ابن مجاهد^(١) وحتى زمن ابن الجزرى فى القبول والرد ؟ أعنى قبول القراءة أو ردها

أقول : بعد أن جمع عثمان رضى الله عنه الناس على حرف واحد ونسخ المصحف ست نسخ وزعت على الأمصار ؛ بعد ذلك كله رأى أهل البدع أن يثيروا الفتن ويشغلوا هذه الأمة بآراء ضالة ومذاهب منحرفة ترويجاً لبدعتهم تارة وتارة أخرى لإحياء ما اندثر من أوجه وأحرف أجمعت الأمة على عدم قبولها وهجر القراءة بها ؛ وما ذلك إلاّ للشغَب على المتقين من القراء والذين تفرغوا للقراءة وضرب الناس إليهم آباط الابل من كلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ . شأنهم فى ذلك شأن كُلِّ متطفِّلٍ مُتعالِمٍ - فى كلِّ زمان ومكان على الراسخين فى العلم . حسداً من عند أنفسهم فهذا ابن شنبوذ^(٢) كان يعتمد شواذَّ القراءات ويقرأ بها ، وقرأ بالمحراب فى بعض صلواته بحروف مرويّة عن ابن مسعود وأبى بن كعب تخالف مصحف عثمان الذى أجمعت عليه الأمة ، وجادل فى ذلك ، وحاول فى جرأة أن يُقرِّئ بها بعض الناس واشتهر أمره .

على قاعدة (خالف تُعرَف) وهذا آخر يُقال له محمد بن الحسن المعروف بابن مِقْسَمٍ العطار زعم أن كل ما صحَّ له وجهٌ فى العربية لحرف من حروف القرآن المدونة فى المصحف العثمانى تجوز قراءته بها فى الصلاة وغيرها ، وأدّاه ذلك إلى أن يقرأ بحروف تخالف إجماع القراء ، والرواة مستخرجاً لها وجوهاً من اللغة من ذلك قراءته ﴿فلما استياسوا منه خلصوا نجياً﴾ [يوسف - ٨٠] .

فتصدّى لهما ابنُ مجاهد ورفع أمرهما إلى ولاية الأمر وسُئلا البرهان عن صحة ما ذهبا إليه ، فلم يستطيعا أن يُدليا بأى حجة ، هذا ؛ ولم يقتصر الأمر على هذين

(١) أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي ولد ببغداد سنة ٢٤٥ قرأ على عبد الرحمن بن عبدوس تلميذ أبى عمر الدوري ، وعلى الامام قبيل راوى ابن كثير بمكة سنة ٢٧٨ هـ قال عنه ثعلب " ما بقى فى عصرنا هذا أعلم بكتاب الله من أبى بكر بن مجاهد " توفي عام ٣٢٤ هـ .

(٢) كان هذا الفعل منه سنة ٣٢٣ هـ

الرجلين بل كان يظهر فى كل جيل مَنْ يدعى العلم ويحيد عن الجادة ويقرأ بما لم تحل القراءة به .

وقد أخبرنى أحد مشايخنا من كبار السن - أن حادثة كهذه وقعت فى زماننا هذا لأحد المتسبين إلى علم القراءات فى محلة يقال لها سمنود من مخاليف مصر ؛ غير أن العلماء تصدوا له وأقصى عن التدريس بالأزهر ولازم قريته . وهكذا الحال والشأن فى كل زمان ومكان هذا ؛

ومن الجدير بالذكر أن القراءات من لدن زمن الصحابة وحتى القرن التاسع الهجرى - لم تزل فى تكاثر وازدياد ؛ فتشعبت الطرق ، واتسع الخرقُ وقلَّ الضبط وصنّفَ فى الصحيح والشاذ حتى ألف الإمام أبو القاسم يوسف بن علىّ بن جبارة الهذلي المتوفى عام ٤٦٥ هـ كتاب الكامل فى القراءات الخمسين . وأوشك أن يكون ذلك باباً لدخول شئ من الاضطراب على ألسنة طلاب العلم ؛ إذ كان منهم المتقن وغير المتقن . فأنبرى ابن مجاهد المتوفى عام ٣٢٤ هـ وانتقى من بين هذا الركام الهائل من القراءات ، والروايات والطرق ؛ سبع قراءات لسبعة من الأئمة الذين ذاع ذكرهم واشتهر عنهم الضبط ، والأمانة ، والثقة ، والعدالة ؛ وأجمع أهل عصره على هذا الاختيار وارتضوا اجتهاده وكان لاختياره ضوابط وعلل منها ما ذكره ابن مجاهد نفسه فى حديثه عن ابن كثير المكي فى فواتح كتابه أن أهل مكة لم يجمعوا على قراءة ابن محيصن تمة القراء الأربعة عشر بينما أجمعوا على قراءة ابن كثير . ويقول عن ابن محيصن الذى رفضت الأمة قراءته واختياره يقول :

كان له اختيار لم يتبع فيه أصحابه ، فابن مجاهد لم يصطف السبعة إلا بعد اجتهاد طويل وانتقاء لأصح الأسانيد وأكثرها شهرة وتلقى الأمة لها بالقبول ، ثم تبعه فى ذلك الأئمة والقراء على نحو ما هو معروف عن أبى عمرو الدانى ، والشاطبى ؛ وأجمع العلماء على أنها متواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وألحقوا بها الثلاثة المكملة للعشرة وهى قراءات أبى جعفر يزيد بن القعقاع ، ويعقوب بن اسحاق الحضرمى ، وخلف بن هشام الكوفى المعروف بخلف العاشر . أما القراءات الأربع الباقية : قراءات

الأعمش سُليمان بن مهران ، واليزيدى ، والحسن ، وابن محيصن . فعدوها شاذة .

ومن الجدير بالذكر أن ابن مُجاهد حينما اختار لم يُسقط رواية من سواهم بل عدّها شاذة ؛ أى جعلهم وراء السبعة فى علم السند والرواية وهو لا يقصد أنها شاذة لا تصح القراءة بها ؛ إنما يقصد أنها تأتى وراء السبعة فى عدد من يقرءون بها فى الأمصار^(١) .

قال ابن جنى " والقراءات ضربان : ضرب اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد - رحمه الله - كتابه الموسوم بقراءات السبعة . . .

وضربٌ تعدّى ذلك فسمّاه أهل زماننا شاذاً أى خارجاً عن قراءة القراء السبعة " ١. هـ (٢)

* مرحلة ما بعد ابن مجاهد:

لم يتوقف التصنيف والتأليف فى هذا العلم بعد ابن مجاهد فمن العلماء من صنف فى القراءات الثمان ككتاب التذكرة لابن غلبون (ت ٣٩٩هـ) ، وكتاب التلخيص فى القراءات الثمان " لأبى معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبرى (ت ٤٧٨هـ) ومنهم من ألّف فى التسع كالإمام سبط الخياط فى كتابه " الشمس المنيرة فى التسعة الشهيرة " ومنهم من ألّف فى القراءات العشر كالإمام أبى بكر بن مهران (ت ٣٨١هـ) فى كتبه (الشامل ، الغاية ، المبسوط) ومنهم من ألّف فى إحدى عشرة قراءة كالإمام على بن محمد بن فارس الخياط (ت ٤٥٠ هـ) .

فى كتابه الجامع فى القراءات العشر وقراءة الأعمش ،

ومنهم من ألف فى اثنتى عشرة قراءة ، كالإمام سبط الخياط " المُبْهَج فى القراءات الثمان وقراءة الأعمش ، وابن محيصن ، واختيار خلف واليزيدى "

(١) السبعة لابن مجاهد ص ٢٥

(٢) المحتسب لابن جنى ١ / ١٥

ومنهم مَنْ أَلَفَ فى ثلاث عشرة قراءة كالإمام عبد الله بن أيدُغدى الشمس الشهير بابن الجندى (ت ٧٦٩هـ) فى كتابه "بستان الهداة فى اختلاف الأئمة والرواة"

ومنهم من أَلَفَ فى أربع عشرة قراءة كالامام محمد بن خليل المعروف بالقباقي (ت ٨٤٩هـ) فى منظومته "مَجْمَع السرور ومَطْلَع الشموس والبدور"

ومنهم مَنْ أَلَفَ فى القراءات الخمسين وهو الهذلى (ت ٤٦٥هـ) أما الامام الكبير والحافظ وهو الشهير أبو عمرو الدانى (ت ٤٤٤هـ) فقد أَلَفَ كتاب التيسير على خط كتاب السبعة لابن مجاهد والشاطبى^(١) أَلَفَ لاميته المعروفة بحرز الأمانى لخص فيها كتاب التيسير - وقد قام الامام ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ) بتأليف كتاب النشر فى القراءات العشر وقد اعتمد فى تأليفه على بضع وستين كتاباً من كتب هذا الفن قرأها على شيوخه ثم قام بعملية غريبة لما قرأ فاستبعد ما فوق العشر لعدم توفر شروط قبول القراءة الصحيحة فيها ، وأما العشر فاستبعد منها كل طريق فيه مغمز أو مطعن أو لم تتحقق فيه اللُّقْيَا بَيْنَ الأستاذ والراوى عنه أو كان مروياً بطريق العرض دون القراءة والمشافهة فاجتمع لديه - قريباً من أَلَفَ طريق عن القراء العشرة .

والسؤال الآن ما الذى يجوز أن تقرأ به اليوم من تلك القراءات الكثيرة ؟

الجواب . نقرأ بما وصلنا عن طريق التواتر والاستفاضة من القراءات المنسوبة إلى العشرة من طريقى الشاطبية والدرّة وتسمى العشرة الصغرى ، أو من طريق طيبة النشر وتسمى العشرة الكبرى .

(١) الشاطبى هو لقاسم بن فيّره بن خلف بن أحمد الرعينى الضرير ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسائة بشاطبة من الأندلس وقرأ القراءات وسمع الحديث ، وأخذ كتاب سيبويه والكامل للمبرد وغيرهما استقر به الحال فى القاهرة ، وجلس للأقراء فقصده الخلائق من الأقطار ونظم قصيدته اللامية فى القراءات السبع ومنظومتيه الرائيتين فى علم الرسم وعلم الضبط . توفى - رحمه الله - سنة تسعين وخمسائة بالقاهرة (*)

(*) انظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام الذهبى . (ج ٢ ص ٢٢١)

واعلم أن كلَّ قراءة من القراءات مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها ؛ واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً ؛ لا يجوز ترك موجب أحدهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض ؛ بل كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلَّهُ (١)

(١). فتاوى ابن تيمية (ج ١٣ ص ٣٩٢).

المبحث الثالث

لا مجاز فى القرآن

شاع فى زماننا هذا القول (المجاز فى القرآن) ومبدأ القول به إنما كان بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضلة . لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين ، ولا أحد من الأئمة المشهورين فى اللغة والنحو: كالخليل ، وسيبويه ، وأبى عمرو بن العلاء . . . ونحوهم . بل ولا تكلم به من أئمة الفقه والشرعية أحد . كمالك ، والأوزاعى والشافعى وأبى حنيفة والثورى . وأما ما روى عن الامام أحمد -رحمه الله - من قوله فى كتاب - الرد على الجهمية - فى قوله إنا ، ونحن ، ونحو ذلك فى القرآن : هذا من مجاز اللغة فإنما قصد مما يجوز فى اللغة . أى يجوز فى اللغة أن يقول الواحد العظيم الذى له أعوان : نحن فعلنا كذا أو نفعل كذا ونحو ذلك . ولم يُردِّ أحمدُ بذلك أن اللفظ استعمل فى غير ما وضع له .

وأول مَنْ عُرِفَ أنه تكلم بلفظ المجاز ، أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه مجاز القرآن . غير أنه لم يَعْنِ بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة ، وإنما قصد بالمجاز فى الآية ما يُعبرُّ به عن الآية . وعليه فإن لفظ المجاز إنما هو اصطلاح حادث والغالب أنه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين . فإنه لم يوجد هذا فى كلام أحد من أهل الفقه والأصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف الصالح .

قال الشيخ محمد الأمين وأوضح دليل على منعه فى القرآن إجماع القائلين بالمجاز ، على أن كل مجازٍ يجوز نفيه ويكون نافية صادقاً فى نفس الأمر فتقول لمن قال : رأيت أسداً يرمى ليس هو بأسد ، وإنما هو رجل شجاع ، فيلزم على القول بأن فى القرآن مجازاً أن فى القرآن ما يجوز نفيه . ولا شك أنه لا يجوز نفي شئ من القرآن* (١) .

(١) نقل ابن رشيقي فى العمدة عن قوم كان سبب طعنهم فى القرآن "القول بالمجاز" إذ إنَّ المجاز كذب . فكيف يقول بالمجاز عاقل؟

فمن رعم ذلك : فقد طعن فى القرآن شاء أم أبى .

* أضواء البيان للشنقيطى (ج ١٠ ص ١٦٥)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية راداً قول مَنْ قال بالمجاز وأن الحقيقة تتميز من المجاز بالاكْتفاء باللفظ ، " فإذا دل اللفظ بمجردة فهو حقيقة " ؛ وإذا لم يدل إلا مع القرينة فهو مجاز قال : هذا التَّقْسيم لا حقيقة له ، وليس لمن فرّق بينهما حدٌّ صحيح يميز به بين هذا وهذا فعَلِمَ أَنَّ هذا التقسيم باطل ،

وهو تقسيم مَنْ لم يتصور ما يقول ، بل يتكلم بلا علم ، فهم مبتدعة فى الشرع ، مخالفون للعقل . وذلك أنهم قالوا :

الحقيقة اللفظ المستعمل فيما وضع له ،

والمجاز هو المستعمل فى غير ما وضع له ؛ احتاجوا إلى إثبات الوضع السابق على الاستعمال . وهذا يتعذر . ثم هم يقسمون الحقيقة إلى : لغوية وعرفية ، وأكثرهم يقسمها إلى ثلاث لغوية وشرعية وعرفية .

فالحقيقة العرفية : هى ما صار اللفظ فيها دالاً على المعنى بالعرف لا باللغة . وذلك المعنى يكون تارة أعم من اللغوى ، وتارة أخص . وتارة لا يكون مبايناً له ؛ لكن بينهما علاقة استعمال لأجلها .

(فالأول) مثل لفظ : الرقبة والرأس ونحوهما . كان يستعمل فى العضو المخصوص ، ثم صار يستعمل فى جميع البدن .

و(الثانى) مثل لفظ : الدابة كان يستعمل فى كل ما دبّ ، ثم صار يستعمل ، فى عُرِف بعض الناس فى ذوات الأربع . وفى عرف بعض الناس ، فى الفرس . وفى عرف بعضهم ، فى الحمار .

و(الثالث) مثل لفظ : الغائط ، والظعينة ، والراوية ، والمزادة .

فإن الغائط - فى اللغة - هو المكان المنخفض من الأرض . فلما كانوا يتتابونه لقضاء حوائجهم ؛ سموّ ما يخرج من الانسان باسم مَحِلّه .

والظعينة اسم للدابة ، ثم سموا المرأة التى تركبها باسمها ؛ ونظائر ذلك .

والمقصود : أن هذه الحقيقة العرفية لم تصرْ حقيقة لجماعة تواطؤوا على نقلها ، ولكن تكلم بها بعض الناس وأراد بها ذلك المعنى العرفي . ثم شاع الاستعمال فصارت حقيقة عرفية بهذا الاستعمال . ولهذا زاد ، من زاد منهم ، في حد الحقيقة : في اللغة التي بها التخاطب ثم هم يعلمون ويقولون :

إنه قد يغلب الاستعمال على بعض الألفاظ ، فيصير المعنى أشهر فيه ؛ ولا يدل عند الإطلاق إلا عليه ، فتصير الحقيقة العرفية ناسخة للحقيقة اللغوية . واللفظ مستعمل في هذا الاستعمال الحادث العرفي ، وهو حقيقة من غير أن يكون لما استعمل فيه ذلك تقدم وضع . فعلم أن تفسير الحقيقة بهذا لا يصح ، وإن قالوا : يعنى ، بما وضع له ما استعملت فيه أولاً . فيقال :

من أين يُعلم أن هذه الألفاظ التي كانت العرب تتخاطب بها عند نزول القرآن وقبله ، لم تستعمل قبل ذلك فى معنى شئٍ آخر ؟ وإذا لم يعلموا هذا النفى فلا تُعلم أنها حقيقة ؛ وهذا خلاف ما اتفقوا عليه .

وأيضاً فيلزم من هذا أن لا يُقطع بشئٍ من الألفاظ أنه حقيقة ، وهذا لا يقوله عاقل .

ثم هؤلاء الذين يقولون هذا نجد أحدهم يأتى إلى ألفاظ لم يُعلم أنها استعملت إلا مقيدة ، فينطق بها مجردة عن جميع القيود ، ثم يدعى أن ذلك هو حقيقتها من غير أن يعلم أنها تُنطق بها مجردة ، ولا وضعت مجردة . مثل أن يكون حقيقة العين هو العضو المبصر ، ثم سميت به عين الشمس ، والعين النابعة ، والعين الذهب ، للمشابهة . لكن أكثرهم يقولون : إن هذا من باب المشترك ، لا من باب الحقيقة والمجاز ؛ فيمثل بغيره مثل لفظ الرأس . يقولون هو حقيقة فى رأس الإنسان ، ثم قالوا : رأس الدرب - لأوله - ورأس العين - لمنبعها - ، ورأس القوم - لسيدهم - وأمثال ذلك على طريق المجاز . وهم لا يجدون قط أن لفظ الرأس استعمل مجرداً ؛ بل يجدون أنه استعمل بالقيود فى رأس الإنسان ، كقوله تعالى ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ المائدة - ٦ ونحوه . وهذا القيد يمنع أن يدخل فيه تلك المعانى . فإذا قيل : رأس العين ورأس

الدرب . . . فهذا المقيد غير ذاك المقيد ، ومجموع اللفظ الدال هنا غير مجموع اللفظ الدال هناك لكن اشتركا فى بعض اللفظ كاشتراك كلّ الأسماء المعرّفة فى لام التعريف . ولو قُدِّرَ أن الناطق باللغة نطق بلفظ رأس الإنسان أولاً ، لأن الإنسان يتصور رأسه قبل غيره والتعبير أولاً هو عما يتصوره أولاً . فالنطق بهذا المضاف أولاً لا يمنع أن ينطق بمضاف إلى غيره ثانياً ، ولا يكون هذا من المجاز كما فى سائر المضافات (١) . ١ هـ

وبهذا يكون الشيخ قد أبطل ما يسمى بالمجاز بالأدلة الدامغة والبراهين القاطعة ، وعلى كل حال فهذا الأمر لا ينبغى الاشتغال بدفعه ولا التطويل فى رده .

والآن قد حانَ عَرَضُ الأمثلة التى تمسك بها القائلون بالمجاز - من القرآن الكريم - ثم دفعها وبيان وجه الحق فيها .

* النموذج الاول

قوله تعالى ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ {النحل - ١١٢}

سؤال : كيف أوقع الإذاقة على اللباس ؟ والإجابة : قال الخليل : الذوق فى لغة العرب هو وجود طعم الشئ . والاستعمال يدل على ذلك . قال تعالى ﴿ وَلَنذِيقَنَّهُمُ الْعَذَابَ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ {السجدة - ٢١} .

وقال ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ {الدخان - ٤٩} وقال ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ {الطلاق - ٩}

وقال النبى صلى الله عليه وسلم " ذاق طعم الايمان مَنْ رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا " صحيح مسلم كتاب الايمان ، حديث ٥٦ . وفى بعض الأدعية " أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك " فلفظ الذوق يستعمل فى كل ما يحس به ويجد ألمه أو لذته .

(١) فتاوى ابن تيمية - (ج ١٣ ص ٣٩٥)

فهل يبقى بعد ذلك لقائل أن يقول : إن لفظ الذوق خاص بما يكون بالفم ؟ وإذا كان الذوق مستعملاً فيما يحسه الإنسان بباطنه أو بظاهره ، حتى الماء الحميم ، يقال : ذاقه . فالثوب إذا كان بارداً أو حاراً ، يقال : ذقت حره وبرده .

وكذلك تطلق العرب اللباس على المعروف وتطلقه على غيره مما فيه معنى اللباس من الاشتمال كقوله ﴿ هِنِ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ {البقرة - ١٨٧} إذن فهو لفظ مستعمل في كل ما يغشى الإنسان فيلبس به ، قال تعالى ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ {الأعراف - ٢٦} ومنه يقال لبس الحق بالباطل ، إذا خلط به حتى غشاه فلم يتميز . فلو قال ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ {النحل - ١١٢} لم يدل ذلك على أنه شامل بجميع أجزاء الجائع . ولو قال فالبسهم لم يكن فيه ما يدل على أنهم ذاقوا ما يؤلمهم إلا بالعقل .

* النموذج الثاني

﴿ جَدَارًا يَرِيدُ أَنْ يُنْقَضَ ﴾ {الكهف - ٧٧} . وهذا أشهر ما ذكر على أن الإرادة قصد وهى من خصائص الإنسان والحيوان فإسنادها للجدار مجاز . ولدحض هذا الزعم . قال شيخ الاسلام^(١) : لفظ الإرادة قد استعمل في الميل الذى يكون معه شعور . وهو ميل الحى . وفى الميل الذى لا شعور فيه . وهو ميل الجماد . وهو من مشهور اللغة . يقال هذا السقف يريد أن يقع . وهذا الزرع يريد أن يُسقى . ولأن الله تعالى يعلم للجمادات ما لا نعلمه لها كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ {الاسراء - ٤٤} .

* النموذج الثالث

﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ {يوسف - ٨٢} قال أصحاب المجاز المراد به أهلها فحُذِفَ المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

(١) فتاوى ابن تيمية - (ج ١٣ ص ٣٩٧)

والحق أن لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التى فيها الحال والمحل وكلاهما داخل فى الاسم ، ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان . وتارة على المحل ، وهو المكان . وكذلك النهر - يقال : حفرْتُ النهر ، وهو المحل ، وجرى النهر ، وهو الماء . والآية التى معنا وهى قوله ﴿ واسأل القرية ﴾ مثل قوله ﴿ قرية كانت آمنة مطمئنة ﴾ [النحل - ١١٢] فاللفظ هنا يراد به السكَّان من غير حذف ولا إضمار . أما قوله ﴿ أو كالذى مرَّ على قرية وهى خاوية على عروشها ﴾ [البقرة - ٢٥٩] فهذا المكان لا السكَّان . لكن لابد أن يلحظ انه كان مسكونا . فلا يسمى قرية إلا إذا كان قد عمر للسكنى . مأخوذ من القَرْى وهو الجمع . ومنه قولهم : قَرِيتُ الماء فى الحوض إذا جمعته فيه .

* النموذج الرابع

ويشتمل على عدة آيات قال فيها البلاغيون هذا مجاز مرسل وهو خلاف الصواب

أ - قوله تعالى ﴿ وينزل لكم من السماء رزقا ﴾ [غافر - ١٣] أطلق الرزق وأراد المطر لأن المطر سبب الزرق وإطلاق المسبب وإرادة سببه لشدة الملازمة بينهما أسلوب عربى معروف .

ب - قوله ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ [الزخرف - ٦١] فالضمير راجع إلى عيسى وإطلاق علم الساعة على نفس عيسى جارٍ على أمرين كلاهما من أساليب العريية .

أحدهما : أن نزول عيسى المذكور لما كان علامة لقرب الساعة كانت تلك العلامة سببا لعلم قربها فأطلق المسبب وأراد السبب وإطلاق المسبب وإرادة السبب ، أسلوب عربى معروف فى القرآن ، وفى كلام العرب .

ومن أمثله فى القرآن قوله تعالى : ﴿ وينزل لكم من السماء رزقا ﴾ [غافر - ١٣] فالرزق مسبب عن المطر والمطر سببه ، فأطلق المسبب الذى هو الرزق وأريد سببه الذى هو المطر للملازمة القوية التى بين المسبب والسبب .

والثاني من الأمرين : أن غاية ما فى ذلك ، أن الكلام على حذف مضاف والتقدير ، وإنه لذو علم للساعة ، أى وإنه لصاحب إعلام الناس بقرب مجيئها ، لكونه علامة لذلك ، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كثير فى القرآن ، وفى كلام العرب .

ج - قوله تعالى ﴿ الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ [النور - ٣] قال الزجاج : النكاح فى القرآن لا يعرف إلا بمعنى التزويج " ١ . هـ * هذا الكلام مردود من وجهين :

الأول : أن القرآن جاء فيه ذلك . والنكاح الوطء وقد يكون العقد .

والثانى : أن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم يطلقون النكاح على الوطء وإنما سموا عقد التزويج نكاحاً لأنه سبب الوطء واطلاق السبب وإرادة مسببه معروف فى لغة العرب وعلى ذلك فالنكاح مشترك بين الوطء والتزويج خلافاً لمن زعم أنه حقيقة فى أحدهما مجاز فى الآخر . هذا وقد ادعى قوم أن لفظ المكر والاستهزاء والسخرية المضافة إلى الله من قبيل المجاز ^(١) . وليس كذلك . بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلماً له وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجنى عليه ، عقوبة بمثل فعله - كانت عدلاً . كما قال تعالى ﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ [يوسف - ٧٦] فكاد له كما كادت إخوته . وقُلْ مثل هذا فى الإستهزاء فإنه حقيقة وكذلك فى السخرية كما قال تعالى ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ﴾ [التوبة - ٧٩] . روى ابن عباس : أنه يفتح لهم باب

(١) يرجع معنى المكر إلى أنه تدبير أمر فى خفاء ، ومعلوم بداهة أن ما يدبر فى الخفاء لا يلزم أن يكون شراً ، بل قد يكون خيراً . ثم اكتسب المكر فى تصورات العامة صورة مستهجنة ، تخصيصاً منهم للمكر فى تدبير ما هو شر . وهذا المعنى الذى جعل المفسرين يجتهدون فى نفى إثبات المكر لله ، وجعلوا ذلك من باب المشاكلة . والحق أن الحاكم العادل يكر ومكره لا يكون إلا فى الخير ، كأن يكر بالمجرمين حتى يقبض عليهم ، والمسلم الحق يكر ، ومكره يكون فى الخير ومرضاة الله ، والله تبارك وتعالى يكر وهو خير الماكرين ، ولذلك ذم الله المكر السيئ ، ولم يذم مطلق المكر - قال تعالى ﴿ ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله ﴾ [فاطر - ٤٣] وعليه فلا داعى مطلقاً لتأويل ذلك بالمجاز ، والعدول عن المعنى الأصلى اللغوى .

* أضواء البيان - (ج ١٠ ص ١٦٠)

من الجنة وهم فى النار فيسرعون إليه فيُغلق . ثم يفتح لهم باب آخر فيسرعون إليه فيغلق فيضحك منهم المؤمنون . قال تعالى ﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴾ {المطففين - ٣٤}

* النموذج الخامس :

ويشتمل على بعض الآيات قال فيها البلاغيون هذا على سبيل الاستعارة

- أ - قوله تعالى ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ {مريم - ٤} هذا التعبير الدال على انتشار بياض الشيب فى الرأس من أساليب الفصحى جاء به القرآن وليس من باب الاستعارة فى شئ
- ب - قوله ﴿ ولأصلبكم فى جذوع النخل ﴾ {طه - ٧١} قال علماء البلاغة فى الآية استعارة تبعية وليس كذلك لأن الفعل "أصلب" يتعدى بـ "فى" .

قال الشاعر

وقد صلبوا العبدى فى جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

ولما كان الجذع مقرا للمصلوب واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف عدى الفعل بـ فى التى للوعاء . ولأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور . فلذلك جاز أن يقال "فى" .

مسألة : أنكر بعض البلاغيين الاستعارة من أصلها زاعمين أنها مجاز عقلي ، لأنها لما لم تُطلق على المشبه إلا بعد دخوله فى جنس المشبه به بجعل الرجل الشجاع مثلاً فرداً من أفراد الأسد ، كان استعمال الكلمة المسماة بالاستعارة فى المشبه استعمالاً لها فى ما وضعت له فلم يكن هناك مجاز لغوي أصلاً ، وإنما قالوا بأنه مجاز عقلي يعنون أن العقل جعل الرجل الشجاع من جنس الأسد ، وجعل ما ليس فى الواقع واقعاً مجاز عقلي .

فائدة : قال الأستاذ أبو اسحاق الاسفرايينى : لا مجاز فى لغة العرب ، وعمدنا فى ذلك النقل المتواتر عن العرب ؛ لأنهم يقولون : استوى فلان على متن الطريق ، ولا متن لها ، وفلان على جناح السفر ولا جناح للسفر ، وشابت لمة الليل ، وقامت

الحرب على ساق ،

وهذا كله عند العرب مستعمل جار على الألسن ولا يقصدون به مجازاً - وحدّ المجاز عند مَنْ يقول به أنه كل كلام تجوّز به عن موضوعه الأصلي إلى غير موضوعه الأصلي لنوع مقارنة بينهما فى الذات أو فى المعنى :

أما المقارنة فى المعنى فـ"كوصف" الشجاعة والبلادة ، وأما فى الذات فـ "كتسمية" المطر سماء ، وتسمية الفضلة غائطا ، وعذرة ، والعذرة : فناء الدار والغائط : الموضع المظلم من الأرض ، كانوا يرتادونه عند قضاء الحاجة ؛ فلما كثر ذلك نُقل الاسم إلى الفضلة ، وهذا يستدعى منقولا عنه متقدما ومنقولا إليه متأخرا ؛ وليس فى لغة العرب تقديم وتأخير ؛ بل كل زمان قدّر أن العرب قد نطقت فيه بالحقيقة فقد نطقت فيه بالمجاز ؛ لأن الأسماء لا تدل على مدلولاتها لذاتها ؛ إذ لا مناسبة بين الاسم والمسمى ولذلك يجوز اختلافها باختلاف الأمم ، ويجوز تغييرها .

واللغة تدل بوضع واصطلاح ؛ والعرب قد نطقت بالحقيقة والمجاز على وجه واحد؛ فَجَعَلُ هذا حقيقة وهذا مجازاً ضربٌ من التحكم ، فإن اسم السبع وضع للأسد كما وضع للرجل الشجاع .

هذا وقد قال تاج الدين السبكي فى شرح منهاج الأصول : نقلت من خط ابن الصلاح أن أبا القاسم ابن كج حكى عن أبى علي الفارسي انكارَ المجاز (١) .

ومما سبق بان لذى عينين أن قولنا " لا مجاز فى القرآن " ليس بدعا من القول . بل هناك مَنْ أنكر المجاز فى اللغة . والله أعلم .

(١) شرح منهاج الأصول للسبكي - (١ / ١٣٥)

الفصل الثانى

المبحث الأول

"الترادفات"

تعريف الترادف فى الاصطلاح : هو الألفاظ المفردة الدالة على شئٍ واحد باعتبار واحد .

واحترزوا بالإفراد عن الاسم والحد ، فليسا مترادفين ، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم ، فإنهما دلا على شئٍ واحد ، لكن باعتبارين :

أحدهما على الذات ، والآخر على الصفة . والفرق بينه وبين التوكيد أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر كالإنسان والبشر ^(١) . هـ هذا ما قاله أصحاب القول بالترادفات .

قلت : كل ما زعموه من المترادفات فهو من المتباينات ؛ فمثلا : المثال السابق الإنسان والبشر ؛

فالأول موضوع له باعتبار النسيان على حد قول القائل : وما سمي الإنسان إلا لنسيه أو باعتبار اليناس ،

والثانى باعتبار أنه بادى البشرة .

ومن أنكر الترادف فى اللغة الامام أحمد بن فارس وشيخه أبو العباس ثعلب والامام البيضاوى فى منهاجه فى أصول الفقه وخلق غيرهم . قالوا : يسمى الشئ الواحد بالأسماء المختلفة - وكل منها يحمل معنى غير الذى يدل عليه الآخر - أمثلة ذلك ؛ قعد ، جلس ؛ ففى قعد معنى ليس فى جلس ألا ترى أنا نقول : قام ثم قعد ، وتقول كان مضطجعا فجلس ؛ فيكون القعود عن قيام والجلوس عن حالة هى دون الجلوس لأن الجلس المرتفع ، والجلوس ارتفاع عما هو دونه .

قال البيضاوى : إذا دار اللفظ بين كونه مترادفاً للفظ آخر ، ومبايناً له فحملة على المباين له أولى .

(١) المزهر للسيوطى (ج ١ ص ٤٠٢)

واستدل على كونه على خلاف الأصل بوجهين :

أحدهما : أن المقصود لما حصل بأحد اللفظين فالأصل عدم الثانى لثلا يلزم تعريف
المعرف

والثانى : أنه موجب للمشقة لأنه يوجب حفظ جميع تلك الألفاظ إذ لو لم يحفظ
جميعها احتمال أن يكون الذى اقتصر على حفظه خلاف ما اقتصر عليه الآخر ، فعند
التخاطب يجهل كل واحد منهما مراد صاحبه (١)

- قال عز الدين بن جماعة فى شرح جمع الجوامع : حكى الشيخ القاضى أبو بكر بن
العربى بسنده عن أبى علي الفارسي قال : كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة
جماعة من أهل اللغة وفيهم إبن خالويه فقال إبن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسماً ،
فتبسم أبو علي وقال : ما أحفظ له إلاّ اسماً واحداً ، وهو السيف ، قال إبن خالويه :
فأين المهنّد والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي : هذه صفات ١ . هـ

والحاصل أن لكل صفة معنى يختلف عن الآخر . فالمهند : السيف الهندي ،
والحسام : السيف الذى يُضْرَبُ بطرفه ، والعَضْب : السيف القاطع وهكذا .

وفى المبحث الآتى سنولى بعض ألفاظ القرآن عناية خاصة إذ أن ألفاظ القرآن هى
موضوع كتابنا .

(١) الابهاج فى شرح المنهاج (ج ١ ص ٢٤٢)

لا ترادف فى ألفاظ القرآن

جاء فى لسان العرب فى مادة "ردف" ما يلى : كل شئ تبع شيئاً فهو رَدْفُه ، وإذا تتابع شئى خلف شئى فهو الترادف .

قال فى المصباح " رَدَفْتُهُ لِحَقَّتْهُ وَتَبِعَتْهُ .

وفى مختار الصحاح : الترادف : التابع ، وفى الأساس تقول العرب : هذه دابة لا تُرَدِفُ ولا تُرَادِفُ أى لا تقبل الرَدِّيف .

قال شيخ الإسلام . ومن التنازع الموجود عنهم { المفسرين من السلف } ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين : إما لكونه مشتركاً فى اللفظ كلفظ (قسورة) الذى يراد به الرامي ، ويراد به الأسد ولفظ عسعس الذى يراد به إقبال الليل وإدباره ؛ فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعانى التى قالها السلف ، وقد لا يجوز ذلك .

فالأول إما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة .

وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه ، ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافاً أن يعبروا عن المعانى بالفاظ متقاربة لا مترادفة ، فإن الترادف فى اللغة قليل ، وأما فى ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم ، وقلّ أن يُعبرَ عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدى جميع معناه ؛ بل يكون فيه تقريب لمعناه ، وهذا من أسباب إعجاز القرآن (١) ١ هـ .

ولعلك قد أدركت من سياق ما سبق من نصوص أن الترادف غير موجود فى القرآن وأنا أشرح لك ذلك بالأمثلة وبالمثال يتضح المقال .

كلمة "رَيْب" مَنْ فسرّها بمعنى "شَكٌّ" فهذا تقريب وليس بتحقيق ، فما السر فى استعمال القرآن لهذه الكلمة فى هذا الموضع ثم يستعمل الشك فى مواضع آخر كقوله

(١) الفتاوى (ج ١٣ ص ٣٤١)

تعالى ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ { يونس - ٩٤} وقوله ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . . الآية { يونس - ١٠٤ } .

إذن الرّيب فيه معنى الإضطراب والحركة ، ومنه حديث "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" وحديث فاطمة "يُرِيْبُنِي مَا يُرِيْبُهَا" أى يسوءُنِي ويزعجُنِي ما يُزعجُهَا ، والازعاج فيه اضطراب وقلق وحيرة .

وفى حديث الظبي الخائف قال " لا يَرِيْبُهُ أَحَدٌ بشيءٍ " أى لا يتعرض له ويزعجه . وكما أن اليقين ضُمِّن معنى السكون ، والطمأنينة ؛ فالريب ضمه ضد ضُمِّن معنى الاضطراب والحركة . ولفظ الشك ، وإن قيل : إنه يستلزم هذا المعنى ؛ لكن لفظه لا يدل عليه . قال ابن فارس فى مادة "شك" الشين والكاف أصل واحد مشتق بعضه من بعض ، وهو يدل على التداخل . من ذلك قولهم شككت بالرمح ، وذلك إذا طعنته فداخل السنان جسمه . وإنما سمي الشك بهذا الاسم لأن الشاك كأنه داخله أمران فى محل واحد ومَشَكُّ واحد ، وهو لا يتيقن واحداً منهما ، فمن ذلك اشتقاق الشك . تقول شككت بين ورقتين ، إذا أنت غرزت العود فيهما فجمعتهما .

قال ابن الأثير : الشك : الاتصال واللصوق . ١ . هـ والشك أيضا لصوق العضد بالجنب ، ويقال بعير شاكٌ ، وقد شك شكاً أى داخله وجّع .

ولعلك الآن فهمت ما رمينا إليه ؛ وعلى هذا فمعنى قوله تعالى ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ {البقرة - ٢} أى ذلك القرآن ؛ وتفسير الكتاب بالقرآن من باب التقريب ؛ لأن المشار إليه وإن كان واحداً ، فالإشارة بجهة الحضور غير الإشارة بجهة البعد والغيبة ، ولفظ الكتاب يتضمن من كونه مكتوباً مضموماً ما لا يتضمنه لفظ القرآن من كونه مقروءاً مظهراً بادياً فهذه الفروق موجودة فى القرآن ؛ والمعنى لا تهمة فيه ولا اضطراب فى نسبته إلى الله على معنى لا تناقض فى آياته ولا اختلاف ، لأنه يصدق بعضه بعضاً ، ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ {النساء - ٨٢}

ومثل ذلك : لفظ الإبسال فى قوله تعالى ﴿ أَنْ تَيْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ {الانعام - ٧٠} فمن قال: تُبْسَلُ تُحْبَسَ . قلنا إن المحبوس قد يكون مرتهاً وقد لا يكون .

وقال الآخر : ترتهن وهو لا يتضمن اختلافاً ولا تضاداً وهذا تقريب للمعنى .

وعليه فإذا ذكرنا لك فى التفسير أقوال السلف ونقلنا لك عباراتهم فاعلم أن هذا الأمر مقصود لذاته إذ جَمَعَ ذاك نافع جدا ؛ لأنه أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين .

والآن ننبِّهكَ على قضية أخرى قد ذاعت فى كتب التفسير وهى : جَعَلَ بعض حروف المعانى تقوم مقام بعض ؛ كما يقولون فى قوله ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسْؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ ﴾ {ص - ٢٤} أى مع نعاجه وقوله ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ {آل عمران - ٥٢} أى مع الله ونحو ذلك .

والتحقيق فى ذلك ما قاله نحاة البصرة من التضمين فسؤال النعجة يتضمن جمعها^(١) وضمها إلى نعاجه .

وكذلك قوله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتَنُونَكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ {الإسراء - ٧٣} ضُمَّن معنى يُزَيِّغُونَكَ ويصدونك . وكذلك قوله : ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ {الأنبياء - ٧٧} ضُمَّن معنى نَجَّيْنَاهُ وخلصناه ، وكذلك قوله : ﴿ عَيْنًا يَشْرِبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ ضُمَّن معنى يُرَوِّى بِهَا ، وقوله ﴿ وَلَا أَصْلَبَكُمْ فِي جَذْوَعِ النَّخْلِ ﴾ {طه - ٧١} وهو على الحقيقة قال السَّمِين وفى التفسير : أنه نقر جذوع النخل حتى جَوَّفَهَا ووضعهم فيها فماتوا جوعاً وعطشاً ١٠ هـ .

والتضمين لا يخضع لأصول النحاة التى استخرجوا على أساسها قواعدهم إذ هو فن رفيع من الفنون البيانية ؛ يحرك ذهن المخاطب ، وخلصته :

أن يختار أحد الفعلين بفنية فيذكره بلفظه ، ثم يأتى بما يتعدى إليه الفعل الآخر أو

(١) الفتاوى (ج ١٣ ص ٣٤٢)

يعمل فيه، فيذكره ، ويحذف معمول الفعل الذى ذكره إذا كان له معمول سواء كان مفعولاً به أو غير ذلك ويستغنى بذكر جملة واحدة عن ذكر جملتين .

مثال : قوله تعالى ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ۖ ﴾ {الأعراف - ١٢} . . . " الآية الفعل منع تضمن معنى الفعل حمل ، فعدى تعديته ، والمعنى ما حملك على ألا تسجد .
مثال آخر : قوله تعالى ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ ﴾ {طه - ٩٢} والمعنى ما حملك على أن لا تتبع . وليس المعنى " ما منعك من أن لا تتبعنى " ؛ لأن واقع حاله أنه لم يلحق به .

وتتعدى صلب بـ "فى" قال الشاعر

وقد صلبوا العبدىّ فى جذع نخلة فلا عَطَسْتُ شيان إلا بأجدعا

وفى البحر

ولما كان الجذع مقراً للمصلوب واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف عدى الفعل بـ "فى" التى للوعاء .

وفى كتاب البرهان للزركشى - «فى» ظرفية ؛ لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور ؛ فلذلك جاز أن يقال : فى

وقيل : إنما أثر لفظة "فى" للإشعار بسهولة صلبهم لأن "على" تدل على نُبوٍّ يحتاج فيه إلى تحرك إلى فوق ١٠هـ .

ومنه قوله تعالى ﴿ فَادْخُلْ فِي عِبَادِي ۖ ﴾ {الفجر - ٢٩} فى على معناها ، أى حاصلة فى زمرة عبادى أو ادخلى فى أجسام عبادى .

ومنه ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۖ ﴾ {الصافات - ٨٨} ليس معنى النظر هنا كمعناه فى قوله ﴿ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ۖ ﴾ {الأعراف - ١٤٣} ، ولكن النظر هنا بمعنى الفكر وهو يتعدى بـ "فى" قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ﴾ {الأعراف - ١٨٥}

ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۖ ﴾ {الإسراء - ٧} فليست اللام موافقة "على" فى

الإستعلاء المجازى وإنما هى على حقيقتها . قال النحاس : ولا نعرف فى العربية لها بمعنى عليها (١)

ومنه قوله تعالى ﴿ فردوا أيديهم فى أفواههم ﴾ {إبراهيم - ٩} و﴿ فى ﴾ - على معناها ظرفية (٢) والمراد التمكن قاله الرضي ، ومنه قوله تعالى ﴿ وارزقوهم فيها ﴾ {النساء - ٥} و﴿ فى ﴾ باقية على أصلها والمعنى اجعلوا لهم فيها رزقا قاله العكبرى .

وقوله تعالى ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾ {الزمر - ٢٢} وقوله ﴿ ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا ﴾ {الانبياء - ٩٧} ليست " من " بمعنى " عَنْ " وإنما هى للابتداء فيهما وأما قوله ﴿ اطعمهم من جوع ﴾ {قریش - ٤} فـ " من " لابتداء الغاية .

وقوله ﴿ ينظرون من طرف خفي ﴾ {الشورى - ٤٥} ولم يقل بطرف خفي لأنه لا يصح عنه ، وإنما نظره ببعضها .

والباء فى قوله ﴿ وما أنزل علي الملكين ببابل ﴾ {البقرة - ١٠٢} حال من " الملكين " أو من ضمير أنزل وليست بمعنى " فى "

ومنه قوله تعالى ﴿ ولقد نصركم الله ببدر ﴾ {آل عمران - ١٢٣} ببدر : حال وليست الباء بمعنى " فى " .

ومنه قوله تعالى ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ {النساء - ٣٦} فالباء على بابها وهى حال من الصاحب

معنى الباء فى قوله ﴿ بأن لهم الجنة ﴾ باء العوض وهى على بابها داخلة على المتروك .

والباء فى قوله ﴿ فاسأل به خيرا ﴾ {الفرقان - ٥٩} الباء للسببية ولا تكون بمعنى " عن "

وقد تعلق " به " بأسأل . وخيرا حيثئذ يكون من صفات الله تعالى

وقوله تعالى ﴿ فإنما يسرناه بلسانك ﴾ {الدخان - ٥٨} الباء على أصلها أى أنزلناه بِلُغَتِكَ

(١) دراسات لاساليب القرآن

(٢) بعد قليل سيورد المحقق توضيحا لهذه النقطة تحت عنوان "تمة"

، فيكون حالا .

وقوله ﴿وقد أحسن بي﴾ {يوسف - ١٠٠} ضمن أحسن معنى لطف .

واللام فى قوله تعالى ﴿ولاتكن للځائنين ځصيما﴾ {النساء - ١٠٥} اللام على بابها أى لأجل الځائنين وليست بمعنى عن .

وكذلك فى قوله ﴿إنما يؤخرهم ليوم﴾ {ابراهيم - ٤٢} أى لأجل يوم وليست بمعنى إلى .

وتتعلق اللام بالفعل فى قوله ﴿ثم يعودون لما قالوا﴾ {المجادلة - ٣} وليست بمعنى فى " أو "إلى" .

فائدة : اللام فى قوله ﴿ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ {القصص - ٨} لام التعليل المعروفة بلام كى وذلك على سبيل الحقيقة لا المجاز ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ {الانسان - ٣٠} - {التكوير - ٢٩} صريح فى أن الله تعالى يصرف مشيئة العبد وقدرته بمشيئته - جل وعلا- إلى ما سبق به علمه ، وقد صرف مشيئة فرعون ، وقومه بمشيئته - جل وعلا- إلى التقاطهم موسى . ليجعله لهم عدواً وحزناً ، فكأنه يقول : قدرنا عليهم التقاطه بمشيئتنا ليكون لهم عدواً وحزناً ، وهذا معنى واضح ، لا لبس فيه ولا إشكال كما ترى .

وقال ابن كثير -رحمه الله- فى تفسير هذه الآية : ولكن إذا نظر إلى معنى السياق ، فإنه تبقى اللام للتعليل ، لأن معناه : أن الله تعالى قيضهم لالتقاطه ليجعله عدوا لهم وحزنا فيكون أبلغ فى إبطال حذرهم منه^(١) .

تسمة : سبق الحديث عن معنى " فى " فى قوله تعالى ﴿فردوا أيديهم فى أفواههم﴾ {ابراهيم - ٩} وإتماماً للفائدة ننقل هنا ما ورد عن الأئمة أئمة التفسير دعماً لترجيحنا وتأيداً لقولنا إن " فى " على معناها وليست بمعنى " على " قال ابن مسعود ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير إن المعنى : إن أولئك الكفار جعلوا أيدي

(١) أضواء البيان (ج ٦ ص ٣٠١)

أنفسهم فى أفواههم ليعضوا عليها غيظاً وحنقاً لما جاءت به الرسل إذ كان فيه تسفيه أحلامهم وشتم أصنامهم ، والدليل على ذلك قوله عز من قائل ﴿وَإِذَا خُلُواْ عُضُواْ عَلَيْكُمْ الْآنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ {آل عمران - ١١٩} وهذا المعنى معروف فى كلام العرب ومنه قول الشاعر :-

تردون فى فيه غش الحسود حتى يعض على الأكف
يعنى أنهم يغيظون الحسود حتى يعض على أصابعه وكفيه .
ومنه قول الآخر :-

قد أفنى أنامله ازمة فأضحى يعض على الرظيفا
أى أفنى أنامله عضاً

وَمَنْ ذَهَبَ إِلَىٰ أَنْ "فى" بمعنى الباء فقد أخطأ لأن قوله تعالى بعدها ﴿وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾ {إبراهيم - ٩} . . . الآية لأن العطف يقتضى المغايرة فدلّ ذلك على أن المراد بقوله ﴿فردوا أيديهم فى أفواههم﴾ {إبراهيم - ٩} غير التصريح بالتكذيب بالأفواه .
مسألة :

قال فى أضواء البيان : المعلوم أن مادة سأل لا تتعدى بالباء ، كتعديها هنا . ولذا قال ابن كثير : إن الفعل ضُمّن معنى فعل آخر يتعدى بالباء تقديره استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده﴾ {الحج - ٤٧} أى وعذابه واقع لا محالة .

وعند النسائى عن ابن عباس قال عن قوله تعالى ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ {المعارج - ١} قال : ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم .

وعن مجاهد : سأل أى دعا بعذاب واقع يقع فى الآخرة وهو قولهم ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ {الأنفال - ٣٢}

ومما يرجح هذا القول قوله تعالى ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ {الشورى - ١٨}

وفى قوله ﴿ تدعوا من أدبر وتولى فجمع فأوعى ﴾ [المعارج - ١٧] رد على أولئك المستخفين بالعذاب المستعجلين به مجازاة لهم بالمثل ، كما دعوا وطلبوا لأنفسهم العذاب استخفافاً فهي تدعوهم إليها زجراً وتخويفاً مقابلة دعاء بدعاء ، أى إن كنتم فى الدنيا دعوتهم بالعذاب فهذا هو العذاب يدعوكم إليه ﴿ تدعوا من أدبر ﴾ [المعارج - ١٧] عن سماع الدعوة وأعرض عنها .

ومن أراد الاستزادة من هذا الباب فلينظر ذلك فى مواضعه من الكتاب .
والآن نترككم مع أبواب ومباحث الكتاب المتعلقة بقسم الدراسة والتحقيق .
آملين أن نكون قد وفقنا .

والله من وراء القصد

المحقق

موسى بن سليمان آل ابراهيم

النص المحقق

سورة البقرة

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ - الرِّيبُ الشُّكُّ والتُّهْمَةُ ، والرَّيْبَةُ الأَسْمُ (١)

﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ - الإنذار الإعلام والإبلاغ ولا يكون إلا في التَّخْوِيفِ، والإِسْمِ النَّذْرُ والنَّذِيرُ والإنذار .

﴿غَشَاوَةٌ﴾ - غطاءٌ ، ويقالُ غَشَوَةٌ وهي مثلثة الغين . (٢)

(١) قوله الريب الشك والتهمة أتم من اقتصار غيره من علماء "غريب القرآن" على معنى الشك فقط وفي اللسان - والريب والريبة : الشك والظنة والتهمة - قوله والرَّيْبَةُ : الاسم والجمع رَيْبٌ كأنه فرق بين المصدر والاسم نقول راب يريب إذا وقع في الشك .

(٢) قوله ويقال غَشَوَةٌ - قرأ حمزة والكسائي وخلف هذه الكلمة من سورة الجاثية آية ٢٣ " على النحو الذى ذكره المؤلف - وقرأ هذا الموضع الحسن وزيد بن على غَشَاوَةٌ - قوله وهي مثلثة الغين " بعد البحث فى أمهات كتب اللغة لم نعثر على الوجه الثالث وهو كسر الغين " غير أن صاحب البحر المحيط ذكر أن بعضهم قرأ غَشَوَةٌ ولم ينسب هذا الوجه لأحد وعليه فلا يُعتدُّ به ولا يُلتفتُ إليه . والله أعلم

* لم يتعرض المؤلف لتفسير "خَتَمٌ" والخَتَمُ : الوَسْمُ بطابع أو غيره مما يوسم به وفى المفردات - الخَتَمُ والطبع يقال على وجهين مصدر ختمت وطبعت وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم والطابع . والثانى الأثر الحاصل عن النقش . ١ . هـ والختم على القلب : ألا يفهم شيئاً - وختم وطبع بمعنى غَطَّى على الشيء

قال ابن جرير بعد أن ساق حديث أبى هريرة " إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب ونزع واستعجب صقل قلبه وإن راد رادت حتى تملو قلبه فذلك الران . الحديث قال " فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا تابعت على القلوب أغلقتها وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قِبَلِ الله تعالى والطبع فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر عنها مخلص ، فذلك هو الختم والطبع الذى ذكره فى قوله " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم " نظير الختم والطبع على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التى لا يوصل إلى ما فيها إلا بفصل ذلك عنها ثم حلها فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب مَنْ وصف الله أنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد فض خاتمه وحل رباطها عنها . ١٠ هـ

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ - يُقَالُ خَدَعَهُ ^(١) يَخْدَعُهُ خِدْعًا وَخَدْعًا أَرَادَ بِهِ الْمَكْرُوهَ . مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ ، وَالِاسْمُ الْخَدِيعَةُ ^(٢) .

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ^(٣) - أَرَادَ بِهِ الْكُفْرَ . ^(٤)

﴿كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ - السَّفَهُ ضِدُّ الْحِلْمِ ، وَأَصْلُهُ الْخِفَّةُ وَالْحَرَكَةُ ، يُقَالُ تَسَفَّهَتْ الرِّيحُ الشَّجَرَ إِذَا أَمَالَتهُ يَمَنَةً وَيُسْرَةً .

﴿مُسْتَهْزِئُونَ﴾ - الْهَزْؤُ وَالْهَزْوُ السُّخْرِيَّةُ ، يُقَالُ هَزَيْتُ مِنْهُ وَهَزَيْتُ بِهِ .

﴿يَعْمَهُونَ﴾ - الْعَمَةُ التَّحِيرُ وَالتَّرَدُّدُ .

﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾ - الصَّيْبُ السَّحَابُ ذُو الصَّوْتِ ، وَصَابَ نَزَلَ .

(١) وفي مختار الصحاح " خدعه من باب قطع وخدعاً أيضاً مثل سحره يسحره سحراً

(٢) قوله والاسم الخديعة هو الصحيح من أقوال أهل العلم - واسم الفاعل منه الخدوع مثل رسول وخداع أيضاً وخادع

(٣) المرض مصدر مَرَضَ ويطلق لغةً على الضعف والفتور والمَرَضُ أيضاً والمرض : الشك وهو هنا بمعنى النفاق ويُطلق ويراد به الظلمة ومنه قول أبي حية النيمري " في ليلة مرضت من كل ناحية " والنفاق أعظم ظلمة في القلب إذ هو أقبح من الكفر

(٤) قوله أراد به الكفر - لم أرَ مَنْ ذهب - من أهل الغريب - إلى إطلاق الكفر على المرض وإنما تدور عباراتهم بين معانٍ منها الشك - والنفاق - وضعف اليقين ولعلَّ المؤلف أراد به لازمه وهو الكفر والله أعلم

قال الراغب : المرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان وذلك ضربان - الأول مرض جسمي - والثاني عبارة عن الرذائل كالجَهْل - والجبن - والبخل والنفاق وغيرها من الرذائل الخلقية نحو قوله " في قلوبهم مرض " ويُسَبَّ النفاق والكفر ونحوهما من الرذائل بالمرض إما لكونها مانعة عن إدراك الفضائل كالمرض المانع للبدن عن التصرف الكامل ، وإما لكونها مانعة عن تحصيل الحياة الأخروية المذكورة في قوله " وإن الدار الآخرة لهُي الحيوان " وإما لميل النفس بها إلى الإعتقادات الرديئة ميلَ البدن المريض إلى الأشياء المضرة ١ . هـ

﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ ﴾ - يُقَارِبُ .

﴿ أُنْدَادًا ﴾ - أمثالا لَهُ وَنُظْرًا ^(١) ، يُقَالُ فِيهِ نَدٌّ وَنَدِيدٌ .

﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ ﴾ - ^(٢) السُّورَةُ فِي الْأَصْلِ الْقِطْعَةُ مِنَ السُّورِ وَهُوَ الْبِنَاءُ وَجُعِلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ لِإِنَّهَا قِطْعَةٌ بَعْدَ قِطْعَةٍ .

﴿ وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا ﴾ ^(٣) الرَّغْدُ سَعَةُ الْعَيْشِ وَأَطْيَهُ

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ ﴾ - أَيُّ لَا تَخْلُطُوا ، وَاللَّبْسُ بِالْفَتْحِ الْخَلْطُ وَبِالضَّمِّ مَا يُلْبَسُ مِنَ الثِّيَابِ وَغَيْرِهَا .

﴿ فَضَلَّكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ - الْعَالَمُ ، لَغَةٌ : تُطْلَقُ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ الْمَخْلُوقِ ، وَفِي الْأَصْطِلَاحِ : كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى .

﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ - أَيُّ لَا تَقْضِي ، وَالْجِزَاءُ الْقَضَاءُ تَقُولُ جَزَيْتُهُ

(١) هكذا الأصل والصحيح (نظراء) . وكذلك قوله (البناء) فتأمل

(٢) السورة : الطائفة من القرآن وفي أصل اشتقاقها كلام ومنه الرتبة لأن السور كالمنارل والمراتب يترقى فيها القارئ - وقيل مشتقة من السور ومعناه البقية من الشيء .

(٣) الرغد مأخوذ من رغد العيش رعادة من باب ظرف أى اتسع ولأن فهو رغيد - ومن باب تعب فهو راغد وأرغد القوم أخصبوا .

ملاحظة ضم أطييه على البدلية من سعة العيش

* كلمات لم يتعرض المؤلف لشرحها

فأرلهما الشيطان : أذهبهما وأبعدهما عن الجنة يُقال رلَّ عن كذا إذا ذهب عنه ويعضده قراءة أزالهما أى نحاهما وأبعدهما

أو المعنى أصدر رلتها أى أرلقتها وحملهما على الزلة بسببها .

* مستقر : موضع قرار .

* وإنها لكبيرة : أى ثقيلة شاقة كقوله - ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾

بِكَذًا إِذَا فَعَلْتَ مَعَهُ مِثْلَ مَا فَعَلَ مَعَكَ .

﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ - الْعَدْلُ هَا هُنَا الْفِدَا أَيْ لَا يَقْبَلُ مِنْهَا فِدْيَةٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَإِنْ تَعَدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا) أَيْ تَقْدِرْ كُلَّ فِدَاءٍ .

﴿ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ آلُ الرَّجُلِ قَوْمُهُ الْأَدْنُونَ ، وَآلُهُ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِهِ .

﴿ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ - إِبْتِحَارٌ .

﴿ بَارِئِكُمْ ﴾ ^(١) مُصَوِّرُكُمْ ، مِنْ الْبَرَاءِ وَهُوَ التُّرَابُ .

﴿ الْمَنَّ ﴾ - طَلٌّ يَنْعَقِدُ عَلَى الْأَشْجَارِ وَطَعْمُهُ حُلْوٌ .

﴿ وَالسَّلْوَى ﴾ ^(٢) - طَائِرٌ صَغِيرٌ لَذِيذُ الطَّعْمِ ، قَالَ الْأَخْفَشُ : لَمْ يُسْمَعْ لَهُ وَاحِدٌ ، وَالسَّلْوَى أَيْضاً الْعَسَلُ .

﴿ وَقُولُوا حِطَّةً ﴾ - أَيْ حُطَّ عَنَّْا أَوْزَارُنَا ، وَقِيلَ كَلِمَةً أَمَرَ بِنُوحٍ إِسْرَائِيلَ بِهَا لَوْ قَالُوهَا لَحُطَّتْ عَنْهُمْ أَوْزَارُهُمْ .

(١) الْبَارِئُ : هُوَ الْخَالِقُ يُقَالُ بَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ أَيْ خَلَقَهُمْ - وَقَدْ فَرَّقَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ الْبَارِئِ وَالْخَالِقِ بِأَنَّ الْبَارِئَ هُوَ الْمُبْدِعُ الْمَحْدُثُ . وَالْخَالِقُ هُوَ الْمَقْدَرُ النَّاقِلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ .

وَأَصْلُ هَذِهِ الْمَادَّةِ أَيْ مَادَّةُ بَرِئٍ يَدُلُّ عَلَى انْفِصَالِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ وَتَمِيْزُهُ عَنْهُ يُقَالُ بَرِئَ الْمَرِيضُ مِنْ مَرَضِهِ إِذَا زَالَ عَنْهُ الْمَرَضُ وَانْفَصَلَ وَبَرِئَ الْمَدِينُ مِنْ دَيْنِهِ إِذَا زَالَ عَنْهُ الدَّيْنُ وَسَقَطَ ، وَمِنْهُ الْبَارِئُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ مَعْنَاهُ الَّذِي أَخْرَجَ الْخَلْقَ مِنَ الْعَدَمِ وَفَصَلَهُمْ عَنْهُ إِلَى الْوُجُودِ ، وَمِنْهُ الْبَرِيَّةُ أَيْ الْخَلِيقَةُ لِانْفِصَالِهِمْ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ .

(٢) - السَّلْوَى طَائِرٌ ، وَقِيلَ طَائِرٌ أَبْيَضٌ مِثْلُ السَّمَاءِ وَاحِدَتُهُ سَلْوَاةٌ قَالَ الشَّاعِرُ :

كَمَا انْتَفَضَ السَّلْوَاةُ مِنْ بِلَلِ الْقَطْرِ -

وفى التهذيب : السَّلْوَى طَائِرٌ وَهُوَ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ الْعَسَلُ . لِسَانَ الْعَرَبِ (ج ٦ ص ٣٥٢)

﴿ رَجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ - الرَّجْزُ الْعَذَابُ ، الرَّجْزُ مِثْلَ الرَّجْسِ وَهُوَ الْقَذَرُ ،
وَبِالضَّمِّ (١) الصَّنَمُ

﴿ وَلَا تَعْشُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ - أَيِ لَا تُفْسِدُوا ، وَالْمَصْدَرُ عَشْوًا وَعِثْيًا (٢) قِيلَ هُوَ مِمَّنْ
تَكَرَّرَ التَّأْكِيدُ ، وَقِيلَ عَثَا (٣) خلط : أَيِ لَا تَخْلُطُوا مُفْسِدِينَ .
﴿ وَفُومِهَا ﴾ (٤) - لُغَةٌ فِي ثُومِهَا وَقِيلَ الْحِنْطَةُ ، وَقِيلَ الْحَمَصُ .
﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ - أَيِ رَجَعُوا .

(١) أى بضمّ الراء لا غير (الرّجز) .

(٢) وفى المفردات ص (٣٢٢) عثى العِثُّ والعِثْيُ يتقاربان نحو جذب وجبَدَ إلا أن العِثَّ أكثر ما يُقال

قلت : وقد جمع المؤلف بين اللغتين والجيد منهما عثوا

(٣) قوله عثا خلط هو والله أعلم - تمهيد وتوطئة لنهيهم عن طلب ما يفسد عليهم عيشهم من
الأطعمة المزروعة كالبقول والفوم ونحوهما ؛ إذ أن عطاء الله أجل وأعظم مما طلبوه - وباعتقادي
أن عثا لا ترادف أفسد لأن التأسيس مقدم على التأكيد .

قوله عثا : خلط لم أعثر فى كتب اللغة على هذا المعنى غير أن الماوردى نقل عن ابن زيد أن
معنى عثا بمعنى طغا قال معناه لا تطغوا الماوردى (ج ١ ص ١٢٨)

(٤) وفى النكت والعيون (ج ١ ص ١٢٨) وفومها فيه ثلاثة تأويلات

أحدها : الحنطة وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، والسدى ،

والثانى : أنه الخبز وهو قول مجاهد وابن زيد وعطاء

والثالث : أنه الثوم بالشاء وذلك صريح فى قراءة ابن مسعود ، وهو قول الربيع بن أنس
والكسائى

قلت : وهو الصحيح لأن قراءة الصحابى تأخذ حكم الحديث المرفوع . والسبب الثانى أن إبدال
الشاء من الفاء مشهور عند العرب وذلك نحو جدث وجدف

﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ - هذا ليس له مفهوم (١)

﴿ وَالصَّابِغِينَ ﴾ - عَبَادُ النُّجُوم ، لَأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ صَبَّ النَّجْمُ إِذَا طَلَعَ وَكَانَتْهُمْ يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ طُلُوعِهَا فَتُسَبِّحُوا إِلَى ذَلِكَ .

﴿ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ - الْفَارِضُ الْمُسْنُ مِنَ الْبَقَرِ ، وَالْبَكْرُ الصَّغِيرُ ، وَالْعَوَانُ النِّصْفُ فِي سِنِّهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْجَمْعُ عَوْنٌ ، وَفِي الْمَثَلِ " الْعَوَانُ لَا يَعْلَمُ " (٢) الْخَمْرَةَ . وَحَرْبُ عَوَانٍ إِذَا قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً (٣) وَ الْبَقْرَةُ تُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى كَالْحَيَّةِ ، وَقِيلَ فِي " صَفْرَاءَ " كَانَتْ سُودَاءَ .

﴿ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ - اتِّبَاعٌ (٤) يَقْتَضِي شِدَّةَ الصُّفْرِ ، كَمَا تَقُولُ أَسْوَدُ حَالِكٌ ،

(١) قوله : هذا ليس له مفهوم أى لا مفهوم مخالفة له ، ومفهوم المخالفة : هو لازم ناشئ عن معنى لفظ مركب حكمه يخالف حكم ملزومه . فلا يصح لأحد أن يقول : أما مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا بِحَقٍّ فَلَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ ، لَاسْتِحَالَةِ إِتْيَانِ النَّبِيِّ فَعَلًا يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الْقَتْلَ ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الْأَصُولِ أَنَّ مِنْ مَوَانِعِ اعْتِبَارِ مَفْهُومِ الْمَخَالْفَةِ ، كَوْنِ تَخْصِيصِ الْوَصْفِ بِالذِّكْرِ لِمُوَافَقَتِهِ لِلْوَاقِعِ فَيَرِدُ النَّصُّ ذَاكِرًا لَوْصِفِ الْمَوَافِقِ لِلْوَاقِعِ لِيُطَبَّقَ عَلَيْهِ الْحُكْمُ ، فَتَخْصِيصُهُ بِالذِّكْرِ إِذْنًا لَيْسَ لِإِخْرَاجِ الْمَفْهُومِ عَنْ حُكْمِ الْمَنْطُوقِ ، بَلْ لَتَخْصِيصِ الْوَصْفِ بِالذِّكْرِ لِمُوَافَقَتِهِ لِلْوَاقِعِ .

(٢) قوله وفى المثل " العوان لا يعلم الخمرة " هكذا بالأصل - والذي فى لسان العرب (ج٩ ص٤٨٥) قال بعد أن ذكر قول الجوهري عن العوان هى النصف فى سنّها من كل شئ . وفى المثل " لا تُعَلِّمُ الْعَوَانُ الْخَمْرَةَ " قال ابن برى : أى الْمُجَرَّبُ عَارِفٌ بِأَمْرِهِ كَمَا أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَزَوَّجَتْ تُحَسِّنُ الْقِنَاعَ بِالْخِمَارِ .

(٣) وفى اللسان حرب عوان : إِذَا قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا الْأَوَّلَى بَكْرًا وَهُوَ عَلَى الْمَثَلِ قَالَ : حَرْبًا عَوَانًا لِقِحَتْ عَنْ حَوْلٍ خَطَرَتْ وَكَانَتْ قَبْلَهَا لَمْ تَخْطُرْ وَحَرْبٌ عَوَانٌ : كَانَ قَبْلَهَا حَرْبٌ .

(٤) قوله اتباع أى توابع للألوان ويُقال فى التأكيد أصفر فاقع - والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها فالفاقع شديد الصفرة .

وأبيضُ يَقَقُّ^(١) ، وأخضرُ ناصعُ^(٢)

﴿لَأَشِيَةَ فِيهَا﴾^(٣) - أى ليس منها لونٌ آخر يُخَالِفُ سَائِرَ أَلْوَانِهَا ، والجمعُ شِيَاتٍ .^(٤)

﴿فَادَارَأْتُمْ فِيهَا﴾ - أى اختلفتم وتَدَافَعْتُمْ ، والأصل تَدَارَأْتُمْ فَادْغِمَتِ التَّاءُ فِي الدَّالِ .

﴿يُحَرِّفُونَهُ﴾ - التَّحْرِيفُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ - الأُمِّيُّ : الذى لا يَحْسِنُ الْكِتَابَةَ .

﴿إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ - جَمْعُ أَمْنِيَّةٍ ، وهى التَّلَاوَةُ^(٥) ، قَالَ تَعَالَى " إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ "

﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ﴾ - أَيِ تَتَعَاوَنُونَ ، وَالْمُظَاهَرَةُ الْمَعَاوَنَةُ .

(١) فى اللسان (ج ١٥ ص ٤٥٤) أبيض يقق شديد البياض ناصعه

(٢) فى اللسان (ج ١٤ ص ١٦٣) الناصع والنصيع البالغ من الألوان الخالص منها الصافى أى لون كان وأكثر ما يقال فى البياض وعليه فقول المؤلف أخضر ناصع فيه نظر .

(٣) وفى المفردات (ص ٢٧٢) شية أصلها وشية وذلك من باب الواو والوزن فعلة من الوشى وشيت الشئ وشياً جعلت فيه أثراً يخالف معظم لونه .

(٤) وفى لسان العرب (ج ١٥ ص ٣١٢) الشية : سواد فى بياض أو بياض فى سواد وأصله من الوشى والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوله كالزئة والوزن والجمع شيات .

(٥) هذا قول الفراء فى معانى القرآن (٤٩/١) وبه أخذ اليزيدى فى غريبه : ٧٤ والأمانى أيضا الأكاذيب ومنه قول عثمان رضى الله عنه " ما تمنيت منذ أسلمت " أى ما كذبت وهو قول مجاهد ، وقول بعض العرب لابن دأب وهو يحدث (أهذا شئٌ رُوِيَتْهُ أم شئٌ تمنيتَه؟) أى افتعلته - والأمانى أيضا ما يتمناه الانسان ويشتهي

﴿بِالْآخِرَةِ﴾ - التي ليس بعدها شيء من جنسها بخلاف الأخرى فإنه يأتي بعدها أخرى ، وأخرى من جنسها وهي تأتي الآخر فاعرفه .

﴿وَقَفَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ - أي أتبعنا ، التَّقْفِيَةُ إلحاق الشيء بَعْدَهُ ، واشتقاقه من القَفَا لأن الآتي بَعْدَهُ يكون في قَفَاهُ ، ومنه الكلام المَقْفَى ، ويُقال للقَفَا قَافِيَةٌ ، ومنه الحديث " يعقدُ الشَّيْطَانُ على قافيةِ رأسِ أحدهم " (١)

﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ - هو جبريل .

﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ - أي في غِلَافٍ - والغِلَافُ الغِطاء ، والمعنى لا يصلُ إليها ما تفهمه ، ومنه غِلَافُ السَّيْفِ .

﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ - أي يستنصرون ، والإِسْتِفْتَا حُ الإِسْتِنصَارُ .

﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ - أي خَالَطَ قُلُوبَهُمْ حُبُّ الْعِجْلِ ، من قولهم أَشْرَبَ هَذَا حُمْرَةً أو صُفْرَةً ، وقيل أن موسى أَحْرَقَ الْعِجْلَ وَذَرَّى (٢) رمادهُ فِي الْبَحْرِ الْحُلُوفِ فما شَرَبَ مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا بَقِيَتْ مَحَبَّةُ الْعِجْلِ فِيهِ .

﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ - طَرَحَهُ ، وَأَصْلُ النَّبَذِ الإِلْقَاءُ مِنَ الْيَدِ .

(١) الحديث عن أبي هريرة " يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عُقَدٍ إذا نام بكل عقدة يضربُ عليك ليلاً طويلاً " الحديث انظر صحيح مسلم (ج ١ ص ٥٣٨) باب ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح . ومعنى قافية رأس أحدكم القافية آخر الرأس وقافية كل شيء آخره . ومنه قافية الشعر .

(٢) وفي النكت والعيون (ج ١ ص ١٦٠) فيه تأويلان :

أحدهما أن موسى بَرَدَ الْعِجْلَ وَذَرَاهُ فِي الْمَاءِ فَكَانَ لَا يَشْرِبُهُ أَحَدٌ يَحِبُّ الْعِجْلَ إِلَّا ظَهَرَتْ نَخَالَةُ الذَّهَبِ عَلَى شَفْتَيْهِ وَهَذَا قَوْلُ السُّدِيِّ ، وابن جريج - والثاني : أنهم أَشْرَبُوا حُبَّ الْعِجْلِ فِي قُلُوبِهِمْ يُقَالُ أَشْرَبَ قَلْبُهُ حُبَّ كَذَا . ١ هـ .

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ ^(١) - النَّسْخُ الْإِزَالَةُ أَوِ التَّقْلُّ ، وَالْإِنْسَاءُ التَّأْخِيرُ تَقُولُ
أَنْسَيْتُهُ وَنَسَيْتُهُ بِمَعْنَى .

﴿ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ - أَيِ خَاضِعُونَ .

﴿ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ - الْأَسْبَاطُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ كَالْقَبَائِلِ فِي الْعَرَبِ .

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً ﴾ - الْمَثَابُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُرْجَعُ إِلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى .

﴿ وَأَرْنَا مَنْاسِكَنَا ﴾ ^(٢) - الْمَنَاسِكُ مَوَاضِعُ الْعِبَادَةِ ، وَالْمَنَسِكُ وَالْمَنَسْكُ مَوْضِعُ
النَّسِيكَةِ ، وَهِيَ الذَّبِيحَةُ .

﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ - أَيِ يُطَهِّرُهُمْ .

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ - أَيِ دِينِ اللَّهِ ، وَكَانَتِ النَّصَارَى تَصْبِغُ أَوْلَادَهُمْ فِي مَاءٍ يُقَالُ لَهُ * :

(١) نَسَّأَهَا : قِرَاءَةُ إِبْنِ كَثِيرٍ ، وَأَبَى عَمْرٍو - مِنَ النَّسَاءِ وَهُوَ التَّأْخِيرُ .

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّ النُّونِ الْأُولَى وَكَسَرَ السَّيْنِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ كَقِرَاءَةِ حَفْصٍ مِنَ التَّرْكِ .

(٢) وَأَرْنَا مَنْاسِكَنَا أَيْ عَرَفْنَا مَنْاسِكَنَا ، وَفِيهِ تَأْوِيلَانِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهَا مَنْاسِكُ الْحَجِّ وَمَعَالِمُهُ وَهَذَا = قول قتادة والسدي .

وَالثَّانِي : أَنَّهَا مَنْاسِكُ الذَّبَائِحِ الَّتِي تُنْسَكُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهَذَا قول مجاهد وعطاء -

وَالْمَنَاسِكُ . جَمْعُ مَنْسَكٍ وَهُوَ إِمَّا مِنَ النَّسَكِ وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ لِأَنَّهُ مَعْتَادٌ وَيَتَرَدَّدُ النَّاسُ
إِلَيْهِ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنْ لَفْلَانَ مَنْسَكًا ، إِذَا كَانَ لَهُ مَوْضِعٌ مَعْتَادٌ لِلْخَيْرِ أَوْ شَرٍّ فَسُمِّيَتْ
بِذَلِكَ مَنْاسِكُ الْحَجِّ لِاعْتِيَادِهَا .

* الصَّبْغَةُ : فِعْلَةٌ مِنْ - صَبَّغَ - كَالْجُلُوسَةِ مِنْ جَلَسَ ، وَهِيَ : الْحَالَةُ الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا الصَّبْغُ - عَبَّرَ
بِهَا عَنِ التَّطْهِيرِ بِالْإِيمَانِ بِمَا ذَكَرَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي فَصَّلَ ؛ لِأَنَّهُ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ ظُهُورُ - الصَّبْغِ عَلَى
الْمَصْبُوغِ - وَتَدَاخَلَ فِي قُلُوبِهِمْ تَدَاخُلُهُ فِيهِ ، وَصَارَ حَلِيَّةً لَهُمْ .

قَوْلُهُ وَكَانَتِ النَّصَارَى . . إِنْخِلَتْ : كَانُوا يَصْبِغُونَ أَوْلَادَهُمْ بِمَاءٍ أَصْفَرَ يَسْمُونَهُ الْمَعْمُودِيَّةَ يَزْعُمُونَ
أَنَّهُ الْمَاءُ الَّذِي وَلَدَ فِيهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ تَطْهِيرٌ لِلْمَوْلُودِ كَالْحَتَّانِ لغيرهم مِنَ الْمُسْلِمِينَ

الْعَمُودِيَّ ، وَقِيلَ يُقَالُ لَهُ : الْعَمُودِيَّةُ لِيُطَهَّرُوهُمْ بِذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ وَوَقَعَتْ بِلَفْظِ الْمَشَاكَلَةِ ، وَقِيلَ سُمِّيَ الدِّينُ صِبْغَةً لظَهْوَرِ آثَارِ الْعِبَادَةِ عَلَى الْجَسَدِ .

﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ - أَيَّ خِيَارًا .

﴿ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ - أَيَّ نَحْوَهُ وَقَصْدَهُ .

﴿ الْمُؤْتَرِينَ ﴾ - الشَّاكِينَ .

﴿ وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ أَيَّ يُرِي تِلْكَ الْجِهَةَ وَجْهَهُ ^(١) فِي الصَّلَاةِ ^(٢)

﴿ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) - أَيَّ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي عَيْنُهَا لِلْحَجِّ وَكُلُّ مَا جُعِلَ عِلْمًا لَطَاعَةً لِلَّهِ وَتَعَالَى ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْوَاحِدُ شَعِيرَةٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ وَشَعَارَةٌ ، الشَّعِيرَةُ الْبَدَنَةُ تُهْدَى ، وَالْمَشْعَرُ الْحَرَامُ أَحَدُ الْمَشَاعِرِ ، وَكَسَرُ الْمِيمِ لُغَةٌ ، وَالْمَشَاعِرُ الْخَوَاسُ أَيْضًا .

﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ ﴾ - الْحَجُّ فِي اللُّغَةِ الْقَصْدُ وَكَذَا الْأَعْتِمَارُ ، وَفِي الشَّرْعِ

"عِبَارَةٌ" عَنْ أَعْمَالٍ مَشْرُوعَةٍ ^(٤)

﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ - أَيَّ فَلَا حَرَجَ .

﴿ أَلْفِينَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ - أَيَّ وَجَدْنَا ^(٥)

(١) الْمَقْصُودُ بِالْوَجْهَةِ الْقِبْلَةُ - مُوَلِّيَهَا وَجْهَهُ فِي صَلَاتِهِ ، وَجْهَةٌ إِمَّا اسْمٌ لِلْمَكَانِ الْمَتَوَجِّهِ إِلَيْهِ كَالْكَعْبَةِ - الثَّانِي أَنَّهَا مَصْدَرٌ .

(٢) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ بِدُونِ أَلْفٍ وَالصَّحِيحُ حَسَبَ الْإِمْلَاءِ (الصَّلَاةُ) .

(٣) شَعَائِرُ اللَّهِ : أَعْلَامُ دِينِهِ جَمْعُ شَعِيرَةٍ ، فِي الْكَلَامِ حَذْفُ وَالتَّقْدِيرُ : شَعَائِرُ دِينِ اللَّهِ ، وَقَدْ يَرَادُ بِالشَّعَائِرِ الْمَوَاضِعُ الَّتِي يَقَامُ فِيهَا الدِّينُ .

(٤) وَفِي الرُّوْضِ الْمَرْبِيعِ (ص ١٣٣) وَالْحَجُّ شَرْعًا : قَصْدُ مَكَّةَ لِعَمَلٍ مَخْصُوصٍ فِي زَمَنِ مَخْصُوصٍ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ وَكَذَا الْأَعْتِمَارُ فَالْعِمْرَةُ لُغَةُ الزِّيَارَةِ وَشَرْعًا زِيَارَةُ الْبَيْتِ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ .

(٥) كَلِمَةُ أَلْفِينَا تَضْفَى مَعَانَ كَبِيرَةً عَلَى رِخْمِ الْأَلْفَةِ وَالِاسْتِثْنَاءِ ؛ إِذْ أَنَّ الْقَوْمَ لَا يَعْرِفُونَ مَا أَنْزَلَ =

﴿ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ﴾ - النَّعَقُ صَوْتُ الدَّاعِي بِغَنَمِهِ ، يُقَالُ نَعَقَ يَنْعَقُ نَعِيقًا ، وَنُعَاقًا وَنُعَقَانًا ، وَحَكَى ابْنُ كَيْسَانَ نَعَقَ بَغِيْنٍ مَعْجَمَةً .

﴿ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ ﴾ - أَيُ ذِكْرٍ عَلَيْهِ غَيْرُ اسْمِ اللَّهِ ، وَأَصْلُ الْإِهْلَالِ رَفَعُ الصَّوْتِ وَأَهْلٌ بِالتَّسْمِيَةِ عَلَى الذَّبِيحَةِ (١) .

﴿ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ - أَيُ مَخَالَفَةٍ وَعَدَاوَةٍ .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ - أَيُ الْقَوْدُ ، وَأَصْلُ الْقَصِّ التَّبَعُ ، وَمِنْهُ اقْتَصَرَ أَثَرُهُ (٢) .

﴿ جَنَفًا أَوْ أَثَمًا ﴾ - الْجَنَفُ الْمِيلُ .

﴿ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ - أَيُ الْجِمَاعُ ، قِيلَ يُسَمَّى الْكَلَامُ الْفَاحِشُ رَفَثًا ، وَقِيلَ الْكَلَامُ فِي حَالِ الْجِمَاعِ ، يُقَالُ رَفَثَ أَوْ أَرَفَثَ .

= الله لأنهم أنسوا بالبدع ، واستوحشوا من شعائر الدين والسنن .

ولقد أنزل الله المقلدين للآباء وشيوخ الطرق أنزلهم منزلة مَنْ لَا يفهم الخطاب ، وَلَا يعقل الحجج ، والدلائل ، فهو لاء كالأنعام مع الراعى يدعوها فتقبل ، ويزجرها فتترجر ، وهى لَا تعقل مما يقول شيئاً ، وَلَا تفهم له معنى ، وإنما تسمع أصواتاً تقبل لبعضها وتُدبر للآخر بالتعويد ، وَلَا تعقل سبباً للاقبال وَلَا للإدبار .

(١) بالكلام نقص وتوضيح ذلك أن أَهْلَ أَى ذَبَحَ وَإِنَّمَا سُمِّيَ الذَّبَحُ إِهْلَالًا لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَرَادُوا ذَبْحَ مَا قَرَّبُوهُ لِأَلْهَتِهِمْ ذَكَرُوا عِنْدَهُ اسْمَ آلِهَتِهِمْ وَجَهَرُوا بِهِ فَسُمِّيَ كُلُّ ذَابِحٍ جَهْرًا بِالتَّسْمِيَةِ أَوْ لَمْ يَجْهَرْ مُهَلًّا كَمَا سُمِّيَ الْإِحْرَامُ إِهْلَالًا لِرَفْعِ أَصْوَاتِهِمْ عِنْدَهُ بِالتَّلْبِيَةِ حَتَّى صَارَ اسْمًا لَهُ وَإِنْ لَمْ يَرْفَعْ عِنْدَهُ صَوْتٌ .

وأما قول المصنف أَيُ ذَكَرَ عَلَيْهِ اسْمُ غَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ فِي الْمَقْصُودِ بِقَوْلِهِ "لغيرِ الله" والقول السابق منسوب إلى عطاء والربيع ، وأما قول مجاهد وقتادة فهو: مَا ذَبَحَ لغيرِ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ الماوردى (ج ١ ص ٢٢٢) ١ هـ .

(٢) القصاص ؛ مقابلة الفعل بمثله مأخوذ من قص الأثر أَى تتبعه .

﴿ أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ - أَي دَفَعْتُمْ ، مَأْخُذٌ مِنَ الْفَيْضِ وَكُل دَفْعَةٍ فَيْضٌ .

﴿ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ - أَي تَخُونُونَهَا ^(١) بِالْمَعَاصِي أَي تَتَهَمُونَهَا بِالْمَعَاصِي ،
وَالْخِيَانَةُ انْتِقَاصُ الْحَقِّ عَلَى جِهَةِ الْمُسْتَأْتَرَةِ ^(٢) .

﴿ حَيْثُ تُقْفَتُمُوهُمْ ﴾ - أَي حَيْثُ صَادَفْتُمُوهُمْ .

﴿ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ ﴾ - أَي مُنَعْتُمْ ، مِنْ حَصْرِهِ حَصْرًا ضَيِّقَ عَلَيْهِ وَأَحَاطَ بِهِ .

﴿ الْهَدْيِ ﴾ - مَا يَهْدِيهِ الْمُحْرِمُ إِلَى الْحَرَمِ ، وَيُقَالُ فِيهِ هَدْيٌ .

﴿ أَلَدَّ الْخِصَامَ ﴾ - أَي شَدِيدَةً ، كَانَ اسْتِقَاقُهُ مِنَ اللَّيْثَيْنِ ، وَهُمَا عِرْقَانِ فِي جَانِبِي
الْعُنُقِ لِأَنَّ الْمُخَاصِمَ الَّذِي يَشْتَدُّ خِصَامُهُ تَرَى عِرْقَيْنِ فِي جَانِبِي عُنُقِهِ ، وَمِنْهُ لَدِيدَا الْوَادِي
جَانِبَاهُ .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾ أَي يَبِيعُ ، يُقَالُ شَرَيْتُهُ وَاشْرَيْتُهُ إِذَا بَعْتَهُ ، وَاشْتَرَيْتُهُ
أَيْضًا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ ﴾ أَي بِأَعُوهُ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ .

﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ قُرِئَ بِالْكَسْرِ ^(٣) وَالْفَتْحِ ، فَمَنْ فَتَحَ أَرَادَ ^(٤) الصِّلْحَ ،

(١) قَالَ الرَّاعِبُ - وَالْاِخْتِيَانُ مَرَاوِدَةُ الْخِيَانَةِ وَلَمْ يَقُلْ تَخُونُونَ أَنْفُسَكُمْ لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ الْخِيَانَةُ بَلْ
كَانَ مِنْهُمْ الْاِخْتِيَانُ فَإِنَّ الْاِخْتِيَانَ تَحْرُكُ شَهْوَةُ الْإِنْسَانِ لِتَحْرَى الْخِيَانَةَ .

(٢) هَكَذَا بِالْأَصْلِ وَلَمْ نَعِشْ عَلَى مَعْنَى لَهُ فِيمَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ كِتَابِ الْغَرِيبِ وَاللُّغَةِ . وَالَّذِي فِي
اللسان يقال : تَخَوَّنِي فَلَانِ حَقِي إِذَا تَنَقَّصَكَ . (ج ٤ ص ٢٥٣) .

وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ أَنَّ تَخْتَانُونَ : إِمَّا بِمَعْنَى التَّنْقِصِ أَوْ تَتَنَقَّصُونَهَا بَعْضُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهَا مِنَ اللَّذَاتِ
تَوْهُمَا أَنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَإِمَّا بِمَعْنَى تَخُونُونَ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تَعْتَقِدُونَ شَيْئًا ثُمَّ لَا
تَلْتَزِمُونَ الْعَمَلَ بِهِ فَهُوَ مِبَالِغَةٌ مِنَ الْخِيَانَةِ .

(٣) قَرَأَ نَافِعٌ ، وَابْنُ كَثِيرٍ ، وَالْكَسَائِيُّ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ فِي السِّلْمِ - وَالْبَاقُونَ وَهُمْ أَبُو عَمْرٍو ، وَإِبْنُ
عَامِرٍ ، وَعَاصِمٌ ، وَحَمْزَةُ ، وَيَعْقُوبُ ، وَخَلْفٌ ، فِي السِّلْمِ .

(٤) قَوْلُهُ فَمَنْ فَتَحَ أَرَادَ الصِّلْحَ هَذَا غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِأَنَّ مَدَارَ كَلَامِ أُمَّةِ اللُّغَةِ ، =

ومن كسر ذهب به إلى الاسلام ، وهي قراءة أبى عمرو .

وكافة : جميعاً ، ولا تستعمل غير منصوبة على الحال وقيل الهاء فيها للمبالغة ومثله طراً وقاطبة .

﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ - أي ذهب ثوابهم ، مأخوذٌ من ماء الركية ، يُقَالُ حَبِطَ مَاءُ الرِّكْيَةِ إِذَا ذَهَبَ .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ - في اشتقاقِ الخمر ثلاثة أقوال ،

الأولُ : أنها تُخَمِّرُ الْعَقْلَ ، أي تَسْتُرُهُ ومنه خِمَارُ المرأة ،

الثاني : أنها تُخَمِّرُ نَفْسَهَا أي تَغْطِي رَأْسَهَا بما تَنْسِجُهُ لثَلَا يَقَعَ فِيهَا مَا يَفْسِدُهَا ،

الثالث : أنها تُخَامِرُ الْعَقْلَ أي تُخَالِطُهُ وهو قريبٌ من الأول ، والميسر : الْقِمَارُ حَتَّى

لَعِبُ الصَّبِيَّانِ بِالْجَوْزِ قَالَهُ مُجَاهِدٌ ، وقال الأزهريُّ : الْمَيْسَرُ الْجَزُورُ الَّتِي كَانُوا يَتَقَامَرُونَ

عَلَيْهَا ، وَسُمِّيَ مَيْسِرًا لِأَنَّهُ يُجَزَّأُ أَجْزَاءً ، وكل شيءٍ جَزَأَتْهُ فَقَدْ يَسَرَّتُهُ ، والياسر^(١)

الْجَزَارُ الَّذِي يُجَزِّئُهَا وَالْجَمْعُ أَيْسَارٌ .

= والغريب على الإسلام وشرائعه كلها . والسَّلم : الإسلام انظر لسان العرب (ج ٦ ص ٣٤٦) .

(١) وقال ابن شميل : الياسر الجزار ، وقد يسروا أى نحروا وَيَسَرَّتْ الناقةُ جَزَأَتْ لَحْمَهَا ، وقال

الجهوري الياسر : اللاعب بالقرداح والجمع أيسار .

قل العفو : العفو ما يفضل عن النفقة .

* كلمات لم يتعرض لشرحها المؤلف

١- ﴿ وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ : يستشهد الله على صحة ما فى قلبه ، يعلم أنه بخلافه وهي

فى قراءة ابن مسعود " ويستشهد الله على ما فى قلبه "

٢- قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ معناه دعتُه الْعِزَّةُ إِلَى فعل الإثم ، أو عزَّت

نفسه أن يقبلها للإثم الذى منعه منها .

النكت (ج ١ ص ٢٦٦) .

﴿لَاَعْتَكُمُ﴾ : لَاَثْمُكُمْ ^(١) أى لاؤثعتكم فى أمرٍ شاقٍ .

﴿وَلَا تَنكِحُوا﴾ : النكاحُ لفظٌ مشتركٌ بين العقدِ والوطءِ .

﴿عَنِ الْمَحِيضِ﴾ ^(٢) : تقول المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً ؛ وهو الدم الذى تراه عند بلوغها .

﴿أَذَى﴾ والأذى : ما يُتَأَذَى به ويُتَضَرَّرُ ويريد به هاهنا الدَّمُ لأنه قَدَرٌ وَنَجَسٌ ولأنَّ المُجَامِعَ يتأذى به فينفِرُ طبعه عن الجِمَاعِ .

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ : شبه الجِمَاعَ بالحرثِ ، والنطفة بالبذرِ ، والولد بالزرعِ .

﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ : أى كيف شئتم وأين شئتم ، وقيل ومتى شئتم ، وتأتى أنى بمعنى كيف كقوله تعالى ﴿أنى يكون لى ولد﴾ وبمعنى (من أين) كقوله تعالى ﴿أنى لك هذا﴾
﴿عُرْضَةٌ لِأَيْمَانِكُمْ﴾ : أى عُدْرًا فى تركِ البرِّ .

والعُرْضَةُ تُطْلَقُ ويراد بها ما يُنْصَبُ ^(٣) ، وتارة ما يُمنَعُ ^(٤) ، وتُطْلَقُ على العُدَّةِ ^(٥) وعلى ما يُجعل عُدْرًا .

(١) لأعتكم أى كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يُجَوِّزْ لكم مداخلتهم . ومنه عَقَبَةُ عَنُوتٍ أى شاقة الصعود ، أو لشدد عليكم ، أو لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقا وهو قول ابن عباس . النكت (ج ١ ص ٢٨٠) .

(٢) الحيض : الدم الخارج من الرحم على وصف مخصوص فى وقت مخصوص .

والمحيض : الحيض ووقت الحيض وموضعه على أن المصدر فى هذا النحو من الفعل يجيئ على مَفْعَلٍ نحو معاش ومعاد . المفردات (١٣٦) .

(٣) ما يُنْصَبُ أى نصباً لأيمانكم ومنه قولهم جعلت فلاناً عُرْضَةً لكذا أى نصبتُهُ له .

(٤) ما يُمنَعُ أى من عَرَضٍ يَعْرِضُ ، وكلُّ مانعٍ من شغلٍ وغيره من الأمراض فهو عارضٌ ، وقد عَرَضَ عارض أى حال حائلٌ ومنعٌ مانعٌ .

(٥) وتطلق على العُدَّةِ معناها : قوَّةُ لأيمانكم أى تُشدُّ دونها بذكر الله . لسان العرب (ج ٩ ص ١٤٦) =

﴿بِاللغو في أيمانكم﴾ : هو قول القائل^(١) إي والله بلى والله من غير أن يعقدَ بها ميثاً .

﴿يُؤْلُونُ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ : الإيلاء^(٢) : أن يحلف أنه لا يقرب زوجته ، أو يحلف بما يلزمه غرضه من صداقة أو عتيق أو طلاق ؛ وكان إيلاء الجاهلية السنة والسنتين وأكثر فوقت الله تعالى في الإسلام أربعة أشهر .

﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ : أى ينتظرن .

والقرء يطلق على الطهر ، والحيض ، وعلى الوقت^(٣) .

= عُرْضة - العُرْضة فُعْلَةٌ بمعنى المفعول كالقبضة والغرفة وتطلق على ما يعرض دون الشئ فيصير حاجزاً عنه - أى لا تجعلوا الله كالعرض المنسوب للرماة فكلما أردتم الامتناع من شئ ولو كان خيراً تتوصلون إلى ذلك بالحلف بالله .

فالحالف يجعل اسم الله كالعلم المنسوب من حيث الاعتماد عليه فى التوصل إلى مطلوبه فإذا كان مراده عدم فعل أمر يحلف بالله أن لا يفعله لأجل أن يحتج باليمين ويتعلل بها فى عدم فعله .

(١) قوله هو قول القائل الخ الذى جاء فى النكت والعيون أن لغو اليمين التى لا يؤاخذ الله تعالى بها فيها سبعة تأويلات نختزى بعضها

وهو قول عائشة وابن عباس " ما يسبق به اللسان من غير قصد كقوله : لا والله ، وبلى والله أو يحلف على الشئ يظن أنه كما حلف عليه ، ثم يتبين أنه بخلافه وهو قول أبى هريرة الماوردى (ج ١ ص ٢٨٦) .

(٢) الإيلاء : القسم ، الأليه : اليمين وفى الكلام حذف تقديره : للذين يؤلون أن يعتزلوا من نسائهم .

(٣) واختلفوا فى اشتقاق القرء على قولين : الأول - أن القرء : الاجتماع ومنه أخذ اسم القرآن لاجتماع حروفه - ويقال قرأ الماء فى حوضه إذا جمعه

والثانى - أن القرء : الوقت - تقول أقرأ النجم : إذا جاء وقت أفوله .

﴿ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ : النِّكَاحُ هَاهُنَا الوَطْءُ بِلَا خِلَافٍ بَيْنَ الْجُمْهُورِ .

﴿ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا ﴾ : أَيْ يَتْرَكُونَ وَلَا مَاضِيَ لَهُ ، لَا يُقَالُ وَذَرَ لَكِنْ يُقَالُ فِي مَوْضِعِهِ تَرَكَ .

﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ ^(١) : أَيْ تَمْنَعُوهُنَّ مِنَ النِّكَاحِ ، وَالْعَضْلُ الْمَنْعُ وَالشَّدَّةُ ؛ وَمِنْهُ دَاءُ عِضَالٍ لِلَّذِي أَعْيَا الطَّبِيبُ ؛ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَزُوجُ نَفْسَهَا .

﴿ أَوْ أَكْنَنْتُمْ ﴾ : سَتَرْتُمْ ^(٢) مَأْخُوذٌ مِنَ الْكِنِّ تَقُولُ كَنْتَهُ ، وَأَكْنَنْتَهُ أَيْ أَضْمَرْتَهُ .

﴿ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ ^(٣) : وَالْمَسُّ هَاهُنَا كِتَابَةٌ عَنِ الْجِمَاعِ .

*كلمات لم يتعرض لشرحها المؤلف

قوله ﴿ أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ وفيه تأويلات

أحدهما : أَنْ يَظْهَرَ مِنَ الْمَرْأَةِ النِّشُوزُ وَسُوءُ الْخُلُقِ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ .

الثاني : أَنْ لَا تَطِيعَ لَهُ أَمْرًا وَلَا تَبِرَ لَهُ قِسْمًا .

الثالث : أَنْ يَكْرَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . الْمَآوِرِيُّ (ج ١ ص ٢٩٥)

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا طَلَقْتِ الْمَرْأَةَ فَبَلِّغِيهَا مَالَهَا وَنَفْسَهَا وَتُحِلُّ لَهَا مَا تَحِلُّ لِلنِّسَاءِ ﴾ أَيْ قَارِئِنِ انْقِضَاءَ عِدَّتِهَا ،

كَمَا يَقُولُ الْمَسَافِرُ : بَلَغْتَ بَلَدًا كَذَا إِذَا قَارَبَهُ .

قوله تعالى ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِتَعْدُوا ﴾ هُوَ أَنْ يَرَا جَعَ كُلَّمَا طَلَّقَ حَتَّى تَطُولَ عِدَّتُهَا إِضْرَارًا بِهَا

قوله تعالى ﴿ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ : أَيْ نِكَاحًا ، وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا فِي مَعَانِي

الْقُرْآنِ لِلْفَرَاءِ ج ١ ص ١٥٣ . قَالَ الْمَآوِرِيُّ نَاقِلًا أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنِ جَبْرِ ، وَالشَّعْبِيِّ :

أَلَّا تَأْخُذُوا مِيثَاقَهُنَّ ، وَعَهْدُهُنَّ فِي عِدَّتِهَا أَلَّا يَنْكِحَنَّ غَيْرَكُمْ .

(١) وَفِي الْعِضْلِ قَوْلَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ الْمَنْعُ .

وَالثَّانِي أَنَّ الْعِضْلَ : الضِّيقُ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : قَدْ أَعْضَلَ بِالْجَيْشِ الْفُضَاءَ : إِذَا ضَاقَ بِهِمْ .

(٢) أَوْ أَكْنَنْتُمْ يَعْنِي مَا أَسْرَرْتُمُوهُ مِنْ عَقْدَةِ النِّكَاحِ .

(٣) قَرَأَ حَمْزَةً ، وَالْكَسَائِيُّ (تَمَاسُوهُنَّ) مِنْ بَابِ الْمَفَاعَلَةِ مِنْ اثْنَيْنِ وَهِيَ عَلَى بَابِهَا فَإِنَّ الْفِعْلَ مَنْ =

﴿ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ : هو شبه (١) الصندوق طوله ثلاثة أذرع فى ذراعين وقرأه الأعمش التابوه بالهاء وهى لغة الأنصار

﴿ سَكِينَةً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ : السكينة (٢) للنفوس كالسكون للأجسام، واختلف فيها فقيل كانت طستاً من ذهب يغسل فيه قلوب الأنبياء، وقيل ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، وقيل كراش الهرة وجناحان، وقيل روح من الله تكلمهم ببيان ما يقع فيه الاختلاف .

= الرجل ، والتمكين من المرأة وأما قراءة الجمهور (تمسوهن) لأن الفعل من واحد ، ومضارع الأولى يماس ومضارع الثانية يمس .

فائدة

المراد بالنساء فى قوله ﴿ من خطبة النساء ﴾ النساء المعتدات لوفاة أزواجهن ، والمطلقات طلاقاً بائناً ، وأما الرجعيات فلا يجوز التعريض لهن لأنهن لم يخرجن عن عصمة بعولهن بالمرّة . والتعريض فى الأصل : إمالة الكلام عن منهجه إلى عرض منه وهو الجانب ، ويقابله التصريح ، فهو أن تُفهم المخاطب ما تريد بضرب من الإشارة ، والتلويح يحتمله الكلام على بُعد بمعونة القرينة .

(١) التابوت : أى صندوق التوراة ، وكان موسى عليه السلام إذا قاتل تقدم جيشه فكانت تسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرون . الماوردى (ج١ ص٣١٥)

(٢) وفى السكينة ستة تأويلات :

- ١- ريح هفافة لها وجه كوجه الانسان وهذا قول على .
- ٢- طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء قول ابن عباس والسدي
- ٣- أنها روح من الله تعالى يتكلم وهذا قول وهب بن منبه .
- ٤- أنها ما يعرف من الآيات فيسكنون إليها وهذا قول عطاء .
- ٥- أنها الرحمة وهو قول الربيع بن أنس .
- ٦- أنها الوقار وهو قول قتادة .

﴿ طَالُوتُ وَجَالُوت ﴾ (١) : اسمان أعجميان عُرْبًا، وكذا عيسى ومريم .

﴿ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ : الخُلَّةُ (٢) الصَّدَاقَةُ ، وقيل الخليلُ .

﴿ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ : السِّنَةُ (٣) أولُ النَّوْمِ فلو ترك المعطوف لجاز أن يتوهم أن يأخذه كثرة النَّوْمِ فلما احتمل أحترز بذكره .

﴿ يَتُودُهُ ﴾ (٤) : يَثْقُلُهُ .

﴿ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ﴾ (٥) ﴿ الوثقى لا انفصام لها ﴾ :

(١) قال السمين : و(طالوت) فيه قولان : أظهرهما : أنه اسم أعجمي فلذلك لم ينصرف للعلتين ، أعنى العلمية والعجمة الشخصية .

والثاني : أنه مشتق من الطول ، ووزنه فعُلُوت كـ رهوت ، ورحموت .

(٢) الخُلَّةُ : الصداقة كأنها تتخلل الأعضاء ، أى : تدخل خلالها ، أى : وسطها .
والخُلَّةُ : الصديق نفسه .

(٣) السِّنَةُ : النُّعَاسُ ، وهو ما يتقدم النوم من الفتور ، وهى مصدر وَسَنَ يَسِنُ مثل : وعد يعد - وأصل سِنه وَسَنَةٌ وإنما حذفت الفاء فى المصدر حملاً له على المضارع .

قال المفضل : السِّنَةُ : ثِقْلُ فى الرأس ، والنُّعَاسُ فى العينين ، والنوم فى القلب .

(٤) هكذا رسمت ورسمها إملاثيا : يؤوده - يُقال : آده كذا : أى أثقله ولحقه منه مشقة : ومنه الموءودة للبت تدفن حية ، لأنهم يثقلونها بالتراب .

الطاغوت : قيل الشيطان ، وقيل الكاهن ، وقيل الساحر ، وقيل الأصنام ، وقيل كل رأس فى الضلال ؛ وقد يكون واحداً وجمعاً ؛ فالأول كقوله تعالى ﴿ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴾

والثانى كقوله تعالى ﴿ أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم ﴾

(٥) العروة : موضع شد الأيدى ، وأصل المادة يدل على التعلق ، ومنه عَرَوْتُهُ : أَلَمْتُ بِهِ متعلقا ، واعتراه الهم : تعلق به ، والوثقى : فُعلَى للتفضيل تأنيث الأوثق ، والجمع وَثَقُ نحو كَبُرَى وَكَبَّرَ ؛ فأما " وَثَقُ " بضمتين فجمع وثيق .

العروة فى الأصل عروة القميص، والكُوز وهو ما يمسك غيره، والانفصام :
الانقطاع، و(١) فرق بين فَصَمَ وقَصَمَ - فالفَصَمُ (٢) أن ينصدع الشئ من غير أن يبين
وبالقاف ضده .

﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ (٣) : انقطعت حجته ، والبهتُ الحيرةُ، والبهتُ مواجهةُ الرَّجُلِ
بالكذبِ عليه (٤) .

﴿ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ : سَاقِطَةٌ عَلَى سُقُوفِهَا .

﴿ مِائَةً عَامٍ ﴾ : العامُ السنَّةُ، واشتقاقه من عَوَمَ الشمسُ فى بروجها لأنَّ سِيرَهَا
سِبَاحَةٌ لقوله تعالى ﴿ كل فى فلك يسبحون ﴾ {الأنبياء-٣٣}
﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ : لم يَتَغَيَّرْ .

﴿ فَصَرُّهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ : قيل قَطَّعْنَهُنَّ ، وقيل أَمْلَهُنَّ؛ فمن قرأ بضم الصادِ جعله من
صار يصوِّرُ، ومن قرأ * بكسرهما جعله من صَارَ يصيِّرُ؛ وكلاهما بمعنى مال، أو قطع وقرأ
ابن عباس فَصَرُّهُنَّ بكسر الصاد وتشديد الراء .

من صَرَّ (٥) إذا قطع، أو إذا جمع .

(١) فَصَمَ فيها قولان ، أحدهما : لا انقطاع لها قاله السُّدِّيُّ ،

والثانى : لا انكسار لها ، وأصل الفصم : الصدع .

(٢) التكملة من لسان العرب (ج ١١ ص ١٩٧) .

(٣) فُهِتَ : هذا الفعل من جملة الأفعال التى جاءت على صورة المبنى للمفعول ، والمعنى فيها
على البناء للفاعل ، وفى القاموس الانقطاع والحيرة وفعلهما كـ " عَلِمَ وَنَصَرَ وَكُرُمَ "

(٤) قوله والبهتُ مواجهة الرجل بالكذب عليه هذا معنى خارج عن معنى الآية وهو مناسب لقوله
تعالى ﴿ هذا بهتان عظيم ﴾ مأخوذة من قولهم بهتُ الرجل إذا افتريت عليه كذباً .

(٥) نقل عن الفراء قوله : صارهُ مقلوب من قولهم " صراه عن كذا " أى : قطعه عنه ، وأما قراءة =

﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ﴾ (١) : حَجَرٌ يُخَالِطُهُ التُّرَابُ وَالرَّمْلُ لَا يَنْبَتُ شَيْئاً ، الواحدُ صَفْوَانَةٌ ، وقيل هو اسم واحدٍ بمعنى الجمع ، وفي الغريب عن ابن المسيبٍ بفتح الفاء على فَعْلَان وهو قليل في الأسماء كثير في الصفات ، والمصادر ، ومما جاء فيه من الأسماء الورشَان والكروَان .

﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ (٢) أى حجراً أملس برأقاً لذهاب التُّرَابِ منه بالمطر ، يقال حَجَرٌ صَلْدٌ ، وأَرْضٌ صَلْدَةٌ ، وَجَبِينٌ صَلْدٌ .

﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ (٣) : الوابل : الغزيرُ من المطرِ ، والطلُّ : القليلُ منه ؛ وهو دون الرِّدَاذِ .

﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ ﴾ (٤) : رِيحٌ شديدةٌ تثيرُ سحاباً ذاتُ رَعْدٍ وَبَرَقٍ ، والعَصَرُ

= الضم فتعنى : أجمعهن ، وقراءة الكسر فتعنى : قطعهن ، قال مجاهدٌ معناه : أنتفهن بريشهن ولحومهن ، وقال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن : قطعهن .

* الذين قرءوا بكسر الصاد هم : حمزة ، وأبو جعفر ، ورويس ، وخلف العاشر ، والباقون بضم الصاد وهم : نافع ، وابن كثير المكي ، وأبو عمرو البصري ، وابن عامر الشامي ، وعاصم ، والكسائي ، روح عن يعقوب الحضرمي .

(١) صفوان : حجر كبير أملس وهو اسم جنس ولذلك عاد الضمير عليه مفرداً في قوله ﴿ عليه ﴾ وسمى بذلك لصفاته .

(٢) الصلْدُ : الأجرد الأملس ومنه " صلْد جبين الأصلع " بَرَق .

(٣) يقال وَبَلَّت السماء تَبِلُ ، والأرض موبولةٌ ، ويقال أيضاً أوْبِل فهو موبِل فيكون مما أتفق فيه فَعَلَ وأفعل وهو من الصفات الغالبة كالأبطح فلا يحتاج معه إلى ذكر موصوف .

قال النضر بن شميل : أول ما يكون المطر رشاً ، ثم طشاً ، ثم طلاً ، وريذاً ، ثم نضحاً ثم هطلاً وتهتاناً ، ثم وابلاً ، وجوداً ، والوبيل : الوحيم .

(٤) الإعصار : الريحُ الشديدةُ المرتفعةُ ، وتسميها العامة : الزوبعة ، سميت بذلك لأنها تُلْفُ كما يُلْفُ الثوب المعصور .

بالتحريك الغبارُ وفي الحديث (مرّت امرأةٌ مطيئةٌ لذيّلها عَصْرُ) أى ريح .

﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ : الإغماضُ المساهلةُ والمسامحةُ ، يُقالُ غمضتُ عن فلان إذا تساهلتُ عليه ، وأغمضتُ مثله وكأنه يُرجعُ إليه تغميضُ العين حياءً .
﴿ضَرْباً فِي الْأَرْضِ﴾ : أى سَفْراً .

﴿إِلْحَافاً﴾^(١) : الإلحافُ كثرةُ السُّؤالِ أى ليس لهم الحافُّ فى السؤال وقيل لا سؤال لهم فيكون لهم الحافُّ وهو قويٌّ فى البلاغة .
﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ : أى من الجنون .

(١) يلزم من نفى السؤال نفى الإلحافِ إذ نفى العام يدل على نفى الخاص .
والإلحافُ والإلحاحُ والإحفاءُ متقاربةُ المعنى ، واشتقاقه من اللَّحَافِ ؛ لأنه يشتمل الناس بمسألته ويعممهم ، كما يشتمل اللحافُ مَنْ تَحْتَهُ ويغطيه ، وقيل اشتقاقه من لحف الجبل وهو المكان الخشن .

سورة آل عمران

﴿ وَقُودُ النَّارِ ﴾ : ما يُوقَدُ به كالحطب، وبالضم المصدر وَقُوداً، ووقداً، ووقداناً وقدةً، ووقيداً .

وقال الجوهري : وقَدَتِ النارُ تَقْدُ وقوداً، ووقداً، وقدةً، ووقيداً ووقداً، ووقدانا: أى توقدت (١) .

﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ : الدَّابُّ : العادةُ .

﴿ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾ : القنطار مختلف فيه قيل مائتى أوقية ، وقيل ألف أوقية من الفضة ، وقيل من الذهب ، وقيل ملء جلد بغير ذهباً ، وقيل فضة ، وقيل أربعة آلاف دينار ، وقيل أربعة آلاف درهم .

ومعنى مقنطرة ثلاثة أدوار (٢) ومُحَصَّلُهَا اثنا عشر ألف درهم .

﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ (٣) : بالعدل يُقال أقسط إذا عدل ، وقسط إذا جار والقسط فى الأصل النصيب .

(١) لسان العرب (ج ١٥ ص ٣٦٢) .

(٢) أدوار بمعنى أضعاف ، وفى المقنطرة خمسة أقاويل أنها المضاعفة - الكاملة المجتمعة - أو تسعة قناطر - هى المضروبة دراهم أو دنانير - المجهولة كذلك . (الماوردي ج ١ ص ٣٧٦)

(٣) تضمنت هذه الآية (١٨) حقيقة التوحيد والرد على جميع طوائف الضلال ، ومعنى شهد تدور على الحكم ، والقضاء ، والاعلام ، والبيان ، والاخبار وهذه الأقوال كلها حق لا تنافى بينها فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد ، وخبره، وتتضمن إعلامه ، وإخباره ، وبيانه ولها أربعة مراتب - فأول مراتبها علمٌ ، ومعرفةٌ ، واعتقادٌ لصحة المشهود به وثبوته .

وثانيها : تكلمه بذلك وإن لم يعلم به غيره .

وثالثها : أن يُعلم غيره بما يشهد به ويخبره به ويبينه له .

ورابعها : أن يلزمه بمضمونها ويأمره به ، فشهادة الله لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط =

﴿يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ : الفريق : الجماعة .

﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ : رَأَى الْخَلِيلِ حُذِفَ حَرْفُ النِّدَاءِ وَعُوِّضَ فِي آخِرِ الْأَسْمِ مِمِّمْ مُشَدَّدَةٌ اتَّصَلَتْ بِالْهَاءِ - وَرَأَى الْفَرَّاءُ أَصْلَهُ يَا اللَّهُ أَمَّا فَحُذِفَ حَرْفُ النِّدَاءِ وَأُوْصِلَ بِالْهَاءِ أُمَّ بِغَيْرِ مَفْعُولٍ وَهُوَ مَرْجُوحٌ وَاخْتَلَفَ فِي وَصْفِهِ فَأَجَاذَهُ سَيِّبُوهِ وَمَنْعَهُ آخَرُونَ وَمَا جَاءَ بَعْدَهُ فَمُنَادَى مُحذُوفٌ مِنْهُ حَرْفُ النِّدَاءِ كَقَوْلِهِ مَالِكُ الْمَلِكِ - فَاطِرُ السَّمَوَاتِ .

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ : الْإِيْلَاجُ : الْإِدْخَالُ وَمَعْنَاهُ هُنَا الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ وَقِيلَ "فِي" هَاهُنَا بِمَعْنَى عَلَى . .

﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ ^(١) : النَّسْمَةُ مِنَ النَّطْفَةِ ، وَالْفَرْوُجُ مِنَ الْبَيْضَةِ وَالنَّطْفَةُ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْبَيْضُ مِنَ الدِّجَاجِ .

= تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبُ الْأَرْبَعُ عِلْمَهُ بِذَلِكَ ، وَتَكَلَّمَهُ ، وَإِخْبَارَهُ لَخَلْقِهِ ، وَأَمْرَهُمْ ، وَإِلْزَامَهُمْ بِهِ . وَوَجْهُ اسْتِزْلَامِ شَهَادَتِهِ سَبْحَانَهُ لَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا شَهِدَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَقَدْ أَخْبَرَ ، وَأَعْلَمَ ، وَحَكَّمَ ، وَقَضَى أَنَّ مَا سِوَاهُ لَيْسَ بِإِلَهِ ، وَأَنَّ الْوَهْيَةَ مَا سِوَاهُ بَاطِلَةٌ ، فَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ كَمَا لَا تَصْلُحُ الْإِلَهِيَّةُ لغيرِهِ ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ الْأَمْرَ بِاتِّخَاذِهِ وَحْدَهُ إِلَهًا ، وَالنَّهْيَ عَنْ اتِّخَاذِ غَيْرِهِ مَعَهُ إِلَهًا .

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الشَّهَادَةَ : الْإِخْبَارَ بِالشَّيْءِ عَنْ عِلْمٍ بِهِ ، وَاعْتِقَادَ لَصَحَّتِهِ ، وَثُبُوتَهُ ، وَلَا اعْتِبَارَ لِلشَّهَادَةِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَصْحُوبَةً بِالْإِقْرَارِ ، وَالْإِذْعَانِ ، وَوَاطَأَ الْقَلْبُ عَلَيْهَا اللِّسَانَ ، وَاخْتِيرَتِ الشَّهَادَةُ دُونَ الْإِقْرَارِ ؛ لِأَنَّ الشَّهَادَةَ أَصْلُهَا مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ حُضُورِهِ ، وَرُؤْيَا ، فَكَانَ هَذَا الْمَخْبِرُ عَنْ مَا فِي قَلْبِهِ النَّاطِقُ بِلِسَانِهِ كَأَنَّهُ يَشَاهِدُ الْأَمْرَ بَعَيْنَهُ .

(١) ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كَالْعَالَمِ مِنَ الْجَاهِلِ ، وَالصَّالِحِ مِنَ الطَّالِحِ ، وَالْمُؤْمِنِ مِنَ الْكَافِرِ .

﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كَالْكَافِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِ وَالْجَاهِلِ مِنَ الْعَالَمِ ، وَالشَّرِّيرِ مِنَ الْخَيْرِ ، وَقَدْ مَثَّلَ الْمَفْسُورُونَ لِلْحَيَاةِ الْحَسِيَّةِ بِخُرُوجِ النَّخْلَةِ مِنَ النَّوَاةِ وَالْعَكْسِ ، وَخُرُوجِ الْإِنْسَانِ مِنَ النَّطْفَةِ ، وَالطَّائِرِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْبَيْضَةِ وَالْعَكْسِ ، وَالتَّمَثِيلُ صَحِيحٌ وَإِنْ أَثْبَتَ عُلَمَاءُ هَذَا الشَّأْنَ أَنَّ فِي النَّطْفَةِ حَيَاةً وَكَذَا فِي الْبَيْضَةِ وَالنَّوَاةِ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ اصْطِلَاحِيَّةً . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ : التقاة والتَّقِيَّةُ^(١) مأخوذة من الاتَّقَاءِ ، وهو أن يُظهر بلسانه خلاف ما ينطوى عليه قلبه للخوفِ على النفسِ .

﴿وَالْإِبْرَاهِيمَ﴾ : فى ابراهيمَ لغاتُ إبراهيم^(٢) ، وإبرهم وإبراهيمَ ، وإبراهيمَ وإبراهيمَ .

﴿مُحَرَّرًا﴾ : للعبادة ، وقيل خَادِمًا للمسجدِ ، وقيل عَتِيقًا لِلَّهِ من أمر الدنيا * مشتقٌّ من الحُرِّيَّةِ .

﴿حَصُورًا﴾ : أى لا يأتى النساء مع القدرة^(٣) .

﴿اقْنُتِي﴾ : القُنُوتُ الخُضُوعُ ، وطولُ القيامِ ، والدُّعَاءُ كُلُّ قُنُوتٍ .

﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ * : أقداحهم التى كانوا يُجِيلُونَهَا فى كَفَالَةِ مَرْيَمَ طَلَبُ المرضَاتِ لِلَّهِ - وكلُّ ما قُطِعَ طرفُهُ من العيدان فهو قلم لغةً ، وخصَّ العَرَفُ ما يُكْتَبُ به ،

* وقيل عتيقاً لله من أمر الدنيا ، الذى ورد فى النكت والعيون للماوردى (ج ١ ص ٣٨٧) مَحَرَّرًا فيه ثلاثة أقاويل أحدها : محرراً أى مخلصاً للعبادة وهذا قول الشعبي

والثانى : يعنى خادما للبيعة وهذا قول مجاهد .

والثالث : يعنى عتيقاً من الدنيا لطاعة الله ، وهذا قول محمد بن جعفر بن الزبير

(١) قلت : قرأ يعقوب "إلا أن تتقوا منهم تَقِيَّةٌ" تقية على وزن مَطِيَّةٍ ، وقرأ الباقر : تَقَاةً على وزن رُعَاةٍ - وهما مصدران .

(٢) قلت : إبراهيم - قراءة ابن عامر بخلف عن ابن ذكوان .

(٣) هذا القول هو الصحيح والذى يقتضى إثبات الكمال للأنبياء وهو قول قتادة ، والحسن .

*النكتة فى النص على نفي حضور النبى القوم إذ يلقون أقلامهم أى بعد النص على كون القصة من أنباء الغيب ؛هى أن المسألة لم تكن معلومة عند أهل الكتاب فيكون للمنكرين شبهة على أنه أخذها عنهم ، وكذلك قوله تعالى فى آخر قصة يوسف " ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون " يوسف : ١٠٢ .

وَيُطْلَقُ عَلَى الْجَلَمِ قَلَمٌ لِأَنَّهُ يُقَلَّمُ بِهِ الْأَظْفَرُ لِأَنَّ الْقَلَمَ - الْقَصُّ مِنَ الشَّيْءِ الصُّلْبِ كَالْظَفْرِ ، وَكَعَبِ الرُّمَحِ ، وَالْقَصَبِ .

﴿ اسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾ : قِيلَ لِأَنَّهُ مُسَحٌّ ^(١) بِالْبَرَكَةِ ، وَقِيلَ خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ مَمْسُوحاً بِالذَّهْنِ ، وَقِيلَ لِأَنَّهُ يَمْسَحُ الْأَرْضَ ، وَقِيلَ لِأَنَّهُ مَا مَسَحَ ذَا عَاهَةٍ إِلَّا بَرَأَ ، وَقِيلَ مَسِيحَ الرُّجُلَيْنِ لَيْسَ لِرَجْلِهِ خَمَصٌ وَهُوَ مَا جَفَا عَنِ الْأَرْضِ .

وَالْمَسِيحُ لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ يُطْلَقُ عَلَى الْقِطْعَةِ مِنَ الْفِضَّةِ ، وَعَلَى الْأَطْلَسِ ^(٢) وَعَلَى الْمَسِيحِ الْكَذَّابِ الدَّجَالِ ، وَعَلَى الْعَرَقِ ^(٣) وَعَلَى الْبِلَاسِ ^(٤) ^(٥) .

﴿ وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ ﴾ : الْأَكْمَةُ هُوَ الَّذِي وَلَدَ أَعْمَى .

﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ﴾ : الْحَوَارِيُّ : النَّاصِرُ قِيلَ كَانُوا مُلُوكاً ، وَقِيلَ كَانُوا صَيَّادِينَ ،

(١) وهذا قول الحسن ، وسعيد .

(٢) قوله وعلى الأطلس : فى المفردات للراغب (ص ٤٦٧) وقيل للدرهم الأطلس مسيح ، وللمكان الأملس أمسح .

(٣) وفى المفردات وسمى العرق القليل مسيحاً .

(٤) وفى المفردات والمسح البلاسُ جمعه مسوح ، وإمساحٌ .

(٥) البلاس ، أو البلاس للمسح فارسيٌّ مُعَرَّبٌ ص ٦٠ المفردات .

فائدة:

قوله تعالى ﴿ إِنْ اللَّهَ يَبْشُرُكُمْ بِكَلِمَةٍ ﴾ المراد بالكلمة كلمة البشارة لأُمِّهِ ، فقوله بكلمة منه معناه بخبر من عنده ، أو بشارة ؛ وهو كقول القائل ألقى إليّ فلان كلمة سرّنى بها بمعنى أخبرنى خبراً فرحتُ به ، أو المراد بالكلمة كلمة التكوين لا كلمة الوحي ، أو أنه أطلق عليه لفظ الكلمة لمزيد إيضاحه لكلام الله الذى حرّفه قومه اليهود حتى أخرجوه عن وجهه وجعلوا الدين مادياً محضاً ؛ وهو من قبيل وصف الناس للسلطان العادل بظل الله . ونور الله لما أنه سبب لظهور العدل فكذلك كان عيسى سبباً لظهور كلمة الله بسبب كثرة بياناته له ، وإزالة الشبهات ، والتحريفات عنه . والله أعلم .

وقيل كانوا قصَّارين^(١) ، والتَّحْوِير^(٢) التبييض ومنه خُبَزُ حَوَّارِيٍّ^(٣) .

﴿ ثُمَّ نَبَّهْلُ ﴾ : ندعوا بالهلاك على الكاذبين والإبتهال : التضرع ، وقيل الإبتهال : الالتئان ، والمباهلة الملاءنة ، يُقال بِهِلَهُ الله أَي لَعَنَهُ من قولهم نَاقَةُ بَاهِلَةٍ^(٤) وباهل إذا لم يكن عليها صرار^(٥) لأنَّها إذا لم يكن عليها صرار ولا لبن فيها فمعهنا المباحة لعدم جَدِّواها .

﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ ﴾ : جماعةٌ وَيُطْلَقُ على الواحدِ ، وعلى القِطْعَةِ من الشئِ ، وأصل الطَّوْف الدوران حول الشئ .

﴿ لَا خَلَقَ لَهُمْ ﴾ : الخلاق النصيب .

﴿ رَبَّانِيَيْنَ ﴾ : أرباب العلم والبيان، وقد يُنسَبُ إلى الربِّ والألف^(٦) والنون

(١) قَصَّارِينَ يَبْيِضُونَ الثياب ، أو لبياض ثيابهم .

(٢) وأصل الحواري : الحَوَر وهو شدة البياض ، ومنه الحواري من الطعام لشدة بياضه ، والحَوَر : نقاء بياض العين ، ويقال حَوَّرْتُ الشئَ يَبْيِضُهُ ودَوَّرْتُهُ .

(٣) وله خبز حَوَّارِيٍّ هكذا بالأصل ، والذي في المفردات الخبزُ الحَوَّارُ ، ومعنى الحَوَّارُ المَدَوَّرُ من قولهم دَوَّرْتُهُ وعلى هذا ففى عبارة المؤلف تلفيق إذ أن نص المفردات يقال حَوَّرْتُ الشئَ يَبْيِضُهُ ودَوَّرْتُهُ ومن الخبز الحَوَّار .

(٤) ناقة باهلة : ناقة مُخَلَّاة عن قيدها وأصل البَهْلُ كَوْنُ الشئِ غيرَ مُرَاعَى .

(٥) صرار : الصرار هو الخيط الذى يُشَدُّ به ضِرْعُ الناقة لئلا يرضعها وليدُها .

فائدة

أفاد قوله تعالى ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ . . . الآية " أفادت الآية أن الانسان يكون ربانياً بعلم الكتاب ودرسه وتعليمه للناس . ولما كان العلم يستلزم العمل استغنى بذكره عن التصريح بالعمل . والله أعلم

(٦) والألف والنون للمبالغة ، جاء فى المفردات (ص ١٨٤ و) زيادة النون فيه كزيادته فى قولهم لِحَيَاتِنِى وَجِسْمَانِىُّ

للمبالغة كقولهم خيانى وشعرانى، وقيل منسوبٌ إلى عِلْمِ الرَّبِّ كقولهم قصَّابى لصاحبِ القَصَبِ .

﴿ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴾ : الإِصْرُ العهد، ويُطلق على الذنب، وعلى الثَّقْل (١) .

﴿ بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ ﴾ : الحَبْلُ : العهد والأمان، ويطلق ويرادُ به الوصال (٢)، ويطلق ويراد به ما استطال من الرَّمْل ، وَحَبْلُ الْعَاتِقِ عَصَبٌ ، وَحَبْلُ الْوَرِيدِ عِرْقٌ ، وَحَبْلُ الذَّرَاعِ فى اليدِ، وفى المثل هو على حبل ذراعك أى بالقرب منك .

﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ ﴾ : أى رجعوا .

﴿ آتَاءَ اللَّيْلِ ﴾ : أى ساعاته واحدها إِنَّا (٣) مثل معاً، وقيل إِنى (٤) مثل ابو .

﴿ فِيهَا صِرٌّ ﴾ : أى بَرْدٌ

(١) الإِصْرُ فى الآية العهد المؤكد ، ويطلق ويراد به الثقل كما فى قوله " ﴿ لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ﴾ " وقوله " أَأَقْرَرْتُمْ " مأخوذ من قرَّ الشيء إذا ثبت ولزم قرارة مكانه ريدت عليه همزة التعدية ، فقيل أَقَرَّ الشيء إذا أثبته وأقربه إذا نطق بما يدل على ثبوته .

والأخذ : التناول وقوله هنا وأخذتم على ذلكم أى قبلتم والقبول هو غاية الأخذ لأن أَخَذَ الشيء يقبله وهو مستعمل كذلك فى التنزيل فى قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ ﴾ . . . إلى قوله ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ " آية ٤٦ البقرة - وقال ﴿ لَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ آية ١٢٣ البقرة . والله أعلم

(٢) الحَبْلُ معروف ﴿ فى جِدها حَبْلٌ ﴾ وشبَّه به من حيث الهيئة حبلُ الوريد وحبلُ العاتق والحبل : المستطيل من الرمل ، واستعير للوصل ولكل ما يتوصل به إلى شىء ، ويقال للعهد حبلٌ وهو المقصود بالحبل فى هذه الآية . انظر المفردات (ص ١٠٧) .

(٣) قوله إِنَّا هى إِنى وكذلك معى فى الرسم الاملائى المعروف لنا .

(٤) هكذا بالأصل والذى فى المفردات ص ٢٩ وآتاء الليل ساعاته الواحد إِنى وأنى وأنا وفى القاموس أُنَى بورن عصا - إِنى بورن معى - أُنَى بورن ظبىُّ أو إِنى بورن حملٌ أو أُنوُ بزنة جَرُوُ . الساعة من الليل أو ساعة ما منه .

﴿ بِطَانَةٌ مِّنْ دُونِكُمْ ﴾ : بطانة الرجل مَنْ يطلعه على سره ثقةً به مشتقة من البَطن .
 ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ : لا يألونكم أى لا يقصرون والخبيل : الفساد
 والعنت الاثم ^(١) . والعنت الخوف من الوقوع فى الزنا والعنت : الأمر المُشَق وهو
 قريب من بعضه .

﴿ تَبَوَّأُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : تَوَطَّن ^(٢) لهم أمكنةً ، تقول بوأته ، وأبأته ، والمباءة المنزل .
 ﴿ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ : المقدمة ، والميمنة ، والميسرة ، والقلب ، والساقة ومنه سُمي الجيش
 خميساً .

﴿ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ : أن ^(٣) تجبن/ ببدر : اسم بئر نسب المكان إليها ويُقال حافرُها :
 بدر ^(٤) - وقيل لأنَّ البدر يُرى فيها لصفائها ، وقيل لاستدراستها .

﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ : أى مُعَلِّمِينَ ^(٥) أنفسهم بعلامات ، وقيل مُرْسِلِينَ الخيل من قولهم سوِّم
 فيها الخيل أى أرسلها .

(١) المعاندة كالمعاندة لكن المعاندة أبلغ لأنها مُعاندة فيها خوف وهلاك ولهذا يقال عنتَ فلانٌ إذا وقع
 فى أمر يُخاف منه التَّلَفَ . المفردات (ص ٣٤٩) .

(٢) أى تتخذ منزلاً تبوئ فيه المؤمنين ، ومعنى الآية أنك ترتب المؤمنين فى مواضعهم .

(٣) الفشل : الجبن قال ابن عباس ، وجابر بن عبد الله ، والحسن ، وقتادة : هم بنو سلمة ،
 وبنو حارثة من الأنصار .

(٤) قال الزبير بن بكار هو بدر بن النضر بن كنانة فسمى باسم صاحبه وهو قول الشعبي .

(٥) قراءة ابن كثير ، وأبى عمرو ، وعاصم بكسر الواو ، وهى من العلامة وقراءة الباقيين بفتح
 الواو ومعناها : أنها سائمةٌ وهى المرسلة فى المرعى والتسويم على قول ابن عباس ، وجماعة
 أنه كان بالصفوف فى نواصى الخيل ، وآذانها ، وفى قول هشام بن عروة أن الملائكة نزلت يوم
 بدر على خيلٍ بُلُقٍ وعليهم عمائمٌ صُفْرٌ .

﴿ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(١) : أى طائفة .

﴿ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ : أى سِيرٌ ، والسُّنَّةُ السَّيْرَةُ^(٢)

﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ﴾ : القرْحُ بضم : القاف وفتحها الجراحة ، والمعنى هاهنا الالمُ ، وهو من باب إطلاق اللازم وأراد به الملزوم وهو الكناية .

﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ ﴾ : أى لِيُخْتَبِرَ ، والتمحيص : الإبتلاء .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ ﴾ : أى كم .

﴿ مَعَهُ رِيثُونَ ﴾ : أى علماء^(٤) ، وقيل منسوب إلى الرب لعبادته تعالى يُقال رِثَى كَمَا يُقال إِمْسَى^(٥) ، وظَهَرَى ، وقيل الرِّثَى أحد الرِّبِيِّينَ وهم الآلاف من الناس ، وقيل الرِّبُ : الجماعة ونُسب إليهم ، وقيل يُقال العشرة آلاف رِبَّة .

﴿ مَا لَمْ يُنَزَلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ : أى حُجَّة ، والسلطان يُطلق على الملك ، وعلى الحجة .

كلمات لم يتعرض لها المؤلف

* أويكيتهم : يذلهم بالهزيمة ، أو يُحْزِنُهُمْ ، والكَبْتُ : الصَّرْعُ على الوجه ، وهو قول الخليل والفرق بين الخائب والأيس أن الخيبة لا تكون إلا بعد أمل ، واليأس قد يكون قبل أمل . .
والكبت : شدة الغيظ أو وَهَنٌ يُقع في القلب من كبته بمعنى كَبَدَهُ إذا ضرب كبده بالغيظ أو الحرقه فالتاء مبدلة من الدال وقيل إن أصله كَبَدَ أى بلغ بهم الهم والحزن إلى أكبادهم كما قالوا سبت رأسه وسبَّده أى حَلَقَهُ - وأو- للتنويع لا التردد لأن القطع والكبت وقعا معاً .
(١) قوله طرفا ولم يقل وسطا لأن الطرف أقرب للمؤمنين من الوسط فاختص القطع بما هو إليهم أقرب .

(٢) قوله السيرة - وأصل السنة الطريقة المتبعة في الخير والشر .

(٣) قلت : قرأ بضم القاف : شعبة ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف العاشر ، والباقون بفتحها .

(٤) وهو قول ابن عباس ، والحسن

(٥) إِمْسَى بكسر الهمزة منسوب إلى أمس ، وكذا ظَهَرَى .

﴿أَوْ كَانُوا غُرًى﴾ : جمع (١) غَارٍ .

﴿أَنْ يَغُلَّ﴾ : أى يُخْفَى ذلك على جهة الخيانة .

﴿أَنْمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ (٢) : نُؤَخِّرُ المدة مأخوذة من المَلَّوَيْنَ الليل والنهار واحدها مَلَأَ .

﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ : مَا يُغْتَرَّبُ بِهِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَيْ يُخْدَعُ وَالْغُرُورُ بِالْفَتْحِ :

الشيطان

(١) أى غُرَاة .

(٢) والإملاء لهم تَخْلِيَتَهُمْ وشأنهم مُسْتَعَارٌ مِنْ أَمْلَى لفرسه إذا أَرْخَى لَهُ الطُّوْكَ ليرعى كَيْفَ شَاءَ .

سورة النساء

﴿ مَثْنَى وَثِلَتٍ وَرَبَاعٌ ﴾ : أى اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة .

﴿ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ : جمع صَدَاقٌ ^(١) ونِحْلَةٌ أى عَطِيَّةٌ واجبة وقيل فريضة ^(٢) لازمة تقول نَحَلْتُهُ أَنْحَلُهُ نُحْلًا بِالضَّمِّ ، وأعطى المرأة مهرها نِحْلَةً بالكسر والنحلة : الهبة - والنحلة : الدعوى ومنه قولهم أَرْبَابُ الْمُلِّ والنحل ويقال فيه نحلته وأنحلته وكأن اشتقاقه من مادة النحل لأنها تعطى ما ينفع . والنَّحْلَةُ أخص من الهبة .

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ ^(٣) : المراد به هاهنا الاحتلام ^(٤) فيتوجه إلى الوطء خاصة .

﴿ آتَسْتُم ﴾ : أبصرتم ومنه آتَسْتَ ناراً .

﴿ يُورَثُ كَلَالَةً ﴾ الكلالة : اسم لما عدا الولد والوالد من الورثة وعن ابن عباس هو اسم لما عدا الولد- رُوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكلالة فقال " مَنْ مات وليس له ولد ولا والد ^(٥) " . فجعله اسم الميت وكلا القولين صحيح فإن الكلالة

(١) قوله جمع صداق : هذا أحد الأقوال فى جمع صدقات وقيل صَدَقَةٌ ، صَدَقَةٌ بفتحيتين ، وقيل غير ذلك .

(٢) وهو قول قتادة وابن جريج .

(٣) حتى ابتدائية وهى التى تقع بعدها الجمل ، وقيل حرف غاية .

(٤) قال الماوردى (ج ١ ص ٤٥٣) يعنى الحُلُم فى قول الجميع .

(٥) الحديث أخرجه الترمذى مختصرا (٣/ ١٩٠) من طريق سفيان بن عيينه عن أبى اسحاق عن الحارث وأخرجه فى الفرائض (٣/ ١٧٩) عن طريق سفيان الثورى وزكريا بن أبى زائدة وابن عيينه وقال هذا الحديث لا نعرفه إلا من حديث أبى اسحاق عن الحارث عن علي وقد تكلم بعض أهل العلم فى الحارث الأعور .

وابن ماجه فى سننه (رقم ٢٧١٥) عن علي بن محمد - وأحمد مختصر (١/ ٧٩ ، ١٣١) ومطولا من طريق زكريا عن أبى اسحاق عن الحارث (١/ ١٤٤) وأبو يعلى فى مسنده مختصرا=

مصدر يجمع الوارث والمورث . وقال قطرب : اسم لما عدا الأبوين والأخ، وقال: ابن الأعرابي الكلالة : بنو العم الأبعد وكأن مادته من تَكَلَّلَ النسب إذا أخذ بطرفيه من جهة الولد والوالد وقد تُطلق العرب الكلالة وتريد بها أن الرجل يختص بما كان لأسلافه فيقولون لم يرث هذا كلالة قال الفرزدق^(١)

وَرِثْتُمْ قَنَاةَ الْمَلِكِ غَيْرَ كَلَالَةٍ عَنْ ابْنِ مَنَافٍ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ

﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ : أى باشر كأن مادته من الفضاء وهو المكان الواسع وهو كناية عن الجماع^(٢) وتَقُولُ أَفْضَيْتُ إِلَى فَلَانٍ بِسَرٍّ - وَأَفْضَى بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ إِذَا مَسَّهَا بِبَاطِنِ رَاحَتِهِ فِي سَجُودِهِ^(٣) وَأَفْضَى الْمَرْأَةَ إِذَا جَعَلَ مَسْلَكِيهَا وَاحِدًا وَالْمَفْضَاةَ : الشَّرِيم - وَالْفَضَا بِالْقَصْرِ الشَّيْءُ الْمُخْتَلَطُ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ^(٤) أَمْرُهُمْ فَضَى لَا أَمِيرَ لَهُمْ .

﴿وَرَبَائِبُكُمْ﴾ : الرَبِيبَةُ : ابنة المرأة.

﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمْ﴾ : الحَلِيلَةُ : الزوجة.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ : أى المَزُوجَاتُ وَهُنَّ دَاخِلَاتُ فِي حُرْمَتِ الْفَتْحِ فِي

= ومفصلاً (٤١/١ ، ٧٨) والدارقطني في العلل (٧٠/٤) والحاكم (٣٣٧/٤) وابن جرير (٤٦/٨) برقم (٨٧٣٦ ، ٨٧٣٧ ، ٨٧٣٨) ومدارها كلها على الحارث الأعور وقد ضعفه غير واحد من أهل العلم .

(١) البيت ينسب للفرزدق وليس في ديوانه انظر تفسير القرطبي (٧٦/٥) .

(٢) هو قول ابن عباس ومجاهد والسدي .

(٣) انظر لسان العرب (ج ١٠ ص ٢٨٣) .

(٤) وفي اللسان ويقال : الناس قَوْضَى إِذَا كَانَ لَا أَمِيرَ عَلَيْهِمْ وَلَا مَنْ يَجْمَعُهُمْ وَأَمْرُهُمْ فَضًا بَيْنَهُمْ أَيْ لَا أَمِيرَ عَلَيْهِمْ .

المحصنات هاهنا لا غير وفي غير هذا المكان يجوز الفتح والكسر .

فالمحصن بالفتح إذا تصوّر حصنًا من غيرها والمحصن بالكسر إذا تصوّر حصنها من نفسها - وأحصن الرجل فهو مُحْصَن بالفتح وهو أحد ^(١) ما جُعِلَ أَفْعَل وهو مُفْعَل وأحصنت المرأة : أى عَفَّت وأحصنها زوجها فهي محصنة ومحصنة قاله الجوهري وقال ثعلب : كل امرأة عفيفة فهي محصنة ومحصنة - والاحصان له معان ، أحدها الموجبُ لرجم الزاني ولاذكر له فى القرآن إلا قوله تعالى ﴿محصنين غير مسافحين﴾ {النساء - ٢٤} قالوا معناه مصيبين بالنكاح لا بالزنا .

الثانى : بمعنى العفة ومنه قوله تعالى ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ {النور - ٤} .

الثالث " بمعنى الحرية ومنه قوله تعالى ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات﴾ .

الرابع : بمعنى الزوج وهو المراد بقوله ﴿والمحصنات من النساء﴾ {النساء - ٢٤} على ما تقدم

الخامس : بمعنى الإسلام وهو المراد بقوله تعالى ﴿فإذا أحصن﴾ {النساء - ٢٤} أى أسلمن عند جماعة حكاه الواحدى ^(٢) عن الصحابة والتابعين والجامع لأنواع الاحصان المنع - وقال بعضهم يُطْلَقُ الإحصان ويراد به العقل والمادة مساعدة لكن لم أظفر له بمثال ^(٣) .

(١) مفتوح الصاد بمنزلة المكسور يعنى إنه اسم فاعل وإنما شُدَّ فتح العين {عين اسم الفاعل} فى ثلاثة الفاظ "أَحْصَنَ فهو مُحْصَن" و"أَلْفَجَ فهو مُلْفَج" و"أَسْهَبَ فهو مُسْهَب" روى الأزهري عن ابن الاعرابى أنه قال : كلامُ العرب كُلُّهُ على أَفْعَل فهو مُفْعَل إلا ثلاثة أحرف : أَحْصَنَ فهو مُحْصَن . وألفج فهو ملفج وأسهب فهو مسهب - زاد ابن سيده : وأسهم فهو مُسْهَم (ص ٢٠٩) لسان العرب .

(٢) قرأ ابن مسعود "فإذا أحصن" وقال إحصان الأمة إسلامها وكان ابن عباس يقرؤها "فإذا أحصن" على ما لم يسم فاعله ويفسره : فإذا أحصن بزواج وكان لا يرى على الأمة حداً مالم تزوج وكان ابن مسعود يرى عليها نصف حد الحرة إذا أسلمت وإن لم تزوج ويقول يقول فقهاء الأمصار وهو الصواب لسان العرب (ج ٣ ص ٢٠٩) .

(٣) قلت : أصل الاحصان المنع والعقل سُمي عقلاً لأنه يمنع صاحبه من التردى فى الهلكة .

﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً ﴾ ^(١) : أى الغنى وهو كناية عن ما يُصرف إلى المهر .

﴿ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ ^(٢) : قيل الكبيرة ما تعظم عقوبتها كالقتل والكفر والزنا والسحر إلى غير ذلك من هذه المعاصي وقد تستعمل الكبيرة ويراد بها الأمر المُشَقُّ لقوله تعالى ﴿ وَإِنهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ وقوله تعالى ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

﴿ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ : النشوز خروج المرأة من بيت زوجها بغير إذنه مأخوذ من النشوز وهو الارتفاع تقول نشزت المرأة تنشز وتنشزُ نشوزاً ، ونشز بعلها عليها إذا ضربها ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِن امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾ [النساء - ١٢٨] .

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ : الشقاق الخلاف والعداوة .

﴿ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ : المِثْقَال يُطْلَقُ ويرادُ به ما يُوزَنُ الشئ ويطلق ويراد به الدينار ويطلق ويراد به المؤونة تقول ألقى عليه مِثْقَلَهُ أى مؤونته .

(١) الطَّوْلُ : السعة والغنى ؛ قاله ابن عباس وغيره ، والمراد به هنا القدرة على المهر فى قول أكثر أهل العلم . وقال اللخمي : الطَّوْلُ : الحُرَّةُ . وروى نحو هذا عن ابن حبيب . وقاله أبو حنيفة فيقتضى هذا أن مَنْ عنده حُرَّةٌ فلا يجوز له نكاح الأمة وإن عدم السعة وخاف العنت ؛ لأنه طالب شهوة وعنده امرأة ، قال أبو يوسف : الطَّوْلُ هو وجود الحرة تحته ؛ فإذا كانت تحته حرة فهو ذو طول ، فلا يجوز له نكاح الأمة . القول الثالث : الطَّوْلُ : الجَلَدُ والصبر لمن أحب أمةً وهويها حتى صار لذلك لا يستطيع أن يتزوج غيرها ، فإن له أن يتزوج الأمة إذا لم يملك هواها وخاف أن ييغى بها وإن كان يجد سعة من المال لنكاح الحرة .

(٢) الذنوب إما صفات وإما كبائر ، وعلى هذا جماعة الفقهاء . وأما الأصوليون فقالوا : الذنوب كلها كبائر ولكن بعضها أعظم وقعا من بعض . وإنما يقال لبعضها صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها ، كما يقال الزنا صغيرة بإضافته إلى الكفر وهكذا . وقالوا : لا يجب على القطع تكفير الصغائر باجتناب الكبائر وإنما مَحْمَلُ ذلك على غلبة الظن وقوة الرجاء . ودل على ذلك أنه لو قطعنا لمجتنب الكبائر وممثل الفرائض تكفير صغائره قطعاً لكانت له فى حكم المباح الذى يُقَطَّعُ بالأُتْبَعَةِ فيه ، وذلك نقض لعرى الشريعة .

﴿وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: الفتيل : ما يكون فى شق النواة وقيل ما تقتله بين أصابعك من خيط أو وسخ^(١) والغرض الحقارة .

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ﴾: كل ما يُعبدُ من دون الله تعالى كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر والغسل^(٢).

وفى الحديث "الطَّيْرَةُ وَالْعِيَّافَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الْجِبْتِ"^(٣) وليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء من غير حرف ذَوْ لَقَى^(٤) وقيل التاء بدل من السين وهو الجبس وهو السفلة^(٥).

﴿لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾: المراد به الحقارة مأخوذ من الحفرة التى تكون فى ظهر النواة والنقير خشبة تنقر فينبذُ فيها وتجمع النواة الفتيل والنقير والقطمير . فالفتيل ما فى بطنها والنقير ما فى ظهرها والقطمير قشرها وكل ذلك يضرب به المثل فى الحقارة .

﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: المشاجرة : المخالفة ، والشجر الأمر بينهم اختلف ويقال الشجار والمشاجرة والتشاجر^(٦).

(١) ص(٣٧١) المفردات والفتيل المفتول وسُمى ما يكون فى شقَّ النواة فتيلًا لكونه على هيئته قال تعالى ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ وهو ما تقتله بين أصابعك من خيط أو وسخ ويضربُ به المثلُ فى الشئ الحقيق .

(٢) المفردات ص(٨٥) الجبت والجبس : الغسل الذى لا خير فيه .

(٣) والطرق : الزجر والحديث أخرجه أحمد فى المسند (٤٧٧/٣) والدولابى فى الكنى (٨٦/١) .

(٤) ذولقى : حروف الذلاقة هى : الفاء - الراء - ميم - نون - اللام - الباء .

(٥) الجبس هو اللثيم (ج١ ص٥١٢) مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا .

(٦) وفى المفردات ص(٢٥٦) والشجار والمشاجرة والتشاجر : المنازعة .

﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ : الثُّبَةُ : الجماعة ، والجمع ثُبَاتٍ وَيُجْمَعُ عَلَى ثُبُونٍ^(١) وَأَثَابِي ،
وَالثُّبَةُ أَيْضًا : وَسَطُ الْحَوْضِ الَّذِي يَثُوبُ الْمَاءُ فِيهِ .

﴿فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ : المَشِيدَةُ : المَطْوَلَةُ وَقِيلَ الْمَبْنِيَّةُ بِالشَّيْدِ وَهُوَ الْجِصَّ وَقَصْرُ
(مَشِيد) : أَيْ مَبْنًى بِالشَّيْدِ ، وَالْإِشَادَةُ : رَفْعُ الصَّوْتِ وَأَشَادَ بِذِكْرِهِ : أَيْ رَفَعَ مِنْ
قَدْرِهِ . وَقَوْلُهُمْ : شَيْدَ قَوَاعِدُهُ أَيْ أَحْكَمَهَا . اسْتِعَارَةً مِنَ الْبِنَاءِ بِالشَّيْدِ .

﴿بَيْتَ طَائِفَةٍ﴾ : أَيْ قَدَّرْتُ أَمْرًا فِي أَنْفُسِهَا بِخِلَافِ مَا أَظْهَرَتْ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ " هَذَا
أَمْرٌ يَبْتَ بَلِيلٍ - وَالْبَيُّوتُ : مَا يَبْتُّ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ مَهْتَمًا بِهِ ^(٢) .

﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ : أَيْ يَسْتَخْرِجُونَهُ ^(٣) . يَقُولُ " اسْتَنْبَطْتُ حِمَاةَ الْبُئْرِ " إِذَا
اسْتَخْرَجْتَهَا .

﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ : الْكِفْلُ : الضَّعْفُ وَيُقَالُ النَّصِيبُ وَهُوَ اسْمٌ مُشْتَرَكٌ يُطْلَقُ
عَلَى النَّصِيبِ وَعَلَى ذِي الْكِفَالَةِ وَمِنْهُ ذُو الْكِفْلِ اسْمُ نَبِيٍّ - وَالْكَفْلُ : الضَّعْفُ وَيُقَالُ
النَّصِيبُ وَهُوَ اسْمٌ مُشْتَرَكٌ لِلَّذِي لَا يَثْبِتُ عَلَى ظَهْرِ الْخَيْلِ وَالْجَمْعُ أَكْفَالٌ ، وَالْكِفْلُ مَا
يُدَارُ عَلَى سَنَامِ الْبَعِيرِ مِنْ كَسَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ ثُمَّ يَرْكَبُ الرَّكَّابُ عَلَى نَوَاحِيهِ وَالْكَفْلُ فِي الْآيَةِ
اشْتِقَاقُهُ مِنَ الْكِفْلِ وَذَلِكَ لَمَّا كَانَ مَرْكَبًا يَنْبُو بِرَاكِبِهِ صَارَ مُتَعَارِفًا فِي كُلِّ شِدَّةٍ كَالسَّيَّاسِ

(١) وَفِي الْمَفْرَدَاتِ ص (٧٨) هِيَ جَمْعُ ثُبَةٍ أَيْ جَمَاعَةٌ مُنْفَرَدَةٌ قَالَ الشَّاعِرُ وَقَدْ أَغْدُو عَلَى ثُبَةٍ كِرَامٍ وَمِنْهُ
ثُبْتُ عَلَى فُلَانٍ أَيْ ذَكَرْتُ مُتَفَرِّقًا مُحَاسِنَهُ وَيُصَغَّرُ عَلَى ثُبَيْتَةٍ وَيُجْمَعُ عَلَى ثُبَاتٍ وَثُبَيْنَ ،
وَالْمَحْذُوفُ مِنْهُ الْيَاءُ * . وَأَمَّا ثُبَةُ الْحَوْضِ فَوْسَطُهُ الَّذِي يَثُوبُ إِلَيْهِ الْمَاءُ وَالْمَحْذُوفُ مِنْهُ عَيْنُهُ لَا لَامُهُ
* وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّ الْمَحْذُوفَ مِنْهُ اللَّامُ وَعَوَّضَ عَنْهَا تَاءُ التَّأْنِيثِ .

(٢) وَفِي الْمَفْرَدَاتِ ص (٩٥) وَالْبَيُّوتُ : مَا يُفْعَلُ بِاللَّيْلِ قَالَ تَعَالَى ﴿بَيْتَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ يُقَالُ لِكُلِّ فِعْلٍ
دَبَّرَ فِيهِ بِاللَّيْلِ يَبْتُ .

(٣) وَهُوَ فِي الْأَصْلِ بِمَعْنَى اسْتِخْرَاجِ الْمَاءِ أَوَّلَ مَا يَحْفَرُ الْأَرْضَ فَاسْتَعْبِرَ لَمَّا يَسْتَخْرِجُهُ الرَّجُلُ بِفَضْلِ
ذَهْنِهِ مِنَ الْمَعَانِي .

وهو العظم الناتئ فى ظهر الحمار - يقال : لأحملنك على الكَفَل وعلى السيِّء إذا أرادوا اركابه المشاق ومعنى الآية مَنْ أعان فاعل الحسنة عليها فله نصيب منها وَمَنْ أعان فاعل السيئة عليها ناله مشقة بسببها . انتهى كلام الراغب (١) .

﴿ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ : الْمُقْتَدِرُ (٢) وقيل الحافظ للشيء .

﴿ فَفَتَيْنِ ﴾ : الفتنة : الجماعة .

﴿ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ : الرُّكْسُ ردُّ الشيء مقلوباً (٣) وركسه وأركسه بمعنى والمعنى ردهم إلى كفرهم .

﴿ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ ﴾ (٤) : يريد به الاستسلام - والسَّلَامُ لفظ مشترك يطلق على السَّلَف (٥) "وعلى الشجر من العضاة (٦)" والسلم : الحجارة (٧) واحداً سَلَمَةً وفى

(١) عبارة المؤلف تختلف كثيراً عن الوارد فى المفردات ص (٤٣٦) .

(٢) المقيت : المُقَدِّر والمقتدر كالذى يعطى كل رجل قوته (ج ١ ص ٢٨٠) معانى القرآن للفراء وهو مشتق من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها .

(٣) وفى المفردات ص (٢٠٢) : الرُّكْسُ قلب الشيء على رأسه وردُّ أوله إلى آخره يقال أركسته فَرَكْسَ وارتكس فى أمره - قال تعالى ﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾ أى ردهم إلى كفرهم . ومعنى الآية والله أعلم ردهم عن القتال ومنعهم منه حرماناً لهم بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصى .

(٤) رسمت هكذا بالأصل وهى قراءة نافع وابن عامر - وحزمة وأبى جعفر وخلف .

(٥) جاء فى لسان العرب (ج ١ ص ٣٤٦) والسَّلَمُ بالتحريك السَّلَفُ وأسلم فى الشيء وسلم وأسلم بمعنى واحد والاسم السَّلَم .

(٦) ص (٣٤٧) من لسان العرب السَّلَم : شجر من العضاة .

(٧) وفى حديث ابن عمر: أنه كان يصلى عند سَلَمَات فى طريق مكة ، قال: ويجوز أن يكون بكسر اللام جمع سَلَمَةٍ وهى الحجر .

قلت ويحتمل أن يكون سلمات جمع سلمة واحدة السَّلَم وهو شجر الأراك .

الأمثال "لَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصَبُ السَّلْمَةِ" أى الشجرة .

﴿ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴾ : جمع وليد وهو الصبى والعبد ويُجمع أيضا على ولدة والوليدة : الصبية والأمة والجمع الولائد .

﴿ مُرَاعِمًا كَثِيرًا ﴾^(١) : المرأغم : المذهب الواسع ، والطريق المتسع والمرأغم : المضطرب^(٢) فى ذهابه .

﴿ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ : أى مكتوباً مفروضاً فى الأوقات .

﴿ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ : الخيانة والنفاق واحد إلا أن الخيانة تختص بنقض العهد والأمانة ، والنفاق يختص بالدين - ويختانون هاهنا يراودون أنفسهم بالخيانة .

﴿ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجُوَاهُمْ ﴾ : النجوى : المسارعة يقال تناجى القوم إذا تسارروا أى مالوا إلى نجوة من الأرض أى خلوة يلقون عندها أسرارهم .

﴿ فَلْيَبْتَكَنْ أَذَانَ الْأَنْعَامِ ﴾^(٣) : البتكُ : القطع يقول بتكه بتكه وشُدُّ للكثرة.

(١) (ج١ ص ٥٢٢) الماوردى فى المراغم خمسة تأويلات : أحدها أنه المتحوّل من أرض إلى أرض وهو قول ابن عباس والثانى : مطلب المعيشة وهو قول السدى - والثالث أن المراغم المهاجر وهو قول ابن زيد والرابع : يعنى بالمراغم المتزحزح عما يكره - والخامس أن يجد ما يرغمهم به لأن كل من شَخَصَ عن قومه رغبة عنهم فقد أرغمهم - وأصل ذلك الرغم وهو الذل والرغام : التراب لأنه ذليل .

(٢) قال ابن عطية : والمشبه لفصاحة العرب أن يريد سعة الأرض وكثرة المعافل وبذلك تكون السعة فى الرزق واتساع الصدر عن همومه وفكره ، وغير ذلك من وجوه الفرح ، ونحو هذا المعنى قول الشاعر :

لكان لى مضطربٌ واسعٌ فى الأرض ذاتِ الطول والعرضِ .

(٣) أى ليقطعنها نُسْكَاً لأوثانهم كالبحيرة والسائبة .

﴿ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ ﴾ : الدركات : منازل أهل النار واحدها : دركة ودرك
والدركات فى النار مثل الدرجات فى الجنة ولفظ الدرك مشتق يطلق على قطعة حبل فى
أسفل الرشاء يَقِيهِ من عَقَنِ الماء .
والدرك : منزل أهل النار ، ويُقال ملحقك من دركٍ - بالفتح - فَعَلَى خِلاصِهِ ،
وَيُسَكِّنُ (١) أَيْضًا .
﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ ﴾ : أى هَيَّأْنَا ، والعِتيد الشيءُ المُهَيَّأُ .

كلمات لم يشرحها المؤلف منها :

- * ولأمرنهم فليغيرن خَلَقَ الله : أراد به خصاء البهائم أو الوشم .
- * اللاتى لا تَوْتُونَهُن ما كُتِبَ لهن : يعنى المواريث - أو لا تعطونهن ما فُرض لهن من الصداق
- * وأحضرت الأنفس الشح أى أَنْفُسُ النساء أحضرت الشح عن حقوقهن من أزواجهن وأموالهن
أو أحضرت نفس كل واحد من الرجل والمرأة الشح بحقه قبل صاحبه .
- * وإن تلووا أو تُعرضوا : يعنى أن يلوى الانسان لسانه بالشهادة كما يلوى الرجل دين الرجل إذا
مطله - والمعنى على هذه القراءة خطاب الشهود وقرأ ابن عامر وحمزة وإن تلووا : بواو واحدة
فهى من الولاية أى تلووا أمور الناس أو تتركوا ، وهذا للولاية والحكام .
- (١) قرأ عاصم وحمزة والكسائى وخلف العاشر بإسكان الراء والباقون بفتحها ، وهما لغتان .
ومعنى قوله ما لحقك من درك . . . الخ . الدرك هنا بمعنى التَّبِعَةِ والدَّرَك : اللَّحَقُ من التبعة ،
ومنه ضمان الدرك فى عهدة البيع . انظر لسان العرب مادة درك .

سورة المائدة

﴿ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ : العقود : العهود والجمع عَقْد ، وقيل المراد بها ما أمر أهل الكتاب أن يعملوا به من تصديق النبی صلى الله عليه وسلم ، وقيل أوفوا بعقود الله فيما حرم وأحل ، وقيل عقد النكاح والشركة واليمين والعهد والحلف والبيع ، وقيل العقود المذكورة من الفرائض المبينة في بدء السورة وهي إحدى عشرة ، وقيل ثمانى عشرة وأصله الجمع بين الشئین مِمَّا يَعْسُرُ الانفصال عنه والوفاء : اتمام العقد بفعل ما عقد عليه يقال : وفى وأوفى .

﴿ بِهِيْمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ : ما لا نطق له وذلك لما فى صوته من الابهام . لكن خصّ فى التعارف بما عدا السباع والطيور وهى واحدة البهائم والأنعام أصلها الإبل أخذ من نَعْمَة^(١) الوطاء وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة ثوب خز ثم تستعمل للبقرة والشاء ولا يدخل فيها الحافر .

﴿ لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ ﴾ قيل الشعائر^(٢) ما

(١) وفى النكت والعيون للماوردى (ج ٢ ص ٦) أن الأنعام فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الأنعام كلها وهى الإبل والبقرة والغنم وهذا قول قتادة والسدى .

الثانى : أنها أجنة الأنعام التى توجد ميتة فى بطون أمهاتها ، وإذا نحرت أو ذبحت وهذا قول ابن عباس ، وابن عمر .

الثالث : أن بهيمة الأنعام وحشيتها كالأظباء وبقرة الوحش ولا يدخل فيها الحافر لأنه مأخوذ من نعمة الوطاء وعلّق المحشّى على عبارة " نعمة الوطاء " بقوله هكذا فى الأصول ولعل العبارة لأن اسم الأنعام مأخوذ من نعمة الوطاء .

(٢) وفى الماوردى شعائر الله أى معالم الله مأخوذ من الإشعار وهو الإعلام وفى شعائر الله خمسة تأويلات : أحدها : أنها مناسك الحج وهو قول ابن عباس ومجاهد .

والثانى : أنه ما حرمه الله فى حال الإحرام وهو مروي عن ابن عباس أيضا =

يحرم بالاحرام وقيل مناسك الحج وقيل دين الله كُلُّهُ - والشهر الحرام : يريد به :
الأشهر الحرم - والهدى : ما يُهدى للذبح بمنى - والقلائد قيل المراد المُقلِّدات ، وقيل
القلائد نفسها أى لا تأخذوا من لحا^(١) شجر الحرم أى لا تنزعوا من شجره شيئاً تقلدونه
هديكم وكانت الجاهلية تفعل ذلك .

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ ﴾^(٢) : أى يحملنكم^(٣) ويكسبنكم تقول جرَمَ يَجْرِمُ أى
كسب وفلان جريمة أهله أى كاسبهم - والجُرْم والجريمة الذنب واشتقاقه من أجرَم النخلُ
إذا حمل بتمر ردئ فاستعير لكل كسبٍ مكروه .

والشَنَاَن بالفتح * : البُغْض وبالتسكين بغض قوم فإن المصدر على فَعْلان قليل قالوا لِيَّانَ
^(٤) من قولهم لويته ألويه^(٥) لِيَّاناً .

= والثالث : أنها حرم الله ، وهو قول السدى

والرابع : أنها حدود الله فيما أحل وحرم وأباح وحظر ، وهو قول عطاء .
والخامس : هى دين الله كله وهو قول الحسن كقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى
الْقُلُوبِ ﴾ الحج ٢٢ - أى دين الله .

(١) هكذا بالأصل والصحيح . لحاء والمسألة فيها ثلاثة أقاويل ذكرها المؤلف

(٢) وفى المفردات ص (٢٦٧) شَنَّتْهُ تَقَدَّرَتْهُ بُغْضاً له .

(٣) معنى جرم عند الكسائى وثعلب حَمَلَ يقال جرمه على كذا من باب ضرب أى حمله عليه فعلى
هذا التفسير يتعدى جرم لواحد وهو الكاف والميم ويكون قوله أن تعتدوا على إسقاط حرف
الخفض وهو على أى ولا يحملنكم بغضكم لقوم على اعتدائكم عليهم .

* قرأ ابن عامر ، وشعبة ، وابن وردان ، وابن جمار بخُلفٍ عنه بإسكان النون الأولى من "شَنَاَن"
- وقرأ الباقر بفتحها .

(٤) قالوا لِيَّانَ . . . الخ هذا إقحام فى النص والذى ورد فى لسان العرب (ج ١ ص ٢٠٧) شَنَاَن
فمن سَكَنَ فقد يكون مصدرأ كَلَيَّانَ ويكون صفة كَسْرَان . أى مُبْغِض قوم .

(٥) هكذا بالأصل والذى فى البحر المحيط (ج ٣ ص ٤٣٧) لويته دينه ليانا .

وقيل يجوز أن يكون شَنَّان بالتسكين صفة ومعناه بغيض قوم أبوعبيد الشنان بغير همز مثل السَّنان . وعند الجوهري الشَّنان بالتحريك والتسكين شاذان فى القياس لأنَّ فَعْلان بالتحريك يقتضى الاضطراب كالنَّزَوَان والضَّرْبَان والخَفَقَان وبالتسكين لم يَجِئ فَعْلان .

﴿ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقْ ﴾

الإهلال : رفع الصوت عند رؤية الهلال ثم استعمل فى رفع الصوت ومنه اهلال (١)
الصبى والمراد فى الآية رفع الصوت بغير ذكر الله من ذكر أصنامهم وغيرها . والمنخقة التى انخنت (٢) بنفسها وموضعه من العنق مُخَنَّقٌ والموقوذة (٣) : المقتولة بالخشب . والمتردية : هى التى تقع من علٍ كالجبل ونحوه أو إلى سفل كالبئر ونحوه ولا تدركها .

الذكاة (٤) : مأخوذ من الردى وهو الهلاك ، والنطيحة التى ماتت من النطح وإنما جاءت بالهاء لغلبة الاسمىة لأن فعيلا إذا جاء والمراد به المفعول فلا هاء تقول امرأة قتيل أى مقتولة وإذا كانت بمعنى الفاعل تعينت الهاء كقولهم امرأة قتيلة أى قاتلة وإنما دخلت الهاء هاهنا لأن الشئ فى نفسه مما يُنطح ومثله الفريسة ومثله الأكيلة أى فى نفسه يُفَرَس

(١) يعنى ما ذبح لغير الله من الأصنام والأوثان وأصله من استهلال الصبى إذا صاح حين يسقط من بطن أمه ، ومنه إهلال المحرم بالحج و العمرة .

(٢) وهى التى تُخَنَّق بحبل الصائد وغيره حتى تموت وهو قول السدى والضحاك . أو التى توثق فيقتلها خناقها (ج ٢ ص ١) الماوردى .

(٣) وقذه يقذه وَقَذَأ : إذا ضربه حتى أشفى على الهلاك .

(٤) الذكاة فى اللغة أصلها التمام ، ومنه تمام السن . والفرس المذكى الذى يأتى بعد تمام القروح بسنة وذلك تمام استكمال القوة ، فمعنى ذكيتم : أدركتم ذكاته على التمام . ذَكَيْت الذبيحة أذكيتها مشتقة من التطيب ؛ يقال : رائحة ذكية ؛ فالحيوان إذا أسيل دمه فقد طُيِّب ، لأنه يتسارع إلى التجفيف . والله أعلم .

ويؤكل . والنصب : ما يُنصب لغير عبادة الله تعالى يقال فيه نَصَبٌ ونُصِبٌ ونُصِبَ والجمع الأنصاب .

﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ : قداح الميسر واحدا زَكْمٌ وزُكْمٌ وهى عشرة .

أولها الفَذّ . والتَّوَامُ والرَّقِيبُ والحِلْسُ والنافس والمُسْبِلُ والمُعْلَى فهذه السبعة لها نصيب فالفذ سهم والتوأم سهمان وما بعده فعلى رتبته من العدد والثلاثة الأخر الوغْد ، والسَفِيحُ والمنِيحُ لا شئى لها .

﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ : المخمصة : المجاعة لأنها تُورث البطن خُمُصاً أى ضموراً . ومنه أخصم الحشا والقدم .

﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ : الجنف : الميل .

﴿مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ﴾ : الجوارح ذوات الصيد من السباع والطيور وهى إما مشتقة من الاكتساب لأن الاجتراح بمعنى الاكتساب أو لكونها يَجْرَحُ الصيد - وجوارح الإنسان : أعضاؤه التى يكتسب بها ومن ذلك قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ . {الجاثية - ٢١} .

﴿مُكَلِّينَ﴾ : معلمين الكلاب الاصطياد .

﴿مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ * : أصحاب واحدا خِدْنٌ ويقال خديين وأكثر ما تستعمل فيما تصاحب بشهوة والمخادنة المصادقة .

﴿مِّنَ الْغَائِطِ﴾^(١) : الأصل فى الغائط ما اطمأن من الأرض ثم نُقل إلى ما يبرز

* (ولا متخذى أخدان).

(١) الغائط : أصله ما انخفض من الأرض ، والجمع الغيطان أو الأغواط ؛ وبه سُمى غوطة دمشق . وكانت العرب تقصد هذا الصنف من المواضع لقضاء حاجتها تستراً عن أعين الناس ، ثم سُمى الحدث الخارج من الإنسان غائطاً للمقارنة . وغطا فى الأرض يغوط إذا غاب . =

من تُقْلِ الإنسان مجاز^(١) مجاورة .

﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ : أى أَلْصَقْنَا والغراء ما يُلصَقُ به يُقَالُ أُغْرِيتُ الْكَلْبَ بِالْصَّيْدِ - والاسم : الغرأة وعن بعضهم غاريتُ بين الشيئين غِرَاءً إذا واليت وقيل أغرينا : هيجنا .

﴿ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾ : المطهرة قيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن . وقيل الطور وما حوله وقيل أرض الشام وهو من العريش إلى الفرات وقيل إلى نابلس وقيل أريحا وهى أرض بيت المقدس .

﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ : الوسيلة أفضل درجات الجنة وقيل توسلوا بتقواه إلى ثوابه والفعل وَسَلَ إلى ربه وسيلة وتوسَّل توسيلة إذا تقرب إليه بعمل والوسائل الراغب إلى الله تعالى .

﴿ أَكَاثِلُونَ لِلْسُّحْتِ ﴾ : يقال سُحِتْ * وسُحِتَ وهو الحرام ويقال سحته وأسحته إذا استأصله وفى الحديث المرفوع " السحت الرشوة " (٢) .

= وقرأ ابن مسعود والزهرى " الغَيْطُ " . والغائط : اسم العَذْرَةِ نفسها لأنهم كانوا يلقونها بالغيطان ، وقيل : لأنهم كانوا إذا أرادوا ذلك أتوا الغائط وقضوا الحاجة ، ف قيل لكل مَنْ قضى حاجته : قد أتى الغائط يكنى به عن العذرة .

(١) انظر مبحث لا مجاز فى القرآن .

* قرأ نافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، وخلف العاشر بإسكان الحاء ، والباقون بضمها ، وهما لفتان .

(٢) رواه ابن جرير (٣٢٣/٩) لسيدته عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كل لحم نبت من سُحْتٍ فالتار أولى به " قيل يا رسول الله ما السحت قال الرشوة فى الحكم " وهذا حديث مرسل ونسبه السيوطى فى الدر (٨١/٣) لابن مردويه وعبد بن حميد وابن جرير لعبد الله بن عمر والذي فى الطبرى كما تقدم عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر .

﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ : كل مشرف على كُنْه الأمر مستولٍ عليه حافظ له فهو مهيمن عليه والإشراف يرجع إلى العلم ، والاستيلاء إلى كمال القدرة . والحفظ إلى الفعل . والجامع بين هذه المعانى اسم المهيمن . ولن يجمع ذلك على الإطلاق إلا الله سبحانه وتعالى .

وفى الغريب عن مجاهد مهيمن بفتح الميم الثانية وهو من هيمن عليه إذا ائتمنه فالمهيمن المؤتمن وقيل أصله آمن غير ه الخوف وأصله آمن فهو مأمن .
بهمزتين قلبت الثانية كراهية لاجتماعهما ياء فصار مأين ثم قلبت الهمزة هاءً فصار مهيمنا" (١) .

﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ : الشِّرْعَةُ : الشريعة وهى ما شرعها الله تعالى لعباده من الدين والمنهاج : الطريق - والشارع أيضاً الطريق الأعظم .

﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وهو الأمة : الدين (٢) ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [الحج - ٦٧]

(١) جاء فى نزهة القلوب للسجستاني ص ٤٢١/ ٤٢٢ مايلى : مهيمنا عليه : أى شاهداً وقيل رقيباً وقيل مؤتمناً - إلى أن قال والمهيمن فى أسماء الله : القائم على خلقه بأعمالهم وأجالهم وأرزاقهم - وقيل أصل مهيمن مُؤَيِّن " مُفْعِل " من أمين" كما قيل يَنْظُرُ ومُيَيطِرُ من البيطار فقلب الهمزة هاءً لِقُرْب مخرجيهما ١ هـ

(٢) جاء فى تفسير غريب القرآن للسجستاني المتوفى ٣٣٠ هـ ص ١١٣ أمة على ثمانية أوجه أمة : جماعة كقوله عز وجل ﴿أمة من الناس يسقون﴾ [القصص : ٢٣] وأمة : أتباع الأنبياء عليهم السلام ، كما تقول : نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأمة : رجل جامع للخير يُقْتَدَى به ، كقوله : ﴿إن إبراهيم كان أمةً قانتاً لله﴾ [النحل : ١٢٠] وأمة : دين وملة ، كقوله عز وجل ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ [الزخرف : ٢٢] ، وأمة : حينٌ و زمان ، كقوله عز وجل ﴿إلى أمة معدودة﴾ [هود : ٨] وكقوله : ﴿وادكر بعد أمة﴾ [يوسف : ٤٥] أى/ بعد حين ، ومن قرأ أمه وأمة : أى نسيان - وأمة أى قامة ، يقال (فلا حسن الأمة) أى القامة أمة : رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد قال النبی صلى الله عليه وسلم ﴿يعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده﴾ أمة : أم : يقال : هذه أمة زيد : أى أم زيد ١ هـ

أى لكل أهل دين - والأمة : الملة - ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة أى ملة - والأمة : العُصبة - ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ أى عَصْبَةُ والأمة العصبة : ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ وقوله ﴿أمة من الناس يسقون﴾ والأمة : الامام ﴿إن ابراهيم كان أمة﴾ والأمة : الطريق والسُنَّة . إنا وجدنا آباءنا على أمة . والأمة : الحين - ولئن أخرجنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة - وقوله ﴿وادكر بعد أمة﴾ [يوسف - ٤٥] أى بعد حين .

والأمة : القوم - ﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ [النحل - ٩٢] أى قوم أزيد من قوم والأمة : القامة : كقولك فلان حسن الأمة أى القامة قال : حسان الوجوه طوال الأمم

والأمة تُطلق على الفريد فى دينه كما قيل فى قس^(١) بن ساعدة يحشر يوم القيامة أمة وحده - والأمة : الأم تقول هذه أمة زيد أى أمُّه .

وَمِنْ أَشْيَاءَ ذُكِرَتْ لَكِنَّا تَرْجِعُ إِلَى الَّذِي ذَكَرْتُ فَلْأَجْلِ ذَلِكَ حَذَفْتُهَا

﴿بِشْرٍ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٍ﴾ : أى ثواباً والثواب يُطلق فى الخير والشر لكن الأكثر فى الخير .

﴿مَغْلُوبَةٍ﴾ : أى مقبوضة .

﴿وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ : أى ثقیل^(٢) أمره على مخالفته والوبيل أيضا الوخيم .

(١) الحديث ورد بشأن زيد بن عمرو بن نفيل وليس بشأن قس كما زعم المؤلف وهذا الحديث يُروى من طريقين ١- طريق سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أخرجه الطيالسي فى مسنده : (٣٢)، والإمام أحمد فى مسنده (١٨٩/١ - ١٩٠) ، وأبو يعلى فى مسنده (٢٦٠/٢ - ٢٦١) ، والطبرانى فى المعجم الكبير (١١٤-١١٥) و الحاكم فى المستدرک (٤٤٠/٣) ، والبيهقى فى دلائل النبوة (١٢٤/٢ . ٢) - طريق جابر بن عبد الله ، أخرجه أبو يعلى فى مسنده (٤١/٤) وإسناد الحديث حسن لتقوى طرقه بعضها ببعض .

(٢) هكذا بالأصل وبالعبارة غموض . وقد جاء فى الغريب للسجستاني ص(٤٦٣) وبال أمره أى عاقبة أمره فى الشر ، والوبال : الوحامة وسوء العاقبة ، يقال ماءٌ وبيل ، وكلاً وبيل أى =

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ : البَحِيرَةُ : الناقة التي تُبَحِّرُ أذنّها أى تُشَقُّ قال الفراء وحكمها حكم السائبة وهى أمها والسائبة الناقة التي ولدت عشرة أبطن كلها إناث سيّيت فلم تُركب ولم يشرب لبنها إلا ولدها والضيف حتى تموت وإذا ماتت أكلها الرجال والنساء .

وُبُحِرَت أذن ابنتها والجمع سَيْبٌ - والسائبة : العبد - كان الرجل إذا قال لغلامه أنت سائبة فقد عتق ولا يكون ولاؤه مُعْتَقِهِ ويضع ماله حيث شاء وهو الذى ورد النهى عنه .

والوصيلة : الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين فإن ولدت فى الثامنة ولدأ ذبحوه لألهتهم فإن ولدت جدياً وعناقاً قالوا وصلت أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها ولا يشرب لبنها النساء واختص به الرجال وجرت مجرى السائبة .

ولا حام : الفحل إذا ضرب فى الابل عشر سنين قيل حمى ظهره فلا يتنفع بظهره - وقيل إذا نُتج من بطنه عشرة أبطن ، وقيل إذا رُكب ولد ولده فلا يركب ولا يحمل عليه وهذه أسماء وضعها عمرو^(١) بن لُحى سنة لأصنامه .

﴿ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ : يُقَالُ عَثَرَ عَلَيْهِ يَعَثُرُ عَثْرًا وَعَثُورًا إذا اطلع عليه وأعثره عليه غيره ومنه قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ {الكهف - ٢١} .

﴿ وَتَبَرَّئُ الْأَكْمَةَ ﴾ : الأكمه من وُلد أعمى .

= وخيم لا يُستمرأ وتضرَّ عاقبته - والويل فى قوله تعالى ﴿ فَاخْذُنَا خُذًا وَيِلًا ﴾ {المزمل : ١٦} بمعنى الخيم ضد المرى ١ هـ .

(١) عمرو بن لُحى بن قَمْعَة بن خَنْدَف وقد ورد بشأنه حديث أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن جون { يا أكثم رأيت عمرو بن لُحى بن قَمْعَة بن خَنْدَف يَجُرُّ قُصْبَهُ فى النار } الحديث . رواه الطبرانى (١١/ ١١٨) .

﴿مَائِدَةٌ مِّنَ السَّمَاءِ﴾: المائدة خِوان عليه طعام وإذا لم يكن كان خِواناً. وهى فاعلة بمعنى مفعولة مثل عيشة راضية بمعنى مرضية والمعنى أنه ممتادٌ منها الطعام أى مُستعطى واشتقاقها مِنْ مَّادَةٍ يَمِيدُهُ إذا أعطاه وقيل هى فاعلة على بابها لأنه يعطى الطعام وقيل من ماد يُميد إذا تحرك كأنها تميدُ بما عليها .

وقيل انهم استدعوا طعاماً وقيل استدعوا علماً لأنّ العلم غذاء الأرواح كما أن الطعام غذاء الأشباح وفيه نظر لقوله تعالى ﴿نَاكُلُ مِنْهَا﴾ وتكون لنا عيداً ﴿المائدة - ١١٣، ١١٤﴾ لأن المعروف فى الأعياد الإجتماع على الطعام لا على العلم وأيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "أيام أكل وشرب وبَعَال .

* بعض الكلمات لم يتعرض لها المؤلف

* ﴿هل يستطيع ربك﴾ وفيها ثلاثة أوجه

١- هل يقدر ربك ، فكان هذا السؤال فى ابتداء أمرهم قبل استحكام معرفتهم بالله تعالى . -

٢- معناه هل يفعل ربك ، قاله الحسن .

٣- هل يستجيب لك ربك ويطيعك .

* ماذا أجبتكم أى ماذا عملوا بعدكم قالوا لا علم لنا - الآية قاله ابن جريج .

سورة الأنعام

﴿ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ : أى يُشْرِكُونَ - تقول عدل عن كذا إذا مال . وكأنهم عدلوا عن الايمان إلى الكفر أو جعلوا له عديلاً - والعدْل والعدْل متقاربان لكن العدل فى المعانى مما يُدْرِكُ بالبصيرة^(١) والعدل فى المراتب مما يدرك بالبصر .

﴿ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ ﴾ : القَرْنُ الناس المتفرون فى زمن واحد - والقَرْن لفظ مشترك يُطلق ويراد به قرن الثور - والخُصلة من الشَّعر والحَلْبة^(٢) من العَرَق والقَرْن : ثمانون سنة ، وقيل ثلاثون سنة ، والقرن من الناس : أهل زمان واحد - والقَرْن : العَقْلة^(٣) ومنه امرأة قرناء .

﴿ مَدْرَارًا ﴾ : كَثْرَةُ دَرِّ المطر .

﴿ وَلَلْبِئْسَ عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ : أى لَخَلَطْنَا عليهم . واللِّبْس بالضم مصدر لبست الثوب البَسَهُ لِبْسًا - واللِّبْسُ بالفتح مصدر لبست عليه الأمر ألبس لبسًا أى خلطت

(١) وفى المفردات ص (٣٢٥) مادة عدل: العدالة والمعادلة لفظ يقتضى معنى المساواة وَيُسْتَعْمَل باعتبار المضايقة والعدْل والعدْل يتقاربان . لكن العدل يُسْتَعْمَل فيما يُدْرِكُ بالبصيرة كالأحكام وعلى ذلك قوله "أو عدْلُ ذلك صياماً" إلى أن قال وقوله "بربهم يعدلون" أى يجعلون له عديلاً فصار كقوله "هم به مشركون" ، وقيل يعدلون بأفعاله عنه وينسبونها إلى غيره وقيل يعدلون بعبادتهم عنه ١. هـ

(٢) فى اللسان (ج ١١ ص ١٣٧) والقَرْن حَلْبةٌ من عرق . يقال: حَلَبْنَا الفرسَ قَرْنًا أو قرنين أى عَرَقْنَاهُ يقال : عَصَرْنَا الفرسَ قَرْنًا أو قرنين . والقرون : العَرَق والقرون : الذى يعرق سريعاً ، وقيل : الذى يعرق سريعاً إذا جرى ، وقيل : الفرس الذى يعرق سريعاً فخص ١. هـ

(٣) العَقْلة : بَطْارة المرأة - قال ابن الاعرابى العَقْل : نبات لحم ينبت فى قُبُلِ المرأة وهو القَرَن - وقال أبو عمر الشيبانى العَقْل شئٌ مُدَوَّر يخرجُ بالفرج - ولا يكون فى الأَبكار ولا يصيب المرأة إلا بعد ما تلد وقال الليث والعَقْل والعَقْلة : شئٌ يخرج فى قُبُلِ النساء وحياء الناقة شبه الأُدرة التى للرجال فى الخُصية ومنه حديث ابن عباس : أربعٌ لا يَجُزْنَ فى البيع ولا النكاح المجنونة والمجنومة والبرصاء والعَفْلاء .

ويقال فيما يلبس اللباس واللبوس واللبس والقدر الجامع في اللبس والإلباس السَّترُ
والزوجة لباس من حيث إنها تمنع زوجها من تعاطي الفضيحة فكأنها سترٌ له .
وقيل يبطنها وتبطنه ويؤيده قول الجعدي :

إذا ما الضجيع ثنى جيدها تَنَتَّ عليه فكانت لباساً^(١)
﴿ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ﴾ : أى نزل بهم وبآل فعلهم والحِيقُ ما يَشْتَمِلُ على
الإنسان من مكروه فعله .
﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ : أى أغطية تقول كنته وأكنته أى سترته .
﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ : الوقْرُ : الصَّمَمُ بالفتح وبالكسر الحِمْلُ والجامع بينهما الثقل
ويختص الوقْر بحِمْل البغل والحمار وأما الجمل فالوَسَقُ^(٢) .
﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ : أى أباطيل الأولين الواحدُ أسطورة بالضم وإِسْطَارَةٌ بالكسر
والسَّطَرُ والسَّطَرُ ويُجمع على أسطار ويُجمع على أساطير .
﴿ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ ﴾ : النفق : الشَّقُّ فى الأرض وهو السَّرَبُ^(٣) بالفتح وله مكان
يَخْلُصُ إلى غيره ومنه النافقاء احدى جُحرة اليربوع إذا طلبه الصائد من جُحْر خرج من
الآخر ومن هذه المادة النفاق .

(١) انظر الشعر والشعراء (٢٥٥) - ومجاز القرآن لأبى عبيده (٦٧) .

(٢) قال الخليل الوَسَقُ هو حِمْل البعير ، والوَقْرُ حِمْل البغل أو الحِمَار اللسان مادة وسق
(ج ١ ص ٢٩٩) .

(٣) وفى المفردات ص (٥٠٣) مادة نفق والنفق الطريق النافذ والسَّرَب فى الأرض النافذ فيه قال
﴿ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ ﴾ ومنه نافقاء اليربوع - وقد نافق اليربوع ونفق ، ومنه النفاق
وهو الدُّخُول فى الشرع من باب والخروج عنه من باب وعلى ذلك نبّه بقوله ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴾ أى الخارجون من الشرع ١ هـ .

﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾^(١) : أى آيسون والإبلاس الإياس وقيل لفظ إبليس مشتق من هذه المادة وهو مشكل لكونه أعجميا .

﴿ فَقُطِعَ دَابِرَ الْقَوْمِ ﴾ : أى آخر مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ .

﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا ﴾ : فِرْقًا يَدِينُ بَعْضُهُمْ بِخِلَافِ مَا يَدِينُ بِهِ الْبَعْضُ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى .

﴿ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ ﴾^(٢) : أى تُرْهَنَ حَتَّى لَا مَحِيصَ لَهَا وَقِيلَ أَصْلُ الْبَسْلِ : الْمَنَعُ وَقِيلَ الْحَرَامُ وَالْإِبْسَالُ : التَّحْرِيمُ

قال الشاعر

أجارتكم بَسْلٌ عَلَيْنَا مُحَرَّمٌ وجارتنا حل لكم وحليلها

وقيل يُبْسَلُ أَيْ يُسَلَّمُ وَتَقْدِيرُ الْآيَةِ أَنْ لَا تُبْسَلَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى أَنْ تَضَلُّوا أَيْ أَنْ لَا تَضَلُّوا .

(١) فى مادة بلس فى المفردات : الإبلاس الحزن المعترض من شدة البأس . ولما كان المبلس كثيرا ما يلزم السكوت وينسى ما يعنيه قيل أبلس فلان إذا سكت وإذا انقطعت حجته . ومنه أبلست الناقة وهى مِبْلَاس إذا لم تَرُغْ من شدة الضَّبْعَةِ والرَّغَاءِ هُوَ صَوْتُ النَّاقَةِ .

(٢) كل شئٍ امتنع فهو بَسْلٌ . قال زهير فَإِنْ تُقْوِيَا مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ بَسْلٌ والبسالة الشجاعة من هذا ؛ لأنها الامتناع على القَرْنِ (القرين) - ومنه قولهم أَبْسَلْتُ وَلَدِي رَهْتُهُ ، قاله ابن فارس .

وعندى أن الإبسال ليس بمعنى الارتهان فقد صُرِّحَ بهذا اللفظ فى قوله تعالى ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ ولفظ الإبسال يجمع عدة معانٍ وليس معنى الإبسال فى قوله ﴿ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ ﴾ بِمَا كَسَبَتْ مرادفا لقوله ﴿ أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا ﴾ [الأنعام: ٧٠] لأن الأول فى الدنيا والثانى فى الآخرة فالأول - والله أعلم - معناه : أَنْ لَا تُمْنَعَ وَتُحْرَمَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فى الدنيا فيؤدى ذلك إلى حرمانها ومنعها من دخول الجنة ، والجزء من جنس العمل . قال ابن تيمية : فإذا قال أحدهم : أن تبسل أى تحبس وقال الآخر : ترتهن ونحو ذلك لم يكن من اختلاف التضاد ، وإن كان المحبوس قد يكون مرتهننا وقد لا يكون ، إذ هذا تقريب للمعنى .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾^(١) : أى رَهِنُوا وقيل حُرِّمُوا الثَّوَابُ أو مُنْعَوْهُ
وسُمِّي الرجل الشجاع بأسلا والشجاعة البسالة إمَّا لكونه مُحَرَّمًا على أقرانه أن ينالوه
بمكروه أو لِمَنْعِهِ ما تحت يده عن أعدائه ومنه أُبْسِلْتُ المكان : حفظته والبُسْلَةُ : أجرة
الراقي لقوله جعلته مُبْسَلًا أى مُحَرَّمًا^(٢) وبسَلْتُ الحنظل أى أزلتُ مرارته والمعنى أزلتُ
ما كان يمنع من أكله وهى مرارته والمستَبْسِل : المُوَطَّن نفسه على الموت والمكروه .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾^(٣) : الجمهور على أنه اسم أبيه وظاهر القرآن يدلّ
عليه وقيل اسم أبيه تَارَخ وقيل إن تَارَخ وآزَرَ اسم يعقوب واسرائيل وقيل آزَرَ وصف له
بالذم والمعنى المُعَوَّجُ وقال الثعلبي معناه الشيخ بالفارسية وليس بمعروف وقيل آزَرَ صنم
كان يعبده هو وغيره فسمي بمعبوده .

﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ : أى ملكهما والملكوت أعظم الملك كالرهبوت
والرَّحْمَت من الرهبة والرحمة والواو والتاء زائدتان ويُقال بالتاء والهاء ملكوه .

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾^(٤) : أى ستره يُقال جنَّ عليه الليل وأجَنَّهُ وجَنَّهُ جُنًّا

(١) جاء فى مفردات الراغب ص(٤٧) مادة بسَل - البَسَلُ ضمُّ الشئ ومنعه ولتضمنه معنى الضم
استعير لتقطيب الوجه فليل هو باسل ومُبْسَلُ الوجه ولتضمنه معنى المنع قيل للمُحَرَّمِ والمُرْتَهَنِ
بَسَلٌ .

(٢) قول الراقى أُبْسِلْتُ فلانا: أى جعلته بَسَلًا أى شجاعاً قوياً على مدافعة الشيطان أو الحيات
والهوام أو جعلته مُبْسَلًا أى مُحَرَّمًا عليها وسُمِّي ما يُعطى الرَّاقي بُسْلَةً - وحكى بَسَلْتُ الحنظل
أى طَيَّبْتُهُ فإن يكن صحيحا فمعناه أزلت بسالته أى شدته أو بَسَلُهُ أى تحريره وهو ما فيه من المارة
الجارية مجرى كونه مُحَرَّمًا . نفس المصدر .

(٣) اسم والد ابراهيم هو آزر وهو أمر قطعى الثبوت بصريح القرآن والسنة فعن أبى هريرة عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال " يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتره وغبرة فيقول
له ابراهيم ألم أقل لك : لا تعصنى . . . الحديث رواه البخارى (٢٧٦/٦) .

(٤) وفى المفردات ص(٩٨، ٩٩) جنَّ: أصل الجنَّ سَتَرُ الشئ عن الحاسة يقال جنَّه الليل وأجَنَّهُ
وجنَّ عليه فجَنَّهُ : ستره وأجَنَّهُ جعل له ما يَجَنُّه وجَنَّ عليه كذا ستر عليه قال عز وجل " فلما =

وَجَنَانًا وَجُنُونًا وَجَنَانُ اللَّيْلِ ادْلَهَمَامُهُ .

﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ : أى غاب والأفول الغيبة .

﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا ﴾ : أى طالعا والبُزوغ : الطلوع .

﴿ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ : شدائده واحدها غمرة كأنها تغمره أى تُغطيه مأخوذ من الماء الغمر .

﴿ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ : أى الاهانة .

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى ﴾ : جمع فريد^(١) كأسير وأسارى وقيل فرادى اسم مفرد على فُعَالى وقيل جمع فَرْدَان كسُكْرَان وسُكَارَى وقيل فرد فرد بمعنى مُفْرَد وقُرِئَ فى الشاذَّ منونا^(٢) والمعنى للحساب والجزاء .

= جن عليه الليل " والجنان القلب لكونه مستورا عن الحاسة ١ . هـ

ومن الغريب الذى لم يُعرَّج عليه المؤلف

١- فقد وكلنا بها : أى أقمنا بحفظها ونُصَرَّتْها ، يعنى : كتب الله وشرائع دينه .

٢- تجعلونه قراطيس تبدونها : جعل هنا إما بمعنى صَبَّرَ أو بمعنى أَلْقَى والقرطاس : ما يكتبُ فيه أو الصحيفة يكتبُ فيها تكون من ورق وكاغِدٍ وغيرهما ولا يقال قرطاس إلا إذا كان مكتوباً وإلا فهو طرس وكاغد .

قوله : تبدونها : أى ما يحبون إبداءه منها .

والمعنى الإجمالى للآية جعل اليهود التوراة مكتوبةً فى دفاتر مُقطعة متفرقة مفصول بعضها عن بعض وفعلوا ذلك ليتمكنوا من إخفائه بخلاف مآلو جمعوا الكل فى مجلد واحد كالمصحف فرمما اطلع غيرهم على جميع ما فيه . يُظهرون ما يحبون اظهاره ويخفون كثيرا مما فيه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) قاله الراغب - وقال ابن قتبية هو جمع فردان .

(٢) وقوله منونا هى قراءة عيسى بن عمر وأبى حيوه البحر المحيط (ج٤ ص١٨٥) .

﴿ خَوْلَانَاكُمْ ﴾ : ملكتناكم (١).

﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ : أى وصلكم فيمن قرأ بالضم (٢) وَمَنْ قرأ بالفتح أراد الظرف - والْبَيْن من الأضداد تُطْلَقُ على الرِّصال وعلى الفراق وأصله الظرف المقتضى توسطاً بين شيئين (٣) .

﴿ خَضِرًا ﴾ : أى نباتاً أخضر .

﴿ قَنَوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ : واحداها قَنُو : وهى شماريخ الرُّطْب . وليس فى كلام العرب ما صورة لفظه صورة التثنية وهو جمع غير قنوان وصنوان . وفى الغريب عن ابن هرمز (٤) قَنَوَان بفتح القاف وعن ابن رجا بالضم جمع قَنُو كذيب وذوبان .

﴿ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ (٥) : الينع : مصدر يَنَع أى أدرك أى وذا ينعه وهو النضيج من

(١) قال الراغب فى قوله خولناكم أى أعطيناكم وفى المختار : وخَوَّلَ الشئ تخويلاً ملكه إياه .

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة عن عاصم وحمة وخلف ويعقوب بضم نون بينكم - ونافع وحفص والكسائى وأبو جعفر بفتح نون بينكم .

(٣) والمعنى الاجمالى : لقد تقطعت الوصل والأسباب بينكم وبين شركائكم من الشفاعة وغيرها فلم تنفع ولم تُجَدِ شيئاً تفسير ابن سعدى (ج٢ ص ٤٣٧) .

(٤) ابن هرمز : هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ولم يقرأ بفتح القاف كما زعم المؤلف وإنما قرأ بضم القاف انظر البحر المحيط (ج٤ ص ١٩٣) .

ومعنى الآية والله أعلم ومن النخل من طلعتها وهو الكُفْرَى والوعاء قبل ظهور القنوم منه فيخرج من ذلك الوعاء قنوان دانية أى قريبة سهلة التناول متدلية على من أرادها ، بحيث لا يعسر التناول من النخل وإن طالت فإنه يوجد فيها كرب ومراقى ، يسهل صعودها انظر البحر (ج٤ ص ١٩٢) وتفسير ابن سعدى (ج٢ ص ٤٤٣) .

(٥) قال الراغب ينعت الثمرة تَنَعُ يَنْعُ يَنْعاً وَيَنْعاً وَيَنْعَتُ إِنْعَاعاً وهى يانعة ومُؤْنَعَةٌ - وقرأ ابن أبى اسحاق " وَيَنْعِهِ " وهو جمع يانع وهو المدرك البالغ .

وفى البحر - وقرأ قتادة والضحاك وابن محيصن " وَيَنْعِهِ " .

التمر وقيل ينع : جمع يانع كتاجرٍ وتجرٍ وقرئ^(١) يانعاً أى مدركه .

﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ ﴾^(٢) : أى خلقوا^(٣) وهى لغة فى التخلق من الكذب .

﴿ دَرَسَتْ ﴾^(٤) : أى دَرَسَتْ^(٥) الكتب أى كررت عليها نقول دارست الكتب وادارستها وتدارستها "والدرس فى الأصل ما عفا" ودرسته الريح ودرس المكان يتعدى^(٦) ولا يتعدى والقدر الجامع الانتقال من حالة إلى حالة وكأن انتقاله من السطور إلى الصدور بمنزلة العفاء أو لأنّ الدرس هو التكرار ومنه درس الحنطة .

﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا ﴾ : أى عدواناً والعدوان : التجاوز فى الظلم .

﴿ كُلُّ شَيْءٍ قُبْلًا ﴾ : بضمّتين أى حشرنا عليهم العذاب صِنْفاً صِنْفاً أو جماعة

جماعة وقيل جمع قبيل^(٧) وهو الكفيل وَمَنْ قرأ

قُبْلًا^(٨) أى مُقابلةً .

(١) هى قراءة ابن ابى عبلة ويانعاً وهو اسم فاعلٍ مِنْ يَنَع .

(٢) هكذا بالأصل وهى قراءة نافع .

(٣) خرقوا : اختلقوا وافتروا ويقال "خرق الافك وخلقه واختلقه واخترقه واقتلعه وافتراه وخرصه" إذا كذب فيه قاله الفراء (ج٤ ص١٩٧) البحر المحيط .

(٤) هكذا بالأصل وهى على قراءة ابن كثير وأبى عمرو وقرأ ابن عامر دَرَسَتْ مبنياً للفاعل مضمرأ فيه أى دَرَسَتْ الآيات أى ترددت على أسماعهم حتى بليت وقدمت فى نفوسهم وامّحت .

(٥) قال الراغب وقرئ دارست أى جاريت أهل الكتاب .

(٦) قوله يتعدى لأن درس بمعنى كرّر القراءة متعدٍ وأما درس بمعنى "بَلَى وَاَمْحَى" فلا أحفظه متعدياً البحر المحيط (ج٤ ص٢٠٠) .

(٧) وهو قول الزجاج .

(٨) قُبْلًا قراءة نافع وابن عامر وأبى جعفر ومعناه مواجهة ومقابلة وعَيَاناً وفى المفردات قيل (قُبْلًا) هو جمع قابل ومعناه مقابل لحواسهم . وكذلك قال مجاهد : جماعة جماعة ، فيكون جمع قبيل ومن قرأ قُبْلًا فمعناه عياناً .

﴿ زُخْرُفَ الْقَوْلِ ﴾ : أى مُزَيْنٌ ^(١) القول مُموَّهه والزخرف : الذهب والمراد به مزوّر القول - وزخارف الماء : طرائقه .

﴿ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾ ^(٢) : أى يُخالطون الخطيئة من قولهم قارف فلان الشئ أى خالطه .

﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ : أى يكذبون والخرّاص الكذاب والخرّص ^(٣) حَزْرٌ ما على النخل من الرطب تمراً والاسم الخرص (بالكسر) والخرّص (بالضم) حلقة الذهب أو الفضة والجمع خرّصان .

﴿ صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ : الصغار الذل (بالفتح والضم) وكذلك الصُّغَرُ (بالضم والاسكان) والمصدر : الصَّغْرُ - وقيل الصغار فى القدر والصُّغَرُ فى السن وغيره .
﴿ يَشْرَحُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ : أى يُوسِّعه وقيل : يقذف فيه النور .

(١) كان يجب على المصنف أن يقول مزين القول من الباطل لأن الزخرف يطلق على كل مزين حقا كان أو باطلاً - قال الزجاج : الزخرف : الزينة - وقال أبو عبيدة كل ما حسنته وزينته - وهو باطل - فهو زخرف .

(٢) وليقترفوا أى يكتسبوا ومعنى الآية والله أعلم يقول تعالى - مسليا الرسول صلى الله عليه وسلم - وكما جعلنا لك أعداء يردون دعوتك ويحاربونك ويحسدونك فهذه سنتنا ، أن نجعل لكل نبي نرسله إلى الخلق ، أعداء ، من شياطين الإنس والجن ، يقومون بضد ما جاءت به الرسل يزين بعضهم لبعض الأمر الذى يدعون إليه ، من الباطل ويزخرفون له العبارات ، حتى يجعلوه فى أحسن صورة ، ليغتر به السفهاء ، وينقاد له الأغبياء - الذين لا يفهمون الحقائق ، ولا يفقهون المعانى بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة ، والعبارات المموهة ، فيعتقدون الحق باطلا والباطل حقا . وترتيب المفاعيل فى غاية الفصاحة لأنه أولاً يكون الخداع فيكون الميل فيكون الرضا فيكون الفعل أى الاتراف فكل واحد مسبب عما قبله
الفتوحات الآلهية (ج ٢ ص ٨٠) .

(٣) لسان العرب (ج ٤ ص ٦٢) - والحَزْرُ : التقدير الظنى للشئ .

﴿ضَيْقًا حَرَجًا﴾ : الحَرَجُ (بالفتح والكسر) الضيق^(١) والمراد هاهنا الاثم وقيل الشك - يقال حرج صدره ، وَحَرَجَ (بالفتح والكسر) حَرَجًا وَحَرَجًا - قيل : الفتح مصدر - والكسر - صفة - كقولهم . قَمْنٌ وَقَمْنٌ وَقَرْدٌ وَقَرْدٌ - وأصله : المكان الكثير الشجر لا تصل إليه الراعية وقد جاء فَعَلَ وفَعِلَ فى كلامهم قالوا وَحَدَ وَوَحَدَ - وَدَنَفٌ وَوَدَنَفٌ وَفَرَدٌ وَفَرَدٌ .

﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ : الرَّجْسُ هاهنا العذاب - مثل الرجس ويراد به القَذَرُ.

﴿عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ : قُرئ بالافراد والجمع^(٢) والمعنى على قدر منزلتكم^(٣) من قولهم له مكانةٌ عند السلطان من مكن يمكن مكانة^(٤) - والمصادر قد تجمع على إرادة اختلاف الأنواع ويجوز أن تكون مفعلة من الكون فيكون إما مصدرًا بمعنى الكينونة أو مَوْضِعًا كما يقال مكان ومكانة ومَنْزِل ومَنْزِلَة .

(١) لسان العرب (ج٣ ص ١٠٧) والخرج فيما فسره ابن عباس هو الموضع الكثير الشجر الذى لا يصل إليه الراعية . قال : وكذلك صدر الكافر لا يصل إليه الحكمة ١٠ هـ

وقال الزجاج : الحرج فى اللغة : أضيق الضيق قال : وَمَنْ قال رجل حَرَجَ الصدر فمعناه ذو حَرَجٍ فى صدره وَمَنْ قال حَرَجَ جعله فاعلا . قرأ نافع وشعبة وأبو جعفر بكسر الراء ، والباقون بفتح الراء .

(٢) قرأ شعبه عن عاصم مكاناتكم بالجمع والباقون بالافراد .

(٣) فى معنى مكانتكم خمسة تأويلات : أحدها : على طريقتكم - والثانى : على حالتكم والثالث : على ناحيتكم قاله ابن عباس والحسن . والرابع : على تمكنكم ، قاله الزجاج والخامس : على منازلكم ، قاله الكلبي (ج٢ ص ١٧٣) الماوردي .

(٤) اختلف فى ميم مكانة ف قيل هى أصلية وهى من مكن يمكن - وقيل رائدة وهى من الكون فالمعنى على الأول اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم فالمكانة : مصدر - وعلى الثانى : اعملوا على جهتكم وحالككم التى أنتم عليها . الفتوحات (ج٢ ص ٩٣) .

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ ﴾ : أى خلق .

﴿ وَحَرِثٌ حِجْرٌ ﴾ : أى حرام والحِجْر لفظ مشترك فالحرام مثلث الحاء والكسر

أفصح - والحِجْر^(١) : العقل - والحجر : حجر الكعبة والحِجْر : منازل ثمود -
والحجر : الأثنى من الخيل ولا يقال حجرة .

﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ ﴾ - الفَرَش : الصغار من الإبل التى لا تستطيع الحمل
والفرش لفظ مشترك يطلق على المفروش من متاع البيت .

وعلى الزرع إذا فرش^(٢) وعلى صغار الإبل كل منها فرش . قال الفراء : لم يُسمع
^(٣) له بجمع - والفرش فى رِجْلِ البعير^(٤) اتساع قليل وهو محمود .

أو الحوايا : ما يتحوّى^(٥) فى البطن ويستدير ويُسمّى : بنات^(٦) اللبن . وقيل هى
المباعر^(٧) واحداً منها حاوية وقيل حاويات كقاصعاء وقواصع وقيل حَوِيَّة كسفينة وسفانين .

(١) والحِجْر لفظ مشترك فهو بمعنى العقل واللَّب : لامسكه ومنعه وإحاطته بالتمييز - والحجر :
الفرس الأثنى لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لا يشركها فيه المذكر - جعلوها كالمحرمة الرحم إلا
على حصان كريم . وكل ما حَجَرْتَهُ من حائط فهو حِجْر - بتصرف من اللسان (ج ٣ ص ٥٩) .

(٢) وفى اللسان : الفَرَش : الموضع الذى يكثُر فيه النبات . والفرش : الزرع إذا فرش وفرش
النبات فرشاً : انبسط على وجه الأرض والمفرش : الزرع إذا انبسط .

(٣) تنمة الكلام فى اللسان قال : ويحتمل أن يكون مصدراً سُمي به من قولهم فرشها الله فرشاً أى
بثها بثاً وفى التنزيل " ومن الأنعام حمولة وفرشاً " وفرشها كبارها عن ثعلب ١ هـ (ج ١ ص
٢٢٦) .

(٤) وفى اللسان الفَرَش : اتساع فى رِجْلِ البعير ، فإن كَثُر فهو عَقَل . نفس المصدر .

(٥) قال علي بن عيسى : الحوايا : كل ما تحوّى فى البطن واجتمع واستدار .

(٦) جاء فى تفسير القرطبي بدل بنات خزائن اللبن وهذا القول منسوب إلى عبد الرحمن بن زيد .

(٧) نسب هذا القول إلى ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدى .

وقيل جمع الحوية حوايا وهى الأمعاء وجمع الحاوياء والحاوية حواوى على فواعل

﴿ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ : الاملاق : الافتقار .

﴿ دِينًا قِيمًا ﴾ : أى مستقيما .

﴿ جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ : أى ملوكها والخليفة السلطان الأعظم وجمعه

خلائف^(١) مثل كريمة وكرائم وقالوا خلفاء لأنه لا يقع إلا على الذكر فأسقطوا الهاء
فصار مثل ظريف فجمعه على خلفاء كما قالوا ظرفاء .

الحمولة : ما أطاق العمل والحمل .

(١) مذاهب العلماء في هذا المجال متشعبة فقال ابن السكيت الأجود أن يُحمل على معناه فإنه ربما
يقع للرجال وإن كانت فيه الهاء ألا ترى أنهم قد جمعوه على خلفاء؟ وقد جُمع خلائف فمرة
يذهب به إلى المعنى ومرة يذهب به إلى اللفظ وأما سيبويه فقال خليفة وخلفاء كسروه تكسير
فعيل لأن لا يكون إلا للمذكر .

سورة الأعراف

﴿ بَيَّاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ : بَيَّتَ^(١) العدو إذا أوقع بهم ليلاً، والبيات : الاسم وبَيَّت الأمر : إذا دبره ليلاً ومنه قولهم : هذا أمرٌ بَيَّتَ ليليل - وقائلون أى أتاهم العذاب عند القيلولة وهى نصف النهار ومنه قوله صلى الله عليه وسلم " قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ " (٢).

﴿ مَعَايِشَ ﴾ : جمع معيشة ولا يجوز همزها^(٣).
 ﴿ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ : أى الراضين بالذل والضيَم .
 ﴿ مَذْمُومًا مَذْحُورًا ﴾ : أى مطروداً مَقْصِيًا .
 ﴿ مِنْ سَوَاءَ اتِّهَمَا ﴾ : السَّوَاءُ تان : القبل والدبر .
 ﴿ وَقَاسَمَهُمَا ﴾ : أى أقسمَ لهما^(٤) يمين فاجرة وهى من باب طارقتُ النعل - وعافاه الله . وإبليس أولُ مَنْ حلف يميناً فاجرة .

(١) والذى فى المفردات - والبيات والتبييت قَصْدُ العدو ليلاً - والبيوت : ما يُفعل ليلاً . ١ . هـ ص (٩٥).

(٢) السلسلة الصحيحة (ج ٥ ص ٢٠٢) ، والحديث رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الطب عن أنس رضى الله عنه . قال فى صحيح الجامع حديث حسن - انظر صحيح الجامع (٤٤٣١) (ج ٢ ص ٨١٥).

(٣) قوله ولا يجوز همزها هذا تجوز والصحيح أنه جائز وهى رواية خارجة عن نافع ومنسوبة إلى أبى جعفر المدنى وإلى الأعرج ١ . هـ من المصباح وقد يقال إن معاش ليس كصحائف لأن المد فيه زائد وفى معيشة أصلى لأن أصلها معيشة كمكرمة أو معيشة كمنزلة أو معيشة كمتربة فالياء أصلية على كل حال . لكن أقول القراءة سنة متبعة وإن خالفت قواعد أهل النحو . والله أعلم
 (٤) قاسمهما من المُقَاسمة وهى مفاعلة تقتضى المشاركة فى الفعل فتقسم لصاحبك ويقسم لك ، وأما هنا فمعنى " وقاسمهما " أقسم لهما لأن اليمين لم يشاركاه فيها . وفاعلٌ قد يأتى بمعنى أفعَل نحو باعدت الشيء وأبعدته .

﴿ وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ ﴾ : أى جعلاً وهو من أفعال الشروع تقول : طَفِقَ وَطَفَقَ بالكسر والفتح، ويخصفان : يلزقان الورق بعضه ببعض ليسترا به السوءة .

﴿ وَرِيْشًا ﴾ : الريش^(١) والرياش بمعنى وهو اللباسُ الفاخر - ويُقال الريش والرياش المال والخصب .

﴿ هُوَ وَقَبِيلُهُ ﴾ : أى جماعته وجنوده .

﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ ﴾ : الزينة ما يُتَزَيَّنُ به من الثياب والمراكب وغيرها وقيل المراد ستر العورة^(٢) .

﴿ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ : السم : الثقب الذى فى أسفل المَخِيْط . وَسَمُومُ الْإِنْسَانِ وَسِمَامُهُ : فمه ومنخره - ومسام الجسد : ثُقْبُهُ وذَهَبَ بعضهم إلى تثليث السَّم - وكذا^(٣) القاتل - والخياط والمخيْط واحد .

﴿ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ : المهاد : الفراش^(٤) - ومهد الصبى : ما يستقر عليه

* ومن الغريب

"فدلّاهما" لهذه الكلمة أصلان . أحدها : أن الرجل يدلى دلوّه فى البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء وضعت التدلية موضع الطمع فيما لافائدة فيه فيقال دلّاه أى : أطمعه . الثانى جرّاهما على الأكل من الشجرة ، والأصل فيه دلّاهما من الدلالة وهى الجراءة . فأبدل من المضاعف حرف علة كما قالوا تظنّيت وأصله تظنّنت .

(١) فى المعنى الريش والرياش أقوال منها أنه اللباس والعيش والنعيم قاله ابن عباس - الثانى : أنه الجمال والزينة - قاله ابن زيد - الثالث : أنه المال - قاله ابن الزبير ومجاهد .

(٢) قوله "خذوا زينتكم" فيه أربعة أقاويل أحدها : أن ذلك وارد فى ستر العورة فى الطواف . قال البيضاوى وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة والثانى : أنه وارد فى التزين بأجمل اللباس فى الجمع والأعياد .

(٣) أقول الأول هو الصحيح وقد ورد فى بعض كتب التفسير أن المراد بسَمِّ الخياط هو السم القاتل الداخلى فى مسام الجسد أى ثقبه .

(٤) قال الحسن : مهادٌ أى فراش من نار ، والمهاد : الوطاء ، ومنه أخذ مهد الصبى .

والغواشى : الأغطية^(١) من فوقهم بمنزلة اللُّحْف - وقيل ظُلِّل من الغمامة لقوله تعالى ﴿مَنْ فَوْقَهُمْ ظِلُّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ﴾ {الزمر - ١٦} . . . الآية .

﴿مَنْ غَلٍ﴾ : الغل : الحقد .

﴿وَيَغُونَهَا عِوَجًا﴾ : أى أعوجاجاً (بكسر العين) الاسم ، (وبالفتح) المصدر والمعنى بإيراد الشكوك والشُّبه على المؤمنين .

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ : الأعراف^(٢) : جبال بين الجنة والنار - وقيل أعالي السور وأعالي كل شئ : أعرافه - والعُرف : ما ارتفع من الأرض .

﴿كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ : السِما مقصور^(٣) من الواو : العلامة

وفيه ثلاث لغات السِّما ، والسِماء ، والسِمياء .

(١) وفى معنى الغواشى ثلاثة أقوال : اللحف ، اللباس ، الظلل قاله الحسن . الماوردى (ج ٢ ص ٢٢٣) .

(٢) أما الأعراف فسور بين الجنة والنار قاله مجاهد والسدى وهو جمع واحده عُرف وهو ما ارتفع عن غيره ، ومنه عرف الديك وعرف الفرس .

وفى الذين على الأعراف خمسة أقاويل أحدها : أنهم فضلاء المؤمنين وعلمائهم قاله الحسن ومجاهد .

والثانى : أنهم ملائكة يُرَوْنَ فى صور الرجال - وهذا القول لا معنى له وهو عن أبى مجلز .

والثالث : أنهم قوم بَطَّأت بهم صفائهم إلى آخر الناس ، قاله حذيفة .

والرابع : أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فجعلوا هنالك حتى يقضى الله من أمرهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة قاله ابن مسعود وهو المختار .

والخامس : أنهم قوم قتلوا فى سبيل الله وكانوا عصاة لأبائهم قيل أنهم غزوا بغير إذنتهم .

(٣) اختلف فى اشتقاق "سيما" فقال ابن منظور يأوها فى الأصل واو - ولذلك أوردها فى مادة

"سوم" وقال ابن عطية والسيما : العلامة وهو من وسم وفيه قلب يقال سيما مقصور - والمعنى

والله أعلم أى يعرفون بعلامتهم وهى بياض الوجوه وحُسْنُها فى أهل الجنة ، وسوادها وقبحها

فى أهل النار (ج ٢ ص ٤٠٥) المحرر الوجيز لابن عطية .

﴿ تَلَقَّاءَ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ ^(١) : أى مواجهة أصحاب النار قبل الدخول وتقول :
 جلس تلقاء أى حذاء - والتلقاء مصدر كالبيان وهو من المصادر التى جاءت على
 تفعال . وقيل مشتقٌ من التلقى وقيل مصدر مثل اللقاء ^(٢) .

﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ : أى يُغَطِّي الليلَ بنور النهار ويغطى النهار بظلمة الليل
 فاكتمى بالأول .

﴿ حَيْثَا ﴾ : أى سريعاً ﴿ مسخرات بأمره ﴾ ^(٣) مذلات بأمره .
 ﴿ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ ^(٤) : يُقَالُ رِيحٌ نُشُورٌ ^(٥) ورياح نُشْرٌ وهى التى تسوق
 الغيث .

﴿ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ ﴾ ^(٦) : حملت فى الفلك - يطلق على المفرد وعلى الجمع والمراد
 السفينة .

* ومعنى يعرفون كلا بسيماهم ، قال الحسن : علامة أهل النار سواد الوجوه وزرقة العيون ،
 وعلامة أهل الجنة بياض الوجوه وحسن العيون (ج ٢ ص ٢٢٦) الماوردى .

(١) يستعمل تلقاء ظرف مكان كما هنا ويستعمل مصدراً كالبيان ولم يجرى من المصادر على التفعال
 بالكسر غير التلقاء والبيان والزلال .

(٢) قال الجوهري والتلقاء أيضا مصدر مثل اللقاء - لسان العرب (ج ١٢ ص ٣١٨) .

* يطلبه : يَعْقبُهُ سريعاً كالتألب له لا يفصل بينهما شئ .

(٣) قوله مذلات : أى لما يراد منها من طلوع وغروب ومسير ورجوع .

(٤) هكذا بالأصل وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وقرأ نُشْرًا حمزة والكسائى وخلف وقرأ
 نُشْرًا ابن عامر - وعاصم بُشْرًا .

(٥) قال ابن عطية وأما نُشْرًا بضم النون والشين فيحتمل أن يكون جمع ناشر على النسب أى ذاتُ
 نشر من الطي أو نشور من الحياة - وأما قوله نُشْرٌ فهو مثل شاهد وشُهد ونازل ونُزل . وأما
 قراءة ابن عامر فهو تخفيف للشين فحسب - ويحتمل أن يكون النشر بمعنى الاحياء .

(٦) حقيقة أقلت وجده قليلا ثم استعمل بمعنى حملة لأن الحامل يستقل ما يحمله ومنه المُقل بمعنى
 الحامل - واشتقاق الإقلال من القلة فإن من يرفع شيئاً يراه قليلا .

﴿ فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ ﴾ : الجثوم فى الأصل للطائر وهو تَلْبَدُهُ فى الأرض^(١) -
يقال: جثم : يَجْثُمُ وَيَجْثُمُ جَثْماً .
﴿ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾^(٢) : أى الباقين، والغابر: الماضى أيضاً وهو من الأضداد
لأنه يُطْلَقُ على الباقي .
﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ : أى لتصيرُنَّ^(٣) .

(١) قوله تلبده فى الأرض أى قعوده وفى المفردات جثم : استعارة للمقيمين من قولهم : جثم
الطائر إذا قعد ولطئ بالأرض - والجثمان : شخص الإنسان قاعداً ص(٨٨) وعند الجلالين :
جائمين : باركين على الركب ميتين . وفى القاموس - جثم : لزم مكانه ولم يبرح أو وقع على
صدره . وهو من بابى دخل ، جلس .
* قوله لا يخرج إلا نكدا : أى عسرا بمشقة وهو من باب تَعَبَ - وفى القاموس من باب فَرِحَ -
ونكد عيشهم اشتد وعسر .

(٢) وفى المصباح غبر غبوراً من باب قعد بمعنى بَقِيَ وقال الزبيدي غبر غبوراً : مكث
كلمات غريبة لم يتعرض لشرحها المؤلف

١- حتى عَفَوْا : أى كثروا وتناسلوا - قال مجاهد "كثرت أموالهم وأولادهم" .
٢- أو لم يَهْدِ للذين يرثون الآية قال ابن عباس يَهْدُ - يُبَيِّنُ وهكذا قوله ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ -
{فصلت: ١٧} أى : بَيَّنَّا لَهُمْ طريق الهدى - والفاعل إما يعود على الله أو يكون ضميراً عائداً
على ما يُفْهَمُ من سياق الكلام السابق "أولم يهد ما جرى للأمم السابقة أهل القرى وغيرهم" .
(٣) لتعودُنَّ : لترجعُنَّ أو لتصيرُنَّ كما ذكر المؤلف وعاد تَجَيَّء فى كلام العرب على وجهين أحدهما
أعاد الشيء إلى حال قد كان فيها قبل ذلك وهى على هذه الجهة لا تتعدى فإن عُدِّيَتْ فبحرفٍ
ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لَمَا نَهَوْنَا عَنْهُ ﴾ {الأنعام: ٢٨} والوجه الثانى أن تكون بمعنى صار
وعاملة عملها ولا تتضمن أن الحال قد كانت متقدمة ومنه قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾
{يس: ٣٩} على أَنَّ هذه محتملة فقوله فى الآية ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ ﴾ وشعيب عليه السلام لم يكن كافراً
قط يقتضى أنها بمعنى صار وأما فى جهة المؤمنين بعد كفرهم فيترتب المعنى الآخر ويخرج عنه
شعيب إلا أن يريدوا عودته إلى حال سكوته قبل أن يُبْعَثَ .

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ : أى يقيموا^(١) من المغانى .

﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ : أحزن .

﴿أَرْجِيهِ وَأَخَاهُ﴾ : أى أَخْرَهُ، والارجاء : التأخير تقول أرجأت^(٢) وأرجيت يُهمر ولا يهمر فإذا وصفت الرجل به قلت : مُرَجٍ وقومهُ مرجية .
وإذا نسبت قلت مُرَجِيٌّ بالتشديد .

﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ : أى : جامعين لك الناس من الحشر وهو الجمع
تقول : حشر يحشر ويحشر، واسم المكان المحشر (بكسر الشين) .

﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾ : نَقَمْتُ عَلَى الرجل أَنْقَمَ بالكسر إِذَا عِبْتُ عَلَيْهِ - وقال
الكسائي : نَقِمْتُ (بالكسر) لغة - ونَقِمْتُ الأَمْرَ إِذَا كَرِهْتَهُ وَانْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ أَيْ عَاقَبَهُ -
والاسم منه النَّقْمَةُ ويجوز أن تقول نِقْمَةً .

﴿مَهْمَا تَأْتَانِي بِهِ﴾ : اسم تضمن معنى الشرط وذلك لِعَوْدِ الضمير إليه فى قوله به
قيل أصله^(٣) ماما قلبت الألفُ همزة ثم هاء وقيل أصله مَهْ أَيْ كُفَّ عَمَّا تقول ثم

(١) أى كأن لم يقيموا ناعمى البال رخي العيش فى دارهم وغنيت بالمكان إنما يقال فى الإقامة التى
هى مقترنة بتنعم وعيش رخي - وقال ابن عباس "كأن لم يعمروا" وقال قتادة "كأن لم ينعمو"
وقال الأخفش "كأن لم يعيشوا" وقال قتيبة "كأن لم يقيموا" وقال الزجاج "كأن لم ينزلوا"
وقال قتادة وابن زيد ومقاتل "كأن لم يكونوا" . (ج ٤ ص ٣٤٨) البحر .

(٢) قرأ أبو عمرو أرجته بدون صلة - وابن كثير وهشام بالصلة - والجمهور على عدم الهمز وقراءة
الهمز من الارجاء بمعنى التأخير أما قراءة ترك الهمز فقليل : أطعمه جعله من رجوت أدخل عليه
همزة الفعل أى أطعمه وأخاه ولا تقتلها حتى يظهر كذبهما . أو احبسها .

(٣) قال ابن عطية مهما أصلها عند الخليل "ماما" فبدلت الألف الأولى هاء . وقال سيبويه هى
"مه ما" خلطتا وهى حرف واحد . وقال غيره : معناه "مه ، وما" جزاء قاله الزجاج -
(ج ٢ ص ٤٤٣) المحرر الوجيز .

وفى اللسان ومهما : حرف شرط قال سيبويه أرادوا ماما فكرهوا أن يعيدوا لفظا واحداً فأبدلوا =

استأنف فقال ماتأتنا به فما وحدها للشرط ، ويؤيده قراءة الكسائي من الوقف على مَهْ والابتداء بما تأتنا - وقيل مهما حرف بمنزلة حتى وليس بمركب .

﴿وَالْقَمْلُ﴾^(١) : هو صغار الجراد المُسمَّى بالدُّبَّا لا أجنحة له، وقيل نوعٌ من القُرَاد وهو القمقام يَرْكَبُ البعير عند الهُزال، وقيل السوس، وقيل البرغوث، وقيل : القمل، وقيل دواب سود صغار.

﴿مُتَبَرِّمًا هُمْ فِيهِ﴾^(٢) : أى مُكَسَّرٌ مُهْلِكٌ من التبار ومادته من كسر التبر من المعدن.

﴿مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ : المِيقَاتُ : اسم للزمان الذى يوقت فيه الفعل أو المكان الذى يوقتُ فيه الفعل ، وأصله مِوَقَات ، قلبت الواو كسرة على القاعدة.

﴿سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ : السبيل : الطريق يذكر ويؤنث وهو فى هذه الآية مذكر وفى غيرها مؤنث "قل هذه سبيلي" .

= هاء من الألف الذى كون فى الأول ليختلط اللفظ فى الأولى هى ما الجزء وما الثانية هى التى تزداد تأكيداً للجزء والدليل على ذلك أنه ليس شَيْئٌ من حروف الجزء إلا وما تزداد فيه وقال بعضهم : جائز أن يكون مَهْ بمعنى الكف كما تقول مَهْ أى اكفف وتكون ما الثانية للشرط والجزء كأنهم قالوا اكفف ما تأتنا به من آية والقول الأول هو القول . (ج ١٣ ص ٢١٣).

(١) وفى اللسان والقَمْلُ : صغار الذرِّ والدَّبَى . وقيل : هو الدَّبَى الذى لا أجنحة له قال عكرمة فى الآية - القَمْلُ : الجنادب وهى الصغار من الجراد واحدها قُمَّلَة وقيل القمل دواب صغار من جنس القِرْدان إلا أنها صغار منها ، واحدها قُمَّلَة تركبُ البعير عند الهُزال ١. هـ بتصرف (ج ١١ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨) .

(٢) مُتَبَرِّمٌ : مُكَسَّرٌ مُهْلِكٌ - غريب القرآن للسجستاني ص (٤٢٣).

وفى المفردات مادة تبر - التَّبَرُّ : الكسْرُ والاهلاك وفى المفردات فيه ثلاثة أوجه : أحدها : باطل ، قاله الكلبي - والثانى ضلال ، حكان أبو اليسع ، الثالث : مُهْلِكٌ ومنه التبر .

﴿لَهُ خَوَارٌ﴾ : أى صَوْت وهو فى الأصل للبقر - وخار الحَرْ ، والرَّجْل خورة

(١) : ضَعْف والكسر ، والاستخارة : يُقال أنها من رفع الصوت بالخوار ، والظاهر أنها من طلب الخيرة .

﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ (٢) : كناية عن الندم والقلب محل الندم وانما أُسند إلى

اليد مجاز كما أسندوا الملك والمحسوب والمكروه إليها فيقولون فى يده ملكه ، وفى يده محبوبه ومكروهه ، وقيل وقع البلاء فى أيديهم أى وجدوه وجدان ما يقع فى الكف ، وقيل من ندم وضع يده على رأسه - ويحتمل أن الإنسان إذا حزبه أمر عظيم مسح كفه بكفه (٣) وحولق - وقرئ فى الغريب سقط بفتحتين كأنه أضمر الندم وأجازها الأخفش ومنع أبو عمرو أسقط بالآلف وجوزّه الأخفش وقال أبو عبيدة وتعلب لا يجوز أسقط بالآلف .

﴿وَعَزَّوْهُ وَنَصَّوْهُ﴾ : أى وَقَّرُوهُ - ولفظ (٤) التعزير مشترك يُطلق على التعظيم

(١) الذى فى اللسان - خار الرجل والحريخور خُوراً ، وخَوَّرَ خَوَّراً وخَوَّرَ : ضَعْف وانكسر ، ورجل خَوَّار: ضعيف (ج٤ ص٢٤٢).

(٢) وفى اللسان سَقَطَ فى يد الرجل : رَلَّ وأخطأ ، وقيل : نَدِمَ - قال الزجاج يقال للرجل النادم على ما فعل الحَسِرَ على ما فرط منه قد سَقَطَ فى يده وأَسَقَطَ وقال أبو عمرو: لا يُقال له أسقط بالآلف على ما لم يُسَمِّ فاعله - قال الفارسي فى قوله "ولما سقط فى أيديهم" ضربوا بأكفهم على أكفهم من الندم ، فإن صح ذلك فهو إذاً من السقوط : وقد قُرئ : سقط فى أيديهم : كأنه أضمر الندم أى سقط الندم فى أيديهم ، كما تقول لمن يحصل على شئ وإن كان مما لا يكون فى اليد : قد حصل فى يده من هذا مكروه ، فشَبَّه ما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويُرَى بالعين - اللسان (ج٦ ص٢٩٥).

(٣) هكذا بالأصل والصحيح "حوَّل" إذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله (على ما لم يسم فاعله).

(٤) قوله والتعزير لفظ مشترك . . . الخ وهذا صحيح غير أن أصل المادة واحد فالتعزير : النَّصْرَة مع التعظيم - والتعزير : ضربٌ دون الحد - وذلك يرجع إلى الأول فإن ذلك تأديب =

والنصرة والإهانة .

﴿فَانْبَجَسَتْ﴾^(١) : أى انفجرت . تقول بَجَسْتُ الماء فانبجس ، وبجس الماء بنفسه يَنْبَجِسُ يتعدى ولا يتعدى .

﴿الْأُمِّيَّ﴾^(٢) : الذى لا يقرأ ولا يكتب ، قيل : منسوبٌ إلى أمّه كما ولدته أمّه وقيل منسوب إلى أم القرى مكة ، وقيل إلى أمته فيقال أمّى فحذفت التاء .

﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾^(٣) : أى مقيمة عند البحر والحاضر : المقيم - والحاضر : خلاف البادى والحاضر : الحى العظيم - يُقال : حاضرتى .

﴿شُرْعاً﴾^(٤) : أى رافعات رؤسها كشراع السفينة لأنهم يقولون للبعير إذا رفع

= والتأديب نُصْرَةٌ مآ - لكن الأول نُصرة بقمع ما يَصُرُّه عنه ، والثانى : نُصْرَةٌ بقمعه عما يَصُرُّه . فمن قمعته عما يَصُرُّه فقد نصرته - مستفاد من المفردات ص (٣٣٣) بتصرف .

(١) يقال بَجَسَ الماء وانبجس : انفجر - لكن الانبجاس أكثر ما يُقال فيما يخرج من شئٍ ضيقٍ ، والانفجار يُستعمل فيه وفيما يخرج من شئٍ واسع - المفردات ص (٣٧) .

(٢) وفى الماوردى - وفى تسميته بالأمى ثلاثة أقاويل . أحدها : أنه لا يكتب ، الثانى : لأنه من أم القرى وهى مكة - الثالث : لأن من العرب أمّ أمية .

أقول والصحيح الأول ووصفه بالأمى ليس قدحاً فيه ولكن تنبيهاً على أن كمال علمه مع كونه أمياً هى إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم . وقال الراغب قيل منسوب إلى الأمة الذين لم يكتبوا لكونه على عادتهم كقولك عامى لكونه على عادة العامة وقيل سُمى بذلك لأنه لم يكن يكتب ولا يقرأ من كتاب وذلك فضيلةٌ له لاستغائه بحفظه واعتماده على ضمان الله منه بقوله "سنقرئك فلا تنسى" ١ - هـ ص (٢٤) .

(٣) قال الجلال حاضرة البحر : مجاورة بحر القلزم وهى أيلة .

قلت : وبحر القلزم هو الاسم القديم للبحر الأحمر ، وأيلة هى مدينة العقبة الأردنية .

(٤) ﴿شُرْعاً﴾ : أى تأتيهم ظاهرة على وجه الماء قرية من الساحل - قال ابن عباس أى طافية على الماء ظاهرة - ومنه شوارع البلد لظهورها . وقال العوفى : تأتيهم من كل مكان .

وقال الحسن : أنها شرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض رافعة رؤوسها .

رأسه رفع شراعه .

﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾^(١) : أى شديد .

﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾^(٢) : أى استمروا على عدم قبول الموعظة لأن العتو الاستمرار على

الفساد - تقول : عتا يعتو عتوا وعتيا .

﴿وَإِذْ تَأْذَنُ رَبُّكَ﴾ : أى أعلم - وتأذن الأميرُ فى الناس أى : أعلمهم ونادى

فيهم^(٣) .

﴿مَنْ يَسُومُهُمْ﴾^(٤) : تقول سُمْتُه خَسَفًا إذا أوليته إياه^(٥) وأصل السوم الذهاب

(١) بئس - هكذا رسمت وهى على قراءة نافع وأبى جعفر - وقرأ ابن عامر بئس وأما شعبه فقرا بئس - والباء فى بئس هى للتعددية وبئس على وزن فَعِيلٍ مِنْ بؤس - يبؤس بؤساً إذا اشتد - وأما قراءة شعبه فعلى وزن فَعِيلٍ كضَيْعَمَ - وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على أن أصله بئس كحذِرٍ فخففت عينه بنقل حركتها إلى الفاء - ونافع وأبو جعفر "بئس" على قلب الهمزة ياء كما قلبت فى ذيب . أو على أنه فعل الذم وُصف به فجعل اسماً .

(٢) جاء فى كتب التفسير عتوا : تكبروا وفى غريب السجستانى . أى تكبروا وتجبروا ، والعتاى : الشديد الدخول فى الفساد ، المتمرد الذى لا يقبل موعظة . قال الراغب : العتو : النبو عن الطاعة - يقال عتا يعتو عتوا وعتيا ومنه قوله ﴿من الكبر عتياً﴾ أى حالة لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها .

(٣) قوله ونادى فيهم إشارة إلى ما قاله الزجاج معنى تأذن : نادى وأقسم - قال البيضاوى أعلم أو عزم لأن العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله فأجرى مجرى فعل القسم "كعلم الله" ، "شهد الله" ولذلك أجيب بجوابه وهو "ليبعثن" ١ هـ . وقيل إن معناه حتم وأوجب .

(٤) وفى اللسان - سامه الأمر سوماً : كلفه إياه وقال الزجاج أولاه إياه ، وأكثر ما يستعمل فى العذاب والشر والظلم . وقال أبو اسحاق : يسومونكم : يولونكم - قال الليثى : السوم : أن تُجسَّم إنساناً مشقة أو سوءاً أو ظلماً - وسُمْتُه خَسَفًا أى أوليته إياه وأردته عليه ويقال سُمْتُه حاجة أى كلفته إياه - وسامت الراعية والماشية والغنم سوماً رعت حيث شاءت ، فهى سائمة - أسَمْتُها : أخرجتها إلى الرعى ومنه قوله تعالى ﴿فيه تسيمون﴾ والسائم : الذاهب على وجهه حيث شاء .

(٥) قوله ومنه السوم فى البيع - أقول المساومة : المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة وفصل =

والابتغاء فى أمر ومنه السائمة ، ومنه السوم فى البيع .

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ : الخلف والخلف : مجاء (١) بَعْدُ - يُقَالُ : خَلَفُ سَوْءٌ ، وَخَلَفَ صَدَقٌ .

قال الاخفش : هما (٢) سواء - منهم مَنْ يُحَرِّكُ ومنهم مَنْ يُسَكِّنُ إذا أضاف والخلف بالضم : الاسم من الإخلاف .

﴿ نَتَقْنَا الْجَبَلَ ﴾ : التتق : الزعزعة (٣) والنقض - تقول نتقته أنتقته بالضم نتقاً والمعنى زعزعناه .

﴿ فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ (٤) : أى خرج منها كما يَنْسَلِخُ الجلد من جسم الشاة .

= ثمنها ، ويقال سُمْتُ فلاناً سلعتى سَوْماً إذا قلتُ أناخذها بكذا من الثمن ؟

(١) الخَلَفُ : القرن يأتى بعد القرن وكذلك يُقال للمتأخر لقصور منزلته - أو - بدل سوء وقال ثعلب : الناس كلهم يقولون خلف صدق للصالح وخلف سوء للطالح وعن الفراء الخلف يذهب به إلى الذم والخلف خلف صالح .

(٢) والذى فى اللسان أن قائل ذلك هو شمر - انظر اللسان (ج٤ ص١٨٣) - والبيضاوى والبحر المحيط (ج٤ ص٤١٣) - والمفردات .

(٣) بعد البحث والاطلاع فى كتب الغريب واللغة وجدنا صاحب تنوير القلوب : قال زعزعناه فاستخرجناه من مكانه أى رفعنا الجبل فوقهم - وأما ابن منظور قال : التتق : الزعزعة والهز والجذب والنقض - ونتق الشئ : يَنْتَقُهُ وَيَنْتَقُهُ ، بالضم : جذبه واقتلعه وفى التنزيل ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ أى زعزعناه ورفعناه - اللسان (ج١٤ ص٣٥) .

وفى الماوردى : قال ابن قتيبة زعزعناه - وفى البحر الستق : الجذب بشدة وفسره بعضهم بغايته وهو القلع ١ . هـ أى اقتلعناه من أصله فجعلناه كالمظلة على رؤوسهم .

(٤) إما أن يراد بالانسلاخ الخروج من الطاعة إلى المعصية - أو فانسلخ من العلم بها لأنه سِيلَب ما أوتى منها بالمعصية - الماوردى (ج٢ ص٢٨٠) .

﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ : أى ركن إليها وأقام^(١).

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾^(٢) : أى خلقنا ، ومنه الذرية لأنّ العرب تركت همزها وهى نسل الثقلين .

﴿أَيَّانَ مَرَسَاهَا﴾ : أى - أى وقت يقع استقرارها - ويجوز فى أيان^(٣) كسر الهمزة وتختص بالسؤال عن الزمن المستقبل وهى عند الكوفيين أصلها أى أوانٍ وليس بفعال^(٤) من آن . ومرساها : استقرارها - والارساء : استقرار^(٥) الشئ الثقيل .

﴿لَا يُجْلِيهَا لَوْفَتَهَا﴾ : أى لا يظهر خفاياها^(٦) إلا هو .

﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ : أى عالمٌ بها^(٧) - والحفيُّ العالم بالشئ الذى علمه

(١) خلد بالمكان خلوداً من باب قعد : أقام - وأخلد بالالف مثله - وخلد إلى كذا وأخلد إليه : ركن - المصباح . وعند البيضاوى : مال إلى الدنيا أو إلى السفالة . قال ابن عباس : مال إلى السفاهة والردالة كما يُقال فلان فى الحضيض .

(٢) قال الراغب الذرُّ : اظهار الله تعالى ما أبداه - يقال ذرأ الله الخلق أى أوجد أشخاصهم .

(٣) قرأ السلمي إيان بكسر الهمزة .

(٤) نقول هذا مذهب أهل الكوفة - وقال أبو الفتح وزن أيان فعلان - والنون رائدة .

(٥) الرسو إثبات الشئ الثقيل - ومنه رسا الجبل - والمرسى : المكان الذى ترسو فيه السفينة ومرساها : قيامها قاله السدى - أو متهاها قاله ابن عباس أو ظهورها : قاله الأخفش .

كلمات لم يتعرض لشرحها المؤلف

* ثقلت فى السموات والأرض : ثَقُلَ - يقال ثقل القول إذا لم يطبّ سماعه أو بمعنى عَظُمَت على أهلها من الملائكة والثقلين لهولها - كل منهم أهمةٌ خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول .

(٦) لا يظهرها ويكشفها لوقتها الذى قُدِّر أن تكون فيه إلا هو .

(٧) عالم بها هو قول مجاهد والضحاك وابن زيد ومعمر . وأما ابن عباس فقال معنى الكلام يسألونك عنها كأنك حفى بهم ، على التقديم والتأخير . أى كان بينك وبينهم مودة توجب برهم - من قوله ﴿إِنَّهُ كَانَ بَى حَفِيًّا﴾ النكت (ج ١ ص ٢٨٥) .

باستقصاء .

﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾^(١) : أى ما سهل قصده وتناوله . وقيل معناه : تعاظم العفو مع

الناس .

﴿ وَإِذَا يَنْزَعْنِكَ ﴾ : نَزَعَ الشيطان يَنْزَعُ نَزْعًا : أفسد^(٢) وأغرى .

﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ ﴾ : الطيف : ما يتخيله الإنسان بعقله أو ما يراه

فى منامه - يُقال منه طاف الخيال يطيف طيفاً ومطافاً - وطاف الرجل يطوف طوفاً وطوافاً إذا أقبل وأدبر - ويجوز أن يكون من طاف الرجل فيكون طيفاً لكنه خفف مثل ميت - وطيف الشيطان - لمه ووسوسته .

قال الشاعر^(٣)

أنى ألم بك الخيال يطيفُ ومطافُهُ لك ذِكْرُهُ وشُعُوفُ

(١) فيه ثلاثة أقاويل - الأول : العفو من أخلاق الناس وأعمالهم - الثانى : خذ العفو من أموال المسلمين وهذا قبل فرض الزكاة ثم نسخ بها - الثالث : خذ العفو من المشركين ، وهذا قبل فرض الجهاد .

والراجح عندى : خذ اليسير من أخلاق الرجال

قال ابن سعدى هذه الآية جامعة ، لحسن الخلق مع الناس ، وما ينبغى فى معاملتهم . فالذى ينبغى أن يعامل به الناس ، أن يأخذ العفو ، أى ما سمحت به أنفسهم ، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق . فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم ، بل يشكر من كل أحد ، ما قابله به ، من قول ، وفعل جميل ، أو ما هو دون ذلك ، ويتجاوز عن تقصيرهم - ويغض الطرف عن نقصهم ولا يتكبر على الصغير لصغره ، ولا ناقص العقل لنقصه ، ولا الفقير لفقره . بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتشرح له صدورهم ١ هـ (ج ٣ ص ١٣٤) تيسير الكريم الرحمن .

(٢) النزغ : الدخول فى أمر لافساده - قاله الراغب - والمعنى فى أى وقت وفى أى حال تحس من الشيطان بوسوسة أو تشييط عن الخير أو حث على الشر وإيعاز به فالجأ إلى الله واعتصم به واحتم بحماه .

(٣) الشاعر هو كعب بن زهير .

وقيل المراد ها هنا بطيف الشيطان ما ينالهم من غضب يُخِيلُ لهم أنهم جُنُّوا قال (١)
"فإذا بها وأبيك طيفُ جنون" وقرئ طيف (٢) وطائف وهما بمعنى واحد (٣).

﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ : لولا بمعنى هلاً للتخصيض ومعناه جمعتها (٤) لأن الاجتباء
الجمع تقول جببت الماء فى الحوض إذا جمعته وانما قالوا له هلاً جمعتها تعريضاً منهم
بأنه يخترع الآيات وليست من الله تعالى - والاجتباء : الاصطفاء .

﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ : الغُدوة والغداة أول النهار - تقول غدوتُ أغدو غدا -
والآصال : أواخر النهار وهى العشايا تقول للعشية أصيل وأصيلة فجمع الأصل أصلاً
وآصال

وجمع الأصيلة : أصائل . والله تعالى أعلم .

(١) البيت لأبى العيال الهذلى .

(٢) قرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائى "طيفٌ" والطيفُ : الخيال - والمس من الشيطان - والطيفُ
: الجنون ثم استعمل فى الغضب ومسّ الشيطان وفى معنى الطيف أقوال منها : اللمم كالخيال
يلم بالإنسان - والثانى : الوسوسة والثالث : الغضب - والرابع : أنه الفزع .

(٣) وذهب قوم إلى أن الطيف والطائف بمعنى واحد - وقال آخرون الطيف : اللمم - والطائف كل
شئ طاف بالإنسان . والمعنى والله أعلم "إذا ألم بالمؤمنين شئ من الشيطان من غضب وغيره
مما يصد عن واجب حق الله عليهم تذكروا عقاب الله وثوابه ووعدته ووعيدته وأبصروا الحق
فعملوا به وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم وتركوا فيه طاعة الشيطان" .

(٤) فى معنى الاجتباء أقوال منها : هلا أتيتنا بها من قبل نفسك . والثانى : هلا اخترتها لنفسك .
والثالث : هلا تقبلتها * من ربك قاله ابن عباس والمؤلف أخذ بقول الزمخشري حيث قال
"اجتبي الشئ : بمعنى جباه لنفسه أى : جمعه" - ولم أتق على هذا المعنى فى غيره من كتب
أهل العلم . فليتبّه .

* هكذا وردت فى النكت والعيون وأما فى البحر المحيط "هلا تلقيتها" وكذلك ورد فى المحرر
الوجيز لابن عطية .

الغريب

* لا يُقْصِرُونَ : لا يكفون عنه .

* وإذا لم تأتهم بآية : أى إذا تباطأت عليهم بظهور الخوارق على يديك .

* بصائر : حجج وأصل البصيرة : ظهور الشئ واستحكامه حتى يبصره الإنسان فيهتدى به .

فأطلق على القرآن لفظ البصيرة تسمية للسبب باسم المسبب .

* واذكر ربك فى نفسك : أى سرّاً وفيه أوجه أنه ذكر القراءة فى الصلاة خلف الامام سرا فى

نفسه - والثانى : أنه ذكر بالقلب باستدامة الفكر حتى لا ينسى نعم الله .

* تضرعاً : تذللاً وتواضعاً وخشوعاً .

* خيفة : مخافة وخوفاً منه - وأصل خيفة خَوْفٌ فوقعت الواو ساكنة إثر كسرة فقلبت ياء فهو

واوى من الخوف . والله تعالى أعلم

سورة الأنفال

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الأنفال - النفل : الغنيمة بعينها ، لكن اختلفت العبارة عنها . فإذا اعتبر بكونه مظفوراً به يقال له " غنيمة " وإذا اعتبر بكونه منحة من الله تعالى يقال له " نَفْلٌ " ومنهم مَنْ فَرَّقَ بينهما من حيث العموم والخصوص فقال : الغنيمة ما حصل مستغنا بتعب كان أو عن استحقاق وقبل الظفر أو بعده . والنفل ما حصل للمسلمين بغير قتال وهو الفئ ، وقيل هو ما يفضل من المتاع ونحوه بعدما يقسم الغنائم وعلى ذلك حمل قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ .

وأصل^(١) ذلك من النفل والزيادة على الواجب ، ويقال له النافلة ، ويُطلق ذلك على ولد الولد^(٢) ، وتقول : نفلته كذا ، إذا أعطيته نفلا ونفله السلطان ، أعطاه سلب قتيله نفلا ، والنوفل : الكثير العطاء ، والنوفل : البحر ونوفل : اسم رجل - والنوفلة^(٣) : المملحة ، والسؤال على وجهين ، سؤال استعمال وسؤال الطلب ، وهو هاهنا استعمال لأنه عُدِّي بِعَنْ وقيل عن هاهنا مزيدة والسؤال للطلب ، وقيل عن بمعنى من ، وفي الغريب عن ابن مسعود وجماعة " يسألونك عن الأنفال " من غير عن ، سأله الغنيمة دون الاستفتاء فيها .

﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أى راعوا الأحوال^(٤) التى تجمعكم من القرابة والوصلة

(١) قوله وأصل ذلك . . . الخ جاء فى اللسان قال أبو منصور وجماع معنى النفل والنافلة ما كان زيادة على الأصل ، سميت الغنائم أنفالا لأن المسلمين فُضِّلُوا بها على سائر الأمم الذين لم تحل لهم الغنائم .

(٢) والنافلة : ولد الولد ، وهو من ذلك لأن الأصل كان الولد فصار ولد الولد زيادة على الأصل قال الله تعالى ﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة﴾ .

(٣) هكذا بالأصل والصحيح كما ورد باللسان : الممّحلة - وفى التهذيب المملحة قال أبو منصور : لا أعرف النوفلة بهذا المعنى .

(٤) وعند البيضاوى " ويسألونك الأنفال أى يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله فى الاختلاف =

لأنّ ذات تأنيث ذو وهو بمعنى صاحب - ويأتى ذو بمعنى الذى فى لغة طىّ كقوله

ذاك خليلى وذو يواصلنى ترمى ورائى بامسهم وامسلمه

﴿ذَاتِ الشُّوْكَ﴾^(١) : أى صاحبة الشوكة ، وقيل الشوكة : شدة الحرب وكلاهما مشتق من الشوك ، واستعار أهل المعانى "الذات" فجعلوها عبارة عن عين الشئ جوهرها كان أو عرضا ، واستعملوها مفردة ومضافة إلى الضمير بالالف واللام وأجروه مجرى النفس والخاصة فقالوا ذاته ونفسه وخاصته .

﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾^(٢) : قرئ بفتح الدال وكسرها فمن فتح جعله اسم مفعول من أردف إذا جعل بعده مثله ، ومن كسر جعله اسم فاعل من أردف أو من ردّف ، والمعنى مع كل ملك ملك ، وقيل : جاءوا على آثارهم لأن الرديف خلف الراكب - وردف وأردف بمعنى .^(٣)

﴿أَمَنَةً مِنْهُ﴾^(٤) : الأمانة الأمن الحادث من النوم .

= والمشاجرة وأصلحوا ذات بينكم "الحال التى بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره إلى الله والرسول ١ هـ

وقال ابن سعدى أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابير بالتوادد والتحاب والتواصل

(١) الشوكة : البأس والسلاح - وأما غير ذات الشوكة فهى العير .

قال الراغب ويُعبّر بالشوك والشكة عن السلاح والشدة قال : "غير ذات الشوكة" .

(٢) قرأ بفتح الدال نافع وأبو جعفر ويعقوب .

(٣) قال ابن قتيبة : رادفين يقال ردفته وأردفته إذا جئت بعده

قال الراغب والمُردّف : المتقدم الذى أردف غيره

وقال ابن عباس مردفين : مع كل ملك ملك - وقال السدى وقتادة : متتابعين وقال مجاهد : مُمدّين ، والإرداف : إمداد المسلمين بهم .

شرح الغريب : تستغيثون : تستنصرون أو تستجيرون .

(٤) قال الراغب أمانة أى أمناً وقيل هى جمع كالكتبة . =

﴿زَحْفًا﴾^(١) : الدنو قليلا قليلا مأخوذ من زحف الصبى إذا جرّ أسفله يتمشى والبعير إذا أعيأ فجرّ خُفَّهُ .

﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ - فوق الأعناق : أعلاها - المراد الرؤوس والبنان جمع بنانة - والمعنى : اقطعوا أناملهم لئلا تحمل السلاح . واشتقاقها من أَيْنَ^(٢) بالمكان إذا قام وجمع القلة بنانات - استعاروا أكثر العدد لأقله فقالوا خمس بنان قانى الأظفار - وقالوا بنان مُخَضَّب : لأن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء فإن يُوحَد ويذكر .

﴿شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ : المشاققة^(٣) : المخالفة^(٣) وحقيقته أن تكون فى شق وغيرك فى شق ، وأكثر الباب من هذه المادة .

﴿مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ﴾ : أى مُنْضَمًّا إلى الفتنه ، والفتنة : الجماعة وَمَنْ ضَمَّ إلى نفسه شيئاً فقد حازه حَوْزاً وحِيازَةً واحتازه أيضا - والمحاوزة : المخالطة ، وتحوزت الحية وتحيزت أى تَلَوَّنت

= والمعنى والله أعلم واذكروا إذ يلقي عليكم النعاس وهو النوم الخفيف أمنة منه أى أماناً من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم - قال ابن مسعود - النعاس فى القتال أمنة من الله وفى الصلاة من الشيطان .

(١) قال الراغب الزحف انبعث مع جرّ الرّجل كانبعث الصبى قبل أن يمشى وكالبعير إذا أعيأ فجرّ فَرَسَنَهُ وكالعسكر إذا كثر فيعثر انبعثه .

(٢) قال الراغب البنان : الأصابع ، قيل سميت بذلك لأن بها صلاح الأحوال التى يمكن للإنسان أن يَبْنَ بها يريد أن يقيم به ويقال أَبْن بالمكان يَبْن - ولذلك خُصَّ فى قوله تعالى " واضربوا منهم كل بنان " خصّة لأجل أنهم بها تُقاتل وتُدافع ١٠ هـ ص (٦٢) .

(٣) قال ابن عطية معناه خالفوا ونابذوا وقطعوا وهوماخوذ من الشق وهو القطع والفصل بين شيئين، وهذه مفاعلة فكان الله لما شرع شرعاً وأمر بأوامر وكذبوا هم وصدوا تباعد ما بينهم وانفصل وانشق، مأخوذ من هذا لأنه مع شقه الآخر تباعدا وانفصلا ١ هـ (ج٢) المحرر الوجيز .

﴿ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ : أى مُضعف وقُرئ مُوهَنٌ ^(١) - بفتح الواو وتشديد الهاء منونة - وقُرئ مُوهن كيد الكافرين بالاضافة والتخفيف .

يقال أوهنته ووهنته ووهن فى نفسه .

﴿ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ : الفرق والفرقان : القرآن ونظيره الخسر والخسران .

﴿ إِلَّا مِكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ : المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق ، وقيل المكاء

صوتٌ يشبه صوت المكأ : وهو طائر - يقال مكأ ^(٢) يكو - وقيل : هو أن يجعل بعض أصابع اليمين وبعض أصابع الشمال فى الفم ثم يصفر فيه ، وأصل التصدية من الصدى وهو أن تسمع مثل صياحك فى الجبل وغيره .

من الأماكن التى تمنع من النفود - يُقال صَمَّ صده وأصَمَّ الله صده .

﴿ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا ﴾ ^(٣) : أى يجعله .

﴿ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ ^(٤) : رجع إلى ورائه - تقول نكص - ينكص وينكصُ

(١) مُوهِنٌ كَيْدٌ : نافع وابن كثير وأبو عمرو ، وأبو جعفر

مُوهِنٌ كَيْدٌ : حفص عن عاصم - مُوهِنٌ كَيْدٌ : ابن عامر وحمة والكسائى ويعقوب وخلف وتوجيه ذلك أن مُوهِنٌ من أوهن كأكرم .

(٢) قال الراغب مكأ الطير يكو مكاءً : صَفَر قال : ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية ﴾

١. هـ

وفى التصدية خمسة أقاويل أحدها : أنه التصفيق ، قاله ابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد وقتادة والسدى - وقال ابن بحر : انه الصدى الذى يجيب الصائح فيرد عليه مثل قوله وقيل غير ذلك - الماوردى (ج ٢ ص ٣١٥) .

(٣) قال الراغب الرُّكَّام : ما يُلقى بعضه على بعض

وقال فى اللسان ركم الشيء يركمه إذا جمعه وألقى بعضه على بعض (ج ٥ ص ٣٠٥) .

(٤) قال الراغب النكوص الاحجام عن الشيء .

وقال الجلال نكص رجع - وفى اللسان النكوص : الاحجام ، النكوص : الرجوع إلى وراء وهو القهقرى .

والنكوص : الاحجام عن الشيء .

﴿ فَشَرَّدَ بِهِمْ ﴾^(١) : طرد بهم من خلفهم من شرد البعير يَشُرُّ شُروداً - وقيل شرد بهم سَمَّعَ بهم بلغة قريش ، وعن الأعمش فى الغريب بالذال المعجمة . وليس فى اللغة على هذا التركيب شىءٌ .

﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ : المكان^(٢) المتجاوز للقُرب - والعدوة : جانب الوادى وحافته - والدنيا : تأنيث الأدنى أى الأقرب - والقُصوى : البُعدى .

والركبُ أسفلَ منكم : الركبُ : أصحابُ^(٣) الإبل دون الدواب ، وهم العشرة فما فوقها . والجمع أركب ، والركبة بالفتح أقلُّ من الركب - والأركوب بالضم أكثر من الركب - والركبان : الجماعة منهم .

(١) قال الراغب : "شرد بهم" أى اجعلهم نكالا لمن يعرضُ لك من بعدهم - وشردت فلانا فى البلاد وشردت به : أى فعلتُ به فعلةٌ تُشَرِّدُ غَيْرَهُ أن يفعل فعلةٌ كقولك نكَلْتُ به أى جعلت ما فعلتُ به نكالا لغيره ص (٢٥٨) .

وفى اللسان شَرَّدَ به : سَمَّعَ بعيوبه - وقوله عزوجل "فشرد بهم" أى فَرَّقَ وبدد جمعهم وقال القراء : يقول إن أسرتهم يا محمد فنكَلُ بهم من خلفهم مِن تحافُ نقضُ العهد لعلهم يذكرون فلا ينقضون العهد . (ج ٧ ص ٧٦) .

(٢) قال الراغب وقوله "إذ أنتم بالعدوة" أى الجانب المتجاوز للقرب ١ هـ ص (٣٢٧) وفى اللسان قال الفراء - العدوة : شاطئ الوادى الدنيا مما يلى المدينة ، والقصى مما يلى مكة قال ابن السكيت : عدوة الوادى وعدوته جانبه وحافته والجمع عدى ، وعدى وقال الجوهري والجمع عدوات .

(٣) وفى اللسان الركبُ والركبان لا يكون إلا لركاب الإبل - والركبان : أصحاب الإبل والركبان الجماعة منهم . وقال الأخفش هو جمع وهم العشرة فما فوقهم وأرى أن الركب قد يكون للخيال والإبل وفى التنزيل "والركب أسفل منكم" فقد يجوز أن يكونوا ركب خيل وأن يكونوا ركب إبل ١ هـ (ج ٥ ص ٢٩٥) .

وتذهب ريحكم : الريح^(١) : الهواء المتحرك فى الأصل ، وقد يُعبر^(٢) به عن الغلبة كهذه الآية ، وقد يجمع - كما قيل -

إذا هبت رياحك فاغتنمها فَعُقْبَى كل خافقة سَكُونُ

﴿ فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ ﴾^(٣) على سواء : نبذه ينبذه إذا طرحه - وسواء أى عَدَلُ .

﴿ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ : أريد بالقوة هنا : القوس^(٤) .

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا ﴾ : أى مالوا مأخوذ من جنوح الطائر إذا نزل إلى الأرض .

﴿ حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٥) : المعنى يُكْثِرُ القتل حتى تقع المهابة بخلاف الأسر والفداء .

(١) مادة روح من اللسان الريح : نسيم الهواء . قال الجوهري الريح واحدة الرياح وقد تجمع على أرواح لأن أصلها الواو وإنما جاءت بالياء لانكسار ما قبلها .

(٢) يُقَالُ الريح لآل فلان أى النصر والدَّوْلَةُ - نفس المصدر (ج ٥ ص ٣٥٥) .

(٣) قال الماوردي وإما تخافن من قوم خيانة يعنى فى نقض العهد - فأنبذ إليهم على سواء أى فأنقذ إليهم عهدهم حتى لا ينسبوك إلى الغدر بهم . والنبذ : الالقاء وفى قوله على سواء خمسة أوجه :

أحدها : على مهل - والثانى : على محاجة مما يفعل بهم ، والثالث : على سواء فى العلم حتى لا يسبقوك إلى فعل ما يريدونه بك - والرابع : على عَدَلُ من غير حيف والخامس : على الوسط (ج ٢ ص ٣٢٨) .

(٤) قوله القوس ورد فى معنى القوة أقوال أقواها السلاح أو الرمى والأخير هو الأقوى والأصح لما ورد من حديث عقبة بن عامر قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ، "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" ألا إن القوة الرمى : قالها ثلاثاً والحديث رواه مسلم (١٣/٦٤) وأبو داود (٢٥١٤) وابن ماجه (٢٨١٣) والحاكم (٣٢٨/٢) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .

(٥) فى الاثنان وجهان - أحدهما : هو الغلبة والاستيلاء . قاله السدى والثانى هو كثرة القتل قاله مجاهد وهو الذى اختاره المؤلف .

سورة التوبة

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾^(١) : أى برئ الله من المشركين من العهود التى كان قررها الرسول والمؤمنون وانقطعت العصمة بينهم - لأن مادته الخروج من الشئ والمفارقة له ، ومن ذلك قولك : أبرأته من مالى عليه وبرأته تبرئة ، وقيل لآخر ليلة من الشهر ليلة البراء لتبرى القمر من الشمس - ويقال : بارأته إذا فارقت - وقُرئ من الله^(٢) بكسر الميم والنون لالتقاء الساكنين

﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾^(٣) : الحج مثلث الحاء - المصدر - وبالكسر : الاسم والحج الأكبر - قيل : يوم^(٤) عرفة ، وقيل : يوم النحر - والعمرة الحج الأصغر .

(١) وفى معنى براءة وجهان - أحدهما : أنها انقطاع العصمة بينهما والثانى : أنها انقضاء عهدهما - قال ابن عطية : معناها تخلص وتبرؤ من العهود التى بينكم وبين الكفار البادئين بالنقض

(٢) قال ابن عطية وقرأ أهل نجران "من الله" بكسر النون من من ١ . هـ وأقول قرأ الحسن "برئ من المشركين" ، عاهدتم "من المشركين" بكسر النون من ومن فى كلا الموضعين على أصل التخلص من التقاء الساكنين - انظر القراءات الشاذة وتوجيهها من كلام العرب - عبد الفتاح القاضى ص (٥١) أقول والحسن هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى أحد القراء الأربعة الشواذ وهم محمد بن عبد الرحمن بن محيىصن المكى - يحيى اليزيدى - سليمان بن مهران الأعمش . والله أعلم

(٣) قال ابن منظور الحج بالكسر الاسم - لسان العرب (ج ٣ ص ٥٣)

وقال الراغب : الحج : مصدر - والحج : اسم

(٤) قال الراغب : ويوم الحج الأكبر يوم النحر ، ويوم عرفة ، وروى العمرة الحج الأصغر ١ . هـ أقول الراجح من أقوال أهل العلم أن المقصود بيوم الحج الأكبر هو يوم النحر وبه جزم الجلال واختاره الطبرى وهو مروى عن علي ، وابن عباس - وابن مسعود - وابن أبى أوفى والمغيرة بن شعبة وأخرج أبو داود من حديث ابن عمر مرفوعاً وعند البخارى عن أبى هريرة قال بعثنى أبو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى : لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . ويوم الحج الأكبر يوم النحر ١ . هـ (ج ٥ ص ٤٥) المجلد الرابع القرطبى - وسمى يوم الحج الأكبر لأن أعمال الحج يتم معظمها فيه

﴿ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ ﴾ : الإلّ هاهنا القرابة قال :

لعمرك إنّ إلّك من قريش كإلّ السّقب من رآل النّعَام^(١)

والإلّ : لفظ مشترك يُطلق على العهد^(٢) والحلف والجوار^(٣) ، وقيل الإلّ^(٤)

الله تعالى ، واستبعده^(٥) الحذاقُ ، وقالوا هو إيل بالعبرانية كما فى جبرائيل لأن جبر

قال ابن القيم : وهو الصواب ، لأنه ثبت فى الصحيحين أن أبا بكر وعلياً أذنا بذلك يوم النحر ، لا يوم عرفة

(١) البيت لحسان بن ثابت ديوانه (٤٠٧) ، واللسان مادة أَلَل ، والطبرى (١٤٩/١٤) ، زاد المسير (٤٠٢/٣)

(٢) قال ابن عباس الإلّ : القرابة والذمة والعهد

(٣) هذا قول الحسن

(٤) وقال مجاهد الإلّ هو الله تعالى

(٥) قوله واستبعده الحذاق - هو صاحب المفردات إذ قال ، وقيل إلّ وإيل اسم الله تعالى وليس ذلك بصحيح . انظر المفردات ص (٢٠)

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم و أبو الشيخ عن ابن عباس فى قوله "إلّا ولاذمة" قال الإلّ : القرابة ، الذمة ، العهد .

الغريب :

* فسيحوا : سيروا فى الأرض - أى فقولوا لهم سيروا فى الأرض بعد نبذنا العهد آمنين من القتل والقتال مدة أربعة أشهر ، وذلك من يوم النحر إلى عشر يخلون من ربيع الآخر . والمقصود تأمينهم من القتل وتفكرهم واحتياطهم ، ليعلموا أنهم ليس لهم بعدها إلا السيف .

* فإذا انسَلَخ : أى انقضى كل مرصد : طريق وممر والمقصود بالأشهر الحرم فى قوله تعالى ﴿فإذا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحَرَمُ﴾ من أشهر التسيير ، أولها يوم الأذان وهو العاشر من ذى الحجة ، وآخرها العاشر من ربيع الآخر وليست هى الأربعة المذكورة فى قوله ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا﴾ إلى قوله ﴿منها أربعة حرم﴾ فإن تلك واحد فرد هو رجب ، وثلاثة سرد وهى ذو القعدة وتاليها ، ولم يسيّر المشركين فى هذه الأربعة . فإن هذا لا يمكن ، لأنها غير متواليه ، وهو إنما أجّلهم أربعة أشهر ثم أمره بعد انسلاخها أن يقاتلهم .

هو العبد بالعبرانية وإيل هو الله تعالى وفى قراءة عكرمة أيلًا

﴿وَأِنْ نَكُنْثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ : أى نقضوا - مِنْ نَكْثَ الغَزَل وهو نقضه

﴿وَلَيْجَةً﴾ : قوماً من غيرهم يُلقون إليهم أسرارهم من وَلَجَ يَلْجُ وَلُوجًا أى

دخل ، والوليجة والبطانة^(١) والدَّخِيلَة نظائر - والوكجة^(٢) بالفتح موضع أو كهف تستتر به المارة من المطر أو غير .

﴿سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ : السقاية^(٣) مصدر سقيت الماء ، وكان المشركون يَسْقُونَ

الحاج العسل والسويق والماء

(١) قال أبو عبيدة : الوليجة البطانة ، وقال أيضا كل شئ أُلجته فيه وليس منه فهو وليجة ، والرجل يكون فى القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة قال : وليجة أى خيانة (ج ٢ ص ٣٩١) فتح القدير

(٢) قال الحُسَيْنِيُّ الوجة بالتحريك : موضع أو كهف يستتر فيه المارة من مطرٍ أو غيره أنظر لسان العرب مادة ولج (ج ١٥ ص ٣٩١)

الغريب يَعْمَر : إما من العمارة التى هى حفظ البناء ، أو من العمرة التى هى الزيارة ، أو من قولهم : عمرت بمكان كذا أى أقمت به . القاسمى (ج ٨ ص ٣٠٨٥)

(٣) السقاية بالكسر والضم موضع السقى ، وفى التهذيب : هو الموضع المتخذ فيه الشراب فى المواسم وغيرها ١ هـ

وفى تفسير المنار (ج ١٠ ص ٢١٧)، ويؤخذ من استعمال الكلمة أنها صارت اسم حرفة ومن المعلوم بالبداية أن قول العباس : أنا صاحب السقاية . لا يراد به أنه صاحب الموضع الذى كان يوضع فيه الماء المحلى بالزبيب أو التمر المنبؤذ فيه ، ولا ذلك الماء وإنما المراد به أنه هو الذى يتولى إدارة هذا العمل - ومن العجب أن يغفل أى لغوى أو مفسر عن هذا المعنى ويقول بعضهم انها اسم لمكان وبعضهم أنها مصدر سقى أو أسقى

لطيفة : لا يخفى أن السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالأعيان فلا بد من تقدير مضاف فى أحد الجانبين أى أجعلتم أهلها كمن آمن بالله ويؤيده قراءة ابن وردان عن الامام أبى جعفر المدنى سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام - انظر القاسمى (ص ٣٠٨٩) والبدور الزاهرة للقاضى (ص ١٣٥)

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ : اسم مكان ينصرف^(١) ، ولا ينصرف ، ويذكر ويؤنث نظرا إلى البقعة والمكان فمن صرفه كآلية ، ومن تركه قول الشاعر^(٢) :

نصروا نبيهم وشدوا أزره بحنين يوم تواكل الأبطال

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(٣) : أى قَذَرٌ فاجتنبوهم كما يُجْتَنَبُ الأنجاس وعن الحسن : نجس العين فمن صافحهم وجب عليه غسل يده وقيل نجس أى : منجوسة لكونهم لا يغتسلون من الجنابة ولا يتوضئون من الحدث ، وعن قطرب التثليث فى ماضى نجس ، وَنَجَسٌ بالفتح المصدر وبالكسر الاسم ، ويقال رَجَسَ رَجْسٌ نَجَسٌ للموافقة^(٤) ، والتنجيس كالعودة يدفع بها العين ، يقال نَجَسْتُهُ إِذَا جَعَلْتُهُ نَجَسًا ، وَنَجَسْتُهُ إِذَا أَزَلْتُ نَجَسَهُ^(٥) ،

ومنه تنجيس^(٦) العرب وهو شئ كانوا يعلقونه على الصبى ليدفعوا بها نجس الشيطان،

(١) وحنين : واد بين مكة والطائف قريب من ذى المجاز ، وصرف مذهب بابه مذهب المكان ولو ذهب به مذهب البقعة لم يصرف .

(٢) البيت لحسان الديوان (٣٩٣) واللسان ، الطبرى ، الفراء .

(٣) نجس مصدر لا يثنى ولا يجمع - قوله قذر هو قول الحسن أخرجه أبو الشيخ وعنه أيضا قال "من صافحهم فليتوضأ" - وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من صافح مشركا فليتوضأ أو ليغسل كفيه" فتح القدير (ج ٢ ص ٤٠١)

(٤) هذا كلام الفراء كما ذكره صاحب اللسان (ج ١٤ ص ٥٣) جفى نفس المصدر والنَّجَسُ : اتخاذ عُوْدَةً للصبى وقد نَجَسَ له ونَجَسَهُ عُوْدَةً

(٥) وفى اللسان قال ثعلب لابن الأعرابى لم قيل للمُعَوِّذِ مُنَجَّسٌ وهو مأخوذ من النجاسة ؟ فقال : إن للعرب أفعالا تخالف معانيها ألفاظها ، يقال : فلان يتنجس إذا فعل فعلا يخرج به من النجاسة ، كما قيل يتأثم ويتحرَّج ويتحنَّث إذا فعل فعلا يخرج به من الاثم والحرَج والحِنْثِ .

(٦) وعن الجوهري : والتنجيس : شئ كانت العرب تفعله كالعودة تدفع بها العين .

والناجس^(١) داء خبيث لا دواء له .

﴿وَأِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً﴾ : أى فقرأ أو شدة ، يقال عال^(٢) الأمر : اشتد والاسم :
العائل ، والجمع : العيِّل

﴿عَنْ يَدِهِمْ صَاغِرُونَ﴾ : قيل عن سلطان^(٣) وقوة ، وقيل عن يد منكم أى :
إنعام لكونكم قبلتم الجزية بدلكم قتلهم ، وقيل عن يد والمراد : الجارحة أى تسلمون
ذلك من أيديهم ، وقيل عَنْ غِنَى مِنْهُمْ وقيل : عن ذُلٍّ - فعلى هذا فإن اليد تستعمل
فى القوة والقهر والذل فيكون من الاضداد ، وفسر الجوهريُّ اليد بالذل والاستسلام
قلت : ففى قوله "وهم صاغرون" تأكيد ، وإذا فسر بالقوة كان قوله وهم صاغرون
تأسيسا ، والتأسيس أولى من التأكيد كما علم.

(١) الناجس : الداء لا دواء له قال ساعدة الهذلى "والشيب داء نجس لا دواء له" . مقاييس اللغة
(ج ٥ ص ٣٥٤) .

(٢) عيلة : مصدر عال يعيل من باب سار فهو عائل والجمع عالة وفى اللسان مادة عيل قال ابن
الاعرابى العيل جمع العائل - وفيه أيضا - العالة جمع عائل - أما قول المصنف والجمع العيِّل
فلم أعر عليه فى كتب اللغة .

(٣) فى اللسان (ج ١٥ ص ٤٤٠) واليد الاستسلام ، وقال ابن الاعرابى اليد : النعمة ، القوة ،
القدرة ، الملك ، السلطان . وقوله "عن يد" أى عن ذل وعن اعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق
أيديهم وقيل عن يد أى عن انعام عليهم - قلت : الصحيح ما ذهب إليه المؤلف للأسباب الآتية :
١- اليد المقصود بها يد الآخذ وليس يد المعطى وهذا الذى ارتضاه صاحب "الانتصاف" وغيره
من أهل العلم والمعنى حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية .

٢- لو كان معنى "عن يد" أى عَنْ ذل لكان قوله وهم صاغرون تأكيدا - والقرآن أجلُّ من أن
يكرر الألفاظ دون زيادة فائدة ، فثبت أن معنى اليد هنا القوة كما ذكر المصنف والله أعلم .

٣- عن فى قوله "عن يد" للسببية أى بسبب قوة وسلطان المسلمين لأن المسلمين وقت ضعفهم
وهوانهم لن يتمكنوا من أخذ الجزية من أهل الذمة .

٤- "عن يد" فى محل نصب حال من الجزية أى حالة كون الجزية التى يؤديها أهل الكتاب قوة
للمسلمين ، والله أعلم

﴿يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : يشبهون والمضاهاة : المشابهة ﴿أَنى يُؤْفَكُونَ﴾
[التوبة - ٣٠] يصرفون عن الحق أو يكذبون ، والإفك : الصرف والإفك : الكذب ،
ومنه الأفكية .

﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ : الانفاق^(١) : الاخراج للدراهم وغيرها فى الواجب
والتطوع ، والنفقة : ما يَنْفَقُ ، ونفق الحيوان : إذا مات ونفقت السلعة إذا بيعت ،
والإنفاق : الإفتقار فى قوله تعالى " خشية الانفاق " وهو كقوله : خشية إملاق

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ : قيل هو تأخيرهم^(٢) حُرمة شهر حرّمه الله
تعالى إلى شهر لم يحرمه الله لحاجة تعرض لهم ، وقيل : كانوا يؤخرون الحج فى
كل سنة شهراً فيجعلونه فى المحرم ثم فى صفر ثم هلم جراً شهراً بعد شهر سنة بعد
سنة ، ووافق حج أبى بكر حجهم فى ذى القعدة وحج النبى صلى الله عليه وسلم فى
ذى الحجة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم " إنّ الزمان استدار كهيئته يوم خلق

(١) وفى اللسان مادة نفق - نفقت السلعة إذا غلت ورغب فيها - تَنْفَقُ نَفَاقاً وأنفق الرجل إذا افتقر
ومنه قوله تعالى " إذا لأمسكم خشية الانفاق " أى خشية الفناء والنّفاد ، ونفق الفرس والدابة
وسائر البهائم يَنْفَقُ نفوقاً : مات .

(٢) كانت العرب فى الجاهلية تعتقد حرمة الأشهر الحرم ، وكانت عامة معاش العرب من الصيد
والغارة وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متواليه ، وربما وقعت حروب فى بعض
الأشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم إلى الأشهر الحلال فنسوا أى أخرّوا تحريم شهر إلى
شهر آخر حتى استدار التحريم على السنة كلها ، وكانوا يحجون فى كل شهر عامين فحجوا فى
ذى الحجة عامين ثم حجوا فى المحرم عامين وكذلك باقى شهور السنة فوافقت حجة أبى بكر فى
السنة التاسعة قبل حجة الوداع ذا القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل
حجة الوداع فوافق حجه فى شهر ذى الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة فى اليوم
التاسع وخطب الناس فى اليوم العاشر بمنى وأعلمهم أن أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة
الزمان وعاد الأمر إلى ما وضع الله عليه حساب الأشهر يوم خلق السموات والأرض وهو قوله
" إنّ الزمان قد استدار - الحديث "

السموات والأرض^(١) " والمصدر : النَّسَأُ^(٢) من أنسأه إذا أخره ، وقيل فاعيل بمعنى مفعول . والأوّل^(٣) أولى ، وفي الغريب إنما النَّسْوُ على فعول^(٤) ،

وعن جعفر بن محمد إنما النَّسْيُ^(٥) بإسكان السين والياء من غير همز أصله عنده النَّسْءُ^(٦) أبدلت الهمزة ياءً - وعن أبي جعفر^(٧) النَّسْيُ بالتشديد من غير همز .

﴿ انفِروا ﴾ : النفور^(٨) فى الأصل : الانزعاج والتجافى عن الشيء تقول : نفرتُ عنه والمعنى ابرزوا إلى الجهاد بسرعة ، قيل لا يقال انفروا إلا إلى الجهاد أو للحاج من منى

(١) الحديث فى الصحيحين من رواية أبى بكرة

(٢) قال فى اللسان المصدر : النسأ والاسم النسيسة والنسيئ قال ابو منصور النسيئ فى الآية بمعنى الإنشاء اسم وُضع موضع المصدر الحقيقى .

(٣) وهو الصحيح لأنه لو كان بمعنى مفعول لكان المعنى إنما المؤخر زيادة والمؤخر الشهر ولا يكون الشهر زيادة فى الكفر .

(٤) النسوء قراءة مجاهد ورويت هذه القراءة عن طلحة والسلمى مصدر بمعنى التأخير وهو فى المصادر قليل

(٥) النَّسْيُ كالتَّهْيُ وقد نسبت أيضا للزهرى والأشهب وهو مصدر من نسي ينسى إذا ترك

(٦) قراءة النَّسْيُ مروية عن شبلى والسلمى وطلحة والأشهب على وزن البَدءُ

(٧) قلت قراءة أبى جعفر وورش عن نافع النسيئ بإبدال الهمزة ياء وادغام الياء قبلها فيها وهى قراءة صحيحة متواترة - وأما ما سبق من قراءات فشاذة لا يُقرأ بها .

(٨) قال الراغب النفّر : الانزعاج عن الشيء وإلى الشيء كالفزع إلى الشيء وعن الشيء يقال نفر عن الشيء نفوراً ، قال "مازادهم إلا نفورا" ونفر إلى الحرب ينْفِرُ وينْفِرُ نفراً ومنه يوم النَّفَر "انفروا خفافاً وثقالاً"

الغريب :

* خِفَافاً : جمع خفيف ، والثقال : جمع ثقیل - والخفة والثقل يكونان بالأجسام وصفاتها من=

﴿ عَرَضًا قَرِيبًا ﴾ : العرض : ما يُحصل من منافع الدنيا ، والقريب : السهل بالتناول .

﴿ وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾ : سهلاً لا طول فيه ، وقيل هيئاً غير شاقٍ ، والقاصد والقصد : المعتدل .

﴿ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ : المسافة البعيدة ، وقيل الشُّقَّةُ القطعة من الأرض يشق ركوبها على صاحبها لبعدها ، ويحتمل أن تكون مُشتقة من الشَّق وهو القطع ، أو من المشقة وهو التعب وربما قالوه^(١) بالكسر يريدون الشقة .

﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ : الانبعاث : الخروج وثبطهم : شغلهم^(٢) ، وأثبطه المرض إذا لم يفارقه

﴿ وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ﴾^(٣) : الوضع : سير الدابة بالإسراع تقول وضعت

= صحة ومرض ، ونحافة وسمن ، وشباب وكبر ، ونشاط وكسل ، ويكونان بالأسباب والأحوال ، كالقلة والكثرة في المال والعيال ، ووجود الراحلة وعدمه ، وثبوت الشواغل وانتفائها * عفا الله عنك : العفو : التجاوز عن الذنب أو التقصير ، وترك المؤاخذه عليه ويستعمل بمعنى الدعاء . أى عفا عما تعلق به اجتهداك أيها الرسول حين استأذنوك وكذبوا عليك في الاعتذار .

(١) هي قراءة عيسى بن عمر . وفي اللسان الشقة والشقة : السفر البعيد .

(٢) قال الراغب : فثبطهم ، حبسهم وشغلهم ، يقال ثبَّطه المرض وأثبطه إذا حبسه ومنعه ولم يكد يفارقه ١ هـ - وقال ابن عطية انبعاثهم : نفوذهم لهذه الغزوة - والتثبيط : التكيل وكسر العزم . والمعنى - كره الله نهوضهم للخروج فكسلهم وقيل لهم وهى حكاية قول بعضهم لبعض اقعدوا ، هذا تمثيل لإلقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم .

الغريب :

* خبالاً : فساداً - وأصل الخبال : اضطراب ومرضٌ يُؤثر في العقل

(٣) خلال جمع خلل وهو الفرجة استعمل ظرفاً بمعنى " بين " وخلال الأشياء : ما يفصل بينها من فروج ونحوها .

الدابة تضعُ وضْعاً وأَوْضَعْتُهَا أنا ، والخلال بمعنى الوسط وقيل الخلال هاهنا جمع خَلَلٌ وهو الفساد فى الأمر والمعنى لأسرعوا بينكم يُلْقُونَ النَمِيمَةَ والهزيمة .

﴿ وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾^(١) : الفتنة فى الأصل : الاختبار ^(٢) من

فَتَنَتُ الدينار إذا عرضته على النار . وأجمع المفسرون^(٣) أنها نزلت فى جَدِّ بن قيس المنافق لما تاهَّب النبى صلى الله عليه وسلم لغزوة تبوك فقال له يا جَدُّ هَلْ لَكَ فى جِلَاد بنى الأصفر تتخذ منهم سرارى ووُصفاء فقال يا رسول الله : أنا رجل مغرم بالنساء وأخشى أن أفتن إن رأيتُ بنات بنى الأصفر . لا تفتنى بهن واثذن لى فى القعود عنك بمال . والفتنة الثانية المراد بها الشرك ، وعاقبة الشرك النار والعذاب .

﴿ لَوْلَا إِلَهِهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾^(٤) : يُسرعون - والرجل الجموح الذى يركب

(١) وعن ابن عباس فى معنى ﴿ وَلَا تَفْتِنِّي ﴾ قل : لا تخرجنى ﴿ أَلَا فى الفتنة سقطوا ﴾ يعنى فى الخروج وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله ﴿ وَلَا تَفْتِنِّي ﴾ قال : لا تؤثمنى .

(٢) قال الراغب أصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته ، واستعمل فى إدخال الانسان النار قال ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ الآيات . وتارة يُسمون ما يحصل عنه العذاب فيستعمل فيه نحو قوله ﴿ أَلَا فى الفتنة سقطوا ﴾ ١ هـ .

(٣) هذه الرواية أخرجه ابنُ أبى حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله وهناك رواية أخرى عن ابن عباس عن ابن المنذر والطبرانى وابن مردويه وأبى نعيم فى المعرفة .

(٤) قال الراغب أصله فى الفرس إذا غلب فارسه بنشاطه فى مروره وجريانه وذلك أبلغ من النشاط والمرح ١ هـ .

الغريب :

* ملجأً فيه أربعة أوجه ١- الحرز عن ابن عباس ٢- الحصن ، قاله قتادة ٣- الموضع الحريز من الجبل قاله الطبرى ٤- المهرب قاله السدى - أما المغارات ففيه وجهان : الأول : أنها الغيران فى الجبال قاله ابن عباس والثانى : المدخل وهو الساتر لمن فيه وأما المدخل ففيه وجهان : أنه السرب فى الأرض ، قاله الطبرى والثانى : أنه المدخل الضيق الذى يدخل فيه بشدة

هواه ولا يمكن رده .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ : اللمز : العيب وأصله الإشارة بالعين ونحوها ، وقد لمزه يلمزه ويلمزه ، وقرئ بهما^(١) ، : ورجل لماز ولمزة أى عيَاب ، ويقال لمزه إذا دفعه .

﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ ﴾^(٢) : يسمع كلام كل أحد ويعمل به يستوى فيه الواحد والجمع ، وفى تسميته قولان : أحدهما أنه سُميَ بالعضو لإلقاء الكلام فيه كما قالوا للجاسوس عيناً لكثرة النظر بها والثانى أنه مأخوذ من أذن يَأْذُنُ إذا استمع وأصغى بِأُذُنِهِ قال : بسمع يَأْذُنُ الشيخ له - وحديث مثل ماذى مُشار . ويجوز فى أذن التخفيف فيقال أذن كما قال عُنُق ، وطُنْب ، وظَفَر .

﴿ أَنَّهُ مَنْ يَحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ : أى يُجَانِبُ^(٣) الله ورسوله والمعنى يكون فى حدّ والله ورسوله فى حدّ وهو معنى المشاققة أى يكون فى شِقِّ والله ورسوله فى شِقِّ .

(١) قوله وقرئ بهما أقول قرأ الجمهور يلمزك بكسر الميم ، وقرأ يعقوب الحضرمي بضمها وهى قراءة عشرية متواترة ١ هـ

(٢) قال الراغب فى مادة أذن ، ويستعار لمن كثر استماعه وقوله لِمَا يُسْمَعُ قال تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ ﴾ والخلاصة : أن المنافقين كانوا يؤذون النبى صلى الله عليه وسلم ويغتابونه بسلامة القلب وسرعة القبول والتصديق لما يسمع ، فصَدَّقَهُمْ فى ذلك وسلّم وقال : هو كذلك ، ولكن بالنسبة إلى الخير ، فإن النفس الأبية والغليظة الجافية ، والكزّة القاسية التى تتصلب فى الأمور ولا تتأثر ، غير مستعدة للكمال . فكلما كانت النفس ألين عريكة وأسلم قلبا ، وأسهل قبولاً كانت أقرب للكمال ، وليس هذا اللين من باب الضعف والبلاهة . بل من باب اللطافة .

(٣) قال الليث : حادته أى خالفته ، والمحادة كالمجانبة والمعادة والمخالفة واشتقاقه من (الحد) بمعنى الجهة والجانب ، فإن كل واحد من المتخالفين والمتحاذيين فى حد وشق ، غير ما عليه صاحبه . فمعنى يحادد الله : يصير فى حدّ غير حدّ أولياء الله بالمخالفة .

﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

بِخَلْقِهِمْ ﴾ - الخلاق : النصيب ، وفى هذه الآية رد^(١) على علماء البيان أن اللفظة إذا تكررت لا يُعدُّ الكلام فصيحاً كقولهم " وليس قربُ قبرٍ حربٌ قبرٌ " .

بأن يكونوا مع الخوالف : أى مع النساء^(٢) واحدتهن خالفة وفلان خالفة أهله ، وخالف أهل بيته إذا كان لا خيرَ معه ومنه قوله تعالى ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ [التوبة - ٨٣] ، والخالفة : عمود الخباء^(٣) .

﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ : قُرئ بالتشديد والتخفيف^(٤) ، فبالتشديد

قد يكون مُحِقاً وقد لا يكون ، والمحق فى معنى المعتذر لأن له عُذراً . ، لكن التاء قُلبت^(٥) ذالاً فأدغمت فيها وجُعِلت حركتها فى العَيْن ، وأما غيرُ المُحق فهو بمعنى

(١) اعلم أن دلالة كل لفظ على مدلول مستقل هو الأصل الظاهر . فإن تكرار اللفظ يدل على مدلول كل واحد منهما أصلاً وظاهراً ، لأنَّ أصل كل كلام وظاهره الإفادة لا الاعادة وأيضا التأسيس أكثر والتأكيد أقل . وهذا معلوم عند كل من يفهم لغة العرب ، وقد تقرر فى علم الأصول أنه إذا دار الكلام بين التوكيد والتأسيس رجح حمله على التأسيس . وأما فائدة تكرار قوله ﴿ فاستمتعوا بخلاقهم ﴾ فهو إطناب - لبيان اختلاف الحالين فهو يقول لهم إنكم فعلتم فعلتهم مع توقُّر الداعى على ضده ، وفائدته أيضاً ذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ثم يشبه حال المخاطبين بحالهم .

(٢) هذا قول ابن عباس وقتادة . وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى قال ﴿ رضوا بأن يقعدوا كما قعدت النساء ﴾ ١ هـ .

(٣) قال الراغب والخالفة عمود الخيمة المتأخر ، ويكنى بها عن المرأة لتخلفها عن المرتحلين ، وجمعها خوالف ١ هـ .

(٤) قوله " قُرئ بالتخفيف " أى المُعذِّرون وهى قراءة يعقوب الحضرمي قراءة عشرية متواترة والباقون بالتشديد

(٥) أقول وتوجيه ذلك فهو إمّا من فعل مضعفا بمعنى التكلف أى تكلف العذر فإنه يوهم أن له عُذراً ولا عذر له - أو من افتعل والأصل اعتذر فأدغمت التاء فى الذال بعد إبدالها .

المُعَذِّر كالممرّض والمُقَصِّر يعتذر لغير عُذْر ، وكان ابنُ عباس^(١) يقرأ وجاء المُعَذِّرون من أعذَرَ ويقول والله لهكذا أنزلت ، وكان يقول : لعن الله المُعَذِّرين كأنَّ المُعَذِّر عنده بالتشديد المظهر العُذر اعتلالاً من غير حقيقة في العُذر - والمُعَذِّر الذي له عذر والعُذر : تحرّى الانسان ما يحو به ذنوبه يقال عُدِرَ وعُدِر .

﴿الأعرابُ أشدُّ كُفْراً﴾ : العرب^(٢) : جيل من الناس وهم سكان الأمصار - والأعراب منهم سكان البادية خاصة ، والنسبة إليهم أعرابي . لأنّه لا واحد من لفظه وليس الأعراب جمع عرب ، وجاء في الشعر الفصيح الأعراب ، والعرب العاربة : الخُلص منهم أخذ من لفظه وأكّده كقولهم ليل لائل ، وربما قالوا العرب العرباء - قال الراغب : العرب ولد اسماعيل والأعراب جمعه في الأصل وصار ذلك اسماً لسكّان البادية ، وقيل في جمع الأعراب : أعراب - قال الشاعر أعراب ذوو إفك وفُجّر^(٣) .

﴿يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ مَغْرَماً﴾ : أى غُرماً^(٤) - يُقال فيه الغُرمُ والمَغْرَم والغرامة وهو ما يلزم أدائه ، وقد غرِمَ الرجل الدابة إذا نفقت ، فعلى هذا يُطلقُ الغُرم ويراد به ما ينال الانسان في ماله من ضررٍ بغير جناية منه ، والغريم يُطلق على مَنْ له الدّين وعليه .

(١) روى عن ابن عباس أنه كان يقول "لعن الله المُعَذِّرين ورحم المُعَذِّرين"

(٢) جاء في لسان العرب والعرب جيل من الناس ، والعرب العاربة هم الخُلص منهم وأخذ من لفظه فأكّده كقولك ليل لائل ، والأعرابي : البدوي ، وهم الأعراب والأعراب : جمع الأعراب وجاء في الشعر الفصيح الأعراب .

(٣) هكذا بالأصل وفي المفردات أعرابٌ ذوو فخرٍ يافكٍ والسنة لطافٍ في المقال .

(٤) قال الراغب : الغُرم : ما ينوبُ الانسان في ماله من ضرر لغير جناية منه أو خيانة ، يقال غرِمَ كذا غُرماً ومَغْرَماً وأَغْرِمَ فلانٌ غرامةً ، قال : ﴿إنا لمغرمون - فهم من مغرم مثقلون﴾ ﴿يتخذ ما ينفق مغرمًا﴾ ، والغريم يقال لمن له الدّين ولمن عليه الدّين ١ هـ .

﴿مَرَدُّوا عَلَى النِّفَاقِ﴾^(١) : استمروا عليه ومرقوا^(٢) ، ومنه المارد لاستمراره على الشيطنة والقدر الجامع فيما جاء من هذه المادة التجرد ، ألا ترى أنهم يقولون : رَمْلَةٌ مَرْدَاءٌ إذا تجردت عن النبات ، وشابُّ أَمْرَدٍ إذا تجرد وجهه عن الشَّعر ، وشيطان مارد إذا تجرد عن الخير ، ويُقال فيه ماردٌ ومَرِيدٌ .

﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ﴾^(٣) : الجُرْفُ^(٤) والجُرْفُ : ما تجرّفت به السيول ، والمعنى أذهبت باطنه وتركته مُجَوِّفًا وأَعْلَاهُ غَيْرُ مَتَمَاسِكٍ أَدْنَى شَيْءٍ يُنْزِلُهُ ، وانهار بمعنى تهوّر مثل انهال - وهارٍ يقال جرف هار وهابر ومنهار وقال الجوهري أصله هابر فقدّموا الياء إلى ما بعد الراء كما قالوا فى شائك السلاح شاكى ، وهورته فتهور وانهار أى انهدم .

(١) وفى المفردات والمارد والمريد من شياطين الجن والانس المتعري من الخيرات غير أنه فسّر مردوا فى الآية بقوله ﴿ارتكسوا عن الخير وهم على النفاق﴾

(٢) هكذا بالأصل وقد وجدت فى الغريب للسجستاني معنى مردوا : أى عتوا ومردوا عليه وجروا ١. هـ. . وعليه فإن كلمة "مرقوا" تصحيف . وقال الفراء فى الآية : مردوا يُريد مَرْنُوا عليه ١. هـ. والمصدر مروداً ومرادةً - قال ابن الأعرابي - المَرْدُ : نقاء الخدين من الشعر . وأظن أن المَرْدَ هو الاسم . وعبارات المفسرين تدور بين تأويل هذا اللفظ بالتجرد أو الثمرن والثبوت أو اللجاج . وفى النكت والعيون عن عبد الرحمن بن زيد أقاموا عليه ولم يتوبوا منه . وهو الراجح إن شاء الله تعالى . وهو كما ترى موافق لعبارة المصنف إذ أن الإقامة على الشئى معناه الاستمرار عليه .

(٣) شفا أى طرف - وشفا كل شئى طرفه .

(٤) قرأ ابن عامر وشعبه وحمزة وخلف بإسكان الراء والباقون بضمها .

سورة يونس

﴿ قَدَمَ صِدْق ﴾ : القدم^(١) واحد الأقدام ، والقدم السابقة فى الأمر . يُقال لفلان قدم صدق أى : سابقة حسنة ، وقيل المراد السعادة وقيل^(٢) شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالصدق : الصلاح والنفع وليس هو ضد الكذب .

﴿ دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾ : أى دعاؤهم ، والدَّعْوَى مصدر كالدعاء والمراد به النداء أى يدعون الله بقولهم " سبحانك اللهم " تلذذا بذكره لا عبادةً وقيل دعواهم كلامهم وقولهم ، وقيل إذا اشتهوا^(٣) شيئاً قالوا " سبحانك اللهم " قِيُوتُونَ به ومنه قوله تعالى ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ ﴾ أى دعاؤهم .

﴿ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ﴾ : تقول دريته ودريت به درياً ودريئة ودراية أى علمتُ به والمعنى أعلمتكم به وقال الراغب^(٤) : والدراية : المعرفة المُدركة بضربٍ من

(١) قال الزجاج : قدم صدق : درجة عالية - وقال ابن الأعرابى : القَدَم : المتقدم فى الشرف ، وقال أبو عبيدة والكسائى : كل سابق فى خير أو شر فهو عند العرب قدم . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس قال : ما سبق لهم من السعادة فى الذكر الأول .

(٢) وهو قول أبى سعيد الخدرى وعلي ابن أبى طالب وقال مقاتل : أعمالا قدّموها واختاره ابن جرير . قلت : اختيار المؤلف لسدّ لأن القدم هنا السابقة والتقدم سميت قدماً لأنَّ السبق بها كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد ، وعليه الخذاق من أهل العلم كالبيضاوى والليث وأبى الهيثم - وقال القاسمى والقدم بمعنى السبق لكونه سببه وآلته ١ هـ .

(٣) نُسب هذا القول إلى النبى صلى الله عليه وسلم أخرج ابن مردويه عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قالوا سبحانك اللهم أتاهم ما اشتهوا من الجنة من ربهم " كما نُسب إلى الربيع وسفيان .

(٤) قول الراغب المعرفة المدركة بضرب من الخُتْل . لا يليق حمل هذا المعنى على الآية التى معنا وتقول العرب دريتُ فلانا أدريه درياً إذا خَتَلْتَهُ أى لَا يَتَنَّهُ ورفقتُ به . وأصله من دريتُ الظبى =

الْحَتْلُ ، وقال الدراية لا تستعمل في الله . وقول الشاعر :

لا هُمَّ لا أدرى وأنت الداري^(١)

فمن تعجرات كلام أجلاف العرب .

﴿ اِجَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ : عصفت الريح اشتدت فهي عاصف وعَصُوفٌ .

ويوم عاصف تعصف فيه الريح وهو فاعل بمعنى مفعول ، وبنو أسد يقولون أعصفت الريح ، والعصف^(٢) : الكسب ، وكذلك الإعصاف ، والعصف : الزرع^(٣) .

﴿ حَصِيداً كَانَ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ ﴾ : تقول حصدت^(٤) الزرع وغيره أحصده

حصداً والزرع محصود وحصيد وحصيصة وحَصَدَ بالتحريك وهذا زمن الحِصاد والحِصاد - تَغْنِ بِالْأَمْسِ : تُقِمُّ على هذه الصفة بالمغاني وهي المنازل من قولهم غنينا بمكان كذا - أَيْ : أَقْمِنَا بِالْمَغْنَى^(٥) ، وقيل من غنى أى اكتفى . وقيل تَغْنِ : تنعم^(٦) - كَانَ لَمْ توجد ولم تكن تلك الأرض على هذه الصفة .

= أَيْ احتلت له وختلته حتى أصيده منه المداراة فهو مهموز وغير مهموز - فَمَنْ هَمْزُهُ كَانَ معناه الالتقاء لشده . وَمَنْ لَمْ يَهْمَزْهُ جَعَلَهُ مِنْ دَرِيءِ الظُّبَى إِذَا خْتَلَتْهُ . اللسان (ص ٢٤٢) .

(١) البيت في اللسان وعجزه كل امرئ منك على مقدار .

(٢) قوله والعصف : الكسب قال اللحياني : هو يعصف ويعتصف أى يكسب وعصف يعصف عَصْفاً ، واعتصف : كسب وطلب واحتال ، ومنه قول العجاج قد يكسب المال الهدان الجافى بغير ما عَصَفَ ولا اصطراف .

(٣) قوله والعصف الزرع هو قول الحسن وأما أئمة اللغة فتدور أقوالهم على ورق السنبيل أو ما كان على ساق الزرع من ورق . والقول قول الحسن . انظر مختار الصحاح (ص ٤٣٦) .

(٤) فجعلناها حصيداً أى كالأرض التى استوصل زرعها فالحصيد يشبه به الهالك من الأحياء

(٥) قوله بِالْمَغْنَى يقال للمصدر وللمكان من قولهم غنى فى مكان كذا إذا طال مَقَامُهُ فيه مستغنيا به عن غيره بِغْنَى ، ويقال أغناني كذا ، وأغنى عنه كذا إذا كفاه . المفردات (ص ٣٦٦)

(٦) هذا قول قتادة والمعنى أى هلكت فجأة فلم يبق من زروعها شئ ، حتى كأنها لم تنبت ولم =

﴿ وَلَا يَرْهَقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ ﴾ : أى يعلوها^(١) غبار - يقال ما علا من الغبار فى الهواء يُسمى قترا ، ومادنا من الأرض يُسمى غُبرة

تقول رهقه بالكسر يَرْهَقُهُ رَهَقًا أى غَشِيَهُ وأرهقه طغياناً أى أغشاه إياه وأرهقه عُسراً كلفه إياه والمَرْهَقُ الذى أُدرِكَ لِيُقْتَلَ . وراهِق الغلام : قارب الاحتلام ، وأرهق الصلاة أخرها حتى دنا وقت الأخرى .

﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ : أى فرّقنا تقول زِلْتُ^(٢) الشئ أزيله زيلًا أى مَزَّته - يُقال "زل ضأنك من معزك" وزيلته فتزِيل - وليس من زال يزول . لأن ذلك يقتضى زولنا .
﴿ إِي وَرَبِّي ﴾ : إى توكيد للقسم يتقدم عليه معناها نعم أى نعم والله أو بلى والله .

﴿ وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ ﴾ : قيل أظهروها ، وقيل كتموها ، والإسرار من الأضداد أى

= تمكث قائمة ناضرة بالأمس . والأمس مثلٌ فى الوقت القريب . كأنه قيل : كأن لم تغن أنفا
(١) فى معنى يرهق وجهان : ١- يعلو ٢- يَلْحَقُ ، ومنه قيل غلام مراهق إذا لحق بالرجال ومعنى لا يرهق وجوههم : لا يغشاهم وهو مروي عن ابن عباس . وعنه القتر : سواد الوجه وعن مجاهد قتر : خذى . وقال الراغب رهقه الأمر : غَشِيَهُ بقهر والقتر عند أهل اللغة : الدخان ومنه غبار القدر .

(٢) زاله يزاله كنالته يناله بمعنى نَحاه وهو يائيٌ^١ ورايَلته : فارقته ، تزِيلُوا تميزُوا بافتراق بعضهم عن بعض .

الغريب

* هنالك تبلو كل نفس : تذوق وتختبر جزاء ما أسلفت من العمل أو تُعَايِنُ كل نفس جزاء ما عملت . وقرأ حمزة والكسائي تلو - وله معنيان - الأول أى تطلب وتتبع ما أسلفته من أعمالها فهو من التلو - الثانى من التلاوة أى تقرأ كل نفس ما عملته مُسَطَّرًا فى صحف الحفظة .

ظهرت^(١) آثار الندامة على أسيرة وجوههم وقيل تعاتبوا سرّاً من قوله ﴿وَأَسْرُوا
النَجْوَى﴾ {الأنبياء - ٣}

﴿إِذْ تَفِضُّونَ فِيهِ﴾^(٢) : أى تخوضون وتتشرّون ، وقيل تندفعون فى تكذيب
العذاب ، والضمير فى فيه يعود إلى القرآن ، وقيل إلى العمل .

وما يعزب عن ربك : أى يغيب ، قرئ يعزب بالضم والكسر للزأى . والوجه
أنهما لغتان ، ومن هذه المادة عزبت الإبل إذا بعدت فى المرعى وعزب طهر المرأة إذا
غاب عنها زوجها . وفى الحديث " مَنْ قرأ القرآن فى أربعين ليلة فقد عزب " أى بعد
عهده بما ابتدأه منه .

﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾^(٣) : أى ادعوا شركاءكم - لأنه لا يقال أجمعت
شركائى ، والمعروف أجمع على الأمر وجمع الشركاء وغيرهم فأجمع فى المعانى ،
وجمع فى الدواب .

(١) هذا القول للمبرد حكاه الشوكانى وهو : بدت فى وجوههم أسيرة الندامة وهى الانكسار
واحدها سرار وجمعها أسارير .

(٢) يقال أفاض فلان فى الحديث والعمل : إذا اندفع فيه ، وقال الضحاك الضمير فى "فيه" عائد
على القرآن ، والمعنى إذ تشيعون فى القرآن الكذب وقال غيره الضمير يعود على العمل .
والأرجح إن شاء الله فى معنى تفيضون هو تخوضون قال الراغب : أفاضوا فى الحديث خاضوا
فيه . وقد أخطأ أبو حيان إذ قال تشرون . والصحيح تتشرون مأخوذ من قولهم : أفاض القوم
فى الحديث : انتشروا - انظر لسان العرب (ج ١٠ ص ٣٦٧) مادة "فيض"

(٣) أجمع الأمر إذا نواه وعزم عليه - وسبب نصب كلمة وشركاءكم على الأرجح اضممار فعل
تقديره وادعوا شركاءكم وهى كذلك فى مصحف أبى وقال أبو علي ، وقد تنصب الشركاء بواو
مع . وأقول وليس بالوجه وإن اقتصر عليه جار الله - وسبب الترجيح ما ذكره المؤلف من أن
"أجمع" يتعلق بالمعانى ومن هنا يتضح خطأ سيويه حيث نص على أن الواو للمعية وقد قرأ
رويس عن يعقوب الحضرمى " واجمعوا " بهمزة وصل . وعلى هذه القراءة فالعطف ظاهر أى
فأجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم .

﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: السحر^(١) يقال على معانى خداع وتخيلات لا حقيقة لها كما يفعله المشعوذ بخفة يده ، ولا يتمكن البصر من رؤية ذلك ، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للأسماع . وعلى ذلك قوله تعالى ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ الاعراف - ١١٦ وقال تعالى ﴿يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ﴾ طه - ٦٦ وبهذا المعنى سموا موسى عليه السلام ساحراً ، والثانى : استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه ، "ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر" والثالث : ما يذهب^(٢) إليه الأغتنام وهو اسم لفعل يزعمون أنه يُغيّر الصور والطبائع فيجعل الانسان حماراً ولا حقيقة لذلك عند المحصلين . وقد يكون السحر فى الكلام البليغ كقوله صلى الله عليه وسلم "إن من البيان لسحراً" والجامع فى ذلك كله هو^(٣) الأخذة . ويُطلق السحر على ما دقَّ مأخذه ولطف تأثيره . حتى قال الأطباء "الطبيعة ساحرة" وسموا الغذاء سحراً من حيث أنه يدق ويلطف تأثيره .

(١) لفظ السحر مختص - فى عُرف الشرع - بكل أمر يخفى سببه ، ويُتخيل على غير حقيقته ، ويجرى مجرى التمويه والخداع ، ومتى أطلق ولم يُقَيَّد ، أفاد ذم فاعله ومنه قوله ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ يعنى مَوَّهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيتهم تسعى وقد يستعمل مقيداً : فيما يمدح ويُحمد كقوله صلى الله عليه وسلم "إن من البيان لسحراً" لأن صاحبه يوضح الشئ المشكل بأفصح عبارة وأبلغ بيان .

تخريج حديث إن من البيان لسحراً - عن عبد الله بن عمر أنه قال : قدم رجلان من المشرق . فخطبا . فعجب الناس - يعنى لبيانهما فقال صلى الله عليه وسلم "إن من البيان لسحراً" سنن أبى داود فى : (٤٠) - كتاب الأدب ، (٨٦) - باب ما جاء فى المتشدد فى الكلام ، حديث ٥٠٠٧

(٢) انظر مادة سحر فى مفردات الراغب (ص ٢٢٦) . فكلام المؤلف منقول منها .

(٣) وفى اللسان مادة سحر السحر : الأخذة وسحره بالطعام والشراب يسحره سَحْرًا وسَحَرَهُ : غَدَّاه . والسَّحَرُ الغذاء .

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾

هذه اللام^(١) تُسمى لام العاقبة نظيرها قوله تعالى ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ {القصص - ٨} ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ {يونس - ٨٨} : الطمس لغة إزالة الأثر بالمحو فتارة يتعدى بحرف الجر وتارة بنفسه فالأول كالأية والثاني قوله تعالى ﴿من قبل أن نطمس وجوها﴾ {النساء - ٤٧}

(١) لام العاقبة والضرورة : وهى الدالة على أن ما بعدها أثر وغاية فعلية متعلقها يترتب عليه بالفعل لا بالسببية ولا بقصد فاعل الفعل الذى تتعلق به كقوله " فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا" ويميز بينها وبين لام كى الدالة على علة الفعل بالقرينة . وقد جعلها قوم لام كى وبعضهم قال إنها لام الدعاء وهو غير صحيح . وكما قال القاسمى توسع فى غير متسع . ونبو عن لطف المساق وسره . ونقول لمن ادعى أنها لام الدعاء هل دعا موسى عليهم بأن يكونوا مضلين غيرهم ؟ والجواب بعيد ذلك . والصحيح ما ذكره المؤلف ولم يحك غيره والمعنى والله أعلم - آتيتهم النعم المذكورة ليشكروها ويتبعوا سبيلك . فكان عاقبة أمرهم أنهم كفروا وضلوا عن سبيلك . انظر تفسير القاسمى ص (٣٣٨٩) والبحر المحيط (ج ٥ ص ١٨٥) .

الغريب

آية ٩٠ وأتبعهم : لحقهم - بغياً وعدوا : أى لأجل البغى والاعتداء

آية ٩٢ ننجيك : أى نخرجك من البحر بجسدك الذى لا روح فيه

آية ٩٣ مَبْوَأَ صدق : أضيف المكان إلى الصدق لأن عادة العرب إذا مدحت شيئاً أن تضيفه إلى الصدق . تقول رجل صدق ، وقدم صدق ومعنى مَبْوَأ : مكان الإقامة الأمين .

سورة هود

﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ : قيل يعطفونها^(١) على عداوة محمد صلى الله عليه

وسلم ، وقيل^(٢) على حديث النفس

﴿لَيْسَتْخَفُوا مِنْهُ﴾ : أى ليستتروا

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ : أى يجعلونها على وجوههم

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾^(٣) : ذكروا فى "لا" قولين -

وفى جرم قولين فالأول : قيل لا حرف نفى - وجرم اسمها كما تقول لأبَدَّ ولا محالة ومعناه حقا ، وقيل معناه حقَّ لَهُ ومحله رفع بالابتداء ، وأن وما بعده فى محل رفع بالخبر والثانى : أن لا ردُّ لكلام سابق ومعنى جرم كَسِبَ^(٤) ، وفاعله مضمَر أى كَسِبَ فعلهم أنهم فى الآخرة ، وكذا قوله تعالى لا جرم أن لهم النار . قال^(٥) : ولقد طعنت أبا عِيْنَةَ طعنةً جرمت فزارةً بعدها لم يغضبوا - وقيل معنى جرم وَجَبَ ، وأن لهم النار فاعله ، وقيل معناه قطع ولا لنفى الفعل أى لا قطع قاطع عن ذلك ، وروى

(١) قال الشوكاني يقال ثنى صدره عن الشيء : إذا أَوَّرَ عنه وانحرف منه ، فيكون فى الكلام كناية عن الاعراض ، وقيل معناه : يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق ، فيكون فى الكلام كناية عن الاخفاء لما يعتقدونه من الكفر كما كان دأب المنافقين . والوجه الثانى أولى ، ويؤيده "ليستخفوا منه" ١. هـ وهو قول الفراء والزجاج .

(٢) وهو قول الحسن - انظر النكت والعيون (ج ٢ ص ٤٥٧)

(٣) لا جرم لفظة مركبة من "لا" ومن "جرم" بُنِيَتْ ومعنى لا جرم حق عند سيبويه والخليل

(٤) وهذا قول الزجاج - انظر المحرر الوجيز ، البحر المحيط

(٥) هو الشاعر أسماء بن الضريبة . وقيل عطية بن عفيف . وفى معانى القرآن للفراء جرمت فزارةً بعدها أن تغضبا .

فى كلامهم لا جرم إنه بكسرها وروى^(١) لاجر إنه بكسر إن وحذف الميم .

﴿ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ : أى تواضعوا^(٢) وقيل أنابوا^(٣) واشتقاه من الخبت

وهى الأرض المنخفضة^(٤) ، وقيل المستوية ، كما تقول أنجد وأتهم ، يقال أختبت الله وفيه خبئة أى تواضع .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا ﴾^(٥) : قيل جمع رذل على أرذل ثم أرادل ككلب وأكلب

وأكالب . وقيل هو جمع^(٦) الأرذل وهو الناقص القدر والأول أظهر لأن الأفعال يقتضى الشركة أولا ثم الزيادة وقد رذل فلان بالضم يرذل رذالة ورذولة فهو رذول ورذال بالضم من قوم رذول وأرادل ورذلاء - ذكر كله عن يعقوب .

﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾^(٧) : على أنه اسم فاعل^(٨) من بدأت الشيء أبدأه أى اتبعوك

(١) قال الفراء . ولكثرتها فى الكلام حذفت منها الميم فبنو فزارة يقولون : لا جر أنك قائم .

(٢) هذا محكى عن معمر وكذلك فسره ثعلب وحكاه ابن منظور عن مجاهد أيضا

(٣) هذا قول قتادة

(٤) أصل الاختبات قصد الخبت وهو المكان المطمئن المنخفض من الأرض والنزول فيه وقال الراغب ثم استعمل الاختبات استعمال اللين والتواضع قال الله تعالى " وبشر المخبتين " أى المتواضعين

(٥) الرذل والرذيل والأرذل : الدون من الناس والجمع أرادل - ذهب المؤلف إلى أن أرادل جمع الجمع هو الصحيح إن شاء الله تعالى ويؤيده ما ذكر من أن الأفعال يقتضى الشركة أولا ثم الزيادة ، وقد يقال الرذل والأرذل بمعنى وهو الخسيس الدنى - وقد كسر هنا لأنه صار بالغلبة جارياً مجرى الاسم ومعنى كونه جارياً مجرى الاسم أنه لا يكاد يذكر الموصوف معه كالأبطح والأبرق .

(٦) هذا اختيار جار الله ورجحه صاحب القاموس

(٧) هكذا رسمت بالأصل وهى قراءة أبى عمرو بن العلاء .

(٨) المعنى فيمن قال بادى رأى بلا همز فجعله من بدا إذا ظهر أى ما اتبعك إلا الأراذل فيما ظهر لهم من رأى إن لم يتعقبوه بنظر فيه وروية . وهاتان الكلمتان تتقاربان فى المعنى لأن =

من أول الأمر من غير روية والبادى المبدى ، ومبتدأ الرأى ، أول الرأى وفى الحاشية^(١) ونصبه على الحال من الكاف من اتبعك وهو ضمير نوح عليه السلام وقيل هو على النداء أى يا بادئ الرأى ومن قرأ بادى الرأى بغير همز فهو من بدا الشئ إذا ظهر ، والبادى : الظاهر ، وفى الرأى قولان : أحدهما من الرؤية كقولك رأى العين ، والثانى من التفكير وهو أظهر .

﴿ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي ﴾ : أقلعت السماء إذا ارتفع مطرها^(٢) .

﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ ﴾ : غار^(٣)

= الهمزة فى اللام معناها ابتداء الشئ وأوله واللام إذا كانت واواً : كان المعنى الظهور ، وابتداء الشئ يكون ظهوره فلذلك يستعمل كل منهما مكان الآخر - وجاز فى اسم الفاعل أن يكون ظرفاً كما جاز فى فعل نحو قريب وملئ لأنّ فاعلاً وفعيلاً يتعاقبان على المعنى نحو عالم وعليم وشاهد وشهيد وحسن ذلك إضافته إلى الرأى وقد أجروا المصدر أيضاً فى إضافته إليه فى قولهم أما جهد رأى فإنى منطلق فهذا لا يكون إلا ظرفاً قاله أبو علي الفارسي .

(١) وفى انتصاب بادئ أقوال أشهرها قول أبى عليّ فى الحجة أنه منصوب على الظرفية ، وقيل نعت لقوله بشراً - وقيل انتصب حالاً من ضمير نوح فى " اتبعك " أى : وأنت مكشوف الرأى لا حصافة لك . وقيل : انتصب على النداء لنوح أى : يا بادئ الرأى . أقول يشكل على رأى الجمهور فى اعراب بادئ منصوباً على الظرفية بأن فاعلاً ليس بظرف فى الأصل . وما قالوه من أنّ الصفات لا يتوب منها عن الظرف إلا فعيل فهو من الأمور الغريبة وما ذكره المؤلف من انتصابه على الحالية هو أحد أقوال أهل العلم وأظنه قول الراسخين فى العلم والذى يؤيد هذا القول قوله تعالى على ألسنتهم بعد هذه الجملة " وما نرى لكم علينا من فضل "

(٢) قال الراغب وسُميَ المطر سماء لخروجه منها ، أى من السماء - وقيل أقلعي أى لا تمطري من قولهم أقلّع عن الشئ إذا تركه وقيل ميز الله بين الماءين ، فما كان من ماء الأرض أمرها فبلعته، وصار ماء السماء بحاراً .

(٣) غيض الماء : فُسّر بـ نقص وقال الجوهري غاض الماء إذا قلّ ونضب وعبارة المؤلف أصح لأن نقص ضد زاد ولو صح ذلك لما جفت الأرض بسرعة . وعن تنبيه لها صاحب المنار فقال : غيض : غار فى الأرض ونضب بابتلاعها له .

﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ : الجودی : جبل بجزيرة ابن عمر من أعمال

الموصل (١)

﴿بِعَجَلٍ حَنِيدٍ﴾ : أى مَشْوًى (٢) ، والمحنوذ المشوى جميعه غير مُفَصَّل الأعضاء

، وقيل مطبوخ (٣) ، وقيل المحنوذ الذى يسيل دهنه من شدة حناذ الحجارة ، ومنه فرس محنوذ إذا سال عرقه من الجرى ، وقيل حنيد : سمين (٤).

﴿نَكَرَهُمْ﴾ (٥) : يقال نَكَرَ الشَّيْءُ وأَنكَرَهُ وأَصْلُهُ أَنْ يرد على القلب (٦) مالا

يتصوره، وقد ينكر باللسان ما هو فى الجنان لقوله تعالى "يعرفون نعمة الله ثم

(١) وهو قول الضحاك

(٢) قال الحسن : نضيج مشوى سمين يقطر ودكا

(٣) وقال مجاهد : مطبوخ - قوله من شدة حناذ : أى سُخُونَة الحجارة

(٤) هو قول السدى

الغريب

مُجَرَّأها أى اجراءها أى وقت اجرائها على أنه اسم زمان أو مصدر ميمى بمعنى الاجراء ، ويقدر مضاف محذوف وهو وقت ، كما فى قولك أتيتك خفوق النجم والتقدير وقت خفوقه . ومَجَرَّأها بفتح الميم أى جَرَّيْها والمعنى والله أعلم اركبوا فيها مُسَمِّينَ الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها أو مكانهما .

ومُرْسَاها : ولم يُقْرَأ سوى بضم الميم أى : استقرارها

اعتراك : أى عرض لك بسوء أو قصدك بسوء أو أصابك .

(٥) وفى اللسان والنكرة : إنكارك الشئ - وهو نقيض المعرفة ونكر الأمر نكيراً وأَنكَرَهُ إنكاراً ونَكَرَ: جَهِلَهُ . قال ابن سيده : والصحيح أن الإنكار المصدر ، والنُّكْر الاسم

(٦) قال الراغب : وأصله أن يرد على القلب ما يتصوره وذلك ضَرْبٌ من الجهل - المفردات

ص(٥٠٥)

ينكرونها" وهو الكذب وقد جَمَعَ بين نكر و أنكر الشاعر وهو الأعشى "وانكرتني وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيبَ والصَّلَعَا" .

﴿بَعْلِي شَيْخًا﴾ : البَعْل : الزوج ^(١) - والبعل : ملاعبة الرجل أهله . وقيل أصله القائم بالأمر ومنه بَعْل النخلة ^(٢) التى تشرب بعروقه فتستغنى عن تكلف السقى ، ويقال للمرأة بعل وبعلة مثل زوج وزوجة ، وبَعْل الرجل : صار بَعْلًا - قال "ياربَّ بَعْلٍ ساء ما كان بَعْلٌ" . ويقولون : مَنْ بَعْلُ هذه الناقة أى مَنْ سَيِّدُهَا . وبَعْل : اسم صنم . قال الراغب أما قولهم بَعْلُ هذه الناقة فيريدون المستعلى عليها ، ويقولون للأرض المستعلية على غيرها بَعْلٌ - قال الجوهري ^٣ - ويقولون بَعْل الرجل بالكسر إذا دُهِش ^(٣) وامرأة بَعلة .

وامراته قائمة فضحكت : الضحك والتبسم ، وفيه أربع لغات - ضَحَكًا و ضِحْكًا و ضَحِكًا و ضِحْكًا . والضَّحْكُ : الطَّلَعُ ^(٤) حين ينشق ، واختلف في تفسير ضحكها ، فقليل تبسمت سروراً ^(٥) بالأمر لأنها خافت كما خاف إبراهيم ،

(١) قال الراغب وجمع بعل بَعُولَة نحو فحل وفحولة . ولما تُصَوَّر من الرجل الاستعلاء على المرأة فجعل سائسها والقائم عليها ، وقد سمى باسم كل مستعلٍ على غيره فسمى العرب معبودهم الذى يتقربون به إلى الله بَعْلًا لاعتقادهم ذلك فيه وقيل لفحل النخل بعل تشبيها بالبعل من الرجال ، ولما عظم حتى يشرب بعروقه بَعْلٌ لاستعلائه - وبُنِيَ من لفظ البعل المُباعلة والبعل كناية عن الجماع ١٠ هـ

(٢) والبَعْل من النخل : ما شرب بعروقه من غير سَقْي سماء . انظر ما اتفق لفظه واختلف معناه للشجرى (ص ٤٢)

(٣) أقول قال الراغب بَعْل فلانٌ بأمره إذا دُهِشَ وثبت مكانه ثبوت النخل فى مقرّه .
(٤) يقصد طَلَعَ النخل حين ينشق ، وضحكت النخلة وأضحكت . أخرجت الضَّحْكُ .

(٥) قال الشوكانى والضحك هنا هو الضحك المعروف الذى يكون للتعجب أو للسرور كما قاله الجمهور . وقال مجاهد وعكرمة : إنه الحيض ، وقد أنكر بعض اللغويين أن يكون فى كلام العرب ضحكت بمعنى حاضت .

وقيل ^(١) ضحكت تعجباً من احياء الله تعالى العجل المشوى وعوّده إلى مرّعه ،
وقيل ^(٢) ضحكت من البشارة بالولد وفيه تقديم وتأخير ، والتقدير فبشرناها بإسحاق
ومن وراء اسحاق يعقوب فضحكت ، وقيل ضحكت : حاضت من ضحكت الأرنب
إذا حاضت ، وضحكت السمرة إذا سالت منها صمغة تشبه الدم ، وقيل ضحكت
أشرق لونها حين بشرت بالولد من قولهم : ضحكت الروضة كما قال الأعشى -

"يُضَاحِكُ" ^(٣) الروض منها كوكبٌ شَرِقٌ مؤزَّرٌ بعميم النَّبتِ مُكْتَهِلٌ .

﴿ لَحْلِيمٌ أَوَاهٌ مُنِيبٌ ﴾ : الأواه ^(٤) الذى يُكثِرُ التَّأوّه ، ويُطْلَقُ عَلَى مَنْ يُظْهِرُ
خشية الله تعالى . وقيل فى الأواه المؤمن الدّاعي ، ويُقال ^(٥) ايها إذا كَفَفْتَهُ وَوَيْهًا إِذَا
أَغْرَيْتَهُ ، وواهًا إِذَا تَعَجَّبْتَ مِنْهُ .

﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ : يُقَالُ لِمَنْ لَا يَطِيقُ الْأَمْرَ "ضَاقَ بِهِ ذَرْعًا" وَأَصْلُ
الذَّرْعِ ^(٦) بَسْطُ الْيَدِ فَكَأَنَّكَ تُرِيدُ مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْهِ فَلَمْ أَتْلَهُ ، وَرَبَّمَا قَالُوا ضِيقَتْ بِهِ
ذِرَاعًا.

(١) هذا القول ذكره القرطبي وابن عطية دون عزو وعزاه الماوردي إلى عون بن أبي شداد .

(٢) هذا القول مروى عن ابن عباس - انظر البحر (ج ٥ ص ٢٤٣)

(٣) شطر هذا البيت فى المفردات .

(٤) هذا قول الراغب

(٥) هذا قول أبى العباس وقال أبو حيان أواه كثير قول أوه وهى اسم فعل بمعنى أتوجع وورنه فعّال
للمبالغة ١٠ هـ وقال فى موضع آخر والأواه الدّعاء أو المؤمن أو الفقيه أو الرحيم

(٦) قال الألوسى وهو فى الأصل مصدر ذرع البعير بيديه يذرع فى مسيره إذا سار ماداً خطوه .
مأخوذ من الذراع وهو العضو المعروف ثم توسع فيه فوضع موضع الطاقة والجهد . وفى
الصّحاح : ضِيقَتْ بِالْأَمْرِ ذَرْعًا إِذَا لَمْ تَطِقْهُ وَلَمْ تَقْوَ عَلَيْهِ وَأَصْلُ الذَّرْعِ بَسْطُ الْيَدِ فَكَأَنَّكَ تُرِيدُ
مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْهِ فَلَمْ أَتْلَهُ . وربما قالوا : ضِيقَتْ بِهِ ذِرَاعًا .

﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ : شديد الشر ، وكذلك عَصَبَبَ ، وأصله من العَصَبِ وهو الشد^(١) - والحبل الذى يُعَصَّب به عِصَاب .

﴿يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ : الاهرع : الإسراع^(٢)

﴿أَوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ : تقول أوى فلانُ إلى منزله يأوى أويًا . وإواء^(٣) وآويته إيواءً وأويته إذا أنزلته بك - والركن ما يركنُ إليه الانسان^(٤) من مالٍ أو جُندٍ أو عشيرة وكل ما يوجب قوةً .

﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ : القِطْعُ^(٥) من الليل الجزء من الساعة

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ : قال الجوهري مطر وأمطر على حدّ سواء فى لغة قوم ، وكذا قال الراغب لكن قال : يُقال مطر فى الخير وأمطر فى العذاب ، حُجَّةٌ مَنْ يقول مطر وأمطر بمعنى قوله تعالى ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ [الاحقاف - ٢٤} وجميع ما جاء فى القرآن فى آية العذاب أمطر .

﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ : السِّجِّيل^(٦) : حجارة من طينٍ مخلوط فيه حجارة

(١) كأنه لشدة شره عصب بعضه ببعض

(٢) الاسراع فى فزع وقال الكسائى : الاهرع : الاسراع فى رِعْدَةٍ قال ابن عباس وقتادة والسدى : يهرعون : يهرولون . وقال الضحاك يسعون

(٣) قوله إواءً لعله تصحيف والذى فى المفردات أوى يأوى أويًا ومأوى ، تقول أوى إلى كذا انضم إليه يأوى أويًا ومأوى ، وآواه غيره يؤويه إيواءً

(٤) رُكن الشيء جانبه الذى يسكن إليه ويُستعار للقوة .

(٥) فيه أربعة أقوال . قول ابن عباس قطعة من الليل - سواد الليل قاله قتادة نصف الليل الفجر الأول قاله حميد بن زيد - قال القاسمى : أى بطائفة من آخر الليل أى ببقية سواد منه عند السحر وهو وقت استغراقهم فى النوم ، فلا يمكنهم التعرض له ولا لأهله ١٠ هـ

(٦) سجيل : حجر وطين مختلط - والسجلُّ قيل حجر كان يُكتب فيه ثم سُمى كل ما يكتب فيه =

مَشْرُوعَةٌ بالنار .

﴿ مَنُضُودٌ ﴾ : المتراكب بعضه على بعض من نَضَّدَت المتاع أَنْضَدَهُ بالكسر إذا

نَزَلَتْ بعضه فوق بعض (١)

﴿ مَسُومَةٌ ﴾ : مُعَلِّمَةٌ عليها آثار الخواتيم مكتوب (٢) عليها أسماء مَنْ تقع عليه .

﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ ﴾ (٣) : أى بركته

﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ : مُتَحَبِّبٌ (٤) إلى عبادِهِ بالإحسان إليهم وقيل مُحِبٌّ

للمؤمنين وجمعه ودَّاءٌ يستوى فيه المذكر والمؤنث ، وقال الثعلبي : محبوب للمؤمنين

= سَجَلًا - قال ابن عباس : فارسي معرب وهو " سنك وكيل " وفى سورة الذاريات ﴿ حِجَابَةٌ مِنْ طِينٍ ﴾ قال صاحب المنار : وقيل إنه من النار وأصله سجين فأبدلت نونه لاما ، وهو موافق لرواية سفر التكوين ، فإنَّ صحَّ يكون من بركان من البراكين ١ . هـ

(١) ذكر أصحاب التفسير هذا الكلام غير معزو لأحد .

(٢) أى يرسل بعضه فى إثر بعض متابعا - قال الريح قد نُضِّدَ بعضه على بعض .

(٣) فيها ستة أقوال - عن ابن عباس أنه - رزق الله - وعن قتادة : حظكم من ربكم خير لكم وعن مجاهد طاعة الله - وقال ابن جرير الطبرى : ما أبقاء الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان خير لكم - وهو قريب من قول المؤلف ونسبه ابن عطية إلى ابن عباس ثم قال وهذا تفسير يليق بلفظ الآية . وقال القاسمى : أى ثوابه الباقي على وفاء الكيل والوزن - أو ما أبقاء لكم بعد التنزه عن الحرام فإنَّ المؤمن يبارك له إذا تنزه عن الحرام ١ . هـ

(٤) لم أجد فى كتب التفسير واللغة عبارة أجمل من عبارة المؤلف - غير أن صاحب المنار - قال : والمودة فى اللغة عطف الصلة والاکرام بالفعل كما يعلم من استعمالها وتساهاى أو غلط مَنْ فَرَّها بالمحبة . وقال أبو حيان متحجب إلى عبادِهِ بالإحسان إليهم ، وقيل محبوب للمؤمنين ، ورحمته لعباده ١ . هـ وقد أخطأ أبو حيان فى قوله محبوب لأنه - والله أعلم - فرَّ من اثبات المحبة لله - وقد قال غير واحد من المفسرين - المحبة من الله بمعنى الرضى - وهذا التأويل كما تعلم فاسد لوجه ليس هذا من مقامه .

وهو بعيد عند النحاة لأنه لم يأت فعول بمعنى مفعول ، والودود قريب من معنى الرحيم لكن الرحمة تستدعى مرحوماً ضعيفاً - وأفعال الودود لا تستدعى ذلك بَلْ الانعام منه على سبيل الابتداء من نتائج الود .

﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ : الرَّهْطُ^(١) ما دون العشرة ليس فيهم امرأة وقيل يُقال إلى الأربعين ، والجمع أرهط وأراهط ، كأنه جمع أرهط ويجمع على أراهط - والرهط : جلد تلبسه الحائض ، وقيل خرقة يُحشى موضع الحيض - والراهط جحر من جحرة اليربوع ويقال لها رهطة .

﴿ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودَ ﴾ : يُقال^(٢) بَعِدَ يَبْعِدُ بَعْدًا إِذَا هَلَكَ

﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبَ ﴾ : يُقال تَبَّبُوهُمْ^(٣) تَتْبِيبًا أى أهلكوهم وأصله من التباب وهو الخسران .

﴿ غَيْرَ مَجْذُوذَ ﴾ : أى مَقْطُوع - تقول جَذَهُ يَجْذُهُ جَذًا إِذَا قَطَعَهُ ومنه جَذَّةُ الثَّوْبِ لأنها تقطع عند الفراغ من الحياكة . والجُذَاذ والجِذَاذ والضم أفصح لما يُقطع ويُكسر .

﴿ مَا أَتَرَفُوا فِيهِ ﴾ : يُقال أَتَرَفَتِ النِّعْمَةُ أى أَطَغَتُهُ لِأَنَّ التَّرَفَ : التَّوَسُّعَ فِي النِّعْمَةِ ، يُقال أَتَرَفَ فُلَانٌ فَهُوَ مُتَرَفٌ .

(١) هذا رأى الراغب وقال والرهطاء جحر من جحر اليربوع ويقال لها رَهْطَةٌ والرَّهْطُ : أديم تلبسه الحائض من النساء - وقيل : الرهط خرقة تحشو بها الحائض متاعها عند الحيض ١ هـ .

(٢) قال الراغب - بَعِدَ : مات - والبُعْدُ أكثر ما يقال فى الهلاك . والبَعْدُ أيضا

(٣) وفى المفردات - التَّبُّ والتَّبَابُ : الاستمرار فى الخسران - يقال : تَبَّأَ لَهُ وَتَبَّأَتْ لَهُ وَتَبَّأَتْ إِذَا قَلَّتْ لَهُ ذَلِكَ . ولتضمن الاستمرار قيل : استتب لفلان كذا وتبت يدا أبى لهب أى استمرت فى خسارته ، تتبيب : تخسير ١ هـ .

الغريب

* أصلاتك : دينك

* أرايتم : أخبروني

* لا يجرمنكم شقاقى : لا يكسبنكم عداوتى أو معنى لا يجرمنكم : لا يحملنكم

* ظَهْرِيًّا : أى نسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يُعْبَأُ به

* مكانتكم : غاية تمكنكم واستطاعتكم - أو على جهتكم وحالكم التى أنتم عليها من كفركم وعداوتكم .

* وارتقبوا إني معكم رقيب : منتظر لهلاككم .

* الرُّفْد : العطاء والصلة

* الشهيق ضد الزفير ، لأن الشهيق رد النفس ، والزفير اخراج النَّفْس من شدة الجرى وهو أن يملأ الرجل صدره حال كونه فى الغم الشديد من النفس ويخرجه . والشهيق : أن يخرج ذلك النفس بشدة .

* وزلفا من الليل : ساعات منه ، وهى ساعاته القريية من آخر النهار .

سورة يوسف

﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ : الشمس تطلق على القرصة وعلى الضوء المنتشر عنها
وهي مؤنثة وتُجمع على شمس^(١) ويُقال فلانُ شمس إذا ندَّ ولم يستقرَّ تشبيهاً له
بالشمس في عدم استقرارها ، ويقال للبعل شمس ، والشمس نوع^(٢) من الحلى ،
ويقال شمس يومنا يشمس ويشمس ، ويقال أشمس بالالف ، وشمس فلانُ أبدى
عداوته ، وأما القمر ولا يُسمَّى إلا بعد مُضيِّ ثلاث ليالٍ واختلف في اشتقاقه فقليل من
قمر الكواكب إذا قهر ضوءها وقيل لبياضه فإن القمرة البياض^(٣) .

(١) وفي المفردات ص(٢٦٧) وشمس فلانُ شماساً إذا ندَّ ولم يستقر تشبيهاً بالشمس في عدم
استقرارها ١ هـ .

(٢) وفي اللسان شمس لى فلانُ إذا بدت عداوته فلم يقدر على كتمها والشمس : ضرب من
القلائد - قال اللحياني الشمس : ضرب من الحلى مذكر (ج ٧ ص ١٩٣) .

(٣) وفي لسان العرب قال ابنُ سيده والقمر يكون في الليلة الثالثة من الشهر وهو مشتق من القمرة .
وقال الجوهري القمر بعد ثلاث إلى آخر الشهر يسمى قمراً لبياضه . (ج ١١ ص ٢٩٩) .
الغريب

يوسف : اسم عبراني وهو بمعنى "يزيد" في اللغة العربية . وذلك لما روى أن أمه "راحيل"
كانت قعدت عن الحمل مدة ، ولحقها الحزن تلقاء ضرتها الوالدات . ولما وهبها الله تعالى ،
بعد سنين ، ولدا سمته يوسف وقالت : يزيدي به ربي ولداً آخر . راجع محاسن التأويل
ص(٣٥٠) .

يجتبيك : يصطفيك .

عُصْبَةٌ : جماعة أقوياء . سموا بذلك لكون الأمور تُعصب بهم ، أى تشد فتقوى . وذكرها
ليس لإفادة العدد فقط بل للإشعار بالقوة ، ليكون أدخل في الإنكار لأنهم قادرون على خدمته ،
والجد في منفعة فكيف يؤثر عليهم مَنْ لا يقدر على ذلك؟

﴿ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ ﴾ : الغيابة^(١) : الْقَعْرُ ، والجُبُّ : البئر التى لم تُطَوَّ وجمعها جِبَاتٌ ، و جَبَّةٌ . وكذا غيابة الوادى وأصل المادة من الغيبة - تقول غاب عنه غيبا وغيبةً وغيوباً ومغيباً ، وتفرّد نافع بقراءة غيابات نظراً إلى أن الجُبَّ له عِدَّةُ أماكن يغيب الشخص فيها .

﴿ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ : السيارة : المسافرون لأنهم يسرون فى الأرض ونقلت العرب هذا الجمع وسمّيت به فقالوا أبو سيّارة ، ومن أمثالهم "أصحُّ من غير أبى سيّارة"^(٢) قيل كان يدفع بالناس من جمع أربعين سنة على حمارة قال الراجز خلّوا الطريق عن أبى سيّارة وعن مواليه بنى فزاره حتى يُجيز سالما حماره .

﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ : العصبة : الجماعة من العشرة إلى الأربعين

يرتع ويلعب^(٣) : الأصل فى ذلك قولهم رتعت الماشية ترتع رتوعاً إذا أكلت ما شاءت ، واستعارته العرب لخروجها للهو والتنعم والقدر الجامع عدم الاحتراس فى الفعل وخروج الرجل كيف شاء كالماشية .

﴿ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ : الكذب نقيض الصدق ، والصدق مطابقتها للواقع والكذب : عدم مطابقتها ، ويوصف به القول والفعل . أما القول فلقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى

(١) قال الراغب والغيابة مُنْهَبَطٌ من الأرض ومنه الغابة للأجمة ١. هـ والغيابة أيضا غَوْرُ الشئ أى قعره . الجُبُّ : البئر التى لا حجارة فيها .

(٢) الرجز فى اللسان منسوب إلى أبى سيارة العدوانى اللسان (ج ٦ ص ٤٥٤).

(٣) الرتع : الأكل والشرب ، والسعى والنشاط ، حيث تكون الخضرة والمياه والزرورع .

قال الراغب الرتع : أصله أكل البهائم - واقتصر المؤلف على واحد من مصادر الفعل وهى كثيرة منها رَتَعاً ، رَتَاعاً - والاسم الرَّتْعَةُ والرَّتْعَةُ .

الكذب ﴿النحل - ١٠٥﴾ وأما الفعل فكقولك فعلة كاذبة وفعلة صادقة ، ووصف الدم بالكذب^(١) من باب الفعل ، وقرأت عائشة رضى الله عنها "بدم كذب"^(٢) بدال مكان المعجمة أى طرى ، وقولهم كذب لبن الناقة إذا ظن أنه يدوم فلم يدُم ، وقولهم كَذَبَ^(٣) عليك الحج أى وجب ، وقولهم كذب عليك العسل بالنصب أى عليك بالعسل وذلك إغراء ، وقيل العسل هاهنا العسلان وهو العدو ، والكذابة ثوب يصنع بلون فكأنه مُوشى وليس كذلك^(٤) . ويقال رجل كذاب وكذوب وكُذْبَذَبَ وكُذِبْبان كل ذلك على جهة المبالغة واستعمل العرب كذب فى معانٍ منها :

قولهم "ما كذب إن فعل" أى ما لبث "وحمل فى اكذب" أى فما جبن وحمل ثم كذب فلم يصدق^(٥) .

﴿وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً﴾ : أى أخفوه^(٦) .

﴿وَشَرَّوهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ﴾^(٧) : أى باعوه وقد تقدّم بثمن بخس أى ناقص .

(١) قرأ الجمهور ، بدم كذب وصف لـ "دم" على سبيل المبالغة أو على حذف مضاف ، أى ذى كذب لما كان دالا على الكذب وصف به ، وإن كان الكذب صادراً من غيره ١ هـ البحر .
(٢) هو فى البحر وقيل الكذب بالمهملة الكدر - الطرى ، واليابس ، وقال صاحب اللوامح : ومعناه ذى كذب ، أى : أثر ، لأن الكذب يياض يخرج فى أظافير الشبان ويؤثر فيها فهو كالنفس ١ هـ . وفى الهامش وتُعزى هذه القراءة إلى الحسن البصرى .

(٣) انظر المفردات ص (٤٢٨) .

(٤) انظر المفردات ص (٤٢٧ ، ٤٢٨) .

(٥) اللسان (ج ١٢ ص ٥٢) .

(٦) أخفوه متاعاً للتجارة ، بضاعة : حال - وقد ضمن "أسروه" معنى جعلوه أى جعلوه بضاعة مسرين فهو مفعول به أو مفعول له أى : لأجل التجارة والبضاعة من البَضْع ، وهو القَطْع لأنه قطعة وافرة من المال تقتنى للتجارة .

(٧) الضمير فى أسروه ، شروه - للسيارة ، لأنها بمعنى القوم السائرين .

﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةً﴾: الدرهم فيه ثلاث لغات كسر الهاء وفتحها ودرهم وجمعه دراهيم وليس من باب الإشباع كما ذهب إليه ابن مالك نص عليه الجوهري ، قيل كانت^(١) احدى وعشرين ، وقيل أنقص منها .

﴿أَكْرَمَى مِثْوَاهُ﴾ : أَى إِقَامَتُهُ^(٢) .

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: اختلف العلماء فيه : ف قيل ابتداء الأشد^(٣) بلوغ الخُلم وقيل ثمان عشرة سنة ، وقيل احدى وعشرين ، لأنه يتقوى بسبع سنين ويبلغ بسبع بعدها ويتناهى طوله وقوته بسبع بعدها . فأخر الإبتداء أربعون سنة ، وقيل ستون واحدا شَدَّ . مثل قَدْ وَأَقْدُ ، وقيل واحدا شَدَّ مثل ذَنْبٌ وَأَذُوبٌ . وقيل هو جمع لا واحد له مثل أباييل وعباييد ، وقيل واحد جاء على بناء الجمع مثل الآنك وهو الأشْرَبُ ولا نظير لهما ، وقيل واحدُهُ شِدَّةٌ وهو أحسنُ فى المعنى من قولهم "بلغ الغلام شِدَّتَهُ" إلَّا أَنْ فَعَلَةٌ لَا تُجْمَعُ عَلَى أَفْعَلٍ^(٤) .

﴿وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ : أَى طَالِبَتُهُ^(٥) وَأَصْلُهُ مِنَ الرَّوْدِ وهو الذهاب والمجئ وكان المراودة تختص بطلب المواقعة .

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾^(٦) : أَى هَلُمَّ لَكَ يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث وإلّا

(١) والذى فى كتب التفسير أنها كانت عشرين درهما وهو مروي عن ابن عباس وجماعته .

(٢) مِثْوَاهُ : مكان إقامته ، وهو كناية عن الاحسان إليه فى مأكل ومشرب وملبس .

(٣) قاله الزجاج وسعيد .

(٤) وهو قول سيويه (ج ٧ ص ٥٦) .

(٥) المراودة : المطالبة برفق من راد يرود إذا ذهب وجاء وهى مفاعلة من واحد نحو داويت المريض وكنى به عن طلب النكاح ، والمخادعة لأجله .

(٦) قال أبو حيان اسم فعل بمعنى أسرع وقال عكرمة وأبو زيد هى عبرانية هيتالخ . أقول بل هى هيروغليفية وقد اكتشفت بعد فك شامبليون رموز حجر رشيد .

أن العدد فيما بعده - تقول هَيْتَ لَكَمَا ، وهَيْتَ لَكِنَّ ، وقرئ هَيْتَ^(١) لك أى تَهَيَّأَ ذلك لك ، واختلف فيها ، فقليل لغة قبطية عن السدى ، وعن الحسن سُريانية معناها عليك ، الكسائي حورانية ، مجاهد عربية وأصلها الصَّيْحَة - قال : قدَّ رابنئ الكرى اسكتا لو كان مَعْنِيَا بِنَا لَهَيْتَا * وفيها لغات هَيْتَ^(٢) ، وهَيْتَ^(٣) ، وهَيْتَ^(٤) ، وتهَيَّأت ، وهَيْت .

﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾^(٥) : مصدر أى أعوذ معاذ ربى ، والمعاذ اللتجاء لأنه يُعَاذُ به من الخوف ، ومن هذه المادة العُوْذَة والرُقِيَّة فإنه يُعَاذُ بها من العين ، ومعاذ الله : مصدر جُعِلَ بدلاً من اللفظ بالفعل مثل سبحان الله ، ويُقال معاذة الله ، ومعاذ وجه الله .

﴿ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ : المَثْوَى^(٦) يَصْلُحُ للمصدر بمعنى الإقامة وَيَصْلُحُ مكان موضع الإقامة ، تقول ثوى بالمكان يثوى ثواءً وَثُوِيًا وَثُوِيَتْ^(٧) لغة فى ثُوِيَتْ وأبو مثنواه^(٨)

(١) قراءة أبى جعفر ونافع وابن ذكوان .

* ذكره ابن عطية فى المحرر ولم ينسبه لأحد وكذلك صاحب اللسان وقال وهَيْتَ بالرجل ، وهَوَتْ به : صَوَّتَ به وصاح ودعاه ، فقال له : هَيْتَ هَيْتَ - والراجع ما ذكرناه أنها لغة قبطية قديمة نقلها العرب إلى لغتهم . والله أعلم .

(٢) وهى قراءة أبى عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف .

(٣) قراءة ابن كثير هَيْتُ لك .

(٤) قراءة هشام هَيْتَ لك .

(٥) هذا أحد مصادر عاذ يعوذ عَوْذًا ومعاذًا وَعُوْذَةً وَعِيَاذَةً وَعِيَاذًا .

(٦) يقول أهل اللغة : المَثْوَى : الموضع الذى يقام به وجمعه المَثَاوَى ، ومثوى الرجل منزله - والمثوى : مصدر ثُوِيَتْ أَثْوَى ثَوَاءً وَمَثْوَى .

(٧) هذا عند الأزهري وقال غيره أَثْوِيَتْهُ وَثُوِيَتْهُ : ألزمتُهُ الثَوَاءَ فيه .

(٨) قاله ابن سيده .

صاحبُ منزله ، والثَّوْبَةُ^(١) مَأْوَى الغنم وكذلك الثَّأْبَةُ بلا همز .

﴿ هَمَّتْ بِهِ ﴾ : الهمُّ^(٢) : مراجعة النفس فى أمرٍ تريد فعله ولم تدخل فيه .

﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ ﴾ : أى قطعتهُ .

﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا ﴾ : وجدا .

﴿ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ : بلغ شغاف قلبها .

والشَّغَافُ : غلاف القلب وقرأ ابنُ محيِصن^(٣) شغفها بالعين المُهملة أى ذهب بها

(١) قاله الجوهرى . اللسان (ج ٢ ص ١٥٣) مادة ثوى .

(٢) قال الجرجانى الهم : هو عقد القلب على فعل شئٍ قبل أن يفعل من خير أو شر - التعريفات باب الهاء (٢٥٧) .

وعموماً فالهم يكون بمعنى القصد والإرادة ويكون فوق الإرادة ودون العزم ، إذا أريد به اجتماع النفس على الأمر والازماع عليه ، وبالعزم : القصد إلى إمضائه فهو أول العزيمة . وهذا معنى قولهم : الهم هَمَان : هم ثابت معه عزم وعقد ورضا وهو مذموم مُؤاخَذ به ؛ وهمُّ بمعنى خاطر ، وحديث نفس ، من غير تصميم ، وهو غير مؤاخَذ به . لأن خطور المناهى فى الصدور ، وقصورها فى الأذهان ، لا مؤاخَذة بها ما لم توجد فى الأعيان . والله أعلم ، والمعنى . لقد جاذبته الطبيعة البشرية والميل الجبلى كالصائم فى الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على الميل إليه وطلب شربه ، ولكن يمنعه دينه عنه ، وهذا الميل لا يكاد يدخل تحت التكليف . ولقد فرّق القرآن بين همها وهمه حيث لم يُلْزَأْ فى قرَنٍ واحد من التعبير ، بأن قيل : ولقد هم كل منهما بالآخر .

(٣) أقول هى قراءة ابن محيِصن والحسن . قال الجوهرى : وشغفه الحب أحرق قلبه . وقال أبو زيد : أمرضه - ابن محيِصن : هو محمد بن عبد الرحمن بن محيِصن السهمى مولاهم المكى . مقرئ أهل مكة مع ابن كثير . ثقة روى له مسلم ، عرض على مجاهد بن جبير ، ودرباس مولى ابن عباس ، وسعيد بن جبير . وعرض عليه شبيل بن عبّاده ، وأبو عمرو بن العلاء . قال ابن مجاهد وكان ممن تجرد للقراءة وقام بها فى عصر ابن كثير محمد بن عبد الرحمن بن محيِصن . وكان له اختيار فى القراءة على مذهب العربية فخرج به عن إجماع أهل بلده فرغب الناس عن قراءته وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه . مات سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة .

كلّ مذهب^(١) مأخوذ من شَعَف الجبال وقيل من شَعَف البعير خاف الهناء وهو القطران .

﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتْكَاً ﴾ : قيل كان مجلساً^(٢) فيه النمارق والوسائد وفيه الطعام

والشراب وقيل متكاً ، طعاماً^(٣) ، وقيل موزاً ، وقيل بطيخاً ، وقيل أترجاً وقيل كل ما يُقَطَّعُ بالمِديّة من الأطعمة^(٤)

﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ﴾ : قيل هَالَهُنَّ أمرُهُ ، وقيل : أَمَذْنِ^(٥) ، وقيل حِضْنِ^(٦)

قال - يأتى النساء على أطهارهن ولا يأتى النساء إذا كَبَرْنَ إكباراً وعلى هذا فالهاء فى أَكْبَرْنَهُ^(٧) تعود إلى المصدر أى أَكْبَرْنَ إكباراً .

﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ : يقال بضع بكسر الباء وفتحها واختلف فيه

فقيل من الثلاثة^(٨) إلى العشرة وقيل إلى التسعة^(٩) وقيل إلى السبعة^(١٠) ، وقيل

(١) قاله ابن عطية ثم قال والوجه الآخر أن يكون الشعف لذة بحرقة يوجد من الجراحات والجرب ونحوها ثم أنشد أبقثلى وقد شعفت فؤداها كما شَعَفَ المهنوءُ الرجلُ الطالى .

(٢) قاله ابن عباس والحسن وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله واعتدت لهن متكاً - قال أعطتهن أترجاً .

(٣) قاله مجاهد .

(٤) قاله عكرمة .

(٥) أخرج أبو الشيخ من طريق عبد العزيز بن الوزير بن الكميث بن زيد قال حدثنى أبى عن جدى يقول أَكْبَرْنَهُ أى أَمَذْنِ وليس بشئ .

(٦) هذا القول منسوب إلى ابن عباس من طريق عبد الصمد بن على الهاشمى عن أبيه عن جده ابن عباس . وعبد الصمد هذا ضعيف . وأنكر ذلك أبو عبيدة وغيره .

(٧) وهو قول ابن الأثيرى أقول والصحيح من هذه الأقوال أعْظَمَنَّهُ وَهَبْنِ حُسْنَهُ الفائق .

(٨) قاله ابن عباس .

(٩) وهو قول مجاهد والأصمعى .

(١٠) وهو قول أبى بكر وقطرب .

الخمس^(١) ، ويقال بضعة عشر رجلاً وبضع عشرة امرأة وإذا تجاوزت لفظ العشرة ذهب البضع ، لا تقول بضع وعشرون وهو قول الجوهري ، وفيه نظر لأنه قد جاء في كلام أفصح الفصحاء "الايان بضع وسبعون شعبة" والبضعة : القطعة من اللحم بالفتح ، وخرجت عن نظائر أخواتها كالقطعة والفلة والغدة والكسفة والحرقة ومالا يخص من هذه المادة والجمع بضع مثل ثمرة وتمر ، وقيل جمعها بضع مثل بذرة وبدر ، والبضع بالضم النكاح ، فإن قلت ما القدر الجامع في مادة الاشتقاق بين البضعة من اللحم والبضعة من العدد والبضع قلت القدر الجامع القطع فإن اللحمة مقطوعة من غير ها والبضعة من العدد مقطوعة من الزمن والفرج مقطوع عن غيره من الجسد معنى معدود لانتفاع خاص .

﴿ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾^(٢) : جمع ضِغْث وهو الحزمة من الريحان أو الحشيش

(١) حكاة الزجاج

قلت والصحيح أن البضع ما بين الثلاث إلى التسع والدليل ما رواه الترمذي وصححه وكذا صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٨٨٧) من حديث نياز بن مكرم الأسلمي مرفوعاً "البضع ما بين الثلاث إلى التسع" وهو عند أحمد والطبري من حديث ابن عباس وزاد في فتح القدير نسبة الحديث للدارقطني في الأفراد وأبو نعيم في الدلائل والبيهقي في الشعب .

الغريب

سوكت : التسويل : تزيين النفس للمرء ما يحرص عليه ، وتصوير القبيح بصورة الحسن

المستعان : المطلوب منه العون .

لا يفلح الظالمون : الفلاح : الظَّفَرُ ، أو البقاء في الخير ومعنى أفلح دخل فيه كأصبح : دخل في الصباح .

(٢) أصل الأضغاث جمع ضِغْث وهو الحزمة من النبات أو العيدان ، والأحلام جمع حُلْم وحُلْم وهو ما يرى في النوم - يقال حَلَمَ كَنَصَرَ واحتلم ، ومنه بلوغ الحلم والحلم قد يكون واضح المعنى ، وقد يكون مشوشاً مضطرباً لا يفهم له معنى وهو الذي يشبه التضاضغاث كأنه مؤلف من حزم مختلفة من العيدان والحشائش التي لا تناسب بينها .

المختلط ، واستعير للمنام المختلط الذى لا تبيّن حقائقه .

﴿ سَبْعُ عَجَافٍ ﴾^(١) : أى هزالى .

﴿ دَأْبًا ﴾^(٢) : تقول دأب يدأب دأباً ودؤباً إذا جدّ وعمل .

﴿ تُحْزِرُونَ ﴾^(٣) : ذلك فى الحصون .

﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ : أى ظهر من قولهم " حَصَّ شَعْرُهُ " ^(٤) إذا استأصله

فظهر ما تحته من الجلد .

﴿ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ : الرب : السيد من ربّى النعمة وإذا عُرِفَ بالآلف واللام

انصرف إلى الله تعالى فقط ، وزعم أنه لا تجوز إضافته إلّا إلى ما لا روح فيه كربّ الدار وغير ذلك . وفيه نظر بدليل الآية بدليل اضافته إلى الملك .

﴿ وَنَمِيرَ أَهْلِنَا ﴾ : الميرة^(٥) الطعام يمتاره الانسان ، ومار أهله يميزهم ميراً ، ومنه

(١) عجاف جمع أعجف وأعجفاء أى الدقيق من الهزال - مأخوذ من عَجَفَ يَعْجُفُ على وزن عَظُمَ يَعْظُمُ - أو عَجَفَ يَعْجَفُ على وزن حَمَدَ - يَحْمَدُ .

(٢) دائنين مستمرين على ذلك كعادتكم - ودأباً ودأباً بفتح الهمز وسكونها مصدران بمعنى داوم على الشئ ولازمه . وفى اللسان بزيادة دأباً وهى قراءة الجميع سوى حفص . ومعناه كما فى اللسان جدّ وتعب .

(٣) هذا قول أبى عبيدة . وقال قتادة : تدّخرون والمعنى واحد وهو يدل على جواز احتكار الطعام إلى وقت الحاجة .

(٤) هذا قول الزجاج . وقال ابن عباس ومجاهد وقاتة معناه الآن تبيّن الحق . فقيل : انقطع عن الباطل بظهوره وثباته .

(٥) الميرة بكسر الميم وسكون الياء . طعام يمتاره الإنسان أى يجلبه من بلد إلى بلد وهو معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة أى فنستظهر بها ونغير أهلينا والمعنى - أى شئ نريد من هذا الملك بعد أن أحسن إلينا برد البضاعة وإكرامنا عند قدومنا إليه . فهذه بضاعتنا ردت إلينا فنحن نستعين بها على الرجوع ونغير أهلنا ، ونأتى لهم بما هم مضطرون إليه من القوت - الخ .

قولهم "ما عنده خيرٌ ولا مِرٌّ" والامتيار مثله - وجمعُ المائرِ مَيَّارٌ^(١) وميَّارة مثل رجالة.

﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ﴾ : السقاية هاهنا الصُّوع^(٢) كان الملك يشرب فيه فتسميته بالسقاية تنبيهاً على أنه كان يُسقى به ، وتسميته صواعاً على أنه يُكَالُ به ، وقيل الصواع لغة فى الصاع ، وقرأ أبو هريرة صاع الملك - وابن عوف صُوع الملك بالضم - وابن جبير صواغ الملك بالعين المعجمة - قيل كان من فضة ، وقيل كان من ذهب ، وكان عينها لا يُكَالُ بغيرها لعزة الطعام ، ويذكر ويؤنث . فالأول نفقد صواع الملك . ولمن جاء به - والثانى : فاستخرجها من وعاء أخيه .

﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾^(٣) : أى كفيل ومنه "الزعيم"^(٤) غارم

﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾^(٥) : مصدر^(٦) فى موضع الحال أى ناجين ، وقيل اسم جمع على أنجية ، وقيل يتناجون بالكلام . واشتقاقه من النَجْوَة وهو ما ارتفع من الأرض .

(١) وفى اللسان جمع مائر - مَيَّار مثل كُفَّار - وميَّارة مثل رجالة جمع راجلٍ أى ماشى على رجله .

(٢) انظر اللسان (ج ٧ ص ٤٤٢) .

أقول وحجة من قرأ صوغ كأنه مأخوذ من الصياغة لأنه مصوغ من فضة أو ذهب وقيل من نحاس .

(٣) قوله تعالى ﴿لمن جاء به حمل بعير﴾ أصل فى الجمالة . وقوله ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ أصل فى الضمان والكفالة .

(٤) رواه أبو داود والترمذى وحسنه

(٥) خلصوا : انفردوا عن الناس واعتزلوا ، خالصين لا يخالطهم أحد .

(٦) هو قول الراسخين فى العلم وهو حال من فاعل خلصوا - وأفردت الحال ، وصاحبها جمع إما لأنَّ النَجَى (فعل) بمعنى مُفاعل ، كالعشير والخليط بمعنى المعاشر والمخالط وهذا فى الاستعمال =

﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ ﴾ : التقدير^(١) لا تفتؤ أى لا تزال حتى تكون حرصاً - الحرص^(٢) :

الدَّنْف ، وقيل إذابة^(٣) الجسم بالهم ، ورجل حرّص يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع -
وأنشد للعرجي

إني امرؤ لِحِ بِي حُبٌّ فَأَحْرَضَنِي حَتَّى بَكَيْتُ وَحَتَّى شَفَنِي السَّقَمُ .

﴿ أَشْكُوا بَنِي ﴾ : البث^(٤) : شدة الحُزْن ، وقيل ما لا صَبْر على كتمان من الهم يقال
بثّه وأبّثه أى ظهر ما عنده .

= يفرد مطلقا يقال : هم خليطك وعشيرك أى مخالطوك ومعاشرؤك وإما لأنه صفة على فاعل بمنزلة صديق - قاله الأخفش . وقال الفراء . وقد يكون النجى والنجوى اسماً ومصدراً .
والراجح عندي : أنه فى الآية مصدر - نُزِّل منزلة الوصف . كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ هُمْ نَحْوَى ﴾ فجعلهم هم النجوى وإنما النجوى فعلهم . وقوله ﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ أى انفردوا عن الناس وكأنهم فى أنفسهم صورة التناجى وحقيقته والآية من قمم البلاغة العالية لأنها كلمات يسيرة لخصت قصة طويلة مفادها . وصف اعتزالهم جميع الناس وتقليبهم الآراء ظهراً لبطن ، وأخذهم فى تزوير ما يَلْقَوْنَ به أباهم عند عودهم إليه ، وما يوردون عليه من ذكر الحادث . والله أعلم
(١) السر فى حذف "لا" هو أن القسم إذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفى وعلامة الاثبات هى اللام ، ونون التأكيد ؛ وهما يلزمان جواب القسم المثبت ، فإذا لم يُذكر دَلٌّ على أنه منفى لأن المنفى لا يقارنهما ولو كان المقصود هاهنا الاثبات لقبل لتفتأن وهو مذهب البصريين .

(٢) الحرص : الذى أذابه الحزن أو العشق ، أحرضه الحُبُّ : أى أفسده والحرص فى الآية مصدر بمنزلة "دنف وضنى" . والراجح عندي أن الحرص هنا بمعنى الدنف إذ العبارة قبلها مرشحة لهذا المعنى وهى قوله ﴿ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَوْسُفَ ﴾ قال مجاهد : لا تفتؤ من حبه .

(٣) قال الألوسى : وقيل : الحرص مَنْ أذابه همّ أو مرض وجعله مهزولاً نحيلًا ١. هـ وهو قريب من قوله "إذابة الجسم بالهم" ولم يُعزَ هذا القول إلى أحد .

(٤) قوله شدة الحزن - رلة قدم إذ كيف يقول "إنما أشكو شدة حزنى وحزنى إلى الله" والصحيح أن البث الغم الذى يَبُثُّه عن كتمان فهو مصدر فى تقدير مفعول . قال الراغب : وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والسر ١. هـ - قال ابن عباس - بثى : همى .

﴿ فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ ﴾ (١) : أى تَعَرَّفُوا ذلك بالحس وهو فى الخير (٢) .

والتجسس فى الشر .

﴿ مِنْ رُوحِ اللَّهِ ﴾ : أى من رحمته (٣) ، وقيل من فَرجه (٤) ، وقرأ الحسن (٥)

بضم الراء أى من معونة الله .

﴿ بِبِضَاعَةِ مِزْجَاة ﴾ : أى كاسدة (٦) ابن عباس - خَلَقَ الْجِبَالَ وَالْغَرَائِرَ . مجاهد

دراهم رديّة ، وقيل صنوبر ، وقيل صوف وسمن ، وقيل سمن وأقط ، وقيل سويق

(١) التحسس تَعَلَّل من الحس وهو طلب الشيء بالحواس وفيه دليل على تيقن يعقوب من حياة يوسف .

(٢) قوله وهو فى الخير رده بعض أهل العلم فقال ابن عطية ويستعمل فى الخير والشر فمن استعماله فى الخير هذه الآية ، وفى الشر نهى النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : ولا تحسسوا ١ . هـ وقال الألوسى ورد (أى قولهم إنه بالجيم فى الشر وبالحاء فى الخير) وردّ بأنه قرئ هنا فتجسسوا . ونقول - من الذى قرأ هنا بالجيم ؟ لا أحد . قال الراغب وأصل الجس : مَسُّ العرق وتعرّف نبضة إلى أن قتال وهو أخص من الحس فإن الحس تعرّف ما يذكركه الحس . والجس تعرّف حال ما من ذلك ١ . هـ وقال ابن الأثير فى النهاية - التجسس : التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال فى الشر والجاسوس : صاحب سر الشر ١ . هـ وفى اللسان قال أبو معاذ التجسس بالجيم البحث عن العورة ١ . هـ ولو كان معنى التحسس والتجسس واحداً لما عطف أحدهما على الآخر فى قوله صلى الله عليه وسلم "إن الشيطان حساس لحاس - إلى قوله لا تحسسوا ، ولا تجسسوا" .

(٣) هو قول قتادة .

(٤) عزاه الماوردى إلى محمد بن اسحاق .

(٥) طالع القراءات الشاذة للقاضى ص (٥٧) .

(٦) عزاه الماوردى إلى الضحاك - ثم حكى عن ابن عباس ثلاثة أقوال : دراهم - خلق الحبل والغرارة - الرديّة - وعزا إلى مجاهد مزجاة : قليلة وعن أبى صالح أنها الجنة الخضراء والصنوبر كما نسب إلى الضحاك أنها سويق المقل وكلها معان متقاربة وأصلها اشتقاقها يدل على معناها .

المقل ، وقيل غير كافية ، واشتقاقها من أجزائه إذا دفعه .

﴿ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾^(١) : ميزك علينا من المأثرة وهى المكرمة .

﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ : التثريب^(٢) : أقصى اللوم ، وقيل أشد التعيير والمعنى أنّ اللوم وصل إلى الثرب وهو شحم الكرش - تقول ثربتُ عليه وعربتُ عليه بمعنى^(٣)

﴿ تُفْنِدُونَ ﴾ : تسفهون^(٤) ، والفند : ضعف الرأى من الهرم .

﴿ لَفَى ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ : أى لفى محبتك^(٥) .

(١) الايثار : لفظ يعم جميع التفضل وأنواع العطايا . وقد اختار المؤلف تفسير الايثار بالتمييز مراعاةً لسياق النص لا كما فعل غيره ففسره بالتفضيل وسبب ذلك أن "آترك" فى هذا الموضع تعنى ميزك ، والاستثثار : الانفراد بالشيئ ومنه الحديث "وإذا استأثر الله بشيئ فآله عنه" أى لا تشتغل به فإن لا يمكن الوصول إليه . انظر النهاية . أما قوله من المأثرة وهى المكرمة فلا يصح لأن المآثر معناها المفاخر التى تؤثر أى تروى وتُذكر . وتكون لهم ولغيرهم .

(٢) قال سفيان الثورى لا تثريب : لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم اليوم . وأصل الثرب هو الشحم الرقيق فى الجوف وعلى الكرش وصيغة التفعيل تفيد السلب أى إزالة الشرب . واستعير للّوم الذى يمزق الأعراض ويذهب بهاء الوجه لأنه بإزالة الشحم يبدو الهزال وما لا يُرضى كما أنه باللوم تَظْهَرُ العيوب فالجامع بينهما إزالة ما به الكمال والجمال . والله أعلم .

(٣) قال الأصمعى : ثربتُ عليه وعربتُ عليه بمعنى إذا قبحت عليه فعله .

(٤) قاله ابن عباس ومجاهد ثم استطرد مشيراً إلى أصل مادته بقوله : ضعف الرأى من الهرم قال فى الحاشية ويُطلق على الكذب وهو المعنى الذى ذهب إليه سعيد بن جبير والضحاك .

(٥) نسب هذا القول إلى قتادة وسفيان - ونُسب إلى ابن عباس وابن زيد - لفى خطئك القديم وما أحسن قول الجلال إذ جمع بين القولين فقال لفى ضلالك أى فى خطئك القديم من افراطك فى محبة يوسف ورجاء لقائه على بُعد العهد ١ هـ .

﴿ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾^(١) : البدو والبادية : ضد الحاضرة ، وقيل^(٢) اسم المكان الذى كانوا فيه والنسبة إلى البدو بدوى وإلى البادية بداوى والمادة من بدا إذا ظهر
 ﴿ وَرَفَعَ أَبُويهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ : العرش : سرير الملك .
 ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ : أى سقطوا^(٣) وكان السجود فى ملتهم السّلام .

(١) وردت هذه المادة بالأصل مقدمة على قوله ﴿ لَفَى ضُلَّالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ وهذا يعد خروجاً على ترتيب آى المصحف . فلينتبه لذلك . قوله " البدو ضد الحاضرة " هو كلام الجمهور - وأقول الصحيح - والله أعلم أنه اسم مكان وليس من البدو ضد الحاضرة .

(٢) قال الماوردى : وفيه ثلاثة أقاويل - أحدها : أنهم كانوا فى بادية بأرض كنعان أهل مواش وخيام وهذا قول قتادة - الثانى : أنه كان قد نزل " بدا " وبنى تحت جبلها مسجداً ومنها قصد، حكاه الضحاك عن ابن عباس - يُقال بدا يبدو إذا نزل " بدا " فلذلك قال : وجاء بكم من البدو أقول وعلى هذا ف " بدا " اسم مكان - قال ابن الأثير - وبدا موضع بالشام قُرب وادى القُرى .

(٣) الراجح عند أهل العلم أن هذا السجود سجود تحية لا عبادة وكان جائزاً فى شريعتهم .

سورة الرعد

﴿ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ ﴾ : الصنو^(١) : الأخ للشئ وأصل ذلك أن النخلة إذا

خرجت من عرضها نخلتين ، قيل لكل واحد صنو ، والتثنية صنوان والجمع صنوان -
وفى الحديث^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى حق العباس أما علمت أنّ
عمّ الرجلِ صِنُوْ أبيه ، وركيتان صنوان إذا تقاربنا وانبعثنا من عين واحدة - والمعنى
أشكال وغير أشكال ، وقرئ صنوان^(٣) بضم الصاد فيهما جُمع على فُعْلان كذئب
وذؤبان . وقد يأتى فُعْلان وفِعْلان لشيئ واحد ألا ترى أنهم قالوا فى جمع حَشٍّ وهو
البستان حِشّان وحِشّان ، وفى الشواذ^(٤) صَنَوَان بفتح الصاد ، وقيل ليس بجمع
كالأولين بل هو اسم جمع كالباقر والجامل .

﴿ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتِ ﴾^(٥) : المثلة : نعمة تنزل بالإنسان فيُجعلُ مثالا ترتدعُ به

(١) قوله الصنو : الأخ للشيئ هو تفسير الشيئ بلازمه وإلا فالصنو فى الأصل هو المثل قال ابن
عباس والبراء بن عازب - الصنوان - النخلات يكون أصلها واحداً - وغير صنوان أن تكون
أصولها شتى ١. هـ قال أهل التفسير الصنو : هو الفرع يكون مع الآخر فى أصل واحد .

(٢) قال ابن عطية وفى كتاب الزكاة من صحيح مسلم أنه قال : ياعمر أما شعرت أن العم صنو
الأب . ١. هـ والحديث فى باب تقديم الزكاة ومنعها . عن أبى هريرة قال : بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمرَ عَلَى الصدقة فقبل : منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينقم ابن جميل إلا
أنه كان فقيراً فأغناه الله وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً قد احتبس أدراعه وأعتاده فى سبيل
الله . وأما العباس فهى عليّ ومثلها معها ثم قال " ياعمرُ أما شعرت أن عمّ الرجلِ صِنُوْ أبيه؟ "
(ج ٢ ص ٦٧٧) رقم (٩٨٣) صحيح مسلم .

(٣) قرأ بها زيد بن على و السلمي وابن مصرف ونقله الجعبرى فى شرح الشاطبية عن حفص من
رواية القوَّاس . وهى لغة تميم وقيس .

(٤) قرأ الحسن وقتادة صَنَوَان وهو اسم جمع لا جمع تكسير لأنه ليس من أبنيته كالسَّعدان .

(٥) قال ابن عباس المثلات : العقوبات التى مثل الله تعالى بها الأمم الماضية - هكذا فى الماوردى =

غيره وذلك كالتكال ، وجمعه مُثَلات ، ومُثَلات وقد قرئ^(١) المثلثات بإسكان الشاء على التخفيف نحو عَضُد وعَضِدُ . وقد أمثل السلطان بفلان إذا نكَل به / ومثَل مخفف يَمَثُلُ مَثَلًا إذا نكل به ، والاسم المثلة والمثلة بفتح الميم وضم الشاء العقوبة والجمع المثلثات^(٢) هذا قول الجوهري ، وما قبله كلام الراغب .

﴿ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾^(٣) : أى ظاهر السير فيه ، وأصله قولهم سرب الفحل يَسْرِبُ سُرُوبًا إذا توجه للِرعى .
﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ ﴾ : أى من وإلى يلى أمره فينصره ، وهو اسم فاعل من ولى يلى إذا تولى تدبير شئ ، والولى بمعناه

= أما الألوسى فقد نسب إلى ابن عباس قوله "بالعقوبة المستأصلة للعضو" بينما نسب هذا القول الماوردى إلى ابن الأنبارى فقال "إنها العقوبات المستأصلة التى لا تبقى معها باقية" . وأما الشوكانى فأخرج قولاً آخر نسبته إلى ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : المثلثات : ما أصاب القرون الماضية من العذاب ١٠ هـ - والراجع عندى أن المثلثات : العقوبات الفاضحة سميت بذلك لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة كقوله ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ .

(١) المثلثات قراءة ابن وثاب وهى لغة تميم .
(٢) قوله هذا قول الجوهري فيه تجوز إذ جاء فى اللسان عن الجوهري فوله "المثلة" بفتح الميم وضم الشاء العقوبة والجمع المثلثات . ١ هـ .

(٣) أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : هو صاحب رية مستخف بالليل ، وإذا خرج النهار أرى الناس أنه برئ من الاثم ١٠ هـ ويؤيده عطف السارب دون تكرار ص (٩) وفى اعراب الآية خلاف طويل الذيل وقد اخترنا هذا الاعراب ليوضح المراد من المعنى . ومن : عطف على مَنْ السابقة وهو : مبتدأ ، ومستخف : خبر وجملة {هو مستخف} جملة اسمية صلة - وبالليل جار ومجرور متعلقان بمستخف ، وسارب عطف على مستخف وبالنهار متعلقان بسارب ، وقياس الكلام : ومن هو سارب ، والسر فيه أن الموصول حُذِف وصلته باقية والمعنى ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار ، وحذِف الموصول المعطوف وبقاء صلته شائعٌ خصوصاً وقد تكرر الموصول فى الآية ثلاثاً .

﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ : المِحَال : القوة ^(١) ، وقيل : شديد الغضب ^(٢) ،

وقيل شديد ^(٣) الانتقام ، وقيل من المحل ^(٤) وهو القحط وقيل من المحل وهو المكر والكيد ، يقال مَحَلَّ به إلى السلطان إذا سَعَى به لِيُهْلِكَه وعلى هذا يجوز أن تكون الميم أصلية ^(٥) إذا كان من مَحَلَّ به إذا عَرَضَهُ للهلاك ، وزائدة إذا كان من الحيلة أو الحول ، وفي الغريب عن ابن هرمرز ^(٦) : شديد المَحَال بالفتح على مَفْعَل ^(٧) من الحيلة .

﴿ جَفَاءً ﴾ ^(٨) : من قولهم جَفَأَتِ الْقَدْرُ وأجفأت إذا رمت زبدها عند الغليان ،

(١) قاله مجاهد .

(٢) قاله وهب بن منبه .

(٣) قاله أبو عبيدة .

(٤) هو قول أهل اللغة كابن سيده وقال أبو زيد المحال : النعمة وكأنه أخذه من المحل وهو القحط .

(٥) توهم بعضهم أنه على وزن مَفْعَل وأنَّ الميم زائدة وليس كما تَوَهَّمُ لأنَّ مَفْعَلًا إذا كان من بنات الثلاثة فإنه يجيى بإظهار الواو والياء مثل المزود - والمَحْوَلُ الخ وإذا رأيت الحرف على مثال فَعَالِ أوله ميم مكسورة فهي أصلية مثل ميم مهّاد ، ملاك ، مِرَاس . قال الفراء في كتاب المصادر المحال المُمَاحِلَة ، وأمّا المَحَالَة فهي مَفْعَلَة من الحيلة ١ هـ .

(٦) ترجمة الأعرج أبو داود عبد الرحمن بن هرمرز الأعرج مولى محمد بن ربيعة - أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وأكثر من السنن عن أبي هريرة قرأ عليه القرآن نافع بن أبي نُعَيْم وغيره - وروى الأعرج عن أبي سعيد الخدري وعبد الله بن بُحَيْنَة - مات بالاسكندرية سنة سبع عشرة ومائة .

(٧) قرأ الأعرج والضحاك بفتح الميم على وزن مَفْعَل مأخوذ من الحَوْل - أو الحيلة يقال المَحَال و المَحَالَة وهي الحيلة وعلى هذا فالميم زائدة والله أعلم .

(٨) جُفَاءً أى مقذوفاً مَرْمِيًا به أى : فلا يتنفع به بل يتفرق ويتمزق ويذهب فى جانبي الوادى وَيَعْلَقُ بالشجرة وتنسفه الرياح . قال الراغب يقال أجفأت القدر زبدها ألقتة إَجْفَاءً .

وهذا البناء وهو فُعالٍ لِمَا يُرْمَى وَيُطْرَح ، والقدر^(١) الجامع بين الجُفاء والجَفَاء وجفى السَّرَجُ إذا ارتفع عن ظهر الدابة وجفى جنبه عن الفراش . الارتفاع .

﴿ طُوبَى لَهُمْ ﴾^(٢) : فَعَلَى من الطَّيِّب قلبوا الياء واواً للضممة قبلها يقال طوبى

لك^(٣) ، وطُوبَاكَ بالاضافة ، ولا يقال طوبيكَ ، وطوبى اسم^(٤) شجرة بالجنة وقيل^(٥) اشارة إلى كل ما يستطاب فى الجنة .

﴿ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً ﴾ : القارعة^(٦) : الشديدة من شدائد الدهر ، وقارعة الدار

ساحتها ، وقارعة الطريق : أعلاه ، وقوارع القرآن : الآيات التى يُحْتَرَسُ بها من الجن والإنس .

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾^(٧) : صفتها . يقال مَثَلٌ ، ومَثَلٌ كما يقال شِبْهٌ وشَبَّه .

(١) قوله الجامع بين الجُفاء - الخ مبنى على اعتبار أن همزة جفاء بدل من واو والأظهر أن الهمزة أصلية لوجودها فى تصاريف هذه المادة . والله أعلم .

(٢) طوبى مصدر من الطيب - ك بُشْرِى ، رُجِعَى وزلفى - فالمصدر قد يأتى على وزن فُعَلَى وأصله يَأْتِي فهِى طيبى قلبت الياء واواً لوقوعها ساكنة إثر ضَمَّة .

(٣) قوله يقال طوبى لك أى أصبت خيراً وطيباً - واللام فى لهم للبيان - كما فى سقيالك . والله أعلم .

(٤) وهو الصحيح من أقوال أهل العلم لأنه ورد مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عتبة بن عبيد السلمى أنه قال وسأله أعرابى : " يا رسول الله أفى الجنة فاكهة . قال : نعم فيها شجرة تدعى طوبى " وذكر الحديث قال القرطبى الصحيح أنها شجرة للحديث المرفوع وهو صحيح على ما ذكره السهلى ، وذكره أبو عمر فى التمهيد والثعلبى ١ هـ .

(٥) صاحب هذا القول هو الزجاج إذ قال طُوبَى فَعَلَى من الطيب ، وهى الحالة المستطابة لهم .

(٦) أصل القارعة من القرع وأصله ضرب شئى بشئى بقوة والمراد بها الرزية التى تفرع قلب صاحبها وهى هنا ما كان يصيبهم من أنواع المصائب من القتل والأسر والحرب و الجذب .

(٧) مَثَلُ الجنة : نعمت الجنة لأنه ليس للجنة مثل - قاله عكرمة رواه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ هذا =

﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١) : الأم بإزاء الأب وهى الوالدة القريبة التى ولدته
والبعيدة التى ولدت من وكّده ، ولذلك يقال حواء أمنا ويقال لكل ما كان أصلاً لوجود

= وقد أنكر علماء العربية تفسير المثل بالصفة والحق فى ذلك أن المثل يستعمل فى ثلاثة معانٍ
فيستعمل بمعنى الشبيه فى أصل اللغة ، وبمعنى القول السائر المعروف فى عُرف اللغة وبمعنى
الصفة الغريبة - وهو مبتدأ خبره محذوف أى فيما يُقصُّ ويُتلى عليكم صفة الجنة .

الغريب

* قَطَعَ متجاورات : بقاع مقاربات مختلفة الطبائع فمن طيبة إلى سبخة ومن صلبة إلى رخوة
مما يدل على قادر مدبر حكيم فى صنعه .

* وما تغيض الأرحام وما تزداد : إذا حاضت المرأة فى حملها كان ذلك نقصاناً فى ولدها فإن
زادت على التسعة كان تماماً لما نقص . قاله مجاهد وقال آخرون "وما تغيض الأرحام" بانقطاع
الحيض فى الحمل ، "وما تزداد" بدم النفس بعد الوضع . قال مكحول : جعل الله تعالى دم
الحيض غذاء للحمل .

* له معقبات : جمع مُعَقَّبَةٌ وأصل العَقَبَ مُؤَخَّرَ الرجل يقال عقبه إذا تلاه نحو دَبَّرَه وَقَفَاه -
والتاء فيه للمبالغة - والمعنى له ملائكة تعقب فى حفظه وكلاءته - ومعقبات جمع تكسير لـ
مُعَقَّبَ كـ "مقدم" ومقاديم كأنه جمع على معاقبة ثم حذفت الهاء من الجمع وعُوِّضَت الياء
عنها .

** وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال : أى عبادتهم والتجاؤهم لغير الله "إلا فى ضلال" أى فى
ضياح لا منفعة فيه لعدم إمكان إجابتهم .

* وظلالهم بالغدو والآصال : أى تنقاد له تعالى ظلالهم حيث تتصف على مشيئة فى الامتداد
والانقلاص والفى والزوال .

* سِيرَتْ به الجبال : أى زالت وأذهبت عن مَقَارِهَا ، ورُعِزَتْ عن أماكنها

* قطعت به الأرض : أى شقت حتى تتصدع وتصبح قطعاً .

* أفلم يئأس : يعلم ويتبين ودليل ذلك قراءة علي وابن عباس وعلي بن الحسين وعكرمة وابن
أبى مليكة والجحدري وأبى يزيد المدنى .

(١) انظر المفردات للراغب ص (٢٢ ، ٢٣)

شيئاً وانضم إليه سائر ما يليه أم ، والمراد بأم الكتاب : اللوح ، وذلك أن العلوم كلها منسوبة إليه ومتولدة منه ، ومن ذلك أم القرى يُراد بها مكة ، لأن القرى دُحِيتُ منها ، قال الله تعالى ﴿لننذرأم القرى﴾ وأم النجوم المجرة ، ويقال للكريم أم الأضياف ، ولمُقَدِّم الجيش أم الجيش ، وقيل لفاتحة الكتاب أم الكتاب لكونه مبدأ الكتاب ، وأصل الأم أمّه لقولهم أمهات ، وقيل أصله من المضاعف كقولهم أمّات وأميمة وقال بعضهم أمّات في البهائم وأمّهات في الأناسي ، وقد يستعمل أمات في الأناس كقوله : جَلَوْتَ الظلام بِأُمَاتِكَ .

الغريب

* أَمِنَ هو قائم على كل نفس بما كسبت : أى مراقب لأحوالها ومشاهد لها والخبر محذوف تقديره كَمَنَ ليس كذلك . وإنما حذف اكتفاء بدلالة السياق عليه . وهو قوله : " وجعلوا لله شركاء " أى عبدها معه من أنداد وأوثان .

* حكما عربيا : أى حاكما بالحق .

* أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها : قال ابن عباس : أى : أولم يروا أنا نفتح للرسول الأرض بعد الأرض ؛ يعنى أن انتقاص أحوال الكفرة وإزدياد قوة المسلمين من أقوى العلامات على أنه تعالى ينجز وعده .

فائدة :

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى تفسير قوله تعالى ﴿وجعلوا لله شركاء قل سموهم﴾ يقول : سموهم بالأسماء التى يستحقونها هل هى خالقة رازقة مُجِيبَة مميّنة أم هى مخلوقة لا تملك ضرا ولا نفعا؟؟ فإذا سموها فوصفوها بما تستحقه من الصفات تبين ضلالهم . قال تعالى ﴿أم تبئونه بما لا يعلم فى الأرض؟﴾ ومالا يعلم أنه موجود فهو باطل لا حقيقة له . ولو كان موجوداً لعلمه موجوداً ﴿أم بظاهر من القول﴾ أم بقول ظاهر باللسان لا حقيقة له فى القلب . بل هو كذب وبهتان . هـ الفتاوى (ج ٦ ص ١٩٥) .

سورة ابراهيم

﴿ وَيَغُونَهَا عَوْجًا ﴾^(١) : أى زيفاً .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾^(٢) : أى أعلم ، وأصله ايقاع الكلام فى الأذن ومنه الأذان

والأذنين .

﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ : أى عضوا عليها غيظاً ، وقيل اشارة إلى أنهم

سكتوا الرسل .

﴿ وَاسْتَفْتَحُوا ﴾ : بمعنى استنصروا وقد تقدم .

﴿ أَجْزَعْنَا ﴾ : الجزعُ : ضد الصبر يقال جزع يجزع جزعاً .

﴿ مَا لَنَا مِنْ مَّحِصٍ ﴾ : أى من مهرب . تقول حاص يحيصُ حيصاً وحيوصاً

ومحيصاً ومُحاصاً وحِياصاً أى عدل وحاد .

﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ : المُصْرِخُ : المُغِيثُ ، والمستصرخ^(٣) : المستغيث

والصَّريخُ : صوتُ المستصرخ ، والصريخ الصارخ .

﴿ اجْتُئْتُ مِنَ فَوْقِ الْأَرْضِ ﴾^(٤) : جئته واجتئته : اقتلعه . والجثيث من النخل

(١) ييغونها عوجاً : يطلبون لها زيفاً وميلاً لموافقة أهوائهم وقضاء حاجاتهم وأغراضهم . والعوج

بكسر العين فى كل مالم يكن قائماً . ويفتح العين فى كل ما كان قائماً كالحائط ونحوه .

(٢) تأذَّنَ وأذَّنَ مثل أُوعد وتوعد . قال ابن عباس لئن وحثمت وأطعتم لأزيدنكم من الثواب .

* ومن الغريب :

وذكرهم بأيام الله : أى قل لهم قولاً يتذكرون به أيام الله تعالى أى بنعم الله عليهم من النجاة

من فرعون ومن التيه وقد تسمى النعم الأيام . قال عمرو بن كلثوم وأيام لنا نُمرُ طوال . وعن

ابن عباس ومقاتل : بوقائع الله فى الأمم السابقة ؛ يقال : فلان عالم بأيام العرب أى بوقائعها .

(٣) الصارخ والمستصرخ هو الذى يطلب النصرة والمعاونة .

(٤) قال ابن عباس : أقتلعت من أصلها . وجئته قلعته . واجتئته اقتلعه من فوق الأرض ؛ أى ليس

لها أصل راسخ يشرب بعروقه من الأرض .

الفسيل ، والجثية النخلة ، والجث : العسل فيه الشمع . ويقال للعسل الذى فيه أجنحة النحل ، والجث بالضم المرتفع من الأرض .

﴿ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾^(١) : تقول شَخَصَ بصره بالفتح إذا فتح عينيه وجعل لا يَطْرِفُ ، ويقال شَخَصَ الرجل إذا ورد عليه أمرٌ أَقْلَقَهُ .

﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾^(٢) : أى رافعوها ، هطع الرجل إذا أقبل ببصره على الشيء لا يذهب عنه ولا يَقْلَعُ . يهطع هطوعاً إذا مدَّ عنقه وصوبَّ رأسه . ومقنعي رؤوسهم أى رافعوها تقول أقنع الرجل رأسه إذا رفعه ، وأقنع يديه فى الصلاة إذا رفعهما فى القنوت مستقبلاً ببطونها وجهه .

﴿ وَأَفْنَدَتْهُمْ هَوَاءَ ﴾^(٣) : الأفئدة : جمع فؤاد ، وهواء أى فارغ

﴿ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾^(٤) : القَرَن : حبل يُجمع فيه بين بعيرين وأكثر ، والمعنى أنهم مجموعون فى صَفَدٍ ، والأصفاذ جمع صَفَدٍ وهو ما يُوثَقُ به الأسير من قَدٍّ وَقَيْدٍ وَغَلٍّ ، والصَفَدُ أيضاً العطاء ، وأصفدته إصفاذاً أى أعطيته مالاً أو وهبت له عبداً ﴿ سَرَابِيلُهُمْ ﴾ : السَّرْبَالُ القميص ، والقطران^(٥) معروف .

(١) قال ابن عباس : تشخص أبصار الخلائق يومئذٍ إلى الهواء لشدة الخيرة فلا يَرْمَضُونَ .

(٢) مهطعين : مسرعين مأخوذ من أهطع يُهطع إهطاعاً إذا أسرع وقيل : المهطع الذى ينظر فى ذل وخشوع ؛ أى ناظرين من غير أن يطفروا . وقال مجاهد أى مديى النظر . وقد يكون الوجهان يعنى الإسراع مع إدامة النظر قال الحسن فى معنى مقنعي رؤوسهم : وجوه الناس يومئذٍ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد .

(٣) الهواء لغةٌ : المجوف الخالى . والمعنى خالية من كل خير وعقل .

(٤) مقرنين : مشدودين فى الأغلال والقيود . واحد الأصفاذ صَفَدٌ وصَفَدٌ والاسم الصَفَدُ . وسُمي العطاء صفداً لأنه يُقَيَّدُ وَيُعْبَدُ . قيل : إن الكفار يُجْمَعُونَ فى الأصفاذ كما اجتمعوا فى الدنيا على المعاصى .

(٥) القطران : قطران الإبل الذى تُهْنَأُ به . وقيل : هو النُّحَاسُ .

سورة الحجر

﴿رُبَّمَا﴾^(١) : حرف موضوع للتقليل ، وإن أفهم الكثرة فمن المقام - واضطرب كلام ابن مالك فيه ؛ فأونة يجعله للكثرة ، وأونة يجعله للقلة وهو فى هذه الآية أفهم للكثرة .

﴿فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ : الشيع : الفرق ، وقد تقدم فى الأنعام

﴿نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ : ندخله ، من قولهم : سلكته ، ونسلك : أى : أدخلته فدخل :

﴿سَكِرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ : أى حُيرت ، وقيل : غُطِّيَتْ^(٢) ، ومن هذه المادة

تسكير^(٣) الباب ، ومنه قيل للمغلاق ، سكرة الباب .. والسُّكْر بالكسر : الموضع المسدود .

﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ : قيل مقدور بقدر ، وقيل مقسوم^(٤) ، وقيل

معلوم^(٥) عند الله وقيل موزون على بابه ، والمراد به : ما يُكَال ويوزن ويُعدُّ لأنَّ مَالَ

(١) فى هذه الآية تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بظهور دينه وأنه سوف يأتى أيام يتمنى الكافرون بها أن لو كانوا من السابقين إلى الاسلام . وقد ذهب أهل العلم إلى أنَّ ربما للتقليل ولا تدخل إلا على الماضى والآية نص صريح فى ردِّ أقوالهم هذه . قال الشاعر ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجه كحل العقال . هذا وربُّ فى الآية معناها التكثير .

(٢) قاله أبو عمرو بن العلاء وفسرها الحسن بقوله سَجِرَتْ . وقرأ ابن كثير بالتخفيف على معنى سُدَّت ومنعت من الابصار واختار الزجاج أن المعنى سكنت عن إبصار الحقائق من سكرت الريح إذا ركدت ويشهد له قراءة الزهرى "سَكِرَتْ" .

(٣) سَكْرَ النهرَ يَسْكُرُهُ سَكْرًا : سدَّ فاه ، والسُّكْر : اسم ذلك السِّدَاد الذى يُجْعَلُ سدًّا للشق ونحوه .

(٤) قاله قتادة .

(٥) قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ، واختاره ابن جرير الطبرى .

الجميع إلى الوزن ، وقيل المراد بالموزون ماله منزلة كما تقول : ليس له وزن أى : قدر .

﴿الرِّيَّاحُ لَوَاقِحٌ﴾ : جمع لاقحه^(١) ، وفى معنى الملاقحة أقوال . قيل : حوامل للسحاب وقيل : ذات لَقَح ، وقيل لاقحة^(٢) بمعنى مُلْقِحَةٌ ؛ فإن الرياح تُلْقِحُ الأشجار^(٣) .

﴿صَلْصَالٌ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ : الصلصال : الطين^(٤) الذى خلط بالرمل فصار يتصلصل^(٥) إذا جَفَّ ، فإذا طُبَخَ بالنار فهو الفَخَّار . والحما : الطين الأسود ، ومثله الحماة بتسكين . والمسنون : المتغير من آسنِ الماء^(٦) يأسن إذا تَغَيَّرَ ، ويُطلقُ المسنون ويُراد به^(٧) المَصَّور ، ويُطلق ويُراد به المملَّس ، ويطلق ويُراد به ما وردت به السنة .

﴿نَارِ السَّمُومِ﴾^(٨) : مؤنثة وهى من الواو لأنَّ تصغيره : نُويْرَةٌ والجمع نور

(١) قاله الفراء لواقع جمع لاقح على النسب كلاين وتامر أى ذات لقاح وحمل وذهب إليه الراغب والصواب ما ذهب إليه المؤلف قال فى مختار الصحاح وريح لواقع ولا تقل ملاقح وهو من النوادر ١ هـ وعليه فلواقع جمع لاقحة مؤنث لاقح ، اسم فاعل من لقح الثلاثى وزنه فاعل .
(٢) قاله أبو عبيدة .

(٣) قال ابن عباس : لواقع الشجر حتى يثمر .

(٤) قال عكرمة : الصلصال : طين خلط برمل .

(٥) معنى يتصلصل إذا جف أى إذا نقرته صَلَّ فسمعت له صلصلة أى صوت شديد .

(٦) قاله ابن عباس .

(٧) سَنَّةُ الوجه : صورته ، المسنون : المَصَّور وقد سَنَّتُهُ أَسْنُهُ سَنًا إذا صورته والمسنون المملَّس .

(٨) نار السموم : الريح الحارة التى تقتل . وسميت سموماً لأنها بلطفها تنفذ فى مسام البدن ومنه السم القاتل .

وَأَنورُ وَنيران . انقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها والسموم : الرياح الحارة لأنها تدخل في المسام ؛ وهى مُؤنثة لجمعهم إياها على سماء . لا يقال لها سموم إلا إذا هبت نهاراً . وإذا هبت ليلاً حَرُور ، وقيل تُستعمل كل من السموم والحرور في الليل والنهار .

﴿ مِّنْ غِلٍّ ﴾ : الغِلُّ : الحِقْدُ .

﴿ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ : النصب : التعب .

﴿ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ : اُخْتَلَفَ فى مادته فقيل من قولهم ، عَذَبَ^(١) الرَّجُلُ إذا ترك المأكَل والمشرب فهو عاذب وعذوب ، وقيل من عَذَبَةِ السَّوْطِ ، وقيل التعذيب الضرب ، وقيل من قولهم ماءٌ عَذْبٌ^(٢) إذا كان كثير القذى . فيكون عَذْبَتُهُ كدَرَتْ عليه عيشه ورنَّقتُ حياته . والأليم بمعنى المؤلم .

﴿ وَجِلُونَ ﴾ : أى خائفون تقول وجِلَ وجَلًا^(٣) ومَوْجَلًا ، وفى مستقبله أربَع لغات^(٤) : يَاجِلٌ ، يَوْجَلٌ ، يَيَجَلٌ ، يَيَجَلُ بكسر الياء وهى لغة بنى أسد - ورجلٌ أَوْجَلٌ وَوَجَلٌ ، ولا يُقال للمؤنث وجلاء ولكن وَجَلَةٌ .

(١) عَذَبَ الرَّجُلُ وَالْفَرَسُ يُعَذَّبُ عَذْبًا وَعُدُويًا فهو عاذب والجمع عُدُوبٌ : الذى لم يأكل من شدة العطش وقال الأزهري الأصوب أن يقال " أنه الذى لا يأكل ولا يشرب " .

(٢) يقال ماء عَذْبٌ ودُو عَذَبٌ : كثير القذى والطحلب . وعَذْبَةُ السَّوْطِ : طَرَفُهُ .

(٣) وفى مختار الصحاح وَجِلٌ يَوْجَلُ وَجَلًا ومَوْجَلًا بفتح الجيم فيهما .

(٤) وفى اللسان - فمن قال ياجل جعل الواو ألفاً لفتحة ما قبلها - وَمَنْ قال يَيَجَلُ بكسر الياء فهى على لغة بنى أسد فإنهم يقولون أنا يَيَجَلُ وهم يكسرون الياء فى يَيَجَلُ لتقوى إحدى الياءين بالأخرى . وَمَنْ قال يَيَجَلُ بناء على هذه اللغة - والأمر منه إِيَجَلُ . صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها - أقول والمختار عندنا يَوْجَلُ لورود النص عليه فى القرآن .

﴿وَمَنْ يَقْنُطُ﴾^(١) : أى ييأس تقول قَنْطَ يَقْنُطُ مثل ضرب يضرب وَيَقْنُطُ مثل قَعَدَ يَقْعُدُ أو مثل لَعِبَ يلعبُ .

﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾^(٢) : ما سبب أمركم ، والخطب : الأمر المهم^(٣) ومادته من الخطبة لأنهم كانوا إذا دهمهم أمر اجتمعوا له فخطب ألسنهم ليوضح لهم طريق ذلك الأمر .

﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾^(٤) : الأيكة^(٥) الشجرة - والأَيْكُ : الشجر الملتف . وَمَنْ قرأ الايكة^(٥) أراد الغِيضَةَ وَمَنْ قرأ أيكة أراد القرية يقال أنهما مثل بكة ومكة .

﴿لِيَأْمُرَ مُبِينٌ﴾ : قيل الإمام الطريق^(٦) ، وقيل اللوح^(٧) المحفوظ وقيل القرآن .

(١) وفى مختار الصحاح وبابه جلس ودخل طرب وسلم . وقال فى اللسان وفيه لغة ثالثة قَنْطَ يَقْنُطُ - أقول وهذه اللغة على وزن طَرَبَ وباب تعب - وقد ذكر أهل اللغة مصدراً آخر غير ما ذُكِرَ وهو قَنَاطَةٌ مثل سلامة فهو من باب سَلِمَ . وأما ما ذكره المؤلف من باب لعب فلعله من باب تعب والله أعلم وعلى هذا فاسم الفاعل من قَنْطَ يَقْنُطُ ، وَيَقْنُطُ - وقَنْطَ - يَقْنُطُ قَانِطُ وأما اسم الفاعل من قَنْطَ على وزن سلم فهو قَنْطَ - وقُرئَ ولا تكن من القنطين . وهى قراءة ابن وثاب وطلحة والأعمش .

(٢) الخطب : الشأن أو الأمر صَغُرَ أو عَظُمَ - وقيل هو سبب الأمر .

(٣) والخطب لا يكاد يقال إلا فى الأمر الشديد .

(٤) الأيكة مفرد الأيكة .

(٥) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر فى موضعى الشعراء وص ليغة - والذى يؤيد أنها كانت قرية يسكنونها هذه القراءة على منعه من الصرف للعلمية والتأنيث . واطلاقها على ما ذكر إما بطريق النقل أو تسمية المحل باسم الحال فيه ثم غلب عليه حتى صار علماً .

(٦) قال قتادة : طريق واضح ١ . هـ ويقال للطريق إمام لأن المسافر يأتى به حتى يصل إلى مقصده .

(٧) والامام اسم لما يؤتم به وقد سُمى به الطريق واللوح المحفوظ ومطلق اللوح المعد للقراءة . روح المعانى .

﴿ أَصْحَابُ الْحَجَرِ ﴾ : منازل ثمود .

﴿ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ ^(١) : الذين يطلبون السمة وهى العلامة .

المقتسمين : قيل من القَسَم ^(٢) وهم الذين حلفوا ، وقيل من القِسْمَة ^(٣) نزلت فى قوم اقْتَسَمُوا طرق مكة وشعابها يَرُدُّونَ مَنْ يَطْلُبُ الإيمان بالهجرة .

﴿ عِصِينَ ﴾ : أى جعلوا القرآن أعضاء وجزءوه أجزاء ، ومادته من عَضَوْتُهُ ^(٤) أى فرقته لأن المشركين قالوا فيه أقاويل فجعلوه كذباً وسحراً وكهانة وشعراً .

(١) قال الماوردى فيه خمسة أوجه : أحدها للمتفرسين ، قاله مجاهد . ويروى فى الحديث " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله " وهو حديث ضعيف . وقال قتادة للمعتبرين ، وقال ابن يزيد للمتفكرين ، وقال ابن عباس : للناظرين - قال السيوطى وهذه الآية أصل فى الفراسة . والتوسم تفعل من الوسم وهو العلامة التى يستدل بها على مطلوب .

(٢) وعزى إلى الأخفش قال " قوم أقسموا إيماناً تحالفوا عليها " .

(٣) حكى عن الفراء - قال ابن عباس هو أهل الكتاب من اليهود والنصارى اقتسموا القرآن فجعلوه أعضاء أى أجزاء فآمنوا ببعض منها وكفروا ببعض .

(٤) عِصِينَ جمع عِصَةٍ ، وأصلها عِصْوَةٌ من عصا الشاة إذا جعلها أعضاء قيل نقصانه الواو وهو من عضوته أى فرقته . والدليل على أنه من عضوته وليس من عِصِيَّتِهِ فبقولهم عِصَّاتٍ وأنشد سيويه هذا طريقٌ يَأْرُمُ المآزما وعِصَّاتٌ تُقَطِّعُ اللَّهَازِمَا .

سورة النحل

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ : هو ما يدفئ من الأكسية^(١) والقطف وغيرها وقيل البيوت المتخذة من أوبار النعم ، وقيل الدفء نتاج الإبل . ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم "لنا من دِفْئِهِم ما سلموا بالميثاق" نقول منه دَفَى الرجل دفاءً مثل كره كراهة ، ولك أن تقول دَفَى دَفَاءً مثل ظمى ظمأً ، والاسم الدَّفْءُ بالكسر والجمع الأدفَاء ، ورجل دَفِئٌ فَعَلَ إذا ليس ما يُدْفِيهِ وكذلك دَفَّان وامرأة دَفْأى .

﴿بَشِقِ الْأَنْفُسِ﴾ : أى بمشقتها ، والشق أحد نصفى الشيء وقرأ يزيد^(٢) بشق الأنفس بفتح الشين على أنهما لغتان وقيل الفتح مصدر شققت والكسر بمعنى المشقة ، والمعنى لم تكونوا بالغيه إلا بنصف الأنفس وفى الهامش {الحاشية} قيل المراد مكة وقيل من البلاد والذي عند الماوردى فى البلد قولان : أحدهما أنه مكة لأنها من بلاد الفلوات . الثانى : أنه محمول على العموم فى كل بلد مسلكه على الظهر .

﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾^(٣) : أى مائل ، والجَوْر الميل عن القصد .

* والذي فى النهاية "لنا من دَفْئِهِم وصرامهم" أى من إبلهم وغنمهم ، والدفء : نتاج الإبل وما يُتَنَفَّع به منها - سمّاها دَفْئًا لأنها يُتَّخَذُ من أوبارها وأصوافها ما يُسْتَدْفَأُ به .

(١) قال ابن عباس : الدفء : اللباس . وقال الحسن ما استدْفِئُ به من أصوافها وأوبارها وأشعارها .

(٢) يزيد بن القعقاع - أبو جعفر المدنى أحد القراء العشرة . توفى بالمدينة عام ١٢٨ هـ .

(٣) وعلى الله قَصْدُ السبيل ومنها جائر - قَصَدَ مصدر قصد بمعنى إقامة السبيل أو تعديل السبيل وهو مصدر يوصف به يقال سبيل قَصْدٌ بمعنى قاصِدٌ أى مستقيم - واعراب قصد مبتدأ مؤخر على حذف مضاف أى بيان قصد السبيل - وجملة- ومنها جائر - الواو اعتراضية والجملة لا محل لها من الاعراب اعتراضية ، جائر مبتدأ مؤخر مرفوع ، وهو فى الأصل نعت لمنعوت محذوف أى سبيل جائر . والضمير فى (ومنها جائر) عائد على السبيل . فإنها تؤنث .

﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ ﴾ : مخرت^(١) السفينة تَمَخَّرَ ، وَتَمَخَّرَ مَخْرًا وَمُخَوَّرًا
إذا جرت تشقُّ الماء مع صوتٍ ، ويقال مخرتُ الأرض أى أرسلت الماء فيها ، وبناتُ
مَخْرٍ^(٢) سحائب يَجْنُنَ قُبْلَ الصَّيْفِ مُيَضَّاتٌ .

﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَّالَهُ ﴾ : الْفَيْءُ * : ما نسخته الشمس ، والمعنى أَنَّ الظلَّ يَفْعَلُ ** الحركة
يَمْنَةً وَيَسْرَةً .

﴿ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ : أى صاغرون - تقول دخر الرجل دخوراً فهو داخر .

﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا ﴾ : دائماً^(٣) ومنه قوله تعالى " ولهم عذاب واصلب " .

﴿ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ : أى ترفعون^(٤) أصواتكم - يقال جَأَرُ يَجْأَرُ جَوَّارًا وَجَوْرًا

(١) مواخر جمع ماخرة بمعنى جارية وأصل معنى "المخر" الشق لأنها تشق الماء بمقدمها .

(٢) وفى اللسان وبنات مَخْرٍ : سحائب يأتين قُبْلَ الصَّيْفِ مُتَّصِبَاتٍ رِقاَقٍ بِيضٍ حسان .

* الْفَيْءُ : ما كان شمسا فنسخه الظل والجمع أفياء وفيوء .

** قوله الظل يفعل الحركة يمنة ويسرة - أقول سُمِّيَ الظل فيئاً لرجوعه من جانب إلى جانب
والفرق بين الْفَيْءِ وَالظِّلِّ هو أَنَّ ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل ، ومالم تكن
عليه فهو ظل . فالظل أعم من الْفَيْءِ - والمشهور أَنَّ الْفَيْءَ لا يكون إلا بعد الزوال .

قال الأزهري إن تَفَيَّأَ الظلال : رجوعها بعد انتصاف النهار . والمعنى والله أعلم أو لم ير
الشاكون فى عظمة الله وقدرته إلى أىَّ جسم قائم له ظل يرجع شيئاً فشيئاً عن جانبى كل واحد
منهما بكرة وعشياً منقاداً لله على حسب مشيئته فى الامتداد والتقلص وغيرهما . غير ممتنعة
عليه فيما سخرها له .

(٣) هو قول الجمهور - الحسن ، مجاهد و قتادة والضحاك . وقال ابن عباس واجباً ، وعن الفراء
والكلبي خالصاً . وسبب اختيار المؤلف لهذا الوجه هو أَنَّ الدين ربما فسره بالطاعة ، وأما مَنْ
فسر الدين بالاخلاص كمجاهد فيكون المعنى وله الاخلاص دائماً ، ولا يصح حينئذ أن تقول
وله الاخلاص خالصاً لأن الأصل التأسيس وليس التأكيد .

(٤) وفيه أقوال - تَضَجُّونَ ، تستغيثون ، تَضَرَّعون بالدعاء وكلها بمعنى واحد .

والأصل فيه الثور يرفع صوته .

﴿ ظَلَّ وَجْهَهُ ﴾ : أى صار ، ويجوز أن يكون من قولك ظَلَلْتُ أَعْمَلُ كَذَا بالكسر ظلولا إذا عملته بالنهار دون الليل .

﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ : متجرع غصصه مُمَسِكٌ عن الكلام^(١) .

﴿ أَيْمِسْكُهُ عَلَى هُونٍ ﴾ : الهون والهوان بمعنى وهو الذل .

﴿ سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ : أى سهلاً فى الحلق تقول سَغَتُهُ أَسْوَغُهُ وَأَسِغُهُ ، وساغ الشراب يتعدى ولا يتعدى .

﴿ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴾^(٢) : قُرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشدداً فمفتوح بمعنى مُقَدَّمُونَ إلى النار معجلون إليها من أفرطت فلاناً وفرطته فى طلب الماء . وقيل منسيون^(٣) متروكون فى النار من أفرطت فلاناً خلفى إذا نسيت ، والمكسور المخفف من الافراط فى المعاصى ، والمكسور المثل من التفريط فى الطاعات .

﴿ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ : السكر^(٤) : نبيذ التمر . والرزق الحسن : التمر والزبيب والخل والدبس . والآية سابقة لتحريم الخمر ، قيل ما كان من العنب فهو

(١) مأخوذ من الكظامة وهو سد فم القربة ، وعن ابن عباس أنه الخزين .

(٢) قرأ نافع بكسر الراء وتخفيفها . ومعناه : مسرفون فى الذنوب والمعاصى ؛ يقال أفرط فلان على فلان : إذا أربى عليه وقاله أكثر مما قال من الشر . وقرأ أبو جعفر المدني مُفْرَطُونَ بكسر الراء وتشديد هاء : أى مضيعون أمر الله ، فهو من التفريط فى الواجب . وقرأ الباقر مُفْرَطُونَ : أى مُقَدَّمُونَ إلى النار .

(٣) وهو قول مجاهد وسعيد بن جبیر .

(٤) السَّكْر : مصدر فى الأصل من سَكَّرَ سَكْرًا ، سَكَّرًا نحو رشد رشداً ورشداً وقيل من باب فرح ، وسئل ابن عباس عن ذلك فقال : السكر : ما حرّم من ثمرتهما ، والرزق الحسن ما حلّ

خمر وماكان من التمر فهو سكر ، وقيل السكر ما سدّ الجوع مأخوذ من سكرت النهر إذا سدته ، وقيل انكار من الله تعالى عليهم ، أيتخذون منه سكرًا ورزقكم الله إياه رزقا حسنا .

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ ﴾ : بمعنى أَلْهَمَ ، والوحي في كلام العرب على معانٍ .
الوحي : الكتابة . وجمعه وُحْيٌ مثلى حَلَىَّ وحُلَىَّ ، والوحي : الاشارة والإلهام والرسالة والكلام الخفيّ ، وكل ما ألقيته إلى غيرك . ويقال وحيتُ إليه الكلام وأوحيت وهو أن يكلمه بكلام يُخفيه .

﴿ فَاسْأَلْكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا ﴾ : جمع ذلول من الذَّل بكسر الذال ضد الصعوبة منقادا بالتسخير ، ويحتمل^(١) أن يكون حالا من السُّبُل ، ويحتمل أن يكون حالا من النحل أى منقادا .

﴿ أَرْدَلِ الْعُمَرُ ﴾^(٢) : الهَرَم^(٣) . وقد رَذَلَ يَرْذَلُ رَذَالَةً ، قيل تسعون^(٤) سنة وقيل خمسة وسبعون ، وقيل ثمانون .

﴿ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ الحفدة : الغلمان^(٥) الذى يُسرعون فى الخدمة وأصل الحفد

(١) فاسلكى : الفاء عاطفة ، اسلكى : فعل أمر مبنى على حذف النون . . . والياء ضمير متصل مبنى فى محل رفع فاعل - وعليه فقوله ويحتمل أن يكون حالا من النحل أى من الضمير فى اسلكى وهو عائد على النحل وهو قول قتادة : أى مطبوعة منقادا . وقال مجاهد حال من السبل أى مذلة ذلها الله تعالى وسهلها لك وهو أظهر . والله أعلم .

(٢) أَرْدَل : اسم تفضيل من رذل الثلاثى ، وزنه أفعل .

(٣) قاله الكلبي وحكى الماوردى عن الجمهور أنه أَوْضَعَهُ وَأَنْقَصَهُ .

(٤) قاله قتادة - وقال على بن أبى طالب خمس وسبعون أو حكى قطرب أنه ثمانون .

(٥) هذا محكى عن مجاهد وقاتدة وطاووس ؛

الاسراع ، وقيل أولاد^(١) الأولاد ، وقيل هم^(٢) أزواج البنات وهم الأختان وقيل البنات لأنهن يخدمن في البيوت أتم خدمة .

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ : ضرب الله هاهنا وصفَ ويِّن ، والمثل عبارة عن قول شيءٍ في شيءٍ يُشَبَّه قولاً آخر في أمرٍ تجمعهما مشابهة ليس أحدهما كالآخر كقولهم "الصيف ضيعت اللبن" هذه القصة قيلت لامرأة كانت عند زوج له إبل وكانت أيام الصيف قادرة على اللبن . فطَلَقَتْ زَوْجَهَا وتزوجت بفقير لا إبل له فلما جاء وقت الصيف جاءت إلى مطلقها تطلب منه وقت الصيف اللبن . قال لها الصيف ضيعت اللبن ، فصار هذا مثلُ قولك ضيعت المراد وقت الامكان . والمثل على وجهين أحدهما كقولك شِبْه وشَبَّه ونَقَصَ ونَقَصَ ويكون بمعنى الوصف ، ومنه قوله تعالى "مثل الجنة" والثاني عبارة عن المشابهة في غيره في معنى من المعاني أى معنىً كان . وهو من الألفاظ الموضوعية للمشابهة ؛ وذلك أن النَّدَّ يقال لما يشابه في الجوهر فقط والشَّبَّه يقال لما يشاركه في الكيفية فقط ، والمساوى يقال لما يشاركه الكمية فقط ، والشَّكْل يقال لما يشاركه في القَدْر والمساحة فقط ، والمثل عام في جميع ذلك . وهذا لما أراد الله تعالى نَفَى الشَّيْءِ من كل شيءٍ خَصَّه بالذكر . فقال "ليس كمثله شيء" .

﴿ عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ : مملوكا هاهنا صفة اقتضت التخصيص وذلك أن العبد يطلق على الحر والقن بدليل قوله تعالى "وعباد الرحمن" و"يعبادى" فإنه جمع العبد والمراد به الحر والقن ، والمراد القن في قوله "لايقدر على شيء" تخصيص آخر ليخرج المكاتب والمأذون له من الكشاف^(٣) .

(١) قاله ابن عباس

(٢) قاله ابن مسعود وأبو الضحى وسعيد بن جبير وإبراهيم . وكان المؤلف يميل إلى الأخذ بأقوال أهل اللغة . فالخفدة -عندهم- جمع حافد ، والحافد هو المسرع في العمل ومنه قولهم في القنوت "وإليك نسعى ونحفد" ، أى نسرع إلى العمل بطاعتك .

(٣) قوله من الكشاف هو كتاب جابر الله محمود بن عمر الزمخشري معتزلى محترق هلك عام =

﴿أَبْكُمْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ : الْبَكَمُ : أن يولد المولود أخرس وكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم يقال بكم عن الكلام إذا ضعف عنه لِضَعْفِ عَقْلِهِ فَصَارَ الْأَبْكُمْ .
﴿كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾^(١) : أى وبال وبقول ، والكُلُّ الْعِيَالُ والكُلُّ الثَّقِيلُ والكُلُّ : الْيَتِيمُ : والكُلُّ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ وَالْجَمْعُ الْكُلُولُ .

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ : تقول عتبت فلانا إذا أبرزت^(٢) له ما عندك . وأعتبت فلانا إذا حملته على العتب ، ويقال أعتبته أزلت عتبه نحو أشكيتَه ؛ والاستعتاب : أن يَطْلُبَ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَذَكَرَ عَتْبَهُ لِيُعْتَبَ - يقال استعتبت فلانا . فقلوه ولاهم يستعتبون من هذه المادة ، والعُتْبَى^(٣) ، إزالة ما لأجله يُعْتَبَ .

﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ : جمع سربال وهو القميص ، والثوب من الكتان والقطن والصوف وغيرها ، والتقدير : سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم البرد فحذف الثانى لدلالة الأول : وذكر الحر لأنه عندهم أهم لكونهم فى قطر حاراً وقيل ما دفع الحر دفع البرد .

= ٥٣٨هـ وقد رد ابن المنير على كلام صاحب الكشاف . وفى هذا المثل قولان : أنه مثل ضربه الله للكافر لأنه لا خير عنده ، وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا هُوَ الْمُؤْمِنُ ، لما عنده من الخير ، وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة . والثانى : أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه والأوثان ، لأنها لا تملك شيئاً ، وإنهم عدلوا عن عبادة الله تعالى الذى يملك كل شئ ، قاله مجاهد .

(١) كَلٌّ : صفة مشبهة من كَلَّ يَكِلُّ باب ضرب ، وزنه فَعَلَ ومعناه الثقيل أو غير النافع وقيل مصدر من باب تعب .

(٢) قال الراغب وقولهم أعتبت فلاناً أى أبرزت له الغلظة التى وجدت له فى الصدر

(٣) أصل العُتْبَى رجوع المستعْتَب إلى محبة صاحبه . وهى اسم على فُعْلَى يُوَضَعُ مَوْضِعَ الْإِعْتَابِ وهو الرجوع عن الإساءة إلى ما يُرْضَى الْعَاتِبِ . وَإِنَّمَا يُعَاتَبُ مَنْ تُرْجَى عَنْهُ الْعُتْبَى أى الرجوع عن الذنب والإساءة

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾ من بعد قوة أنكاثا : النكث^(١) بالكسر نقض الأخبية والأكسية لتُغزَلَ مرة أخرى ، والنكث اسم رجل والجمع أنكاث ، واستعير لنقض العهد والأيمان ، قيل هذه التي ضُرِبَ بها المثل كانت حمقاء اسمها رِيْطَة بنت عمرو بن تَمِيم^(٢) وكانت تأمر جوارِيها بالغزل فإذا بلغن نصف النهار أخذت ما غزلن ونقضته .

﴿ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ : الدَّخَلَ^(٣) : الفساد أى يُفْسِدُهُ .

﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي ﴾ : أُخْتَلِفَ^(٤) فى البشر الذى نُسِبَ التعليم إليه؛ فقيل غلام كان لحويطب بن عبد العزى أسلم وحسُن إسلامه اسمه عائش وقيل يعيش وكان صاحب كتب . وقيل جبر غلام رومى كان لعامر بن الحضرمي ، وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرَّعليهما وقف . وقيل سلمان الفارسي ، واللسان : اللغة ، ويقال : ألحد القبر وألحدَه فهو ملحد إذا أمال حَفَرَه عن الاستقامة . ولذا فالملحد مَنْ أمال مذهبه عن الاستقامة . والله تعالى أعلم .

(١) النكث : نكث الأكسية والغزل - وهو قريب من النقض .

(٢) هذا قول الكلبي ومقاتل .

(٣) الدخل كناية عن الفساد والعداوة المُسْتَبْطَنَة وعن الدعوة فى النسب وهو من دَخَلَ دَخْلًا وليس كالدغل كما زعموا . فالدخل أعم من الدغل . فالدَّغْلَ يدل على التباس والتواء من شيئين يتداخلان .

(٤) ذكر هذا القرطبي ولم ينسبه لأحد وسماه "عابس" بدل من عائش .

سورة الإسراء

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ﴾^(١) : سبحان قيل عَلم على التسييح وهو غير مصروف للعلمية والزيادة ، وقيل مصدر فى موضع التسييح ، وأسرى قيل سرى وأسرى لغتان وقيل الأصل سرى والهمزة للتعدية ، والتقدير أسرى البراق بعبدہ وقُرى بهما على أنهما لغتان فأسر وأسرى على أن الهمزة أصلية ، ويؤيد من يقول بأن الهمزة للتعدية قول حسان :

حَيَّ النَّصِيرَةَ رَبَّةَ الْحَدَرِ أَسْرَتْ إِلَى وَلَمْ تَكُن تَسْرَى .

التقدير أسرت إلى خيالها ولم يكن منها سُرَى فتأمله . وليلاً منصوب على الظرفية ، فإن قيل فالسرى لا يكون إلا لَيْلاً ، قُلْنَا جِئَ بِهِ مِنْكَ لِشُعْرٍ بِالْمُدَّةِ الْقَلِيلَةِ مِنَ اللَّيْلِ لِرَادَةِ الْبَعْضِيَّةِ وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ وَحَذِيفَةُ "مِنَ اللَّيْلِ" .

﴿وَقَضَيْنَا﴾^(٢) : القضاء : فصل الأمر قولاً كان أو فعلاً وكل منهما على وجهين . إلهي ، وبشري .

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ : أى أمر وقيل عهد ، وقيل وصى .

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ : هذا قضاء بالاعلام والفصل من . وقضينا إليه ذلك الأمر ، ومن الفعل الإلهي قوله تعالى "فقضاهن سبع سموات" إشارة إلى ايجادہ الإبداعى . ومن الفعل البشرى "فإذا قضيت مناسككم" وقال "ثم ليقضوا تفثهم" بمعنى أدوا . قال الجوهري : قضى بمعنى حكم ، وقد تكون بمعنى الفراغ تقول قضيت

(١) قال القرطبي : سبحان : اسم موضوع موضع المصدر ، وهو غير متمكن ؛ لأنه لا يجري بوجوه الاعراب ، ولا تدخل عليه الألف واللام ، ولم يجر منه فعل ولم ينصرف لأن فى آخره زائدتين ، تقول سبّحت تسييحاً وسُبْحَانَا ، مثل كَفَرْتَ اليمين تكفيراً وكُفْرَاناً . ومعناه التنزيه والبراءة لله عز وجل من كل نقص .

(٢) قضينا : أعلمنا وأخبرنا . وقال قتادة : حكمنا ؛ وأصل القضاء الاحكام للشيئ والفراغ منه .

حاجتى وضربه فقضى عليه أى قَتَلَهُ ، وُسْمٌ قاضٍ أى قاتل ، وقضى نحبه : مات .
وقد يكون بمعنى الأداء تقول قضيت ديني ، وقد يكون بمعنى الاعلام كقوله تعالى ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾ [الاسراء-٤] وقوله تعالى ﴿ثم افضوا إلى﴾ [يونس-٧١] بمعنى امضوا إلى ، وقد يكون بمعنى الصنع والتقدير كقوله تعالى ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ [فصلت-١٢] ، ومنه القضاء والقدر .

﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ﴾ : قال أبو زيد ^(١) مددنا القوم: صرنا مدداً لهم، وأمددناهم بغيرنا
﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ : أى جماعة ^(٢) ، وقد يُقال للقوم الذين يتقدمون فى
الأمر النفير ، فيقال جاءت نفيرة من فلان .

﴿وإن أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ : أى فعلِهَا ^(٣) .

﴿وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلِمُوا تَبِيراً﴾ : التتير : الهلاك .

﴿جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ : الحصير هاهنا المحبس وهو لفظ مشترك ويطلق
الحصير على الرجل البخل ^(٤) ، وعلى البارية ، وعلى الجنب ^(٥) ، وعلى الملك قال
ليبد وقماقم غلب الرقاب كأنهم جنٌ لدى باب الحصير قيام ^(٦) والحصير : المحبس .

(١) وفى اللسان مددنا القوم : صرنا لهم أنصاراً ومدداً .

(٢) النَّفَرُ وَالنَّفِيرُ وَالنَّفَرَةُ : عِدَّةُ رِجَالٍ يَمْكُنُهُمُ النَّفَرُ . مأخوذ من نفر إلى الشيء أسرع إليه ، ويقال
للقوم النافرين لحرب أو غيرها "نفير" تسمية بالمصدر .

(٣) على هذا التفسير تكون اللام فى قوله "فلها" موافقة على فى الاستعلاء المجازى ، وهو غير
صحيح . وإنما هى على حقيقتها .

(٤) حَصِرَ : أى بخل .

(٥) ويقال للجذب حصير لأن بعض الأضلاع محصور مع بعض .

(٦) وللبيت رواية أخرى وهى "لدى طرف الحصير قيام" وعليه فلا شاهد على أن الحصير بمعنى
الملك .

﴿الزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾^(١) : طائر الرجل : عمله الذى فعله .

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ﴾^(٢) : أف كلمة معناها الضَّجَر ، وقيل كلمة تُشْعِرُ بالأذى وقيل الأف وسخ الأذن ، والتف : وسخ الظفر ، وفيها تسع لغات . أُفٌ ، وأُفٌ و أفا بالحركات الثلاث مع التشديد والتنوين ، وبالحركات الثلاث بلا تنوين مع التشديد ، وبالحركات الثلاث مع التخفيف هكذا نقله السجاوندى* فى عَيْنِ المعانى فى التفسير ونقل بعض المتأخرين أن فيها خمسين لغة وضبطها وشكلها ذكر ذلك أبو حيان فى ارتشاف الضَّرَب .

﴿بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾^(٣) : القُسْطَاس : الميزان بلغة الروم ، ويجوز كسر

(١) طائرته : عمله وما قُدِّرَ عليه من خير وشر . وقال مجاهد : عمله ورزقه . وقال الحسن : الزمناه طائرته أى شقاوته وسعاده وما كتب له من خير وشر وما طار له من التقدير أى صار له عند القسمة فى الأزل . يقال لكل ما لزم الانسان : قد لزم عنقه ، وهذا لك فى عنقي حتى أخرج منه ، وإنما قيل للحظ من الخير والشر طائر ، لقول العرب : جرى لفلان الطائر بكذا وكذا من الخير والشر على طريق الفأل والطيرة فخطبهم الله بما يستعملون . وأعلمهم أن ذلك الأمر الذى يجعلونه بالطائر هو يلزم أعناقهم .

(٢) أُفٌ : قراءة نافع وحفص وأبى جعفر . أفٌ : ابن كثير وابن عامر ويعقوب . أفٌ : أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائى وخلف .

ومن الغريب

أمرنا مترفيها : أى سَلَطْنَا شرارها فعصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم . وقرأ يعقوب : أمرنا أى أكثرنا جبابرتها وأمرأها .

كلا نُمِدُّ : أى نرزق المؤمنين والكافرين .

* الشيخ أثير الدين محمد بن محمد بن عبد الرشيد بن طيفور السجاوندى الحنفى ت سنة ٦٠٠ هـ

(٣) القِسْطَاس بكسر القاف قراءة حفص وحمزة والكسائى وخلف . وبضم القاف قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر وشعبة وأبى جعفر ويعقوب . قال القرطبى وتقتضى هذه الآية أن الكيل على البائع .

القاف وضمها . وهو ما وافقت فيه العرب العجم .

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾^(١) : المرح : شدة الفرح والنشاط وقد مَرِحَ بالكسر فهو مَرِحٌ ومَرِيحٌ بالتشديد ، والاسم المِراح ، ومَرِحَتْ عنه بالكسر : فسدت .

﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ : الاملاق : الفقر .

﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ : أى يتناجون بالكلام .

﴿فَسَيَنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾^(٢) : نَغَضَ رأسه يَنْغِضُ وَيَنْغِضُ نَغْضًا وَنُغُوضًا أى تحرك ، وأنغض رأسه أى حركه كالمتعجب من الشيء .

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾^(٣) : الرؤية فى السقطة ، والرؤيا فى المنام ، وقد تمسك بهذه الآية مَنْ زعم أنَّ الاسراء كان بالروح فى المنام ، ومن قال فى اليقظة أوَّل الرؤيا بالرؤية ، وقال إنما سمّاها رؤيا وإن كانت رؤية لأن المكذبين قالوا : هى رؤيا

(١) المرح : التكبر فى المشي أو الخيلاء فيه . والمرح مصدر ومَرِحَ اسم فاعل إنك لن تخرق الأرض يعنى لن تتولج باطنها فتعلم ما فيها . ولن تبلغ الجبال طولا أى لن تساوى الجبال بطولك ولا تطاولك . ويقال خرق الثوب أى شقّه وخرق الأرض أى قطعها والمراد هنا بخرق الأرض نقبها لا قطعها بالمسافة ، قاله القرطبي .

(٢) يحركون رؤوسهم استهزاء .

(٢٣) وفى البخارى والترمذى عن ابن عباس فى قوله "وما جعلنا الرؤيا . . . الآية" قال : هى رؤيا عين أريها النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أُسري به إلى بيت المقدس . قال : "والشجرة الملعونة فى القرآن" هى شجرة الزقوم ١ . هـ وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم أنه يدخل مكة فى سنة الحديبية . ولا حجة لمن تمسك بهذه الآية وزعم أن الاسراء كان بالروح فى المنام وذلك لأن رؤيا المنام لا فتنة فيها وماكان أحد لينكرها . وفتنة الشجرة الملعونة فى القرآن تمثلت فى قول أبى جهل استهزاء : إن محمدا يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنها تنبت الشجر والنار تأكل الشجر . وما نعرف الزقوم إلا التمر والزبد .

رَأَيْتَهَا فَذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى كَمَا قَالُوا ، وَقِيلَ هِيَ عَلَى بَابِهَا ؛ وَهِيَ رُؤْيَاهُ الَّتِي رَأَاهَا مِنْ أَنَّهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ ، وَقِيلَ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّ أَوْلَادَ الْحَكَمِ يَتَدَاوِلُونَ مِنْبَرَهُ كَمَا يَتَدَاوِلُ الصَّبِيَّانِ الْكَرَّةَ .

﴿ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ ﴾ : قِيلَ الْمُرَادُ شَجَرَةُ الزَّقُومِ . فَإِنْ قُلْتَ فِي أَىِّ مَوْضِعٍ لُعِنَتْ ، قُلْتَ : إِنَّمَا لُعِنَ طَاعِمُهَا مِنَ الْكُفْرَةِ ، وَإِنَّمَا وُصِفَتْ بِلَعْنِ أَصْحَابِهَا مِنَ الْكُفْرَةِ عَلَى الْمَجَازِ . وَقِيلَ وَصَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِاللَّعْنِ لِأَنَّ اللَّعْنَ الْإِبْعَادُ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقِيلَ الْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ طَعَامٍ مَكْرُوهٍ مَلْعُونٍ فَيَقُولُونَ صَابٌ مَلْعُونٌ ، وَقُرِئَتْ بِالرَّفْعِ وَالتَّقْدِيرِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فَكَذَلِكَ ، وَقِيلَ أَبُو جَهْلٍ ، وَقِيلَ الشَّيْطَانُ ، وَقِيلَ الْكُشُوثُ الَّذِي يَلْتَوِي عَلَى الشَّجَرِ فَيَجْفِفُهُ ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ الْكُشُوثُ : شَجَرٌ يَلْتَوِي عَلَى الشَّجَرِ فَيَجْفِفُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَضْرِبَ بِعَرَقٍ فِي الْأَرْضِ قَالَ الشَّاعِرُ

هُوَ الْكُشُوثُ فَلَا أَصْلَ وَلَا وَرْقَ وَلَا نَسِيمَ وَلَا ظِلَّ وَلَا ثَمَرَ .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ : كَرَّمَهُ بِأَوْصَافٍ لَمْ تَكُنْ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ ؛ الْعَقْلُ وَالنُّطْقُ وَالتَّمْيِيزُ وَالْخَطُّ وَاعْتِدَالُ الْقَامَةِ ، وَقِيلَ تَسْلِيطُ بَنِي آدَمَ عَلَى مَا فِي الْأَرْضِ وَتَسْخِيرُ ذَلِكَ لَهُمْ ، وَقِيلَ أَكْلُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ .

وَمِنْ الْغَرِيبِ :

لَأَحْتَنِكَنَّ : لَأَسْتَوْلِينَ عَلَيْهِمْ أَوْ لَأَجْتَاحَتَهُمْ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : احْتَنَكَ الْجَرَادُ الزَّرْعَ إِذَا أَكَلَهُ وَذَهَبَ بِهِ كُلَّهُ . وَقِيلَ مَعْنَاهُ : لَأَسَوِّقُهُمْ حَيْثُ شِئْتُ وَأَقْوَدُهُمْ حَيْثُ أَرَدْتُ . مِنْ قَوْلِهِمْ حَنَكَتِ الْفَرَسُ أَحْنَكُهُ إِذَا جَعَلَتْ فِي حَنَكِهَا حَبْلًا أَقْوَدَهَا بِهِ .

اسْتَفْزَرَ : أَصْلُهُ الْقَطْعُ وَمِنْهُ تَفَزَّرَ الثُّوبُ إِذَا انْقَطَعَ وَالْمَعْنَى اسْتَزَلَّهُ بِقَطْعِكَ إِيَّاهُ عَنِ الْحَقِّ أَجْلَبَ عَلَيْهِمْ : أَصْلُ الْإِجْلَابِ السَّوْقُ بِجَلْبَةٍ مِنَ السَّائِقِ وَالْمَعْنَى : أَجْمَعَ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ مَكَائِدِكَ .

تَبِيعًا : نَائِرًا وَهُوَ مِنَ الثَّارِ . وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ طَلَبَ بَثَّارَ أَوْ غَيْرِهِ : تَبِيعَ وَتَابَعَ وَمِنْهُ ﴿ فَاتَّبَعَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ {البقرة: ١٧٨} أَىِّ مَطَالِبَةٍ .

﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾^(١) المراد بالحياة الآخرة ، والمراد بضعف الممات عذاب القبر وأن يُضَاعَفَ عذاب الآخرة ويُضَاعَفَ عذاب القبر .

﴿ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾^(١) : دلوك الشمس : زوالها إلى وقت غروبها واللام بمعنى عند والدلوك : الميل ، ومعنى اللفظ يجمعهما ، والشمس تميل إذا زالت أو غربت والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة^(٢) القائلين به ولكونه جامعاً لمواقيت الصلاة كلها لأن دلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر إلى غسق الليل : يتناول المغرب والعشاء .

﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾ : صلاة الصبح ، وغسق^(٣) الليل : ظهور ظلمته .

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ ﴾^(٤) : أى على مذهبه وطريقه التى تُشَاكِلُ حاله فى

(١) أى لو ركنك لأذقناك مثلي عذاب الحياة فى الدنيا ومثلي عذاب الممات فى الآخرة والضعف النصيب فى قوله تعالى ﴿ لكل ضعف ﴾ {الأعراف : ٣٨} .

(٢) قال القرطبي : هذه الآية بإجماع من المفسرين إشارة إلى الصلوات المفروضة . . وللدلوك معنيان : ١- زوال الشمس عن كبد السماء ٢- الدلوك هو الغروب . وقولهم دَلَكْتُ بَرَّاحَ أى غابت الشمس "برَّاح" اسم من أسماء الشمس . قال ابن عطية : الدلوك هو الميل فى اللغة فأول الدلوك هو الزوال وآخره هو الغروب ، ومن وقت الزوال إلى الغروب يسمى دلوكا ، لأنها فى حالة ميل .

(٣) قوله لكثرة القائلين به وهم عمر وابنه وأبو هريرة وابن عباس .

(٤) أصل الغسق السَّيْلَانُ يقال : غسقت العين إذا سالت . وغسق الجُرْحُ غَسَقَانًا ، أى سال منه ماء أصفر . وغَسَقَ الليلُ غُسُوقًا . والغَسَقُ اسم بفتح السين . والمعنى اجتماع الليل وظلمته .

(٤) قال الفراء : يعمل على شاكلته أى على طريقته ومذهبه الذى جُبِلَ عليه . وقيل : كلٌّ يعمل على ما هو أشكل عنده وأولى بالصواب فى اعتقاده . وقيل هو مأخوذ من الشَّكْلِ ؛ يقال : لَسْتُ عَلَى شَكْلِي وَلَا شَاكِلَتِي فَالشَّكْلُ هو المِثْلُ والنظير . قال تعالى ﴿ وآخر من = شكله أزواج ﴾ {ص : ٥٨} والشَّكْلُ بكسر الشين : الهيئة . والمعنى : أن كل أحد يعمل على ما يشاكل أصله وأخلاقه التى ألفها .

الهدى والضلالة من قولهم : طريق ذو شواكل ، ويؤيده تمام الآية فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً .

﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾^(١) : سألوه عن حقيقة الروح . فأخبر أنه من أمر الله تعالى أى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر .

﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كِفُورًا ﴾ : الكفور : الجحود : وقال الأخفش هو جمع الكُفر مثل بُرد وبرود .

﴿ تِسْعَ آيَاتٍ ﴾ : اختلف فيها ف قيل هى العصا وخروج يده بيضاء ، وانفلاق البحر والقمل والضفادع والدم والجراد ، وانفجار الحجر بالماء ، والمن والسلوى

﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ : خبت النار إذا خمدت ، والسعير : إيقادها .

﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ : مختلطين أنتم وإياهم ، واللفيف : الجماعات من قبائل

شتى .

(١) روى البخارى ومسلم والترمذى عن عبد الله قال : بَيَّنَّا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرْثٍ وَهُوَ مَتَكِّيٌّ عَلَى عَسِيبٍ إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ . قَالَ : مَا رَأَيْتُمْ إِلَيْهِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ . فَقَالُوا : سَلُوهُ . فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ ، فَكُنْتُ مَقَامِي ، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ . . . الْآيَةَ"

ومن الغريب

ظهيراً آية ٨٨ : أَيْ عَوْنًا وَنَصِيرًا .

قبيلاً آية ٩٢ : أَيْ مُعَايَنَةً ، وَقِيلَ : ضُمْنَا يَضْمُنُونَ لَنَا إِيَّانَكَ بِهِ ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَابْنُ عَبَّاسٍ أَيْ كَفِيلًا . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : هُوَ جَمْعُ الْقَبِيلَةِ ؛ أَيْ بِأَصْنَافِ الْمَلَائِكَةِ قَبِيلَةً قَبِيلَةً .

آية ١٠٠ - قُتُورًا : بِخِيَلَا .

﴿عَلَى مَكْتٍ﴾ : بفتح الميم وضمها وبهما^(١) قُرِئَ أَى عَلَى تَأْنٍ وَتَوَدَّةٍ .

﴿يَخِرُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ : جمع ذَقْنٍ واللامُ بمعنى على وهو مجمع اللحين وقال

جار الله : جعل ذقنه ووجهه للخروج واختصه به لأنّ اللام للاختصاص وأنشد : وخرّ صريعا لليدين وللنم .

﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾^(٢) : الدعاء هاهنا بمعنى التسمية لا بمعنى

آية ١١٠ - تُخَافَتْ بِهَا : تُخَفِّهَا - وابتغ بين ذلك سبيلا : بين الجهر والمخافتة والمخافت : خفض الصوت والسكون .

آية ١١١ - ولم يكن له وليٌّ من الذل : لم يحالف أحداً ولا ابتغى نصر أحد . أو لم يذلّ فيحتاج إلى وليٍّ ولا ناصر لعزته وكبريائه .

(١) لم يقرأ أحد من العشرة ولا من الأربعة الموسومة بالشذوذ بفتح الميم ، وما ذكره القرطبي عن ابن محيصة فليس بثابت ولا صحيح . ولم يعزها أبو حيان إلى أحد غير أنه ذكر عن الحوفي جواز فتحها وفتحها لغة . قال صاحب اللسان مكث يمكثُ ، ومكث مكثاً ومكثاً ومكثاً ومكثاً ومكثاً .

(٢) قال في الطحاوية . الاسم يراد به المسمى تارة ، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى ، فإذا قلت قال الله كذا ، أو سمع الله لمن حمده ، ونحو ذلك ، فهذا المراد به المسمى نفسه . وإذا قلت : الله اسم عربى . والرحمن اسم عربى ، والرحمن من أسماء الله تعالى ونحو ذلك ، فالاسم هاهنا للمسمى . قال شيخ الاسلام : والاسم يتناول اللفظ والمعنى المتصور فى القلب ، وقد يراد به مجرد اللفظ وقد يراد به مجرد المعنى ، فإنه من الكلام "والكلام" اسم للفظ والمعنى . وقد يراد به أحدهما ؛ ولهذا كان من ذكر الله بقلبه أو لسانه فقد ذكره ، لكن ذكره بهما أتم . والله تعالى قد أمر بتسبيح اسمه ، وأمر بالتسبيح باسمه ، كما أمر بدعائه بأسمائه الحسنى ؛ فيدعى بأسمائه الحسنى ، ويسبح اسمه وتسبيح اسمه هو تسبيح له ؛ إذ المقصود بالاسم المسمى ؛ كما أن دعاء الاسم هو دعاء المسمى . قال تعالى ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ فقد جعل الاسم تارة مدعوا ، وتارة مدعو به ، فى قوله ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ فهو مدعو باعتبار أن المدعو هو المسمى . وإنما يدعى باسمه ، وجعل الاسم مدعو باعتبار أن المقصود به هو المسمى ، وإن كان فى اللفظ هو المدعو المنادى كما قال =

النداء والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى ، والضمير فى له ليس براجع إلى أحد الاسمين المذكورين ولكن إلى مُسمَّاهما لأنَّ التسمية للذات لا للاسم . والمعنى أيَّا ما تدعوا فهو حسنٌ . فوضع موضعه .

﴿ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ﴾ : أى بقراءة صلاتك ، لأن الجهر والمخافته صنفان يتعاقبان على الصوت لا غير ، والصلاة : أفعال وأذكار ، وقيل الآية منسوخة لقوله تعالى " ادعوا ربكم تضرعا وخفية "

= ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ أى ادعوا هذا الاسم ، أو هذا الاسم والمراد إذا دعوته هو المسمى ؛ أى الاسمين دعوت ومرادك هو المسمى : فله الأسماء الحسنى ١ . هـ

سورة الكهف

﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ : أى اختلافًا وتناقضًا ، ، والعِوَج بكسر العين فى المعانى كالعَوَج فى الأعيان . واللام فى له بمعنى فى .

﴿ قَيِّمًا ﴾ : التقدير جعله قَيِّمًا أى قيما على جميع الكتب السماوية ؛ مُصَدِّقًا شاهدا بصحتها ، وقيل قيما بمصالح العباد .

﴿ بَاخِعٌ نَفْسِكَ ﴾ : بَخَعَ نفسه بَخْعًا أى قتلها غمًّا ، وبخع بالحق بخوعاً أقرَّ به ، وبخع بكسر الخاء . بُخُوعاً وبخَاعَةً .

﴿ صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ : الصعيد : وجه الأرض ، والجُرُز : الأرض البيضاء التى لا نبات بها وفيه أربع لغات : جُرُزٌ^(١) وجُرُزٌ وجُرُزٌ وجُرُزٌ . وجمع الجُرُز جِرَزَةٌ مثل جِحْرَةٍ وجمع الجِرَز أجْرَاز مثل سَبَب وأسباب تقول منه أجْرَاز القوم كما تقول أَيْسُوا والجِرَزُ السَّنَةُ المُجْدِبَةُ وقولهم "إنه لذو جِرَز" بالتحريك أى غَلِظَ ، والجُرُز بالضم عمود من حديد وسيفٌ جُرَاز بالضم : قِطَاعٌ وناقَة جُرَاز أى أْكُول .

﴿ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾ : الكهف : الغار الواسع فى الجبل ، والرقيم مختلف فيه : قيل اسم كلبهم^(٢) ، وقيل لوحٌ من رصاص رُقِمَتْ فيه أسماؤهم ، وقيل إن الناس زعموا حديثهم نقرأ فى الجبل ، وقيل مكانهم دون فلسطين ، وقيل

(١) قال الجوهري جُرُزٌ وجُرُزٌ مثل عُسْرٍ وعُسْرٍ ، وجُرُزٌ وجُرُزٌ مثل نَهْرٍ ونَهَرٍ وجمع الجُرُز جِرَزَةٌ مثل جُحْرٌ وجِحْرَةٌ والمعنى : وإن ما على الأرض لفسانٍ وزائل ، وإن المرجع إلى الله تعالى ، فلا يحزنك ما تسمع وترى .

(٢) قاله سعيد بن جبیر . وقال مجاهد : الرقيم الكتاب الذى كتب فيه شأنهم . مأخوذ من الرِّقْم فى الثوب .

الرقيم بالرومية الدّواة ، وقيل الرقيم قوم^(١) حالهم كحال أصحاب الكهف . وعن ابن عباس ما أدرى ما الرقيم أكتاب أم بنيان نقله الجوهري .

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ : كناية^(٢) عن النوم والتقدير ضربنا حجاباً على آذانهم فهم لا يسمعون كما تقول بنى على زوجته أى بنى قُبَّةً وحذف المفعول الأول للعلم به .
﴿ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ : أى تُخَلِّفُهُمْ وتُجَاوِزُهُمْ وتتركهم عن شمالها ، ويقول الرجل لصاحبه هل مَرَرْتُ بكذا فيقول قرضته ذات اليمين ليلاً . والمعنى لا تنالهم بحرّها قال ذو الرُّمّة " لها طُعْنٌ " * .

إلى ظُعْنٍ يَقْرِضُنْ أَجَوازَ مُشْرِفٍ شِمَالاً وعن أيْمَانِهِنَّ الفوارسُ .
﴿ فِي فَجْوَةٍ ﴾ : الفجوة^(٣) : المكان المتسع .

(١) ذكر البخارى تعليقا ووصله عبد بن حميد من طريق يعلى بن مسلم عن ابن جبير أنه قال : الرقيم قوم من الشراة كانت حالهم مثل حال أصحاب الكهف . قال ابن حجر فى الفتح وأصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم . وقال أبو صالح الرقيم الدواة بالرومية . وقيل : الرقيم اللوح من الذهب تحت الجدار الذى أقامه الخضر - وقيل : أصحاب الغار الذين انطبق عليهم .
ومن الغريب

آية ١٤٠ : شططا : الشطط : الغلو ومجاوزة الحق .

(٢) ضربنا على آذانهم أى منعناهم من الاستماع ، فذل ذلك على أنهم لم يموتوا وكانوا نياماً . ولا معنى لقوله كناية وقوله ضربنا حجاباً . وإنما ضرب الله على آذانهم وإن لم يكن ذلك من أسباب النوم لثلا يسمعون ما يوقظهم من نومهم . فى اللسان هل مرتت بمكان كذا وكذا .
* هكذا بالأصل وقد نقلنا الصحيح من اللسان والمعنى : نظرتُ إلى ظُعْنٍ (جمع ظعينة) وهى المرأة يَقْرِضُنْ أى يَجُزُنْ بين مشرف والفوارس وهما موضعان وأجواز ويروى أقواز كشيبة رمل صغير والعرب تقول قرضت موضع كذا أى قطعته .

(٣) وجمع فجوة فجوات وفجاء مثل ركوة وركاء وركّوات . قال قتادة : يعنى فى فضاء منه .

﴿بِالْوَصِيدِ﴾^(١) : فناء الدار . واختلف فى اسم كلبه ولونه . قيل قطمير^(٢)
وقيل ريّان ، وقيل قطمون ، وقيل لونه أغرّ ، وقيل أصفر ، وقيل يضرب إلى الحمرة
وسئل بعض الوعاظ عن لونه فقال لونه لون الحَجَر لأن الحجر ذو ألوان فتخلّص .

﴿بِوَرَقِكُمْ﴾^(٣) : الورق : الفضة مضروبة وغير مضروبة قُرئ ساكنة الراء على
أنّه مُخَفَّف من ورق وقُرئ بورقكم مكسورة الراء على أنه أصل لم يخفف .

﴿أَزَكَّى طَعَامًا﴾ : قيل : أحل^(٤) ذبيحة لأنّ عامتهم كانوا مجوساً ، وقيل :
أطيب وقيل : أرخص .

﴿أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ : أَطْلَعْنَا .

﴿مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا﴾ : حِرْزًا أَوْ مَعْدِلًا أَوْ مَوْتَلًا .

﴿أَمْرُهُ فُرْطًا﴾^(٥) : أى ضياعاً ، وقيل كذباً ، وفَرَسٌ فُرْط : إذا كان يسبق
الحَيْل .

﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾^(٦) : هو الْحَجَرَةُ التى تكون حول الفُسْطَاط ، وبيت

(١) قال عمرو بن دينار : إن ممّا أُخِذَ على العقرب ألا تضر أحداً إذا قال فى ليله أو فى نهاره
صلّى الله على نوح . وإن ممّا أُخِذَ على الكلب ألا يضرّ من حمل عليه إذا قال : وكلبهم باسط
ذراعيه بالوصيد .

(٢) قاله ابن عباس وقال : هربوا ليلاً ، وكانوا سبعة فمروا براعٍ معه كلب فاتبعهم على دينهم .

(٣) قرأ أبو عمرو وحمزة وشعبة وخلف وروح . بِوَرَقِكُمْ بسكون الراء . والباقون بكسرها .
والمعنى الدراهم . وأما الْوَرَقُ بفتح الراء فهو الإبل والغنم .

(٤) وهو قول قتادة . وقال الكلبي : أطيّب طعاماً .

(٥) قال مجاهد : فُرْطاً : ضيقاً . وقال الفراء : متروكاً ، وقال ابن قتيبة : ندماً .

(٦) قال ابن عباس : سرادقها حائط من النار يطيف بهم . والسرادق فارسي معرب وأصله سردار=

مُسَرَّدُقٌ وقيل : هو دخان من النار يحيط بالكفار قَبْلَ دخولهم النار ، وقيل حائط من نار يحيط بهم .

﴿ كَالْمُهْلِ ﴾^(١) : دردى الزيت . وقيل ما أذيب من جواهر الأرض ، وقيل المهْل القَيْح والدم ، ومنه قول أبى بكر رضى الله عنه " ادفنوني فى ثوبى هذين فإنما هما للمهل والتراب " * .

﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا ﴾^(٢) : قيل بمعنى الحساب أى مقداراً قَدَّرَه الله وحسبه بالحكم بتحريها ، وقيل عذاب حسان ، وقيل حساناً يقال فى الواحدة حُسْبَانَةٌ وهى الصواعق .

﴿ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾^(٣) : أرضاً بيضاء يُزْلَقُ عليها لملاستها .

= روى يعلى بن أمية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " البحر هو جهنم " ثم تلا ﴿ تَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سَرَادِقُهَا ﴾ ثم قال " والله لا أدخلها أبدا ما دمت حيا ولا يصيبني منها قطرة " . رواه ابن جرير وأحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

(١) قال مجاهد : المهْل : القَيْح والدم . وعن ابن مسعود : أنه كل شئٍ أُذِيبَ حتى انماع . وقال ابن جبیر : هو الذى قد انتهى حره .

(٢) قال ابن عباس وقتادة حُسْبَانًا أى عَذَابًا . وأصل الحُسْبَانُ سهام قصار يُرمى بها فى طَلْقٍ واحد . وقيل بمعنى الحساب أى يرسل عليها عذاب الحساب لأنه جزاء الآخرة والجزاء من الله تعالى بحساب وقال الأخفش والقشبي وأبو عبيدة : مرامي من السماء ، واحدها حُسْبَانَةٌ . وقال ابن الأعرابي : الحُسْبَانَةُ الصاعقة .

* الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن عائشة رضى الله عنها (ج٦ ص٥٢) برقم (٢٤٢٤١) . بلفظ " إنما هو للمهلة بثلاث الميم . قال ابن الأثير : وهى : القَيْح والصدید الذى يذوب فيسيل من الجسد ، ومنه قيل للنحاس الذائب : مُهْلٌ " .

(٣) يقال : مكانٌ رَلَقٌ أى دَحْضٌ . وَالْمَزْلَقَةُ وَالْمَزْلَقَةُ : الموضع الذى لا يثبت عليه قدم ، وَالزَّلَقُ : الحلق ، رَلَقَ رَأْسَهُ يَزْلِقُهُ زَلَقًا حَلَقَهُ ؛ قاله الجوهري والمعنى أنها لا يبقى فيها نبات كالرأس إذا حُلِقَ لا يبقى عليه شعر .

﴿ وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾^(١) : أى تنقص .

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ : الموبق^(٢) : المهلك . والمعنى جعلنا بينهم وادياً من أودية جهنم يهلكون فيه ، وقيل موبقا : عداوة تقول وبق يبق وبقاً : هلك والموبق مفعّل كالمرعد ؛ وفيه لغة أخرى وبق يوبق وبقا ، وفيه لغة ثالثة وبق يبق بالكسر فيهما ، وأوبقه : أهلكه .

﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾^(٣) : أى عياناً ، وقُرئ قُبُلًا بفتحين مُستقبلاً .

﴿ لِيُدْحِضُوا ﴾^(٤) : أى ليزيلوا من إحاض القدم وهى ازلاقتها وإزالتها عن مكانها .

﴿ وَمَا أَنْذَرُوا هُزُوءًا ﴾^(٥) وهُزُوءاً بالسكون أى اتخذوها موضع استهزاء .

﴿ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ : قيل بحر فارس وبحر الروم مما يلى المشرق ، وقيل طنجة مما يلى المغرب .

(١) هكذا بالأصل والصحيح أن تقدم ﴿ ولم تظلم منه شيئاً ﴾ على ﴿ صعيداً زلقاً ﴾ .

(٢) قال ابن عباس وقتادة والضحاك : موبقا : أى مهلكا . وقال أنس بن مالك : موبق واد فى جهنم وقال الحسن : عداوة .

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب قُبُلًا . والباقون وهم الكوفيون وأبو جعفر قُبُلًا . وفيه وجهان أحدهما بمعنى تُجَاه والثانى : أنه جمع قبيل معناه ضروب العذاب . وتوجيه قراءة قُبُلًا : بمعنى مقابلة أى معاينة وتُصَب على الحال وقيل بمعنى ناحية وجهه فنصبه على الظرفية مثل " فى قِبَل زيد دين " .

(٤) ليدحضوا : ليدهبوا به الحق ويزيلوه . مأخوذ من الدحض وهو الموضع المزلق من الأرض الذى لا يثبت عليه خف ولا حافر ولا قدم .

(٥) هزؤا : لعبا أو باطلا . قرأ حفص هُزُوءًا . وقرأ حمزة وخلف هُزُوءًا والباقون هُزُوءًا .

﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾^(١) : أى زماناً طويلاً : وقيل حيناً وقيل سبعون سنة وقيل

ثمانون .

﴿ نَسِيًا حُوتَهُمَا ﴾ : أى يوشع وموسى

﴿ سَرَبًا ﴾ : مَسْلُكًا^(٢) .

﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ : وجه العجب أن الحوت كان مملوحاً فلما ناله

رشاش ماء الحياة عاش وانساب فى اليم .

﴿ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ : أى عظيماً من أمر الشيء إذا عَظُم .

﴿ وَرَأَاهُمْ مَلِكٌ ﴾^(٣) : أمامهم وقيل هو على بابهِ لأن الرجوع كان عليه ،

واسم الملك جلندي ، وقيل هدد بن بدد .

﴿ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾^(٤) : هو الاسكندر واختلف فيه ، ف قيل نبي^(٥) وقيل

ملك من الملائكة وقيل عبد صالح ، واختلف فى تلقيبه ف قيل هلك فى زمانه قرنان ،

وقيل كان له تاج فيه قرنان وقيل كان له ضفيرتان ، وقيل غير ذلك . وكان بعد نمروذ

(١) قال ابن عمر : الحقب ثمانون سنة وقال مجاهد : سبعون . وقال قتادة : الزمان ، وقال ابن عباس : الدهر .

(٢) قال مجاهد وابن زيد : سَرَبًا : مَسْلُكًا . وقال الكلبي : يَيْسًا . وقال مقاتل : عَجَبًا .

(٣) يجوز استعمال وراء بكل حال وفى كل مكان فهو من الأضداد . قال تعالى ﴿ من وراءهم جهنم ﴾ أى من أمامهم وقدامهم جهنم . قال مقاتل : وكان اسم الملك مندلة بن جلندي بن سعد الأزدي .

(٤) قال ابن اسحاق : كان ذو القرنين من أهل مصر اسمه مَرْزِيَان اليونانى من ولد يونان بن يافث ابن نوح . قال ابن هشام : اسم الاسكندر وهو الذى بنى مدينة الاسكندرية .

(٥) ذكر ابن أبى خيثمة فى كتاب البدء له خالد بن سنان العبسي وذكر نبوته .

يقال ملك الدنيا بأجمعها مؤمنان سليمان وذو القرنين . وكافران ثمود وبختنصر .

﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ : قيل المراد الزنج إذا طلعت الشمس دخلوا أسراباً لهم فإذا انكسر حرُّها خرجوا لمعايشهم . وستراً بمعنى ساتر لأن أرضهم لا تحتل الأبنية . وقيل المراد لا يلبسون الثياب فتكون ستراً لهم من حرِّها .

﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾^(١) : قرأ مهموزين ، وقيل آجوج وماجوج وهما من ولد يافث ، وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجليل والديلم . وعن النبي^(٢) صلى الله

(١) قرأ عاصم مهموزا وغيره دون همز .

وقد وردت أخبار بصفاتهم وخروجهم وأنهم ولد يافث . منها ما رواه أبو هريرة يرفعه " وكُذِّ لنوح سام وحام ويافث فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم وولد حام القبط والبربر والسودان " قال ابن حجر حديث ضعيف . قلت والصقالبة هم الروس سكان أواسط آسيا . قال السدي والضحاك : الترك شذمة من يأجوج ومأجوج خرجت تُغيِّر فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت في هذا الجانب . وقد بُنِيَ السدُّ على إحدى وعشرين قبيلة ، وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك . وقد نعت النبي صلى الله عليه وسلم الترك كنعت يأجوج ومأجوج فقال " ولا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك وجوههم كالمجان المطرقة يلبسون الشعر " وفي رواية " يتعلون الشعر " خروجه مسلم وأبو داود وغيرهما .

أين يقع سد يأجوج ومأجوج؟

قال ابن عباس : هو في منقطع بلاد الترك مما يلي أرمينية وأذربيجان . أى على الحدود التركية الروسية قريبا من جبال القوقاز - وهى جبال شاهقة الارتفاع يتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠ - ٣٠٠٠ متر . قلت ومعنى قوله فى الحديث كأن وجوههم المجان المطرقة أى كالتروس المستديرة . قال ابن كثير " ومن زعم أن منهم الطويل الذى كالنخلة السحوق ومنهم القصير ومنهم من له أذنان يتغطى بأحدهما ويتوطأ بالأخرى ، فقد تكلف مالا علم له به وقال مالا دليل عليه . ١ هـ .

(٢) قال الألوسى رواه ابن حبان من حديث ابن مسعود . ١ هـ .

عليه وسلم " لا يموت واحد منهم حتى ينظر ألف ولدٍ من صُلْبِهِ قد حملوا السلاح "

﴿ يَبْنَ الصَّدْفَيْنِ ﴾ (١) : قرئ بفتحهما ، وضمهما وهما جانباً الوادى

﴿ قَطْرًا ﴾ (٢) : النحاس .

-
- (١) قرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي وخلف بفتحتين . وقرأ بضم الصاد والذال ابن كثير وأبو عمر وابن عامر ويعقوب . وقرأ شعبة الصَّدْفَيْنِ بضم الصاد واسكان الذال . وهما جانباً الجبل وسمياً بذلك لتصادفهما أى لتلاقيهما ، مشتق من الصدوف كأنه يعرض عن الآخر .
- (٢) القطر : النحاس المذاب وأصله من القَطْر ، لأنه إذا أذيب قطر كما يقطر الماء .

سورة مريم

﴿ خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾^(١) : الموالى : الأولياء الذين يخلفونه من ورائه دون مَنْ كان من نَسْله ، وخاف أن يُغَيِّرُوا الدين فطلب نَسْلاً .

﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ : العَتِيُّ : يَنْسُ المفاصل يقال عَتَا العُودُ عَتِيًّا وقد تقدم .

﴿ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾^(٢) : قيل نهر صغير ، وقيل وصف لعيسى عليه السلام بالسَّراية والنجابة .

﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾^(٣) : أى حيناً طويلاً والمملوان : الليل والنهار واحدهما ملا مقصور - ومضى ملىُّ من النهار أى ساعة طويلة .

﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ : أى^(٤) آتياً مفعول بمعنى فاعل . قال جار الله الوجه أن الوعد الجنة وهم يأتونها . أو هو من قولك آتى إليه إحساناً أى كان وعده مفعولاً منجزاً .

(١) فى معنى الآية قولان : الصحيح منهما ما ذكره المؤلف . قال الزجاج : إنما كان مواليه مهملين للدين فخاف بموته أن يضيع الدين ، فطلب ولياً يقوم بالدين بعده .

(٢) الجمهور على أن السَّرِيَّ الجدول الذى كان قريب جذع النخلة . والسَّري من الرجال العظيم الخصال السيّد ، وفلان سَرِيٌّ من قوم سَرَاة .

(٣) قال ابن عباس : أى اعتزلنى سالم العرض لا يصيبك منى معرة . وعليه فإنه "حال" من ابراهيم وقال الحسن ومجاهد : دهرًا طويلاً . يقال هجرته مليًّا وملوّة وملأوّة . فهو على هذا القول ظرف .

(٤) هذا كلام القتيبي . قال الطبري : الوعد هاهنا الموعد وهو الجنة ؛ أى يأتيتها أولياؤه .

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾^(١) : ان كان تسليم بعضهم على بعض أو

تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون إلا ذلك

وهو من وادى قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهم فلول من قراع الكتائب

ويجوز أن يكون على الاستثناء المنقطع .

﴿ بُكَرَةً وَعَشِيًّا ﴾^(٢) : على مقدار ما يعهدونه في الدنيا من الغذاء طرفي النهار

﴿ أَثَاثًا وَرِئًا ﴾ : الأثاث : متاع البيت ، والرَّئُ : حُسْنُ المنظر^(٣) وفيها

لغات .

﴿ أَطْلَعَ الْغَيْبَ ﴾^(٤) : مأخوذ من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى أعلاه وطلع الشئ

قال جرير لا قيت مَطْلَعَ الجبال وَعُورًا هذا قول جار الله وقال الجوهري : طَلَعْتُ الجبل بالكسر إذا علوته واطلعت على باطن أمره .

﴿ تَوَزُّهُمْ أَزًّا ﴾^(٥) : الأَزُّ والهزُّ كلُّ بمعنى .

(١) الاستثناء منقطع . أى لكن يسمعون سلاما . يعنى سلام بعضهم على بعض .

والسلام اسم جامع لكل خير ؛ والمعنى أنهم لا يسمعون فيها إلا ما يحبون .

(٢) قال العلماء : ليس في الجنة ليل ولا نهار . وفي الحديث " ليس هناك ليل إنما هو ضوء ونور يَرُدُّ الغدو على الرواح والروح على الغدو وتأتيهم طُرفُ الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلونها فيها في الدنيا وتسلم عليهم الملائكة " . (ج ٢ ص ٥٢٢) الكشف .

(٣) اللغات هي : رِيًّا . ورِيًّا ، زِيًّا . ومعنى رِيًّا أن جلودهم مرتوية من النعمة .

(٤) أطلع الغيب : أى أنظر في اللوح المحفوظ وقال مجاهد : أعلم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا ؟

(٥) توزهم : تزعجهم إزعاجا إلى المعصية . أو تغريهم بالشر . وأصل الأَزُّ الحركة والغليان واتَّزَّتِ القدر اتَّزَّارًا اشتد غليانها .

﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾^(١) : خُصْمَاء .

﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾^(٢) : الرِّكْز : الصوتُ الخفي ومنه رُكْزَ الرمح إذا غُيِّبَ طرفُهُ في الأرض ومنه الرُّكَّاز .

(١) اللد : جمع الألد وهو شديد الخصومة .

(٢) الرِّكْز : الصوت . والرُّكَّاز : المال المدفون .

ومن الغريب

وَرَدًا : عِطَاشًا .

وَفَدًا : اسم للوافدي . فهو جمع الوافد مثل رُكْبٌ وراكِبٌ وصَحْبٌ وصاحب وهو من وفَدَ يَفِدُ وفَدًا إذا خرج إلى ملك في فتح أو أمر خطير والمعنى : أى ركبانا على نجائب .

تنشق الأرض : تتصدع .

تخر الجبال هداً : هَدَمًا أى تسقط بصوت شديد .

سورة طه

﴿طه ١﴾ : قيل معناه بالسريانية^(١) يارجل ، وقيل هي من^(٢) من الأسرار ،
وقيل علائم أوائل السور ، وقيل طه نبطية
قال الشاعر^(٣) :

إن السفاهة طه من شمائلكم لا قدس الله أرواح الملائع
وقال الآخر^(٤)

هَتَفْتُ بَطه في القتال فلم . يَجِبُ فَنَخَفْتُ لِعَمري أن يكون موائلا
وقيل بلغة^(٥) عَكَ ومعناه يا حبيبي ، وقيل أمره بالوطء والهاء بدل الهمزة لأنه
كان يقوم في تهجده على إحدى رجله فأمر أن يطاء الأرض .
﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ : الثرى : التراب النَّدَى والمراد الصخرة^(٦) التى تحت
الأرض السابعة .

﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ : علم على مكان مخصوص بالشام يُصرف ولا

(١) هذا قول ابن عباس والحسن .

(٢) عزاه القرطبي إلى أبي بكر رضى الله عنه . وقال عكرمة هو بالسريانية يارجل ، ذكره
المهدوي ، وحكاها الماوردي عن ابن عباس ومجاهد وحكى الطبرى : أنه بالنبطية يارجل وهذا
قول السدى وسعيد بن جبير وابن عباس .

(٣) الشاعر هو يزيد بن المهلهل - انظر القرطبي (ج ١١ ص ١١١) .

(٤) الشاعر هو متمم بن نويرة - انظر روح المعاني (ج ١٦ ص ١٤٨) .

(٥) قال القرطبي : وقال عبد الله بن عمرو ياحبيبي بلغة عك ، ذكره الغزنوي .

(٦) الآية عامة ، تفسيرها بالصخرة تحكماً لا داعى له .

يُصْرَفُ وَقُرِئَ بِهِمَا^(١)، وفيه كسرهما وضمهما ؛ مثل سَوَى وسَوَى ، وَثْنَى وَثْنَى أى مَثْنَى ، فمن كسر الطاء فعلى معنى أنه قُدِّسَ مرتين ، وذو طوى : جبل بمكة .

﴿ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾ : أى اعتمد عليها إذا أعيت .

﴿ وَأَهْشُ بِهِ ﴾ : هَشَّ الورق : خبطه . تقول هَشَّ الخبزُ يَهْشُ وَيَهْشُ إذا كان ينكسر لهشاشته .

﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ : الحية : اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير والثعبان العظيم من الحيات ، والجائ : الدقيق ، وقد وصفت العصا بذلك .

﴿ سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ : السيرة من السَّيْرِ كالرَّكْبَةِ من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ؛ ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب والطريقة فقل سيرة الأولين - والمعنى سنعيدها إلى ما كانت عليه من كونها عَصَى .

﴿ إِلَى ﴾^(٢) : أى إلى جنبك . وجناحا الرجل : جَنْبَاهُ .

﴿ وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا ﴾ : أى معاوناً . واختلف فى اشتقاق ف قيل من الوزر لأنه يتحمل أوزار الملك ، وقيل من الوزر وهو الملجأ . أو من المؤازرة وهى المعاونة ، ويقال الوزارة والوزارة .

(١) طُوًى بالتثنية : ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وخلف - والباقون بدون تثنية . قال الحسن : طُوًى بكسر الطاء والتثنية مصدر كـ "ثْنَى" لفظاً ومعنى ، وهو عنده معمول للمقدس أى قُدِّسَ مرة بعد أخرى ، ويجوز أن يكون معمولاً لـ "نودى" أى نودى نداءين .

(٢) الجناح العضد وإلى بمعنى تحت ؛ قاله مجاهد . وقيل : إلى جنبك فعبّر عن الجنب بالجناح لأنه مائل فى محل الجناح . وفى القاموس الجناح : اليد والعضد والإبط والجانب . وسمى جناح الطائر بذلك لأنه يجنحه أى يميله عند الطيران .

ومن الغريب

تخرج بيضاء من غير سوء : من غير برص نوراً ساطعاً مخالفةً لِلْوَنَةِ .

﴿أُوتِيَ سُؤْلَكَ﴾ : السُّؤْل : الطَّلْبَة وهو فَعْل بمعنى مفعول مثل خَبِزَ بمعنى مخبوز ، وأكل بمعنى مأكول .

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ : إما أن يكون على لسان نبي وقتها كقوله تعالى ﴿وَإِذَا أُوحِيتَ إِلَى الْحَوَارِيِّنَ﴾ أو بعث لها ملكا كما بعث إلى مريم لا على وجه النبوة ، أو أراها ذلك فى المنام ، أو ألهمها كما أوحى إلى النحل .

﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ : القذف مستعمل بمعنى الالقاء والوضع وقد تقدم ذكر التابوت فى البقرة - والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه تنافر فى النظم ، وانتظام النظم هو قانون الإعجاز .

﴿وَفَتَّاكَ فُتُونًا﴾^(١) : أى ابتليناك بفتنٍ ؛ والفتنة : الاختبار .

﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ : مدين على ثمان مراحل من مصر .

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾^(٢) : أى جئت على قدر قدرته لك يوحى فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة .

﴿وَلَا تَنِيًّا﴾^(٣) : الونى : الفتور والتقصير وقرئ تَنِيًّا بكسر حرف المضارعة .

(١) قال ابن عباس : اختبرناك بأشياء قبل الرسالة ، أولها حملته أمه فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الأطفال ، ثم إلقاؤه فى اليم ، ثم منعه من الرضاع إلا من ثدى أمه ، ثم جره بلحية فرعون ثم تناوله الجمرة بدل الدرة ، فدرأ ذلك عنه قتل فرعون ، ثم قتله القبطى وخروجه خائفا يترقب ثم رعايته الغنم ليتدرب بها على رعاية الخلق .

ومن الغريب

أررى : الأزر القوة الشديدة .

(٢) أى موافقا للنبوة والرسالة . قال مجاهد : على قدر أى على وَعَدَ .

(٣) قال قتادة : لا تَفْتُرًا . والونى : الضعف والفتور ، والكلال والإعياء ، وبه فسر ابن عباس =

﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾^(١) : اختلف فيه فقليل يوم العيد ، وقيل يوم النيروز وقيل يوم عاشوراء .

﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ : أى اعمل من قولهم ضرب اللبن واليبس : مصدر يقال يبس يابساً ويابساً ونحوه العُذْم والعَدَم ومن ثم وُصِفَ به المؤنث فقليل شاتئنا يابس إذا جف لبنها .

﴿دَرْكًا﴾^(٢) : والدرك والدرك اسمان من الادراك أى لا يدركك فرعون .

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ : وقرئ وأضلَّهُم^(٣) - والسامرى منسوب إلى قبيلة فى بنى اسرائيل يقال لها السامرة ، وقيل كان علجاً من كرمان يقال له موسى بن ظفر . وكان منافقاً قد أظهر الإسلام ، وكان من قوم يعبدون البقر .

﴿أَسْفًا﴾^(٤) : شدة الغضب .

= تنبأ : لا تضعفا أى فى أمر الرسالة ، ويقال : ونبت فى الأمر أنى ونى ووتياً : أى ضعفت فأننا وإن .

(١) قال قتادة والسدى : كان يوم عيد لهم يتزينون ويجتمعون فيه . وعن ابن عباس وابن جبير : كان يوم عاشوراء . وذكر الثعلبى أنه كان يوم النيروز .

(٢) قال ابن جريج : قال أصحاب موسى له : هذا فرعون قد أدركنا ، وهذا البحر وقد غشينا . فنزلت أى لا تخاف دركا من فرعون ولا تخشى من البحر غرقاً إن غشيك .

(٣) قوله وقرئ وأضلَّهُم برفع اللام مبتدأ ، والسامرى خبره وكان أشدهم ضللاً لأنه ضال فى نفسه ، مضل غيره . وهى قراءة أبى معاذ على أنه أفعل تفضيل . قال ابن عباس : كان السامرى من قوم يعبدون البقر ، فوقع بأرض مصر فدخل فى دين بنى اسرائيل بظاهره وفى قلبه ما فيه من عبادة البقر .

(٤) الأسف : الحزن أو الجزع .

﴿أَوْزَارًا﴾^(١) : أثقالاً من حلى القبط وقد استعاروها ليلة الخروج من مصر
بِتَعَلَّةٍ أَنْ غَدًا لَنَا عِيدٌ .

﴿لَهُ خَوَارٌ﴾^(٢) : أى صوت وهو مخصوص بالبقر .

﴿مِنْ أَثَرِ الرُّسُولِ﴾^(٣) : التقدير : من أثر حافر فرس الرسول ، واختلف فى
الرسول فقيل جبريل وقيل موسى وجبريل وهو الأشهر .

فما خطبك : أى سبب أمرك .

﴿أَنْ تَقُولَ لَا مَسَاسَ﴾^(٤) : كان السامرى إذا مسَّ رجلاً أو امرأة نالتهما الحمى
فكان يحذر الناس فيقول لا مساس ؛ فتحامى الناس وتحاموه . وبعض العرب يقول لا
مَسَاسٍ مثل قَطَامٍ لأنه عنده معدول عن المصدر .

﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾^(٥) : قيل عُمِيًا^(٥) فَإِنْ مَنَ ذَهَبَ بَصْرُهُ رَأَى الظُّلُمَةَ كَلَوْنَ الْأَزْرَقِ

(١) إنما سميت أوزاراً لأنه لم يحلَّ لهم أخذها ولم تحلَّ لهم الغنائم . والمعنى : ما أخلفنا موعدك
بطاقتنا لأننا لم نملك أنفسنا عند ذلك بسبب البلبلة التي وقعت بنا .

(٢) قال قتادة : إن السامرى قال لهم حين استبطن القوم موسى : إنما احتبس عليكم من أجل ما
عندكم من الحلبي ، فجمعوه ورفعوه للسامري ، فصاغ منه عجلاً ، ثم ألقى عليه قبضة من أثر
الرسول وهو جبريل ١ هـ والخوار صوت الثور خار العجل خورة واحدة لم يتبعها مثلاً .

(٣) والسؤال كيف عرف السامري جبريل؟ قال العلماء : كان جبريل يغذو السامرى صغيراً إذ
جعلته أمه فى غار حذراً عليه من فرعون حين كان يقتل بنى اسرائيل ، فعرفه حين كبر .

(٤) جعل الله عقوبة السامرى ألا يماسَّ الناس ولا يماسَّوه عقوبة له . وقال قتادة بقاياهم إلى اليوم
يقولون ذلك - لامساس - وإنَّ مسَّ واحد من غيرهم أحدا منهم حُمَّ كلاهما فى الوقت . قال
الجوهري فى الصحاح : وأما قول العرب لا مَسَاسٍ مثال قَطَامٍ فإنما بنى على الكسر لأنه معدول
عن المصدر وهو المسَّ .

(٥) قال الفراء والكلبي : زرقا : عُميا . وقال الأزهري : عطاشاً قد ازرقَّت أعينهم من شدة =

وقيل عطاشا ؛ فإن من عطشَ ازرقَّت شفتاه ، وقد يُعبرُ بالزُّرقِ عن العداوة كما قيل
نظر الدهر إليهم بعين الأزرق . وقد يتشاءم به . قال :

لقد زرقَت عينك يا ابن مُكعَبِرٍ ألا كُلُّ عَبَسَى من اللؤمِ أزرَقُ .

والعرب تقول العدو الأزرق تريد به الروم .

﴿ قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ : أرضاً لا نبات فيها ملساء .

﴿ عَوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ : العَوَجُ : الانحراف وقد تقدم أن العَوَجَ بالفتح فى الأعيان
وبالكسر فى المعانى ، فإن قيل كيف جاء الكسر فى الأعيان قلتُ ثمَّ لطيفة ذكرها جار
الله ملخصها أن المُسَوَّى للأرض إذا اجتهد فى تناسبها وظهر له التناسب بالعين ثم
استطلع رأى مهندس بكشفها بالمقاييس الهندسية أبدى فيها مالم يُدرك بالحاسة بل لقضى
عليه بالعقل ، فنَفَى الله تعالى عن هذه الأرض هذا المعنى وكان بالعِوجِ أَمَسٌ .

﴿ وَلَا أَمْتًا ﴾ : الأَمْتُ : التتواء اليسير .

﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ : وهو الصوت الخفيّ ، قيل هو من همس الابل أى
صوت أخفافها ، وأسد هموس : إذا كان خفى الوطء .

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ ﴾ : أى خضعت ومادته القَهَر من قولهم "أخذوها عَنوةً" .

﴿ ضَنْكًا ﴾ : ضيقاً . والضنك : الضيق .

﴿ وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ ﴾ : أنى الليل : ساعاته - الأخفش ، واحدها إئى مثل معى
وقال بعضهم واحدها إئى وأنو .

= العطش والاستشهاد بالبيت على أن المراد بالزُّرقة شخوص البصر من شدة الخوف . والزُّرَق
خلاف الكَحَل . والعرب تتشاءم بزُرَقِ العيون وتذمه .

﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١) : يجوز في انتصاب زهرة أربعة أوجه

الأول : على الذم . وعلى تضمين متعنا أعطينا ، وعلى إبداله من محل الجار والمجرور وعلى إبداله من أزواجاً على تقدير زهرة ، ويكون جمع أزهر . قلت وفي هذا الوجه نظر فإن البدل حقه الجمود ، فلو جعل من باب حذف المضاف لكان سائغاً والتقدير ذوى زهرة ، وذهب مكى إلى أنه بدل من موضع ما وهو لا يجوز لأن لِنَفْتَنَهُمْ من صلة متعنا فيلزم منه الفصل من الصلة والموصول بأجنبي . والله تعالى أعلم .

(١) في قوله "زهرة الحياة الدنيا" تشبيه تمثيلي مثل لنعم الدنيا بالزهر ، وهو النوار . لأن له منظراً حسناً . ثم يذبل ويضمحل وكذلك نعم الدنيا . وفي انتصاب زهرة تسعة أقوال أقواها الانتصاب على الحال من الضمير في به وهو العائد على "ما" وجاء الحال من الجامد لأنه دال على تشبيه أو هو مفعول ثانٍ بتضمين متعنا معنى أعطينا ، والمفعول الأول أزواجاً .

سورة الأنبياء

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ : اقترَب : دنا واللام يحتمل أن تكون صلة ويحتمل أن تكون تأكيداً كقولهم "أزف للحى رحيلهم" فإن قيل كيف وُصِفَ بالقرْب وقد غدت دونه سنون كثيرة قلتُ هو مُقْتَرَبٌ عند الله كقوله تعالى ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ وعن ابن عباس : المراد بالناس المشركون . وهو من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه للقرينة القائمة لأن ما يتلوه من التلاوة من صفات المشركين .

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ : الذكر : القرآن .

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ ^(١) : أى أهلكنا ؛ والقصمُ بالقاف أقطع من الفصم لأنه يُبين الأجزاء بعضها من بعض . وعن ابن عباس القرية حَضُوراً والسَّحُول قريتان من قرى اليمن بعث الله إليها نبياً فقتلوه فسلط الله عليهم بُخْتَنْصَرٌ ؛ فاستأصلهم ، وظاهر الآية على الكثرة ، قيل اسم النبی حنظلة بن صفوان .

﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ ﴾ : أى دعوتهم والضمير عائد إلى قوله "ياويلنا" .

(١) قال أهل التفسير : إنه أراد أهل حَضُوراً وكان بعث إليهم نبيٌ فقتلوه ، وقتل أصحاب الرس فى ذلك التاريخ نبيا لهم اسمه حنظلة بن صفوان ، وكانت حضورا بأرض الحجاز من ناحية الشام ، فأوحى الله إلى أرميا أن انت بختنصر فأعلمه أنى قد سلطته على أرض العرب ، وأنى منتقم بك منهم ، وحمل معد بن عدنان إلى أرض العراق ؛ كى لا تصيبه النقمة والبلاء معهم ، فحمل معد وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، فكان مع بنى اسرائيل إلى أن كبر وتزوج ، ثم إن بختنصر نهض بالجيش ، وكمن للعرب فى مكان - وهو أول من اتخذ المكامن - ثم شن الغارات على حضورا فقتل وسبى وخرّب العامر ، ولم يترك بحضورا أثرا ، ثم انصرف راجعا إلى السواد . والقصم : الكسر ، والفصم : الصدع فى الشئ من غير بينونة ومنه الحديث (فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا) .

﴿ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ : فإن قيل نصبت جعل ثلاثة مفاعيل - قُلْتُ
حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد كقولك جعلته حُلواً حامضاً أى جامعاً للطعنين
وكذلك حصيداً خامداً جامعاً للوصفين .

﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ ^(١) : الرَّتْقُ : الالتئام وضده الفَتْق . والتقدير كانتا
شيئاً مرتوقاً أى مُتلاصِقَيْنِ أو متلاصقات ، قيل فتقهما بالمطر والنبات .

﴿ فَجَاجَا سُبُلًا ﴾ ^(٢) : الفَجْجُ : الطريق الواسع . وقد تقدم . وقُدِّمَتْ على
السبل هاهنا على أنها حال لاصقة بخلاف قوله تعالى ﴿ لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ﴾
[نوح-٢٠] فإن قيل ما الفرق بين الصفة والحال؟ قلت أما الحال فإعلام من أول وهلة
بأنه جعل طُرُقاً واسعة في السُّبُل ، والثانى : أعلام بالصفة لحصول الإبهام فى النكرة
ليحصل تخصصها بذلك .

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ^(٣) : فُسِّرَ بالعجلة ، وقيل من طين . قال الشاعر
والنبع فى الصخرة الصماء مَنِبْتُهُ وَالتَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ والعجلة : تقديم الشيء
على وقته ، وقيل المراد بالانسان ؛ النضر بن الحارث لأنه يستعجل العذاب .

(١) أولم ير : أى يَعْلَمُ - رَتْقاً : مصدر ولذلك لم يقل رتقين ، وفى قراءة الحسن رَتْقاً . وقد
رَتَقْتُ الْفَتْقَ أَرْتُقُهُ فَارْتَقَ أى التأم ، والمعنى : أنهما كانت شيئاً واحداً ملتزقتين ففصل الله بينهما
بالهواء .

(٢) يعود الضمير فى قوله " فيها " على الرواسى . والفجاج المسالك . ومفرده فَجٌّ وهو الطريق
الواسع بين الجبلين .

(٣) إذا اعتبرنا المقصود بالإنسان آدم فيكون فى تأويل كلمة (عَجَلٍ) ثلاثة أقاويل أحدها : أى مَعْجَلٍ
قبل غروب الشمس من يوم الجمعة وهو آخر الأيام الستة ، قاله مجاهد والسدي . والثانى : أنه
سأل ربه بعد إكمال صورته ونفخ الروح فى عينيه ولسانه أن يعجل إتمام خلقه وإجراء الروح فى
جميع جسده ، قاله الكلبي ؛ الثالث معنى طين . وإذا كان المقصود بالإنسان الناس كلهم فعليه
يعنى خلق الإنسان عجولاً والعجلة تقديم الشيء قبل وقته . والسرعة تقديمه فى أول أوقاته .

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(١) : اللام بمعنى فى . أتينا بها (٢) وأنت ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة كقولهم ذهب بعض أصابعه .

﴿ فَجَعَلَهُمْ جَذَازًا ﴾^(٣) : أى قَطَعَا صِغَارًا ، وقرئ مثلث الجيم - وقرئ جُذَا جمع جُذَّة .

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَاثَ ﴾^(٤) : قيل سدوم .

﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ ﴾^(٥) : مِنْ بمعنى على .

﴿ إِذْ نَفَشْتَ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ ﴾^(١) : النَّفْسُ : أن ترعى البهائم ليلاً والهَمَلُ : أى يرعى نهاراً .

(١) المشهور فى اللام أنها بمعنى "فى" وهو مذهب الكوفيين . والصحيح أنها للتعليل أى لأجل يوم القيامة . وقال بعضهم هى للاختصاص كما تقول جئت لخمس ليال خلون من الشهر .

(٢) هكذا بالأصل - وفيه خلل واضح . أتينا بها : أى جئنا بها ؛ المراد أحضرناها فالباء للتعدي والضمير للمثقال ، وأنت لاكتساب التانيث من المضاف إليه - والجملة جواب إن الشرطية . قال جار الله : وأنت ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة كقولهم "ذهب بعض أصابعه" .

(٣) قرأ الكسائى جِذَاذَا بكسر الجيم - وقرأ ابن عباس وأبو السمال (شاذ) جِذَاذَا بفتح الجيم - والجمهور على كسر الجيم - وقرأ يحيى بن وثاب (شاذ) بضمين جمع جذيذ مثل سرير وسُرُر . وأما القراءة بضم الجيم وفتح الذال فلم تُنسب لأحد وهى مثل قُبَّة وقُبْبُ .

(٤) كانت قرى قوم لوط سبعا فعبّر عنها ببعضها إما لشهرتها وإما لانفاق أهلها على الفاحشة .

(٥) ونصرناه من القوم : أى مَنَعْنَاهُ وَحَمَيْنَاهُ مِنْهُمْ بِإِهْلَاكِهِمْ وَتَخْلِيصِهِ . والنصر يتعدى بعلى ومن فيقال : نصره الله تعالى على عدوه ، ونصره من عدوه . والفرق بينهما أن المتعدى بـ "على" يدل على مجرد الإعانة والمتعدى بـ "من" يدل على استتباع ذلك للانتقام من العدو والانتصار .

(١) إذ : ظرف للحكم ، والنفس رَمَى الماشية فى الليل بغير راع - كما أن الهَمَل رعيها فى النهار كذلك ، وكان أصله الانتشار والتفرق .

﴿لِحُكْمِهِمْ﴾^(١) : فيه دليل لمن يقول بأن أقل الجمع اثنان .

﴿صَنَعَةَ لُبُوسٍ لَّكُمْ﴾^(٢) : يعنى الدروع .

﴿وَذَا النُّونِ﴾ : النون : الحوت

﴿وَحَرَامٌ﴾^(٣) : ممتنع على كل مُهْلِكٍ أن لا يرجع إلى الله ، وقُرئ بالكسر

والفتح ، وحرّم وحرّم ، ومعنى أهلكناها : عزمنا على إهلاكها .

﴿مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾^(٤) : الحَدَب : النشزُ من الأرض . وقرأ ابن

(١) ما حكم الحادثة التى حكم فيها سليمان وداوود عليهما السلام فى الشريعة المحمدية؟ ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث البراء أنه شرع لأمته أن على أهل الماشية حفظها بالليل ، وعلى أصحاب الخوائط حفظها بالنهار ، وأن ما أفسدت المواشى بالليل مضمون على أهلها وهذا الضمان هو مقدار الذاهب عينا أو قيمة . والجمهور على العمل بهذا الحديث وإن كان مرسلاً فهو حديث مشهور حدّث به الثقات ، واستعمله فقهاء الحجاز وتلقوه بالقبول . قال الليث بن سعد : يضمن أصحاب المواشى بالليل والنهار كل ما أفسدت ولا يضمن أكثر من قيمة الماشية .

(٢) اللبوس عند العرب السلاح كله والمراد هنا الدروع . والآية أصل فى اتخاذ الصنائع فداوود كان يصنع الدروع . وكان آدم حرّاثاً ، ونوح نجاراً ، ولقمان خياطاً ، وطالوت دبّاغاً . والله أعلم .

(٣) قرأ شعبة وحمزة والكسائى حرّم مثل حلّ . والباقون حرام مثل حلال . أما قراءة حرّم فهى عن ابن عباس وعكرمة وأبى العالية وعن ابن عباس أيضاً وحرّم ، وحرّم . وهى شواذ واختلف أهل العلم فى زيادة "لا" وعدم زيادتها فى قوله "لا يرجعون" والراجح عندى أنها ليست بصلة وإنما هى ثابتة ويكون الحرام بمعنى الواجب والمعنى والله أعلم وجب أنهم لا يرجعون أى لا يتوبون ومعنى أهلكناها : قدّرنا إهلاكها .

(٤) الحذب : ما ارتفع من الأرض والجمع الحِدَاب مأخوذ من حذبة الظهر . قال ابن عباس : من كل مشرف يُقبِلون أى لكثرتهم ينسلون من كل ناحية . تقول نَسَل فلان من العدو ينسل نَسْلاً ونُسُلاً ونَسْلاناً أى أسرع .

عباس^(١) حذب - وينسلون : يُسرعون .

﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾^(٢) : المحصوبُ به أى المرمى به فى النار ، وقرئ بسكون

الصاد وصفاً بالمصدر ، وقرئ حطب وقرئ بالضاد متحركاً وساكناً .

﴿ حَسِيسَهَا ﴾ : الحسيس^(٣) : الصوت .

﴿ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾^(٤) : النفخة الأخيرة .

﴿ كَطَيِّ السِّجْلِ ﴾^(٥) : السجل ملك يطوى كتب بنى آدم ، وفيه لغات .

سُجِّلَ بوزن عَتَلٍ وَسُجِّلَ بلفظ دَلُو ، وَسُجِّلَ بوزن حَبْر . وقيل هو الصحيفة كما يطوى الطومار للكتابه ليكتب فيه أو لما يكتب فيه .

(١) لم أقف على هذه القراءة ولعله تصحيف . والذي فى روح المعانى وقرأ ابن عباس جَدَثٍ وهو القبر . وعلى هذه القراءة فالضمير يرجع إلى الناس . فى قوله " وهم " .

(٢) يقال لكل ما ألقىته فى النار ليزداد اشتعالها به حصب . من حَصَبَهُ إذا رماه بالحصباء وهى صغار الحجارة فهو خاص وضِعاً عام استعمالاً . وقرأ ابن أبى السميع وابن أبى عبله حَصَب وهو مصدر وُصِفَ به للمبالغة . وقرأ ابن عباس : حَضَبٌ وحَضَبٌ ومنه قيل لِلْمَوْقَدِ مُحَضَّبٌ وقرأ علي وعائشة حطب بالطاء .

(٣) الحسيس : الصوت الذى يُحَسُّ من حركتها .

(٤) الفزع هو انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشئ المخيف وهو من جنس الجزع ويطلق على الذهاب بسرعة لما يهول . وهو الانصراف إلى النار . أما قوله " النفخة الأخيرة " فقد حكى عن ابن عباس ولا يصح لأن فى اسناده عطية العوفى . والراجع أن المقصود بالفزع الأكبر : نفخة البعث .

(٥) أصل السجل اسم مشتق من السَّجَالَةِ وهى الكتابة وأصلها من السَّجَل وهو الدلو . تقول ساجلت الرجل إذا نزعته دلواً ونزع دلواً ، ثم استعمل اللفظ فى المكاتب والمراجعة ثم بُنى هذا الاسم على فِعْلٍ مثل طَمِرٌ . وأما ما روى أن السجل مَلَكٌ فهو غير صحيح . والراجع أن السجل : الصحيفة التى يكتب فيها . والله أعلم .

سورة الحج

﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ : الذهول : الغفلة عن الأمر مع دهشة .

وقيل مرضعة ولم يأت مرضع لأن المرضعة صفة لمن هى فى حال الإرضاع والمرضع أعم أى لها ولد ترضعه تقول رضع يرضع رَضَاعاً مثل سَمِعَ وأهل نجد يقولون رَضَعَ يرضع مثل ضرب يضرب ضرباً .

﴿ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ ﴾ : ابن السكيت الحمل بفتح الحاء كل ما كان فى بطن أو

على رأس شجرة ، والحمل بالكسر كل ما كان على ظهر أو رأسٍ ويقال امرأة حامل وحاملة إذا كانت حُبلى فَمَنْ جعله حاملاً خصّه بالإناث ، وَمَنْ قال حاملة بناه على حَمَلَتْ شيئاً على ظهرها أو رأسها فهى حاملة لاغير . ولا يفتقر إلى الفرق هاهنا لأنَّ ما لا يكون للتذكير يُستغنى فيه عن علامة التأنيث . قلتُ وفيه نظر لأنهم يقولون رجل أيم وامرأة أيم ورجل عانس وامرأة عانس مع الاشتراك ، وقالوا امرأة مصيبة ، وكلبة مُجربة من غير اشتراك .

﴿ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ ^(١) : البهيج : المُشرق .

﴿ عَلَى حَرْفٍ ﴾ ^(٢) : على طَرَفٍ من الدين لا فى وسطه وقلبه وهذا مثل

لكونهم على قلق من دينهم كالذى يكون على طَرَفٍ من العسكر . إِنَّ لَاحَتَ له غنيمة قرّاً وإن لاحت له هزيمة قرّاً .

﴿ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴾ : المولى : الناصر ، والعشير : الصاحب

(١) زوج أى صنف - بهيج أى حسن رائق يَسُرُّ الناظرين .

(٢) قال ابن جرير : يعنى جل ذكره بقوله (ومن الناس) . . . الخ - أعراباً كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مهاجرين من باديتهم . فإن نالوا رخاءً ، من عيش بعد الهجرة والدخول فى الإسلام ، أقاموا على الإسلام . وإلا ارتدوا على أعقابهم .

﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾^(١) : السبب هاهنا الجبل ، والأمر بمعنى الخبر .

﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ ﴾ : يَذَابُ .

﴿ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ : المقامع : السياط

﴿ الْحَرِيقُ ﴾ : العظيم من النار المنتشرة

﴿ وَيَصْدُونُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ : قال جار الله لا يُراد به حال ولا استقبال وإنما يراد

به استمرار الحال كما تقول فلان يُحَسِّنُ إلى الفقراء وَيُنْعِشُ* المضطر ، وإنما يراد وجود الإحسان والنُّعْشَةُ في جميع أزمته .

﴿ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ ﴾^(٢) : مفعول يُرَدُّ محذوف طلباً للتعميم ،

والمجروران في موضعي حالين والتقدير ، ومن يرد فيه أمراً ما قاصداً بإلحاد وبظلم نذقه .

﴿ تَفْهَهُمْ ﴾ : التفث : ازالة ما طال من الشارب والظفر والإبط والعانة .

﴿ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾^(٣) : المعتوق من المكاره . وقيل لم يُمَلِّكْ ، وقيل لم يقدر

(١) أى بجبلٍ إلى ما يعلوه - فكل ما علاك سماء . حتى سقف البيت . والمعنى والله أعلم من استبطأ نصر الله فليقتل نفسه . لأن نصر الله له وقت يقع فيه . ويجوز أن يكون المعنى : مَنْ كان من المشركين يَظُنُّ أن لن ينصرَ الله نبيّه فليختنق وليهلك نفسه ثم لينظر في نفسه ، هل يذهبن احتياله هذا في المضارة والمضادة ، ما يغيظه من النصرة ؟ كلا : فإن الله ناصر رسوله لامحالة .

* وَيُنْعِشُ المضطهدين هكذا بالكشاف (ج ٣ ص ١٠)

(٢) الصحيح من أقوال أهل العلم أن مفعول يرد محذوف ليتناول كل ما يمكن تناوله والمجروران (بالحاد ، بظلم) حالان مترادفتان .

(٣) سُمِيَ البيت عتيقا : لأن الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمَنعه الله ؛ قاله ابن عباس .

عليه جبَّار ، فإن قيل فالْحَجَّاجُ أقدم عليه بالمنجنيق ، فالجواب إنما قدم عليه متأولاً بإخراج ما أدخله ابن الزبير من الكعبة لكونه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

﴿ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ : أى بعيد .

﴿ الْمُخْتَبَيْنِ ﴾ : الخاشعين : أَخَبَتْ لِلَّهِ أى تواضع وخشع

﴿ وَالْبُدْنَ ﴾ : جمع بَدَنَةٍ وهى ناقة أو بقرة تُنَحَرُ بِنَى مأخوذة من البدانة وهى السَّمَن قاله الجوهري . وقال جار الله الْبُدْنُ : جمع بَدَنَةٍ سُمِّيت لعظم بدنها وهى الإبل خاصة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَلْحَقَ الْبَقَرَ بِالْإِبِلِ فقال البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة . فجعل البقر فى حكم الإبل فصارت البدنة متناولة للجنسين شرعاً وأما لغةً فهى الإبل خاصة وعليه تدل الآية .

﴿ صَوَافٍ ﴾ : صَافَاتٍ^(١) أيديهن وأرجلهن ، وقرئ^(٢) صوافن - من صفون الفرس وهو أن تقوم على ثلاث وتنصب الرابعة على طرف سَنَبِكِهِ . لأن الْبَدَنَةَ تُعَقِّلُ إحدى يديها فتقوم على ثلاث ، وقرئ صوافى^(٣) : أى خوالص .

﴿ وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾^(٤) : أى وقعت .

(١) صواف أى مصطفة ، ذكره ابن عيسى . أو قائمة لتصفد يديها بالقيود ، وهو قول ابن عمر . وقال مجاهد : مَعْقُولَةٌ .

(٢) وهى قراءة ابن مسعود وتأويل ذلك أنها مصفوفة ، وهو أن تَعَقِّلُ إحدى يديها حتى تقف على ثلاث . مأخوذ من صفن الفرس إذا ثنى إحدى يديه حتى يقف على ثلاث ومنه قوله تعالى ﴿ الصَّافَّاتِ الْجِيَادِ ﴾ .

(٣) وهى قراءة الحسن : أى خالصة لله تعالى . مأخوذ من الصفوة .

(٤) وجبت : أى سقطت جنوبها على الأرض ، ومنه وجب الحائط إذا سقطت وجبت الشمس إذا سقطت للغروب .

﴿ الْقَانِعَ ﴾ : السائل .

﴿ وَالْمُعْتَرِ ﴾ : الْمُتَعَرِّضُ بِغَيْرِ سَوْأَلٍ (١) .

﴿ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾ : الصوامع : جمع صومعة (٢) مُتَعَبِّدٌ

الراهب وبيع : جمع بيعة بكسر الباء مُتَعَمِّدُ النَّصَارَى . والصلوات : جمع صلاة وهي كنيسة اليهود (٣) . قيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صَلُّوتًا .

﴿ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ (٤) : الأُمْنِيَّةُ : التلاوة . قال الشاعر :

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ تَمَنَّى دَاوُدَ الزُّبُورَ عَلَى رِسْلِ . وقيل التمنى على بابه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمنى أن لا ينزل الله عليه ما يقتضى تنفيرهم ، وصارت الأُمْنِيَّةُ على خاطره تجرى على لسانه على سبيل السهو من الشيطان عند قوله تعالى ﴿ وَمِنَ الثَّالِثَةِ الْآخَرَى ﴾ فقال الشيطان " تلك الغرائق العُلَى وإن شفاعتهم لَتَرْتَجَى " فأدركته العصمة ، ولم يُسْمَعْ من لفظه ، وإنما الشيطان هو الذى أظهرها ، ولما سجد سجد كل مَنْ فى النادى لما سمعوا تعظيم آلهم .

(١) قاله الحسن ، وسعيد بن جبير .

(٢) قاله مجاهد .

(٣) قاله الضحاك .

(٤) يحتمل أن يكون " تمنى " بمعنى قرأ والأُمْنِيَّةُ بمعنى القراءة وقد ورد استعمال اللفظ فيه كما فى البيت . غير أن الإلقاء لا يكون على المعنى الذى ذكره ، بل على المعنى المفهوم من قولك (ألقيت فى حديث فلان) إذا أدخلت فيه ما ربما يحتمله لفظه ، ولا يكون قد أراده . أو نسبت إليه ما لم يقله تَعَلُّلاً بأن ذلك الحديث يؤدى إليه . وذلك من عمل المعاجزين الذين ينصبون أنفسهم لمحاربة الحق ، يتبعون الشبهة ، ويسعون وراء الريبة ، فالإلقاء بهذا المعنى وأبهم ، ونسبة الإلقاء إلى الشيطان لأنه مثير للشبهات بوساوسه ، مفسد للقلوب بدساتسه ، وكل ما يصدر من أهل الضلال يصح أن ينسب إليه . ويكون المعنى : وما أرسلنا قبلك من رسول =

= ولا نبى إلا إذا حدثَ قَوْمَهُ عن ربه ، أو تلا وحياً أنزل إليه فى هدى لهم ، قام فى وجهه مشاغبون ، يحولون ما يَتْلُوهُ عليهم عن المراد منه . ويتقوّنون عليه ما لم يَقُلْهُ . وينشرون ذلك بين الناس ، ليبعدوهم عنه ، ويعدلوا بهم عن سبيله ، ثم يحق الله الحق ويبطل الباطل . وما زال الأنبياء يصبرون على ما كُذِّبُوا وأوذوا ، ويسجاهدون فى الحق ، ولا يَعْتَدُونَ بتعجيز المعجزيّن ، ولا بهزاء المستهزيّن إلى أن يظهر الحق بالمجاهدة ، وينتصر على الباطل بالمجادلة - فينسخ الله تلك الشبهة ويجتثها من أصولها ويثبت آياته ويُقرّرها . وقد وضع الله هذه السنة فى الناس لتمييز الخبيث من الطيب ، فيفتن الذين فى قلوبهم مرض ، وهم ضعفاء العقول ، بتلك الشبهة والوساوس ، فينطلقون وراءها ، ويفتنن بها القاسية قلوبهم من أهل العناد والمجاهدة . ثم يتمحص الحق عند الذين أوتوا العلم ، فتطمئن له قلوبهم .

سورة المؤمنون

﴿ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ : واحدُها طريقة ، والمراد^(١) السموات لأنه طُورِقَ بعضها فوق بعض ، وكل شيء فوقه مثله فهو^(٢) طريقه . أو لأنها طُرُق الملائكة أو لانتها طرائق الكواكب لوجود سيرها فيها .

﴿ طُورِ سَيْنَاءَ ﴾ : لا يخلو إما أن يُضَافَ الطُّور إلى بقعة اسمها سينا أو سينين . وإما أن يكون اسما للجبل . مركبا كامرئ القيس . قيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وأيله ، ومنه نودى موسى .

﴿ وَفَارَ التُّورُ ﴾^(٣) : موضع الخبز ، وقيل كأن تَنُورَ آدم عليه السلام وكان من حجارة قيل كان بمسجد الكوفة على يمين الداخل ، وقيل بالشام بموضع يُقال له عين وردّه ، وقيل بالهند ، وعن ابن عباس وجّه الأرض ، وعن قتادة أشرف مكان على وجه الأرض ، وقيل كناية عن طلوع الفجر ، وقيل مَثَل كقولهم حَمَى الوطيس ، والقول هو الأول .

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾ : الغثاء^(٤) : حميل السَّيْلِ وهو ما اسودَّ من الورق والعيدان

(١) قاله ابن شجرة وهو على هذا القول مأخوذ من التطرق .

(٢) قاله ابن عيسى وهو مأخوذ من التطارق

(٣) فيه أربعة أقاويل (١) تنور الخابزة . قاله الكلبي . وقال ابن بحر : مثل ضربه الله لاشتداد الأمر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "الآن حمى الوطيس"

(٤) الغثاء : البالى من الشجر . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة . والثاني : ورق الشجر إذا وقع فى الماء ثم جف قاله قطرب ، الثالث : هو ما احتمله الماء من الزبد والقذى ذكره ابن شجرة والأخفش .

﴿ تَسْرَأ ﴾ (١) : فَعَلَى الْأَلْفِ لِلتَّائِيثِ لِأَنَّ الرِّسْلَ جَمَاعَةٌ ، وَقَرَأَ (٢) تَسْرَأُ
بِالتَّنْوِينِ وَالْيَاءُ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ . مُتَوَاتِرِينَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ بِمَهْلَةٍ بَيْنَهُمْ بِخِلَافِ التَّابِعِ فَإِنَّهُ
لَا مُهْلَةٌ فِيهِ بَلِ الثَّانِي فِي عَقْبِ الْآخَرِ .

﴿ إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ : الرِّبْوَةُ مِثْلَةُ الرِّاءِ وَفِي بَعْضِ لُغَاتِهَا رِبَاوَةٌ مِثْلُثَةٌ
الرِّاءُ أَيْضًا . قِيلَ أَيْلِيَا وَهِيَ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ ، وَإِنَّهَا كَبَدُ الْأَرْضِ ، وَقِيلَ دِمَشْقُ وَغَوَظُهَا ،
وَقِيلَ فِلَسْطِينَ ، وَالْقَرَارُ (٣) : الْمُسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ الْمُسْتَقَرِّ ، وَالْمَعِينُ : الْمَاءُ الْجَارِي (٤)
وَاخْتَلَفَ فِي مِيمِهِ هَلْ أَصْلِيَّةٌ أَوْ زَائِدَةٌ ؛ فَوَجَّهَ مَنْ جَعَلَهَا زَائِدَةً جَعَلَهُ مِنْ عَائِهِ فَهُوَ
مَعْيُونٌ فَوْزَنُهُ مَفْعُولٌ ، وَمَنْ جَعَلَهُ فَعِيلًا أَخَذَهُ مِنَ الْمَاعُونِ لَوْجُودِ الْمُنْفَعَةِ .

﴿ زُبْرًا ﴾ : جَمَعَ زُبُورٌ (٥) أَيْ كُتِبَ مُخْتَلَفَةٌ .

﴿ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ ﴾ : أَيْ دَعَاهُمْ فِي جَهْلَتِهِمْ كَأَنَّهُمْ مَغْمُورُونَ فِيهَا كَالْمَغْمُورِ
فِي الْمَاءِ .

(١) مُتَوَاتِرِينَ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ .

(٢) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَابْنُ كَثِيرٍ تَسْرَأُ بِالتَّنْوِينِ وَالْمَعْنَى : مُنْقَطِعِينَ بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ دَهْرٌ طَوِيلٌ وَأَصْلُ تَسْرَأُ ؛
وَتَرَى وَهُوَ مُصَدَّرٌ كَشَبْعِيٍّ وَدَعَاؤِيٍّ فَأَلَفَهُ لِلتَّائِيثِ وَهُوَ مُنْصَوَّبٌ عَلَى الْحَالِيَةِ أَيْ مُتَتَابِعِينَ فَهُوَ
مُصَدَّرٌ وَقَعَ مَوْقِعَ الْحَالِ .

(٣) فِيهِ أَقْوَالٌ أَيْ ذَاتُ اسْتِواءٍ قَالَهُ ابْنُ جَبْرِ أَوْ ذَاتُ ثِمَارٍ قَالَهُ قَتَادَةُ . وَقَالَ الْحَسَنُ : ذَاتُ مَعِيشَةٍ
تَقْرَهُمْ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ : ذَاتُ مَنَازِلٍ تَسْتَقِرُّونَ فِيهَا .

(٤) قَالَهُ قَتَادَةُ وَفِي اشْتِقَاقِ الْمَعِينِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ أَحَدُهَا : لِأَنَّهُ جَارٌ مِنَ الْعِيُونِ قَالَهُ ابْنُ قَتِيْبَةٍ فَهُوَ
مَفْعُولٌ . الثَّانِي : أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْمَعُونَةِ . وَالثَّلَاثُ : مِنَ الْمَاعُونِ .

(٥) يَعْنِي قِطْعًا وَجَمَاعَاتٍ . قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَالسَّدِيُّ - أَوْ كَتَبَا قَالَهُ قَتَادَةُ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُمْ تَفَرَّقُوا الْكُتُبَ ،
فَأَخَذَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ كِتَابَ آمَنَ بِهِ وَكَفَّرَ بِمَا سِوَاهُ . وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ عَلَى تَأْوِيلِ قِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ
زُبْرًا بِفَتْحِ الْبَاءِ .

﴿ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَكْصُونَ ﴾^(١) : نكص إذا رجع فى حافرته^(٢).

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ﴾^(٣) : أى مُكْذِبِينَ به .

﴿ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴾^(٤) : أى تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه ؛ وأصل السَّمر

: ظل القمر وجعل الحديث فيه سمرًا من باب اطلاق المحل على الحال . قرئ سُمراً
وسُمَّاراً . وكانوا يجتمعون حول البيت . تَهْجُرُونَ تَأْتُونَ^(٥) بالهَجْر بضم الهاء وهو
الكلام الفاحش والهَجْر : بفتح الهاء : الهَذْيَان أيضا ؛ وهجر يهجر إذا تكلم بالهذيان .

﴿ لَنَّاكِبُونَ ﴾ : أى مائلون^(٦) . تقول نكب زيد عن الطريق

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ : قال الزجاج : اللفح والنفح واحد

إلا أن اللفح أشد تأثيراً - والكلوخ : أن تتقلَّص الشفتان وتشمر عن الأسنان كما ترى
الرؤوس المشوية . وقرئ كلحون .

(١) تنكصون : تستأخرون قاله مجاهد أو على معنى رجع القهْقَرى .

(٢) يقال رجع فلان فى حافرته أى رجع من حيث جاء .

(٣) مستكبرين به أى بالبيت الحرام والذى سوَّغ الاضمار ، شهرتهم بالاستكبار به ، وأن لا مفخر
لهم إلا أنهم قُوَّامُهُ . قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة : مستكبرين به أى بحرمة الله ،
ألا يظهر عليهم فيه أحد .

(٤) سامر : فاعل من السَّمر وفى السمر قولان ١ - أنه الحديث ليلا قاله الكلبي والثانى : أنه ظلُّ
القمر ، حكاه ابن عيسى - والعرب تقول حلف بالسمر والقمر أى بالظلمة والضياء . لأنهم
يسمرون فى ظلمة الليل وضوء القمر . قال الزجاج : ومن السمر أخذت سُمرة اللون .

(٥) قرأ نافع تَهْجُرُونَ : ومعناه الفُحْش فى القول مأخوذ من الهَجْر بضم الهاء وقرأ الجماعة
تَهْجُرُونَ من الهَجْر بفتح الهاء ومعناه تَعْرِضُونَ .

(٦) لناكبون : لعادلون قاله ابن عباس - وقال قتادة لحائدون . وعن الحسن لتاركون . وقال
الكلبي : لمعرضون .

﴿ قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا ﴾ : أى ذَلُّوا فيها وهو فى الأصل^(١) زجرٌ للكلب . يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ : أى لعباً .

﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ : هذا لا مفهوم له ، وجئ^(٢) به على وجه التأكيد - وحمل مُعْتَرِضُهُ بين الشرط والجزاء كقولك مَنْ أَحْسَنَ إِلَى زَيْدٍ - لا أَحَقَّ بِالْإِحْسَانِ مِنْهُ - فالله مُثْبِتُهُ .

افتتح الله السورة بفلاح المؤمنين وختمها بعدم فلاح الكافرين وشتان ما بين الفلاحين .

(١) خَسَأَتُ الْكَلْبُ فَخَسَأَ أَيْ زَجَرْتُهُ مُسْتَهِينًا بِهِ فَانْزَجَرَ وَذَلِكَ إِذَا قُلْتَ لَهُ اخْسَأْ وَقَالَ الْحَسَنُ وَالسَّدى معناه : اصغروا والخاسى الصاغر . وهذا التفسير أولى من قول قتاده الخاسى الساكت الذى لا يتكلم لأنه حينئذ يكون من قبيل التأكيد والتأسيس أولى من التأكيد كما هو مقرر .

(٢) قوله وجئ به على وجه التأكيد أقول إن عبارة " لا برهان له " صفة لازمة لأنها مقيدة والمقصود بها التهكم بمدعى إله مع الله كقوله - بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا- قال فى الكشف ، فَإِنْ قُلْتَ : كانت هناك حجة حتى ينزلها الله تعالى فيصح لهم الاشتراك . قلتُ : لم يعن أن هناك حجةً إلا أنها لا تنزل عليهم ، لأن الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة ، وإنما المراد نفى الحجة ونزولها جميعا كقوله " ولا ترى الضب بها ينحجر " مراده أن ينفى الضب والانحجار جميعا . وقول ذى الرمة : لا تشتكى سقطه منها وقد رقصت بها المفاوز حتى ظهرها حذب . أى وليس منها سقطه فتشتكى ومثل قوله " على لا حِبِّ لا يهتدى بمناره " إذا سافه العود النباطى جرجرا " وقوله لا يهتدى بمناره : يريد نفى المنار والاهتداء جميعا .

سورة النور

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾^(١) : السورة : القطعة من أسأرت . تُرك همزُها ، وقيل

الدرجة من سور البناء ؛ ومن ذلك قول الشاعر "

الم تر أن الله أعطاك سورة ترى كلَّ ملكٍ دونها يتذبذب

أى درجة .

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾^(٢) : قُرئ مشددا ومخففا أى فرضنا فيها الفرائض ؛ وأصل

الفرض : القطع . والفرض يُطلق على التقدير أيضاً ومنه فرضُ القاضى النفقة ،
والفرض الحز الذى يَقَع فيه الوترُ ، والفرض جنسٌ من التمر ببلاد عمان وهو أجودها
قال شاعرهم :

"إذا أكلت سمكاً وفرضاً ذهبت طُولاً وذهبت عَرْضاً" .

وسُميَّ الفرض الذى أوجبه الله بذلك لأنه معالم وحدود كأنها مَحْزُوزَةٌ مُقَدَّرَةٌ

والفرض : الترس ، والفرض : القَدْحُ ، والفرض : العطية الموسومة . وفرضت للرجل
وأفرضته إذا أعطيته .

(١) قال القرطبي والسورة في اللغة اسم للمنزلة الشريفة . وأصل معنى السورة لغة : المنزلة من
منازل الارتفاع ومن ذلك سور المدينة للحائط الذى يحويها ، وذلك لارتفاعه على ما يحويه
ومن ذلك قول النابغة ألم تر أن الله أعطاك سورة أى منزلة من منازل الشرف التى قصرت عنها
منازل الملوك ومعنى يتذبذب : يضطرب ويَحَار . والذبذبة : تردد الشئ المعلق فى الهواء ينة
ويسرّة يقول : أعطاك الله من المنزلة الرفيعة ، مالو رامه ملك وتسامى إليه ، بقى معلقا دونها
حائرا يضطرب ويتردد ، لا يطبق أن يبلغها .

(٢) قرأ فرضناها بالتشديد ابن كثير وأبو عمرو . والباقون بالتخفيف ؛ فمن قرأ بالتخفيف فمعناه
الزمناكم العمل بما فُرض فيها . ومن قرأ بالتشديد فعلى وجهين : أحدهما على معنى التكثير
والثانى : على معنى بيّننا وفصلنا ما فيها من الحلال والحرام والحدود . ومنه قوله تعالى " قد
فرض الله لكم تحلة إيمانكم " أى بيّننا .

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾ : الزنا^(١) يُمدُّ ويُقصر ، والقصر لأهل الحجاز والمدُّ لنجد .
والنسبة إلى المقصور زنويّ ، وإلى الممدود زناويّ ، وزَنَاهُ قال له يازاني . وزناً بالهمز
زنأً وزُنُوًّا إذا صعد الجبل وزنأتُ من الخمسين زنأً دنوتُ منها وزناً الظل قصُر ، وزنأتُ
إليه زُنُوًّا لجأتُ . والزَّناء بالفتح والمد ولاقصر من الانسان والظل ، ويُطلق على الضيق
والحاقن ، وفي الحديث " نهى أن يُصلى الرجل وهو زنأٌ " ومنه زناً بوله زُنُوًّا إذا
احتقن .

﴿ فَاجْلِدُوا ﴾ : سُمِّيَ الضَّرْبُ جَلْدًا لوقوعه على الجلد .

﴿ جَاءُوا بِالْإِفْكِ ﴾ : الإفك : الكذب ، والأفيكة مثله ، والجمع الأفائك ،
والأفكُ بالفتح مصدر قولك أفكته يَأفِكُهُ أفكاً أى قَلَبَهُ عن الشيء وصَرَفَهُ ومنه قوله تعالى
﴿ أَجْمَعْنَا لِنُفَكِّنَا ﴾ نزلت في قوم كذبوا على عائشة رضى الله عنها وهم عبد الله بن أبي
بن سلول ، وزيد بن رفاعه ، ومِسْطَح بن أثاثه ، وحمئة بنت جحش .

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾ : أى يحلف من الأليّة وهى القسم والجمع أَلَيَا
والفعل آلى يؤلى إيلاء ، ومنه قول الشاعر

" قليل الألايا حافظ ليمينه وإن سبقت منه الأليّة بُرّت "

وفيهما لغات ألألوه والإلوة والألوة ، وأما ألألوة بالتشديد فهو العود القمارى الذى
يَتَبَخَّرُ به .

﴿ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾^(٢) : الغض : الخفض ، والغض : الطرى . والأمر

(١) اللسان (ج ١ ص ٨٧ ، ٨٨) عليه تَزْنِيَّةٌ أى ضَيِّقٌ عليه . وزناً الظل يزناً : قَلَصَ وقَصُرَ ودنا
بعضه من بعض . وزناً للخمسين زنأً : دنا لها .

(٢) أخرج ابن أبى حاتم عن أبى العالية قال : كل شئ فى القرآن من " حفظ الفرج " فهو من
الزنى ، إلا هذه الآية التى بعدها ، فهو ان لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى =

من غَضَّ عند الحجاز اغضَضُ وعند نجدٍ غَضَّ والشاهدان على ذلك " اغضض من صوتك " و -

غَضَّ الطرف إنك من نُمِرٍ فلاكعباً بلغت ولا كلاباً .

وغضَّ منه يغضُّ إذا وضع ونقص من قدره .

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ : الزينة : ما تزيّنت^(١) به المرأة مِنْ حُلِيٍّ أَوْ كُحْلٍ أَوْ

خضاب فما كان ظاهراً منها كالخاتم والخضاب فلا بأس بإبدائه إذا دعت الحاجة إليه لكشفه للأجانب لوجه شرعى ؛ وأما ما كان خافياً كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا تبديه إلا للمذكورين فى الآية .

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾ : واحدها أيمٌ يُطلق على الرجل والمرأة إذا لم

يتزوجا .

﴿ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾^(٢) : الكتاب والمكاتبة مثل العتاب والمُعاتبَة ، وهو أن يقول

الرجل لمملوكه كاتبك على ألف درهم مثلاً فَإِنْ أَدَيْتَهَا عَتَقْتُكَ ، وكتبت على نفس بالوفاء بالعتق . والأمرُ للندب عند عامة الفقهاء ، وعند الحسن الإباحة . وفى رأى عمر بن الخطاب عَزَمَاتُ الله وهو مذهب داوود وعند أبى حنيفة تجوز المكاتبة حالة ومؤجلة ومنجمة وغير منجمة . وعند الشافعى لا يجوز إلا منجماً مؤجلاً ، ولا يجوز بنجماً واحد لأنَّ العبدَ لا يملك شيئاً وأولُ مَكَاتَبٍ كُتِبَ فى الإسلام عبد لعمر بن

= عورة المرأة ١ . هـ والسر فى تقديم غض الأبصار على حفظ الفروج ، هو أن النظر بريد الزنا ورائد الفجور .

(١) فسّر ابن مسعود الزينة بالثياب ، وفسر الزينة بالخاتم والسوار والقرط والقلادة والخلخال أخرجه ابن أبى حاتم .

(٢) نزلت فى غلام لحويطب بن عبد العزى ، يقال له : صبيح ، سأل مولاه أن يكتبه ، فأبى عليه . فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فكتبه حويطب على مائة دينار ، ووهب له منها عشرين ديناراً ، فأداها ، وقيل يوم حنيف فى الحرب . عزاه فى الدرر لابن السكن فى معرفة الصحابة .

الخطاب يكنى أبا أمية ، وسبب نزولها أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك فسأله العبد المكاتبه فامتنع فنزلت .

﴿ وَأَتَوْهُمْ ﴾ : قيل الضمير للمسلمين في اعطائهم نصيبهم من الزكاة فيكون الأمر للوجوب وقيل الضمير عائد إلى الموالي .

﴿ عَلَى الْبَغَاءِ ﴾ : البغاء : الزنا وهذه الآية لا مفهوم لها^(١) .

فإن الاكراه على^(٢) ما لا يريده الشخص . وأما إذا أَرَادَهُ فلا إكراه وقول الأصوليين خرج مخرج الغالب ليس بشيء لأنه يفهم أنه له مفهوماً .

﴿ كَمِشْكَاةٍ ﴾ : المشكاة : الكوة التي ليست بنافذة بلغة الهند ، وقيل لغة الحبش والكلام فيها كالكلام الذي جاء من الألفاظ الموافقة لِلُّغَةِ الْعَرَبِ - كالتسقاط ، والسجيل والاستبرق وغير ذلك .

﴿ كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ . منسوب إلى الدر . ودريء^(٣) من الدرء وهو الطلوع مفاجأة .

(١) من المقرر في علم الأصول : أن من موانع اعتبار مفهوم المخالفة كون المنطق نازلا على حادثة واقعة ولذا لم يعتبر مفهوم المخالفة في قوله ﴿ إِنْ أَرَدَنْ تَحْصَنًا ﴾ لأن الآية نزلت على حادثة واقعة . أخرج مسلم وأبو داود عن جابر رضى الله تعالى عنه أن جارية لعبد الله بن أبى بن سلول يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة كان يكرهما على الزنا فشكنا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت . وتخصيص الشرط بالذكر قد ظهر له فائدة غير نفى الحكم عند انتفائه وتلك الفائدة هي التقييح والتشنيع على هؤلاء الذين يكرهون الإماماء على الزنا ويحملونهن عليه مع أن الإماماء أنفسهن لا رغبة لهن فيه .

(٢) قوله فإن الاكراه . . . الخ الاكراه معناه : حَمَلُ الشَّخْصِ عَلَى شَيْءٍ ضِدَّ رَغْبَتِهِ ، ومادام الفتيات يرغبن الزنا فكيف يتصور اكراههن عليه ؟ ، وإذا ثبت أن الاكراه في هذه الحالة محال ثبت أنه لا يتعلق به إباحة ولا تحريم لأن الاحكام إنما تتعلق بأفعال المكلفين المقدورة لهم والمستحيل غير مقدور لهم فلا يتعلق به حكم .

(٣) قرأ بالهمز أبو عمرو والكسائي وشعبة وحزمة . والباقون بغير همز . ومعنى درى : مضى =

ودرى بغير همز منسوب إلى الدر .

﴿ كَسْرَابٍ بَقِيعَةٍ ﴾ : السراب^(١) قد تقدم ، والبقية^(٢) : جمع قاع .

﴿ فِي بَحْرٍ لُجِّي ﴾ : منسوب^(٣) إلى اللُّجَّة وهى معظم الماء .

﴿ يُزْجِي سَحَابًا ﴾ : أى يَسُوقُ ومنه بضاعة مزجاة أى لا يَسُوقُهَا كل أحد لطلب
الريح .

﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ﴾ : يجمع بعضه إلى بعض .

﴿ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ﴾ : أى متراكما بعضه فوق بعض .

﴿ الْوَدْقُ ﴾ : المطر .

﴿ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ : من فتوقه جَمْعُ خَلَلٍ كجبل وجبال .

﴿ سَنَا ﴾ : مقصور^(٤) : النور ومحدود : الشرف .

= متلألئ كالزهرة فى صفائه وزهرته منسوب إلى الدر وأما قراءة الهمز فهو فُعِيل وهو من الدرء
بمعنى الدفع فإنه يدفع الظلام بضوئه وماذكره المؤلف من أنه من درأ إذا طلع مفاجأة فليس بشئ
لأن فعيلًا قليل فى كلامهم قال الفراء لم يسمع إلا مُرِيق * وهو أعجمى . وقال أبو عبيدة :
أصل دُرٌّ دروء كسُبُوح فجعلت الضمة كسرة للاستتقال والواو ياء لانكسار ما قبلها .
* مريق : حَبُّ الْعُصْفَر .

(١) السراب : بخار رقيق يرتفع من قعور القيعان فإذا اتصل به ضوء الشمس أشبهه من بعيد الماء
السارِب أى الجارى .

(٢) بقية : متعلق بمحذوف هو صفة سراب أى كائن بقية وهى الأرض المنبسطة المستوية ، وقيل
هى جمع قاع كجيرة فى جار ونيرة فى نار .

(٣) اللجى : العميق الكثير أى كثير الماء منسوب إلى اللُّج وهو معظم ماء البحر .

(٤) فيه ثلاثة أوجه أحدها : صوت برقه ، والثانى : ضوء برقه ، قاله يحيى بن سلام الثالث :
لمعان برقه ، قاله قتادة والصوت حادث عن اللمعان .

﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ : العورة : سَوْءَةُ الْإِنْسَانِ وَكُلُّ مَا يُسْتَحَى مِنْهُ . وَالْعَوْرَةُ : كُلُّ خَلَلٍ يُتَخَوَّفُ مِنْهُ فِي ثَغْرِ أَوْ حَرْبٍ وَعَوْرَاتُ الْجِبَالِ : شَقُوقُهَا .
 مِنَ الظَّهِيرَةِ : الظَّهِيرَةِ : وَقْتُ وَضْعِ الثِّيَابِ لِلْقِيلُولَةِ .
 وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ : الْقَاعِدَةُ^(١) الَّتِي قَعَدَتْ عَنِ الْحَيْضِ وَالْوَلَدِ لِكِبَرِهَا .
 ﴿أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾^(٢) : يَرِيدُ بِالثِّيَابِ الْمُلْحَفَةِ وَالْجَلْبَابِ .
 ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾ : التَّبَرُّجُ : تَكْلُفُ إِظْهَارِ مَا يَجِبُ اخْتِفَاؤُهُ وَالْمُرَادُ هَاهُنَا أَنْ تَكْشِفَ الْمَرْأَةُ لِلرِّجَالِ زِينَتَهَا وَتُظْهِرَ مُحَاسِنَهَا .
 ﴿يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾^(٣) : أَيْ مُلَاوَذَةً أَيْ يَتَسَتَّرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ . وَفِعْلُهُ لَوَاذٌ يَلَاوِذُ مُلَاوَذَةً وَلِوَاذًا . وَلَوْ كَانَ مِنْ لَازٍ لَكَانَ "لِإِذَا" فَاعِلُهُ .

(١) القواعد : جمع قاعدة وهن اللاتي قعدن بالكبر عن الحيض والحمل . وسمين بذلك لأنهن بعد الكبر يكثر منهن القعود .

(٢) قيه قولان أحدهما : جلبابها وهو الرداء الذي فوق خمارها فتضعه عنها إذا سترها باقى ثيابها قاله ابن مسعود وابن جبير . الثانى : خمارها ورداؤها ، قاله جابر بن زيد .

(٣) قال الحسن : لو اذا أى فراراً من الجهاد . وقال مجاهد : أنهم أى المنافقين كانوا يتسللون فى الجهاد رجوعاً عنه يلوذ بعضهم ببعض لو اذا فنزل ذلك فيهم وحكى النقاش : أن المنافقين كانوا يتسللون عن صلاة الجمعة لو اذا أى يلوذ بعضهم ببعض ينضم إليه استتاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يكن على المنافقين أثقل من يوم الجمعة وحضور الخطبة فنزل ذلك فيهم . ١٠ هـ .

سورة الفرقان

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ : البركة : كثرة الخير وزيادته ، ومنه تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر^(١) أو تزايد شئىُّ تعالى عنه فى صفاته ولم يستعمل فى مخلوق قط . والفرقان : مصدر . وسمى القرآن به لكونه فرق بين الحق والباطل ، أو لكونه لم ينزل جملة واحدة لكونه^(٢) نزل مفروقاً بين بعضه وبعض . ويؤيد ذلك قوله تبارك وتعالى " وقرآنا فرقناه " .

﴿ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ : قال سيبويه فى باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروكة اظهارها نحو معاذ الله ، وحجراً من هذه المصادر - هذه مصادر منصوبة يتكلمون بها عند لقاء العدو فيقول الرجل للرجل أتفعل كذا وكذا فيقول حجراً محجوراً وهو من حجره إذا منعه وقيل من كلام الملائكة يقولون للكفار إذا رأوهم أى حراماً محرماً عليكم البشرى أو الجنة أو الغفران .

﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ : الهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار يضرب مثلاً فى محقرات الأمور .

ويوم تشقق السماء بالغمام : الباء فى الغمام^(٣) بمعنى عن . فإن قلت ما الفرق بين قولك انشقت الأرض بالنبات . وانشقت عن النبات . قلت معنى انشقت به . إن

(١) هكذا بالأصل والذي فى الكشف " أو تزايد عن كل شئىُّ وتعالى عنه " فى صفاته وأفعاله .

(٢) والأظهر هاهنا المعنى الثانى . لأن فى أثناء السورة بعد آيات ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴾ قال الله تعالى ﴿ كذلك لثبت به فؤادك ﴾ أى أنزلناه مفرقا لثبت به فؤادك . فيكون وصفه بالفرقان فى أول السورة كالمقدمة والتوطئة لما يأتى بعد .

(٣) يوم تشقق السماء أى ينصدع نظامها فلا يبقى أمر ما فيها من الكواكب على مايرى اليوم فيخرب العالم بأسره . والباء بمعنى مع أى مع السُّحْب الجوية ، أو بمعنى عن أى تنفطر عن الغمام الذى يسود الجو ويظلمه ، ويغم القلوب مرآه .

الله شَقَّهَا لَطْلُوعِهِ فَانشَقَّتْ بِهِ . ومعنى انشقت عنه أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه .
﴿ اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ : يجوز أن^(١) يكون بمعنى الهُجْر . كالمقتول
والمجلود .

﴿ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ : الخلفة من الخلف . كالرُّكْبَة من ركب ، وهى
الحالة التى يخلف فيها الليل والنهار كل واحدٍ منهما يخلف الآخر .

﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾^(٢) : قرئ بضم الهاء والمعنى هَيَّونَ ، يجوز أن
يكون حالاً ويجوز أن يكون صفة للمشى ، والتقدير يمشون مشياً هَيَّناً .

(١) مهجوراً أى متروكاً ، مُعْرَضاً عنه - وأنواع هجر القرآن خمسة ذكرها ابن القيم رحمه الله

١ - هجر سماعه والايان به والإصغاء إليه .

٢ - هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه ، وإن قرأه وآمن به .

٣ - هجر تحكيمة والتحاكم إليه فى أصول الدين وفروعه ، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته
لفظية لا تحصل العلم .

٤ - هجر تدبره وفهمه ، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه .

٥ - هجر الاستشفاء والتداوى به فى جميع أمراض القلوب وأدوائها . فيطلب شفاء دائه من غير
ه ، ويهجر التداوى به . ١ هـ .

(٢) الهون : مصدر بمعنى اللين والرفق . ونصبه إما أنه نعت لمصدر محذوف أى مشياً هوناً أو على
أنه حال من ضمير يمشون . والمراد يمشون هينين فى تؤده وسكينة ووقار وحسن سمت لا
يضرّبون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشراً وبطراً أو أن الهون مشى الرجل بسجيته التى جبل
عليها لا يتكلف ولا يتبخر .

وفى الحديث "أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس فى الايضاع" وروى فى صفته صلى الله
عليه وسلم أنه كان إذا زال زال تَقَلُّعًا ، ويخطو تَكْفُؤًا ، ويمشى هوناً ، ذريع المشية إذا مشى
كأنما ينحط من صَبَب .

التقلع : رفعُ الرُّجُل بقوة - والتكفؤ : الميل إلى سنن المشى وقصده .

والذريع : الواسع الخطأ ؛ أى أن مشيه كان يرفع فيه رجله بسرعه ويمد خطوه ؛ خلاف مشية المختال .

أخرج أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة ، وابن النجّار عن ابن عباس قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن " .

وإذا مروا باللغو مروا كراما : إذا مروا على طريق الاتفاق باللغو وهو كل سقط من قول أو فعل أو بكل ما ينبغى أن يلغى ويطرح مما لا خير فيه .

مروا كراما : أى مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه أو الخوض فيه معرضين عنه منكرين لا يرضونه . ولا يماثلون عليه ، ولا يجالسون أهله . يقال تكرم فلانُ عما يشينه : أى تنزهه وأكرم نفسه عنه . أخرج ابن أبى حاتم وابن عساكر عن ابراهيم ابن ميسرة قال : بلغنى أن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مرّ بلهو وفى رواية سمع غناء فأسرع وذهب ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريما " ثم تلا ابراهيم ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ .

سورة الشعراء

﴿ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ : أى صنف مَرْضِي كثير المنافع .

﴿ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ ﴾ : وهو قتل القبطى .

﴿ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ : أى اتخذتهم عبيدا . وذهب قتادة والأخفش والفراء إلى أنه مقدر فيه استفهام أى أو تلك نعمةٌ على طريق الاستفهام تقوله ﴿ هذا ربي ﴾ { الأنعام : ٧٦ } ، ﴿ فهم الخالدون ﴾ { الأنبياء : ٣٤ } - وقال الضحاك : إن الكلام خرج مخرج التبكيث ، والتبكيث يكون باستفهام وبغير استفهام ، والمعنى : لو لم تقتل بنى اسرائيل لربانى أبواى ، فأى نعمة لك علىّ ! فأنت تمن علىّ بما لا يجب أن تمن به ، وأن عبدت فى موضع رفع على البدل من "نعمة" ويجوز أن تكون فى موضع نصب بمعنى : لأن عبدت بنى اسرائيل ؛ أى اتخذتهم عبيداً . يقال عبدته وأعبدته بمعنى .

﴿ ثَعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ : حية عظيمة .

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾ : أخرجها من جيبه .

﴿ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ ﴾ : ذات شعاع - قيل لما رأى فرعون الآية الأولى . قال :

هل لك غيرها فأخرج يده فقال ما هذه؟ فقال فرعون : يدك فما فيها . فأدخلها فى إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق .

﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ : أخر أمرهما .

﴿ حَاشِرِينَ ﴾ : جامعين للسحرة .

﴿ لِمِيقَاتٍ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ : وهو وقت الضحى من يوم الزينة ؛ وكان يوم عيدٍ

لهم ، وقيل يوم سوق .

﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ﴾ : تتلع .

﴿ لَا ضَيْرَ ﴾ : أى لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عذاب الدنيا . قال الجوهري :
ضاره يضوره ويضيره ضيراً وضوراً أى ضرة .

﴿ أَلَمْ نَكُنْ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : أى بَأْن كُنَّا ، فَأَنْ فى موضع نصب .

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ ﴾ طائفة .

﴿ لَعَائِظُونَ ﴾ : فاعلون ما يغيظنا .

﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾ : خائفون ، وحاذرون : متأهبون ، وقيل حذرون :
متيقظون ، وحاذرون : مستعدون .

﴿ فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ : وقت شروق الشمس أو مصادفين شروقها أى طلوعها .

﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ : أى قُرْبُ منا العدو ولا طاقة لنا به ، وقرئ لَمُدْرِكُونَ من
ادرك - قال النحاس : مُدْرِكُونَ : مُلْحَقُونَ ، وَمُدْرِكُونَ مُجْتَهِدُونَ فى لحاقهم . كما يقال
كسبت بمعنى أصبت وظفرت ، واكتسبت بمعنى اجتهدت وطلبت وهذا معنى قول
سيبويه .

﴿ فَأَنْفَلَقْ ﴾ : فانشق .

﴿ كَالطُّودِ ﴾ : الجبل .

﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴾ : جمعناهم فى البحر حتى غرقوا ، ومنه قيل لِلَّيْلَةِ
المزدلفة ليلة جمع ، وقيل أزلفناهم أى قربناهم من البحر حتى أغرقناهم فيه .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً ﴾ : معرفة بك ويحدودك وأحكامك .

﴿ لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ : ثناء حسناً . والثناء الحسن هو اجتماع الأمم عليه . ولقد

أجاب الله دعوته فكل أمة تتمسك به وتعظمه . وفيه دليل على الترغيب فى العمل الصالح الذى يكسب الثناء الحسن قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ {مريم: ٩٦} أى حبا فى قلوب عباده وثناء حسناً .

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ : قُرِبَتْ وَأُذْنِيت .

كُتِبُوا ﴿فَكُتِبُوا﴾ : أُلْقُوا ، والكِبْبة تكرير الكب وهو الإلقاء على الوجه بتكرير معناه والأصل كُتِبُوا فأبدل الباء الوسطى كاف استثقلا لاجتماع الباءات .

﴿الْأَرْدُلُونَ﴾ : أهل الضعة والخساسة ، وقيل السفلة كالحاكة والأساكفة والمعنى فقراء الناس وضعفاؤهم ، وإنما بادروا للاتباع قبل غيرهم لصعوبة انقياد الأغنياء لاستيلاء الرياسة عليهم والأئفة عن الانقياد للغير .

﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ : احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا أى أنزل العقوبة والهلاك بهم بدليل قوله ونجنى أى مما ينزل بهم ، والفتاحة أى الحكومة والفتاح الحاكم سُمى به لفتحته المغلق من الأمور .

﴿رِيعٍ﴾ : ما ارتفع من الأرض جمع ربيعة ، والرَّيْع الطريق - والمعنى الاجمالى للآية والله أعلم : أتبنون بكل طريق بنياناً تجعلونه مكاناً لِلَّهِو واللعب وتسمونه استراحة وأنتم تعملون به أعمالاً تعرضكم لسخط الرب تعبثون بالمارة ، وقيل هو عبث العشَّارين بأموال مَنْ يمر بهم .

﴿مَصَانِعٍ﴾ حصونا مشيدة . وقال أبو عبيدة : يقال لكل بناء مصنعة ، وهى بلغة اليمن القصور العادية .

﴿بَطْشْتُمْ بَطْشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ : البطش : العسف قتلا بالسيف وضربا بالسوط .

﴿طَلَعَهَا هَظِيمٍ﴾ : الطلعة هى التى تطلع من النخلة كنصل السيف فى جوفه

شماريخ القنر ؛ والقنر اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه ، والهضم اللطيف الرقيق ، وقيل هو المنضم فى وعائه قبل أن يظهر .

﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾ (١٤٩) (١) : فرهين : فرحين : بطرين وقرئ فارهين أى حاذقين والفره شدة الفرح أو المرح .

﴿ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴾ : من المخلوقين المُعَلَّلِينَ بالطعام والشراب ، وهو من السَّحَر (٢) وهو الرثة أى رثة تأكل وتشرب مثلنا

قال (٣) وَنُسَحَرُ بالطعام وبالشراب ، وقيل هو من السَّحَر أى أصبت بالسحر فبطل عقلك ، ولو كان من السَّحَر كما قيل لما كان للجملة التى بعد هذه الجملة فائدة لأن التأسيس مقدم على التأكيد .

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب فرهين والباقون وهم ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف فارهين .

(٢) السَّحَر : طرف الحلقوم ، والرثة . وَسَمَوْاَ الغداء سِحْرًا من حيث إنه يَدُقُّ ويلطف تأثيره . وفى قوله تعالى "إنما أنت من المسحرين" وجهان قيل معنى من المسحرين أى ممن جعل له سَحَرٌ تنبيهاً على أنه محتاج إلى الغذاء كقوله تعالى "مالهذا الرسول يأكل الطعام" وقيل معناه "مِمَّنْ جعل له سِحْرٌ يتوصل بلطفه ودقته إلى ما يأتى به ويدعيه ، وعلى الوجهين حُمِلَ قوله تعالى "إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً" .

(٣) هو امرؤ القيس والمعنى "نُعَلَّلُ بالطعام والشراب" أى نأكل ونشرب .

قال امرؤ القيس

أرانا مَوْضِعِينَ لِأمرٍ غِيبٍ وَنُسَحَرُ بالطعام وبالشراب .

موضعين : أى مُسرعين ، وقوله لِأمرٍ غِيبٍ يريد الموت وأنه قد غِيبَ عنا وَقْتَهُ ونحن نُلهَى عنه بالطعام والشراب .

﴿الْجِيلَةُ الْأُولِينَ﴾ : وقرئ^(١) بضم الجيم : الخلق .

﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ : يروى أنه حبس عنهم الريح سبعاً وسلط

عليهم الرمء^(٢) فأخذ بأنفاسهم فخرجوا إلى البرية فأظلمت سحابة فاستروحوا بنسيمها وبردها فأذن بعضهم بعضاً بالاجتماع فلما تكاملوا تحتها أمطرت عليهم ناراً فاحترقوا .
روى أن شعيباً بعث إلى أمتين مدين وأصحاب الأيكة فأهلك مدين بصيحة جبريل عليه السلام ، وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة .

﴿وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ : قيل معانى القرآن ، وقيل الضمير للنبي صلى

الله عليه وسلم . وقيل التوحيد والعبادة وقيل ذكر شرفها ، وقيل وصف دينه وأمته ،
زبر الأولين : كتب الأنبياء عليهم السلام .

﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾^(٣) : الهيمان : الذهاب على الوجه .

(٢) قوله وقرئ بضم الجيم . لم يقرأ أحدٌ بضم الجيم وكسر الباء وإنما قراءة الحسن بضم الجيم والباء ومعناه والله أعلم "الجمع ذو العدد الكثير من الناس" .

(٣) الرَّمْدُ : مأخوذ من قولهم رَمَدَتِ الغنمُ تَرْمِدُ رَمْدًا : هلكت من برد أو صقيع .

قال ابن عباس : أصابهم حر شديد ، فأرسل الله سبحانه سحابةً فهبوا إليها ليستظلوا بها ، فلما صاروا تحتها صبح بهم فهلكوا . وقيل : أقامها الله فوق رؤوسهم ، وألهبها حرّاً حتى ماتوا من الرَّمْدِ . وكان من أعظم يوم في الدنيا عذاب .

(٣) يهيمون : فى كل لغو يخوضون ولا يتبعون سنن الحق ، لأن من اتبع الحق وعلم أنه يكتب عليه ما يقوله تثبت ، ولم يكن هائماً يذهب على وجهه لا يبالي ما قال . ونزلت فى عبد الله بن الزُّبَيْرِ ، ومسافع بن عبد مناف ، وأمّية بن أبى الصلت .

سورة النمل

﴿يَعْمَهُونَ﴾ : يتحIRON ، والعمه : التحير ، ودخل أعرابى السوق ولم يكن يراها فقال مابال الناس يعمهون يترددون كالحائرين .

﴿لَتُلْقَى الْقُرْآنَ﴾ : لَتُؤْتَاهُ .

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَهْلِهِ﴾ : يروى لم يكن معه غير امرأته ، ولما كنى الله عنها بالأهل ورد الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا .

﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ : الشهاب : الشعلة^(١) الساطعة ، وإن فلاناً لشهابٌ حرب إذا كان ماضياً فيها والجمع شُهَب وشُهَبَان . عن الأخفش ، والشَّهاب : اللبن الضيَّاح ، وهو اللبن الرقيق الممزوج والقبس : النار المقبوسة .

﴿وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ : أى ثَبَّتَتْ^(٢) فى ضمائرهم ، والاستيقان أبلغ من الايقان .

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ : النبوة^(٣) والملك دون سائر بنيهِ ؛ وكانوا سبعة عشر .

(١) الشهاب : العود الذى فيه نار . وقال أبو الهيثم : الشَّهاب : أصل خشبة أو عودٍ فيها نار ساطعة ، ويقال للكوكب الذى ينقُضُ على أثر الشيطان بالليل : شهاب .

قال الله تعالى ﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ .

وأما بالفتح فهو اللبن الضيَّاح وذلك لتَغْيُرُ لونه .

(٢) أى علمت علماً يقينياً أنها آيات من عند الله تعالى . واستفعل هنا بمعنى تفعلل كاستكبر بمعنى تكبر ، والأبلغ أن تكون الواو للحال والجملة بعدها حالية إما بتقدير قد أو بدونها .

(٣) قال الكلبي : كان لداود تسعة عشر ولداً فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه ، ولو كان وراثته مال لكان جميع أولاده فيه سواء . فخصَّ الله سليمان بما كان لداود من الحكمة والنبوة ، وزاده من فضله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده .

﴿يُوزَعُونَ﴾ : يُحْبَسُ^(١) أولهم على آخرهم ، والوزوع : الذى يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر ، ولا بد للناس من وزوع أى من سلطان يكفهم . يقال : وزعت الجيش إذا حبست أوله على آخره ، وإنما سموا الكلب وازعاً لأنه يكف الذئب عن الغنم .

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ الأصل فى النمل النمل مثال الرجل لكن الاستعمال اعتمد التخفيف كقولهم السبع والسبع . وقرئ يا أيها النمل بضم الميم وفتح النون والنملة التى نسب القول إليها اختلف فى اسمها ف قيل كان اسمها مندر ، وقيل طاخية وكانت عرجاء - والتاء فيها للتأنيث ، وليست بالتاء التى يفرق فيها بين الواحد وجنسه فإن النملة تطلق على الذكر والأنثى ، مثل الحمامة والحية والبقرة والشاة . والدليل على أنها للتأنيث لا للفرق قوله تعالى ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ﴾ [النمل-١٨] ولو كان ذكراً لقال قال غملة ألا ترى أنهم يقولون حمامة ذكر وحمامة أنثى .

﴿أَوْزَعْنِي﴾ : أى ألهمنى

﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ : أى بحجة واضحة .

(١) يوزعون : يُرَدُّ أولهم إلى آخرهم ويكفون أو يُحْبَسُ أولهم ليلحق آخرهم فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة . وفى الآية دليل على اتخاذ الامام وزعة يكفون الناس ويمنعونهم من تناول بعضهم على بعض . قال عثمان بن عفان : ما يزع الإمام أكثر مما يزع القرآن ؛ أى من الناس .

أما قوله ﴿أَوْزَعْنِي﴾ أى ألهمنى وأصله من وزع فكأنه قال : كُفِّنِي عما يسخط وقال الألوسى أى اجعلنى أزع شكر نعمتك أى أكفه وأرتبطه لا ينفلت عني . فكأنه قال : رب اجعلنى مداوماً على شكر نعمتك وهمزة أوزع للتعدية قال ابن عباس : اجعلنى أشكر .

وقال ابن زيد حرصنى . وقال أبو عبيدة : أُولِعْنِي وقال الزجاج : ألهمنى وتأويله فى اللغة كفى عن الأشياء التى تباعدنى عنك .

ولها عرش عظيم : العرش : السرير ، وقيل مُخْتَصَّ بِسرير الملك وكان مُرَصَّعاً
بالجواهر طوله ثلاثون ذراعاً وارتفاعه ثلاثون عليه سبعة أبواب .

﴿ يُخْرِجُ الْخَبْءَ ﴾ : ماخِيئاً وكذلك الْخَبِيئُ عَلَى فَعِيل ، وَخَبَّ السَّمَوَاتِ :
الْقَطْرُ وَخَبَّ الْأَرْضُ : النَّبَاتُ .

﴿ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ﴾ : أَيْ لَا طَاقَةَ وَحَقِيقَةَ الْمَقَابِلَةِ أَيْ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى مُقَاتَلَتِهَا .
﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ﴾ : أَيْ الْقَصْرَ ، وَكُلُّ بِنَاءٍ عَالٍ صَرْحٌ ، وَالصَّرْحُ :
مَتْنُ الْأَرْضِ .

﴿ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ : أَعَادَ الضَّمِيرُ بَصِيعَةَ الْجَمْعِ نَظْراً إِلَى أَنَّ الْفَرِيقَ اسْمُ
جَمْعٍ .

﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ : بِمَعْنَى تَعْلَمُونَ .

﴿ حَدَاتِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ : الْبَهْجَةُ الْمَنْظَرُ الشَّرِيقُ *

﴿ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ : أَيْ دَنَا وَقَرُبَ . وَمَعْنَاهُ تَبَعَكُمْ وَلِذَلِكَ ضَمِنَ مَعْنَى دَنَا فَعُدِّي
بِالْلامِ وَتَعْدِيتهُ إِنَّمَا هُوَ بِمَنْ كَقَوْلِ مَنْ قَالَ **

" فَلَمَّا رَدَفْنَا مِنْ عُمَيْرٍ وَصَحْبِهِ تَوَلَّوْا سِرَاعاً وَالْمَنِيَّةُ تُعْنَقُ "

يَعْنَى دَنَوْنَا مِنْ عُمَيْرٍ .

* وَفِي الْبَحْرِ الْبَهْجَةُ : الْجَمَالُ وَالنَّضْرَةُ وَالْحُسْنُ .

** الْبَحْرُ (ج ٧ ص ٩٠) ، الْكَشَافُ (ج ٢ ص ١٥١) .

سورة القصص

﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ : أتباعاً لما يريد أو تَشَيَّعَ بعضهم بعضاً فى طاعته أو فرقاً^(١) مختلفة فى خدمته .

﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾^(٢) : فإن قيل ما الفرق بين الخوف والحزن؟ قلت الفرق بينهما أن الخوف غمٌ يَلْحَقُ الإنسانَ لمتوقع . والحزن غمٌ يَلْحَقُهُ لواقع . يُروى أنه ذبح فى طلب موسى تسعون ألف وليد .

﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ : هذه اللام^(٣) فى الحقيقة لام التعليل ؛ لكن الالتقاط لم يكن للعداوة والحزن كما هو المعروف وإنما يُنتِجُهُ الحال ولدت معنىً هو أن العاقبة آلت إلى ذلك ، وأهل المعانى يسمونها لام العاقبة ولام الصيرورة .

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾^(٤) : أى لا عقل فيه كقوله تعالى " وأفئدتهم هواء " وقُرئ فرغاً^(٥) أى هذراً كما تقول دماؤهم بينهم فرغ . أى هدر .

﴿ قُصِيَّهٖ ﴾ : أى تَبَّعِيَ أمره .

﴿ عَنْ جُنْبٍ ﴾ : أى عَنْ بُعْدٍ إِلَى أُمِّهِ . يقال إن اسم أم موسى مريم .

﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾ : جمع مُرَضِعٍ وهى المرأة التى تُرَضِعُ أو جمع مَرَضِعٍ وهو موضع الرضاع يعنى الثدي .

(١) قاله قتادة فرق بين بنى اسرائيل والقبط .

(٢) لا تخافى عليه الفرق أو الضيعة - ولا تحزنى أى على فراقه أو لا تحزنى أن يُقتل .

(٣) هذا هو الصحيح من أقوال أهل العلم .

(٤) فارغاً من كل شئ إلا من ذكر موسى أى خالياً .

(٥) قال فى اللسان : ويقال ذهب دمه فَرِغاً وفَرِغاً أى باطلاً هذراً لم يُطْلَبْ به وهذه القراءة التى حكاها المؤلف لم تُعَزَّ لأحد . والله أعلم .

﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ : النَّصَح : اخلاص العمل من شائب الفساد .

﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ : الْوَكَز : الدَّفْعُ بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ ، وَقِيلَ بِجَمِيعِ الْكَفِّ وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَلَكَزَهُ ، فَقَضَى عَلَيْهِ : قَتَلَهُ .

﴿يَأْتِمِرُونَ بِكَ﴾ : يَتَشَاوَرُونَ ، لِأَنَّ الْإِتِمَارَ التَّشَاوُرُ ، يَقَالُ الرَّجُلَانِ يَتَأَمِرَانِ وَيَأْتِمِرَانِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَأْمُرُ صَاحِبَهُ بِشَيْءٍ أَوْ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ .

﴿تَلَقَاءَ مَدِينٍ﴾^(١) : تَلَقَاءُ الشَّيْءِ قَصْدُهُ وَنَحْوُهُ ، وَجَلَسَ تَلَقَاءَهُ أَيْ حِذَاهُ ؛ وَهُوَ أَحَدُ الْمَصَادِرِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى تَفْعَالٍ . وَمَدِينٌ : اسْمُ مَدِينَةِ شَعِيبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُمِّيَتْ بِمَدِينِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ .

﴿تَذُودَانِ﴾^(٢) : أَيْ تَطْرُدَانِ ؛ وَالذُّودُ : الطَّرْدُ ، وَالذُّودُ : الْعَشْرَةُ مِنَ الْإِبِلِ .

﴿تَأْجِرْنِي ثَمَانِي حِجَجٍ﴾ : مِنْ أَجْرَتِهِ إِذَا كُنْتُ لَهُ أَجِيرًا مِثْلَ أَبِيئِهِ إِذَا كُنْتُ لَهُ أَبًا وَمِنْ أَجْرَتِهِ إِذَا آتَيْتَهُ إِيَّاهُ وَمِنْهُ تَعْزِيَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْرَكُمْ اللَّهُ .
الْجَذْوَةُ : مِثْلَةُ الْجِيمِ . الْعُودُ الْغَلِيظُ - أَوْ الْجِذْمَةُ وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْغَلِيظَةُ مِنَ الْخَشَبِ كَانَ فِي طَرَفِهَا نَارٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ وَهَذَا رَأْيُ أَبِي عُبَيْدَةَ . وَغَيْرُهُ يَقُولُ الْجِمْرَةَ . وَيُنْشَدُ عَلَى الرَّأْيِ الْأَوَّلِ .

باتت خواطب ليلى يلتمنسن لها جَزَلُ الْجِذَاءِ غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِيرٍ*
وعلى الثاني -

وَأَلْقَى عَلَى قَيْسٍ مِنَ النَّارِ جِذْوَةً شَدِيدًا عَلَيْهِ حَرُّهَا وَالتَّهَابُهَا
﴿الْبُقْعَةُ﴾ : بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ الْمَكَانُ .

(١) تَلَقَاءُ : مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ انْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ .

(٢) تَذُودَانِ : أَيْ تَمْنَعَانِ غَنَمَهُمَا عَنِ الْمَاءِ خَوْفًا مِنَ السَّقَاةِ الْأَقْوِيَاءِ .

* الْبَيْتُ لِمِ تَمِيمِ بْنِ مِقْبَلٍ وَالْجِذَاءُ وَالْجِذْمَةُ جَمْعُ جَذْوَةٍ .

﴿ مِنْ الرَّهْبِ ﴾^(١) : بفتحين وضمين وفتح وسكون - الخوف .

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا ﴾^(٢) : قرئ مثقلاً ومخففاً ومعناه أن القرآن اتاهم متتابعاً بعضه

فى أثر بعض .

﴿ سَرَمَدًا ﴾^(٣) : دائماً .

﴿ مَفَاتِحَ ﴾ : واحده مِفْتح بكسر الميم والقياس فتحها، وقيل المراد^(٤) الخزائن .

﴿ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ ﴾ : تقول ناء به الحِمْلُ أى أثقله حتى أماله ، وناء به نهض به

وهو من الأضداد . وفى الحاشية " وذهب قوم إلى^(٥) أنه من القلب - وردَّ ذلك بأن

الباء فيه للتعدية كما يُقال ذهب به وأذهبه وعليه قول الشاعر

تنوء بأخراها فلأياً قيامها وتمشى الهوينى عن قريب فتبهر

(١) أمره سبحانه بضم عضده وذراعه وهو الجناح إلى جنبه ليخف بذلك فزعه ومن شأن الإنسان إذا فعل ذلك فى وقت فزعه أن يقوى قلبه . وقال الثورى : خاف موسى عليه السلام أن يكون حدث به سوء فأمره سبحانه أن يعيد يده إلى جنبه ليعود إلى حالتها الأولى فيعلم أنه لم يكن ذلك سوءاً بل آية من الله عزوجل . وقرأ نافع وابن كثير الرَّهْبَ بفتحين . وأكثر القراء الرَّهْبَ - وقرأ قتادة والحسن وعيسى والجحدى الرَّهْبَ بضمهما .

(٢) أصل التوصيل ضمُّ قطع الحبل بعضها ببعض . والمعنى ولقد أنزلنا القرآن عليهم متواصلاً بعضه فى أثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة . وقرأ الحسن بتخفيف الصاد .

(٣) سرمداً : دائماً وهو عند البعض من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة للدلالة الاشتقاق عليه فوزنه فَعَمَلٌ ونظيره دلامص من الدلاص ، يقال درع دلاص أى ملساء لينة . واختار بعض النحاة أن الميم أصلية فوزنه فَعَمَلٌ لأن الميم لا تنقاس زيادتها فى الوسط .

(٤) هذا قول السدي . وفى معناه قول الضحاك أى ظروفه وأوعيته والقياس على هذا مَفْتح لأنه اسم مكان ، ويؤيد ما تقدم قراءة الأعمش مفاتيحه بياء جمع مفتاح .

(٥) قال أبو عبيدة " لتنوء " مقلوب ، والمعنى لتنوء بها العصبة أى تنهض بها ، وقد قيل إنه لا قلب لأن المفاتيح تنهض مُلابسة للعصبة إذا نهضت العصبة بها . وعن الخليل وسيبويه والفرء . واختاره النحاس وقال به ابن عباس وأبو صالح والسدى أنه من ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله فالباء للتعدية كما يقال ذهب به وأذهبته .

والعُصْبَةُ : الجماعة الكثيرة من غير تعيين لعدد خاص .

سورة العنكبوت

﴿الْم (١) أَحَسِبَ النَّاسَ﴾ : الْحُسْبَانُ : الظن تقول حَسِبَ يحسب ويَحْسَبُ .

﴿وَهُمْ لَا يَفْتَنُونَ﴾ : الافتان : الاختبار^(١) تقول فَتَنْتُ الدينار إذا اختبرته .

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ : الرصية الأمر هاهنا .

﴿فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ : النادى : مجلس القوم ولا يُقال له نادٍ إلا إذا كان فيه الناس ، ويقال نَدَى ومنتدى ، والندوة ، ويقال ندوت إذا حضرت النادى وانتديت ، والجمع أنديه والمنكر عن ابن عباس^(٢) : الحذف بالخصى والرَّمْيُ بالبندق والفرقة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحلّ الإزار والسَّبَاب والفُحْشُ فى المزاح . وعن عائشة : كانوا يتضارطون وقيل السخرية بمن مرَّ بهم ، وقيل المجاهرة فى ناديمهم بذلك العمل .

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ : الذرع : الطاقة ، وقد جعلت العرب ضيق الذراع عبارة عن فَقْد الطاقة ، كما قالوا رَحِبَ الذراع بكذا إذا كان مُطيقا له .

الرجز والرجس : العذاب ؛ من قولهم ارتجز البعير وارتجس إذا اضطرب لِمَا يلحقُ المُعَذَّب من القلق .

(١) فى المقصود بالافتان وجهان الأول ما ذكره المؤلف والثانى نسبه الماوردى إلى مجاهد قال : لا يفتنون : لايسألون .

(٢) قالت أم هانئ : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل ﴿تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ قال : " كانوا يخدفون مَنْ يمر بهم ويسخرون منه فذلك المنكر الذى كانوا يأتونه " رواه أحمد والطبرى والحاكم وصححه الترمذى وابن أبى الدنيا فى الصمت . وقال السيوطى فى الدر المنثور رواه الفريابى وعبد بن حميد وابن أبى حاتم وابن المنذر والشاشى فى مسنده والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الشعب وابن عساكر . قال القرطبى أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده .

﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ : قيل الرجا هاهنا بمعنى الخوف^(١) .

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ : الرجفة : الزلزلة .

﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾^(٢) : مُمَكِّنِينَ من النظر والافتكار أو على بصيرة من

الأمر لأن الله تعالى قد يَبِّنُ لهم على السنة الرسل .

﴿سَابِقِينَ﴾ : فائتين^(٣) .

﴿وَكَايَيْنَ﴾ : بمعنى كم موضوعة للتكثير .

﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(٤) : أى الحياة .

(١) نسب الألوسى هذا القول إلى أبى عبيدة - والمعنى . وخافوا جزاء اليوم الآخر من انتقام الله تعالى منكم إن لم تعبدوه .

(٢) وفيه قولان . قال مجاهد وكانوا مستبصرين فى الضلالة أى مُعْجِبِينَ بضاللتهم - الثانى : كانوا قد عرفوا الحق من الباطل بظهور البراهين - يُقال فلان مستبصر إذا عرف الشئ على الحقيقة .

(٣) هذا أرجح أقوال أهل العلم فى معنى سابقين . وهو مأخوذ من قولهم سبق طالبه أى فاته ولم يدركه - والمعنى أدركهم عذاب الله فلم يفوتوه .

(٤) الحيوان مصدر حَيَّى وقياسه حَيَّان فأبدلت احدهما واواً لاجتماع المثليين قال الضحاك : الحياة الدائمة - وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهو دالّ على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة .

سورة الروم

﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ : وأدنى الأرض أى أقربها ويريد بالأرض أطراف الشام لأنها أدنى أرض الروم إلى فارس ، قيل احتربت الروم وفارس بين إذرعات وبُصرى فغلبت فارس الروم ، وأخبر الله تعالى أنه من بعد غلبهم سيغلبون .

﴿ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ۖ ﴾^(١) : الغلب والغلبُ مثل الحلب والحلب .

﴿ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ : الابلأس : الاكتئاب والحزن ، يقال أبلَس إذا سكت ، وأبلس الناقة إذا لم ترع من شدة الضبعة .

﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ : يُسْرُونَ ؛ والحبور : السرور . يقال حَبَّرَهُ إذا سرَّه سروراً تهلَّلَ له وجهه وظهر له أثره .

﴿ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ : أفعال تامة ومعناها الدخول فى المساء والصباح وكذا تظهرون تدخلون فى الظهيرة . وهى استواء الشمس فى كبد السماء .

﴿ وَاخْتِلَافُ الْأَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَأَانِكُمْ ﴾ : الألسنة هاهنا اللغات أو أجناس النطق وأشكاله بحيث لا يُسمع منطقان متفقان فى همس واحدٍ ولا جهاره ولا رخاوة ولا فصاحة ولا كُنَّةً وكذلك الصور وتخطيطها والوانها - ولو اتفقت اتفاقاً كلياً لوقع

(١) الغلبة : القهر يقال غَلَبْتَهُ غَلْبًا وَغَلْبَةً وَغَلْبًا .

اتفق المؤرخون على أَنَّ مَلِكَ فارس غزا الشام وفتح دمشق وبيت المقدس الأولى سنة ٦١٣ والثانية ٦١٤ ق.هـ . بسبع سنين - فبلغ الخبر مكة . ففرح المشركون وشمتموا بالمسلمين ، وقالوا : أنتم والنصارى أهل كتاب . ونحن وفارس وثنيون . وقد ظهر إخواننا على إخوانكم . ولنظفروا عليكم . فنزلت الآية ، فتليت على المشركين . فأحال وقوع ذلك بعضهم . وتراهن مع أبى بكر رضى الله عنه على مائة بغير ، إن وقع مصداقها . فلم يمض من البضع سبع سنين إلا وانتصر الروم على الفرس عام ٦٢١ . أى قبل الهجرة بسنة . وبذلك صدق الله وعده وفرح المؤمنون بنصره .

الالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾^(١) : المنام والنوم واحد ، والمنامة : ثوب يُنام

فيه .

﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ : أهون هاهنا بمعنى هين^(٢) وهو اسم فاعل لا من صيغ

التفضيل .

﴿ فَطَرَتَ اللَّهُ ﴾ : الفطرة الخلقة ، وقد فطره يفطره بالضم فطراً ، والفطر أيضاً

الشق والفطر : الابتداء والاختراع ، والفطر : حلب الناقة بالسبابة والإبهام .

﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ : الإنابة : الرجوع .

﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ : الاضعاف من الحسنات ، ونظير المضعف :

القوى .

﴿ فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ : التمهيد : التوطئة بمعنى يوطئون . والله تعالى أعلم .

(١) قال القرطبي : فى هذه الآية تقديم وتأخير ، والمعنى : ومن آياته مناكم بالليل وابتغواكم من فضله بالنهار ؛ فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل وعطفه عليه ، والواو تقوم مقام حرف الجر إذا اتصلت بالمعطوف عليه فى الاسم الظاهر خاصة ؛ فجعل النوم بالليل دليلاً على الموت ، والتصرف بالنهار دليلاً على البعث ١٠ هـ .

(٢) أى الإعادة هين عليه . قاله الربيع بن خثيم والحسن . لأنه ليس شئ أهون على الله من شئ ١٠ هـ . والعرب تحمل أفعال على فاعل كقول الفرزدق " بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول " أراد دعائمه عزيزة طويلة .

سورة لقمان

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾^(١) : اللهو : كل باطل ألهى عن الخير نحو السمر بالأساطير والتحدث بالخرافات والغناء ، وتعلم الموسيقى . نزلت فى النضر بن الحارث ؛ وكان يتجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشاً ويقول لهم إن كان محمد يحدثكم عن عاد وثمود ، فأنا أحدثكم بحديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة ، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن .

﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾^(٢) : الوقْر بالفتح الثقل وبالكسر الحمل وأكثر ما تستعمل فى البغل والحمار والوسق فى حمل البعير .

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَنَهَا﴾^(٣) : يجوز أن تكون الجملة وهى ترونها مستأنفة فلا محل لها من الاعراب ويكون استشهاداً برؤيتهم لها غير معمودة ، ويحتمل أن تكون صفة للعمد ويكون التقدير بغير عمد مرئية والمعنى أنه عمدها بعمدٍ لا ترى . وهى امساکها بقدرته .

(١) أخرج ابن أبى شيبه وابن أبى الدنيا وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقى فى شعب الايمان عن أبى الصهباء قال سألت عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى : (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) قال : هو والله الغناء . وسئل ابن عباس عن لهو الحديث فقال هو الغناء وأشباهه وروى عن الحسن قوله "كل ما شغلك عن عبادة الله تعالى وذكره من السمر والأصاحيك والخرافات والغناء ونحوها" .

(٢) أصل الوقر الحمل الثقيل استعير للصمم ثم غلب حتى صار حقيقة فيه والمعنى كأن فى أذنيه صمما مانعا من السماع .

(٣) إذا كانت جملة -ترونها- استثنائية فإن الضمير المنصوب للسماوات والرؤية بصرية لا علمية . وهى على ذلك مسوقة لاثبات كونها بلا عمد لأنها لو كانت لها عمد رؤيت .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ : اختلف فيه ، ف قيل (١) نبىٌ ، وقيل حكيم وقيل هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب عليه السلام أو ابن خالته ، وقيل من أولاد أزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام ، وقيل كان راعيا أسود يحتطب لمولاه ، وقيل كان يُفتى قبل ظهور داوود فلما ظهر امتنع من الفتوى .

﴿ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ﴾ : الضمير راجع (٢) إلى الإشارة . والإحسان من الولد إلى الوالد قرئ برفعها ونصبها وأنث المِثْقَال لإضافته إلى الحبة كما قالوا . كما شرقت صدر القناة من الدم .

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ : التصعير (٣) : التميل للخدِّ والصَّعَرُ والصَّيْدُ داءٌ يُلَوِّى مِنْهُ الْعُنُقُ ، ثم استعير لمن يفعل ذلك تكبرا .

(١) قاله عكرمة ، والشعبي وفى نسبته إليها شك . ورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه كان راعيا - أما قوله يحتطب لمولاه زاد الألوسى كل يوم حزمة . وأكثر أهل العلم على أنه كان فى زمن داود عليه السلام ولم يكن نبياً وكان حبشيا روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وأخرج ذلك ابن مردويه عن أبى هريرة مرفوعاً .

(٢) "إنها" أى الخصلة من الإساءة والإحسان لفهما من السياق . وقرأ نافع وأبو جعفر مِثْقَالُ بالرفع على أن الضمير للقصة ، تكُ : مضارع كان التامة والتأنيث لإضافة الفاعل إلى المؤنث كما فى قول الأعشى

وتشرق بالقول الذى قد أذعته
كما شرقت صدر القناة من الدم .

الشَّرَقُ : الشَّجَا - وقد شرق بريقه : أى غصَّ ، وذاع الخبر يذيع ذبوعاً : انتشر وأذاعه غيره .

(٣) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ : أى لَا تَمْلُءْ عَنْهُمْ وَلَا تُؤَلِّهْمْ صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون قاله ابن عباس قال الألوسى : والصَّعَرُ بمعنى الصَّيْدُ : وهو داء يعتري البعير فيلوى منه عنقه ويستعار للتكبر كالصَّعَر . قلت : وليس الأمر على ما قال فإن المتكبر فعلا يلوى عنقه ويميل بخده .

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾^(١) : المرح : شدة الفرح والنشاط . وقد مَرِحَ بالكسر فهو مَرِحٌ ومَرِيحٌ بالتشديد .

كل مختال فخور : المختال : الذى به الخِيَلَاءُ^(٢) وهو العُجْبُ والكبرياء .

﴿ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ : تقدم فى البقرة .

﴿ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٌ ﴾ : الخَتَرُ : العَدْرُ يُقال ختره فهو خَتَّارٌ .

(١) مرحا : بطراً وفرحاً . ومرحاً : مصدر وقع موقع الحال للمبالغة . وجملة إن الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهى .

(٢) مأخوذ من الخِيَلَاءِ الذى هو التخر فى المشى كِبَرًا ، وسميت الخيل خِيَلًا لتخرها فى مشيتها أو لأن راکبها يجد فى نفسه نخوة . والفخور من الفخر وهو المباهاة فى الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه .

سورة السجدة

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ : التدبير فى الأمر^(١) : أن يُنظر فيما يؤلُّ إليه عاقبته .

﴿ثُمَّ يَعْرِجُ إِلَيْهِ﴾^(٢) : عَرَجَ فى الدرجة يَعْرِجُ بالضم عَرُوجاً أى ارتقى ، وعرج أيضاً إذا أصابه شئ فى رِجله فجمع ومشى مشية العرجان وليس بخلقة ؛ فإن كان خَلقه قلت عَرَجَ بالكسر يعرج عَرَجاً ، والعرجان مشية الأعرج .

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾^(٣) : التجافى الارتفاع . والمضاجع جمع مَضْجَع وهو ما يُنام عليه كالفرش وغيرها من مواضع النوم .

﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ﴾ : تقدم ذكره فى الكهف .

(١) قال ابن عباس : يُنزل القضاء والقدر - وقد قيل : إن العرش موضع التدبير ؛ كما أن مادون العرش موضع التفصيل ، وما دون السموات موضع التصريف .

(٢) قال يحيى بن سلام : هو جبريل يصعد إلى السماء بعد نزوله بالوحى . وقيل : إنه الملك الذى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض . وقيل : إنها أخبار أهل الأرض تصعد إليه مع حملتها من الملائكة وقيل : أى يرجع ذلك الأمر والتدبير إليه بعد انقضاء الدنيا " فى يوم كان مقداره ألف سنة " وهو يوم القيامة . وعلى الأقوال المتقدمة فالكناية فى " يعرج " كناية عن الملك ولم يجر له ذكر لأنه مفهوم من المعنى ، وقد جاء صريحاً فى قوله تعالى ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ والضمير فى " إِلَيْهِ " يعود على السماء على لغة مَنْ يُذَكَّرُها ، أو على مكان الملك الذى يرجع إليه . أو على اسم الله تعالى ، والمراد إلى الموضع الذى أقره فيه .

(٣) وفيما تتجافى جنوبهم عن المضاجع لأجله قولان : أحدهما : لذكر الله تعالى ، إمّا فى صلاة وإما فى غير صلاة ، قاله ابن عباس والضحاك . الثانى : للصلاة والمقصود بها التنفل بالليل .

سورة الأحزاب

﴿ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ﴾ : زاغ البصر^(١) أى مَالَ وكل " وزاغ عن الطريق " مال وزاغت الشمس : مالت .

﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾^(٢) : جمع حنجرة وفيه لغة حُنْجُور وهو الحلقوم .

﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ ﴾ : اسم المدينة ، وقيل أرض وقعت المدينة فيها ؛ وأما يثرب فاسم مكان كان للعمالقة .

﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾^(٣) : أى ذات خلل . يقال عَوْرَ المكان عوراً إذا بدا فيه خلل يُخَاف منه .

﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ : هَلُمَّ اسم فعل بمعنى تعال . الخليل . أصله لَمْ من قولهم لَمْ الله شعثه أى جمعه كأنه أراد لَمْ نفسك إلينا والهاء للتنبيه وإنما حذفت ألفها لكثرة الاستعمال وجُعلا اسما واحداً يستوى فيه الواحد والجمع والتأنيث فى لغة أهل الحجاز لقوله تعالى " والقائلين لإخوانهم هلم إلينا " وأهل نجد يصرفونها فيقولون هلم وهلما وهلموا وهلممّن وهلمّى ، والأول أفصح . وقد تدخل عليه^(٤) النون الثقيلة فتقول

(١) زاغت الأبصار : مالت عن سَنَنِها وانحرفت عن مستوى نظرها حَيْرَةً ودهشةً .

(٢) وبلغت القلوب الحناجر : أى خافت خوفاً شديداً وفزعت فزعاً عظيماً .

(٣) قال القرطبي عَوْرَةٌ أى سَائِبَةٌ ضَائِعَةٌ ليست بحصينة وهى مما يلى العدو . وقيل مُمَكِّنَةٌ للسَّرَاقِ لخلوها من الرجال . يقال : دارٌ مُعَوْرَةٌ وذات عَوْرَةٍ إذا كان يسهل دخولها ، وكل مكان ليس بمنوع ولا مستور فهو عَوْرَةٌ . وعن الجوهري : العَوْرَةُ : كل خلل يُتَخَوَّفُ منه فى ثغر أو حرب .

(٤) هلم : اسم فعل فلا تدخل عليها النون الخفيفة ولا الثقيلة . وأما فى لغة بنى تميم فتدخلها الخفيفة والثقيلة لأنهم قد أجزَوْها مُجَرِّى الفعل .

هَلُمَّنَّ ، وللمرأة هَلُمِّنْ بكسر الميم ، وهلمَّان للمؤنث والمذكر جميعا وهَلُمْنِ يا رجال بضم الميم وهَلُمُّمَنَّا يا نسوة .

﴿ سَلِقُوكُمْ بِالسَّنةِ حَدَادٌ ﴾^(١) : أى بالغوا فى أذاكم ، ومنه خطيب مِسْلَقٌ وسَلَقَتْ البقل والبعض إذا أنضجتهما .

﴿ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ : فيها لغتان أُسْوَةٌ^(٢) ، إسوة مثل قُدْوَةٌ وقِدْوَةٌ . وهو ما يتأسى به أى يقتدى به يقال " لاتأتس بمن ليس لك بإسوة " وتأسى به " تعزى .

﴿ قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾ : النحب : النذر ، والنحب : الوقت ، والنحب : الموت ، وقضى نجه أى مات .

﴿ وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ : كفى على قسمين تارة بمعنى حَسَبَ^(٣) فتدخل الباء زائدة على فاعلها ومفعولها كقوله تعالى " وكفى بالله شهيدا " وكقول الشاعر

وكفى بنا فضلا على من غيرنا حبُّ النبی محمد إيانا

(١) سلق وصلق أى صاح . وَمِنْ السَّلَقِ رفع الصوت قولهم خطيبٌ مِسْلَقٌ وسلقه بلسانه يَسْلُقُه سَلْقًا : أسمعه ما يكره فأكثر . وسلقه بالكلام سلقًا إذا آذاه ، وهو شدة القول باللسان ، وفى التنزيل ﴿ سَلِقُوكُمْ بِالسَّنةِ حَدَادٌ ﴾ أى بالغوا فيكم بالكلام وخاصموكم فى الغنيمة أشد المخاصمة وأبلغها . أشحة على الخير ؛ أى خاطبوكم أشد مخاطبة وهم أشحة على المال والغنيمة .

(٢) قرأ عاصم أُسْوَةٌ والباقون إِسْوَةٌ وهما لغتان والجمع أُسَىَّ وإِسَىَّ .

(٣) قال فى اللسان ويقال : كفاك هذا الأمر أى حَسْبُكَ . وقال الزجاج فى قوله تعالى ﴿ وكفى بالله وليا ﴾ وما أشبهه فى القرآن : معنى الباء للتوكيد ، المعنى كفى الله وليا إلا أن الباء دخلت فى اسم الفاعل لأن معنى الكلام الأمر . المعنى اكتفوا بالله وليا .

وأما قول الأنصارى فكفى بنا فضلا . . . البيت . فلإنما أراد فكفانا ، فأدخل الباء على المفعول وهذا شاذ إذ الباء فى مثل هذا إنما تدخل على الفاعل كقولك كفى بالله . وأما قوله تعالى ﴿ وكفى بنا حاسين ﴾ إنما هو كفى الله وكفانا كقول سحيم الشيب والإسلام للمرء ناهيا .

والقسم الثانى بمعنى وقى كالأية .

﴿ مِنْ صِيَاصِيهِمْ ﴾ : من حصونهم ، والصياصى : قرون البقر ، والصَّيْصَة أيضا شوكة الديك ، والشوكة التى يصلح بها الحائك السِّدَاة واللُّحْمَة .

﴿ وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ : هى القديمة ، ويقال لها الجاهلية الجاهلاء ؛ وهو الزمن الذى وُلِد فيه ابراهيم عليه السلام . كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ وتمشى وسط الطريق لتعرض نفسها ، وقيل ما بين آدم ونوح . وقيل بين ادريس ونوح ، وقيل زمن داوود وسليمان والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم . ويجوز أن الجاهلية جاهلية الكفر قبل الإسلام ، والأخرى جاهلية الفسوق فى الاسلام . وكأن المعنى "لَا تُحْدِثَنَّ بالتبرج جاهلية فى الاسلام شبه جاهلية الكفر" ويعضده ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبى الدرداء "إن فىك جاهلية" فقال جاهلية كفر أو جاهلية إسلام فقال بل جاهلية كفر .

﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ : قرئ خَاتَمَ بفتح التاء وكسرهما ؛ فمن فتح أراد الطَّابِعَ بفتح الباء ومن كسر أراد الطابع بكسرهما وهو الفاعل .

﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ ﴾ : قرئ بهمز وبغير همز أى تُؤَخِّر .

﴿ وَتُؤْوِي ﴾ : أى تَضُمُّ والمعنى تُمسك مَنْ تَشَاءُ وتُطْلِق مَنْ تَشَاءُ .

﴿ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجَ ﴾ : أمره الله تعالى بالاقتصار عليهن وهن اللواتى مات عنهن عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية ، وصفية بنت حُيٍّ ، وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية .

﴿ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنْهَاء ﴾ : تقول أنى الشئ يَأْنِي أَنَّى أى حان وأدرك . وفى الحاشية

وأناه يؤنيه أنياً : حبسه وآخره . ويقال أنى الحميم : انتهى حره ومنه حميم آن والاسم منه الأناء على فعال بالفتح ، وقيل وقته ، وقيل هؤلاء قوم كانوا يتحيفون طعام النبی صلى الله عليه وسلم عند نضجه .

﴿ أَدْنَى أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ ﴾ : أى أجدر وأولى .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ : الأمانة : الطاعة والانقياد لأوامر الله تعالى ونواهيه .

سورة سبأ

﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ ﴾ : أى يَبْعُدُ من قولهم روض عزيز أى بعيد من الناس

﴿ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ : مقداره زنة نَمْلَةٍ .

﴿ سَابِغَاتٍ ﴾ : السابغات : الدروع واحدها سابغة .

﴿ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴾ : السرد : نَسَجُ الدروع . والتقدير أن تكون المسامير نسبة

الدرع لا غلاظاً بصنعها ولا دقاقاً .

﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ : القطر : النحاس المذاب

المحاريب : المجالس المصونة ، وتُطلق المحاريب على غابات الأسد . وقيل

الغرفة العالية فى البيت واحدها محراب لأنه يُحارب عنها ، وسمى محراب المسجد محراباً لأن الإمام يُحارب السلطان فيه .

﴿ وَتَمَائِيلٍ ﴾ : يعنى صور الملائكة والنبين والصالحين كانت تُعَمَلُ فى المساجد

من نحاس وزجاج ورخام ليراها الناس .

﴿ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ ﴾ : الجوابى الحياض الكبار . قال الشاعر^(١)

تروح على آل المَحْلَقِ جفنةٌ كجايةِ الشيخِ العراقى تَفْهَقُ

واشتقاق المادة من جبا الماء فى الحوض إذا اجتمع . قيل كان يقعد على الجفنة ألف

رجل ، وقرئ^(٢) بحذف الياء اكتفاء بالكسرة .

(١) البيت للأعشى من قصيدته القافية المشهورة التى مدح بها المعلق . ومعنى تفهق من فهق الاناء كَفَرِحَ : امتلأ ومنه الحديث "إنه قام إلى باب الجنة فانفهمت له" يريد انفتحت واتسعت . ومنه المتفهيق : الكثير من الكلام .

(٢) قرأ بإثبات الياء وصلأ ورش وأبو عمرو وقرأ بإثباتها فى الحالين ابن كثير ويعقوب - وقرأ =

﴿رَاسِيَات﴾ : لا تنزل عن الأثافي^(١) .

﴿دَابَّةُ الْأَرْض﴾ : الْأَرْضَةُ^(٢) ، وهى التى يُقال لها السَّرْفَةُ .

﴿مِنْسَاتَهُ﴾ : أى عصاه لأنه يُنسأ بها أى يُطرد بها .

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ : اُخْتَلَفَ فى العرم فقيل الوادى ، وقيل العرم

جمع عَرِمَةٍ وهى الحجارة المركومة والمراد الْمُسْنَاءُ^(٣) التى عقدوها سَكْرًا^(٤) ، وقيل

العرم^(٥) : المطر الشديد . وقيل العرم الجرذ الذى نقب السد وقرئ العَرَمُ بسكون الراء^(٦) .

والخِمْطَ وَ الْأَثَلُ^(٧) : نبتان تأكلهما البهائم ، والسدر : العسل وقيل الخِمْط :

شجر الأراك ، وقيل كل شجر ذى شوك .

﴿الْقَرْىَ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ : هى قرى الشام .

= الباقون بحذفها فى الحالين وهم قالون وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وخلف وأبو جعفر .

(١) راسيات أى ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لِعِظَمِهَا - مأخوذ من رسا الشيء يرسو : ثبت .

(٢) الأرضة : دويبة . وَالْأَرْضُ فَعْلُهَا فَأَضِيفَتْ إِلَيْهِ .

(٣) المسناة : هى التى يسميها أهل مصر الجسر . وقال الهروى : الضفيرة تُبْنَى للسيل ترده سميت مسناة لأن فيها مفاتيح الماء .

(٤) السكر : كل شئى حاجز بين شيئين .

(٥) قال ابن جبير العرم : المسناة بلغة الحبشة - وورد عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل : هو اسم الوادى الذى كان يأتى السيل منه ويُنَى السد فيه .

(٦) هى قراءة عروة بن الورد .

(٧) الْأَكْلُ : الثَّمَرُ والخِمْط : الحامض أو المر ، وعن ابن عباس الخِمْط : الأراك وقال أبو عبيدة : كل شجرة مرة ذات شوك .

﴿ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ : مَزَقْتُ (١) الشيءَ أَمَزَقُهُ مَزَقًا خَرَقْتَهُ ، وَمَزَقْتُهُ تَمْزِيقًا

إذا قطعته ومزقته ، والممزق كالتمزيق .

﴿ وَأَنِّي لَهُمُ التَّائِشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ : أَنَّى بمعنى كيف ، والتناوش : التناول .

قال ابن السكيت يقال للرجل إذا تناول رجلاً ليأخذ برأسه نَاشَهُ يَنُوشُهُ نَوْشًا ومنه المناوشة فى القتال ، ورجل نَوْشٌ أى ذو بطشٍ ، والانتياش مثل التناوش . ومعنى الآية أى انى لهم تناول الايمان فى الآخرة وقد كفروا به فى الدنيا . ولك أن تهمز الواو وقرئ بهما (٢) ، وقيل التناوش تناول لسهولة الشيء قريب .

والأثل : ضربٌ من الطرفاء - والسدر : هو شجر النبق .

(١) وفى المصباح . مَزَقْتُ الثوبَ مَزَقًا من باب ضرب شققته وَمَزَقْتُهُ فتمَزَقَ ، ومَزَقَهُمُ الله كل ممزق فرقهم فى كل وجه من البلاد ، ومَزَقَ مُلْكُهُ : أذهب أثره .

(٢) قرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائى وخلف التناوش . وبالقون بلا همز . والضمير فى آمنا به . قال مجاهد بالله عز وجل ، وقال الحسن بالبعث ، وقال قتادة بالرسول صلى الله عليه وسلم . وقال ابن عباس والضحاك . التناوش : الرجعة أى يطلبون الرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا ، وهيهات من ذلك . وقال السدى : هى التوبة ؛ أى طلبوها وقد بعدت .

سورة الملائكة "فاطر"

- ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾^(١) : الفرات الماء العذب الذى يكسر العطش ، يقال ماء فرات ومياه فرات ؛ فالفرات اسم نهر الكوفة ، والفراتان الفرات ودجيل .
- ﴿ سَائِغٌ شَرَابُهُ ﴾ : السائغ سهل الانحدار لعذوبته .
- ﴿ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ : الأجاج الذى يَحْرِقُ بملوحته .
- ﴿ حَلِيَّةٌ تَلْبَسُونَهَا ﴾ : يريد به اللؤلؤ .
- ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ : لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة الملتفة عليها .
- ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ ﴾ : واحداها جُدَّة وهى الطريقة .

(١) قال ابن عباس : فرات : حلو ، أُجَاج : مرٌّ .

الغريب

- فاطر : مُبدع ومخترع .
- مايفتح الله : ما يرسل الله .
- من رحمة : قال ابن عباس توبة ، وقال الضحاك : الدعاء .
- فأنى توفكون : فكيف تُصرفون عن توحيده .
- فلا تغرنكم : فلا تخدعنكم ولا تلهينكم بالملذات والزخارف .
- فلا تذهب نفسك : فلا تهلك نفسك عليهم غموماً وأحزاناً لكفرهم .
- فتثير سحابا : تُحرِّكه وتهيجه .
- يريد العزة : الشرف والمنعة .
- يبور : يفسد ويطل .
- أزواجا : ذكوراً وإناثاً .

﴿بَيْضٌ وَحُمْرٌ﴾: أى ألوانها مختلفة تُخالف لون الجبل ومنه قولهم "كساء مُجَدَّد" إذا كانت ألوانه مختلفة ، ويقال للحمار الذى فى ظهره خط مُخالف لِلْوَنه جُدَّة.

﴿وَعَرَايِبُ سُودٌ﴾^(١): التقدير سود غرايب ، وأُضمر المؤكد لدلالة الثانى عليه وهى سود المتأخرة لأنَّ القاعدة فى كلامهم من حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولهم أصفر فاقع ، وأبيض يَقَقُّ وأسودُّ حالك وأحمرُّ قانى ، ونظيره قول الشاعر والمؤمن العائدات الطير والتقدير والمؤمن الطير العائدات . ويفعل ذلك لزيادة التأكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقى الاظهار والإضمار جميعا .

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: اللغوب^(٢): التعب . لَغَبٌ يَلْغُبُ بِالضَمِّ لُغُوبًا، وَلَغَبٌ بِالْكَسْرِ يَلْغَبُ لُغْبَةً -ورجل لَغَبٌ بالتسكين ضعيف بين اللغابة.

(١) الغريب : شديد السواد . وفى الحديث "إن الله ييغض الشيخ الغريب ، يعنى الذى يخضب بالسواد"

(٢) قال القرطبى : النَّصَبُ : التعب . واللغوب : الإعياء .

سورة يس

﴿ فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾^(١) : الأذقان جمع ذَقْنٍ وهو مجتمع اللحين . والاقمّاح : رفع الرأس وغض البصر يقال أقمّحه الغلُّ إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه .

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ : اضرب هاهنا بمعنى بين وصف .

﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ : أى قَوَّيْنَا ، يقال المطر يُعَزِّزُ الأرض^(٢) إذا لَبَّدَهَا وشدها وتَعَزَّزَ لحمُ الناقة^(٣) ، وقرئ^(٤) بالتخفيف من عَزَّ يَعُزُّهُ إذا غلبه أى فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون .

﴿ إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ ﴾^(٥) : أى تشاءمنا بكم ، وعادة الجهال أن يَتَيَمَّنُوا بما يميلون إليه ويتشاءموا بما تنفر طباعهم عنه وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفروا عنه .

(١) قال البيضاوى : إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغنى عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غُلَّتْ أعناقهم فهى إلى الأذقان فالأغلال واصله إلى أذقانهم فلا تخليهم يطأطئون فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم فى أنهم لا يلتفتون إلى الحق لا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم إليه ١ . هـ قال أهل البيان هو على سبيل الاستعارة التمثيلية . قلت : الكلام على حقيقته وهو إشارة إلى ما يفعل بهم فى النار . إذ لا مجاز فى القرآن .

(٢) قال فى اللسان : وعَزَّزَ المطرُ الأرضَ لَبَّدَهَا . ويُقال للوابل إذا ضرب الأرض السهلة فشَدَّدَهَا حتى لا تَسُوخَ فيها الرَّجُلُ : قد عَزَّزَهَا ، وعَزَّزَ منها .

(٣) وتَعَزَّزَ لحمُ الناقة : اشْتَدَّ وَصَلَبَ . وتَعَزَّزَ الشئُ : اشتد .

(٤) قرأ شعبه عن عاصم بالتخفيف ، والباقون بالتشديد .

(٥) أصل التطير التفاؤل بالطير فإنهم كانوا يزعمون أن الطائر السانح سبب للخير والبارح سبب للشر ثم استعمل فى كل ما يُتَشَاءَمُ به .

﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾^(١) : وقرئ طَيْرُكُمْ أى سبب شؤمكم معكم .

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ : هو جبيب^(٢) بن اسرائيل النجار ؛ وكان ينحت الأصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل .

﴿ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ : سلختُ جلد الشاة أسلُخ وأسْلَخ سَلَخاً إذا أظهرته عن اللحم وسلخت المرأة إذا نزعت درعها ، استعير لإزالة الضوء وكشفه .

﴿ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾^(٣) : العرجون : أصل العِزْق الذى يعرَجُ ويبقى على أصل النخلة يابساً والغرض من تشبيه الهلال به اصفراره ودقته وانحنائه والغرض تشبيه الهيئة بالهيئة ووزنه فُعْلُول عند الأكثر وعند الفراء فُعْلُون اشتقه من الانعراج^(٤) .
والقديم المُحَوَّل ، وقيل أقل مدة الموصوف بالقدم الحول . فعلى هذا لو قال كل عبدٍ لى قديم فهو حر عتق من مَضَى^(٥) عليه حول .

﴿ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ ﴾^(٦) : الصريخ : صوت المستصرخ ، والصريخ الصارخ

(١) طائرکم معکم أى شؤمکم أى حظکم من الخير والشر معکم ولازم فى أعناقکم وليس هو من شؤمنا . وقال ابن عباس : معناه الأرزاق والأقدار تتبعکم .

(٢) قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وكان نجاراً ولم أعثر على من ادعى أنه كان ينحت الأصنام سوى المعتزلى . وكذلك دعوى الايمان بنبيتنا محمد صلى الله عليه وسلم .

(٣) العرجون فيه قولان أحدهما : أنه العِزْق اليابس إذا استقوس وهو معنى قول ابن عباس الثانى : أنه النخل إذا انحنى مائلاً ، قاله الحسن .

(٤) الانعراج : الاعوجاج والانعطاف .

(٥) قال الألوسى : حكاه بعض الإمامية عن أبى الحسن الرضا .

(٦) قال الماوردى فيه وجهان ، أحدهما : فلا مغيث لهم ، رواه سعيد عن قتادة . الثانى : فلا منعة لهم ، رواه شيبان عن قتادة .

أيضا .

﴿ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾^(١) : يقال خصمت فلاناً فخصمته أخصمهُ بالكسر ولا يقال بالضم وهو شاذ في الاستعمال ، وقرئ يَخْصِمُونَ أراد يختصمون ، والخِصْم بكسر الصاد الشديد الخصومة والخِصْم بالضم .

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ : الصور : القرن قال الكلبي : ما أدري ما الصور ، وقال غيره هو جمع صورة مثل بُسْرَة وبُسْرَى يُنْفَخُ في صور الموتى الأرواح ، والصور لغة فيها .

﴿ مِّنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ : جمع جدث وهو القبر ، وقرئ بالفاء لأن العرب تُبدل الفاء ثاءً والشاء فاءً فقالوا ثوم وفوم .

﴿ يَنْسِلُونَ ﴾ : يعدون أى يخرج بعضهم إثر بعض . من نَسَلَ الثوب ، قرئ بضم السين وكسرها .

﴿ وَامْتَأَزُوا الْيَوْمَ ﴾ : يُقال مازه وأنماز وامتاز أى اعتزلوا^(٢) عن كل خير .

(١) قرأ أبو جعفر يَخْصِمُونَ . وقرأ حمزة يَخْصِمُونَ - وقرأ ورش وابن كثير وهشام يَخْصِمُونَ . يَخْصِمُونَ عن ابن ذكوان ، وعاصم ، والكسائي ، ويعقوب ، وخلف والمعنى والله أعلم - ما ينتظرون إلا صيحة عظيمة وهى النفخة الأولى من إسرائيل التى يموت بها أهل الأرض . وعبر بالانتظار نظراً إلى ظاهر قولهم ﴿ متى هذا الوعد ﴾ أو لأن الصيحة لما كانت لا بد من وقوعها جعلوا كأنهم منتظروها " تأخذهم " تقهرهم وتستولى عليهم فيهلكون وهم يتخاصمون أى يتكلمون فى معاشهم ومتاجرهم . وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه . . . الحديث .

(٢) أخرج عبد بن حميد عن قتادة امتازوا : أى اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك : لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى أى على خلاف ما للمؤمنين من الاجتماع مع مَنْ يحبون .

﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾^(١) : قرئ بضميتين ، وضمة وسكون ، وضميتين وتشديدية ،

وكسرتين ، وكسرة^(٢) وسكون وكسرتين وتشديدية . وهذه لغات فى معنى الخلق

﴿مُضِيًّا﴾^(٣) : قرئ بالحركات الثلاث .

﴿رَكُوبُهُمْ﴾^(٤) : ورُكُوبُهُم كالحُلُوب والحُلُوبَة ، وقيل الرُّكُوبَة جمع . وقرئ

رُكُوبُهُم أى ذو رُكُوبُهُم .

﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٥) : اسم لما بَلَى من العظام غيرُ صفة كالرَّمَّة والرُّفَات .

(١) معنى جبلا : جموعا كثيرة قاله قتادة أو أما كثيرة ، قاله الكلبي أو خَلَقًا كثيرا ، قاله مجاهد ومطرف . وقرأ جُبُلًا : بضميتين : ابن كثير وحزمة والكسائي ، ورويس ، وخلف جِبِلًّا : بكسرتين : نافع وعاصم وأبو جعفر . وجُبُلًا : أبو عمرو ، وابن عامر ، وجُبُلًا : روح

(٢) جِبِلًّا : قراءة شاذة وهى محكية عن حماد بن سلمة .

(٣) مُضِيًّا : أى ذهابا إلى مقاصدهم . وأصل مُضِيًّا مُضَوًى اجتمعت الواو ساكنة مع الياء فقلبت ياء كما هو القاعدة وأدغمت الياء فى الياء وقلبت ضمة الضاد كسرة لتخف وتناسب الياء . وقرأ أبو حيوَة مُضِيًّا على الاتباع كالعَتَى بضم العين ، والعَتَى بكسرهما . وقرئ "مَضِيًّا" بفتح الميم فيكون من المصادر التى جاءت على فعيل كالرسيم والوجيف والصَّيِّ : مصدر صأى الديك أو الفرخ إذا صاح . ومُضِيٌّ مصدر مَضَى بمعنى ذهب .

(٤) فمنها رُكُوبُهُم : الفاء تفرعية . رُكُوبُ فَعُول بمعنى مفعول مثل حُصُور وحُلُوب وهو مما لا يتقاس . وقرأ الحسن والأعمش "رُكُوبُهُم" بضم الراء وهو مصدر كالقعود والدُّخُول فإما أن يُؤوَلَ بالمفعول أو يقدر مضاف فى الكلام إما فى جانب المسند إليه أى "ذو رُكُوبُهُم" أو فى جانب المسند أى "فمن منافعها رُكُوبُهُم" وقرأ أبى وعائشة "رُكُوبَتُهُم" وهى فعولة بمعنى مفعولة مثل حلوبة ، وقيل جمع رُكُوب .

(٥) فى كلمة "رَمِيمٌ" أقوال متعددة فمن قائل إن "رَمِيمٌ" صفة لا اسم جامد فإن كان من رَمَ اللازم بمعنى بَلَى فهو فعيل بمعنى فاعل . وإنما لم يؤنث لأنه غلب استعماله غير جار على موصوف فألحق بالأسماء الجامدة أو حُمِلَ على فعيل بمعنى مفعول وهو يستوى فيه المذكر والمؤنث .

﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ : من أمثالهم "فى كل شجر نار" واستمجد المرخُ
والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يَقْطُرُ منهما الماء
فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتنقذ النار ، وعن العرب "كل شجرة
فيها نار إلا العنَّاب" ولذلك تُتَّخَذُ منه مَدَقَّاتُ القصارين .

سورة الصافات

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝﴾^(١) : الملائكة صافّة أقدامها فى العبادة وأجنحتها فى

الهواء

﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝﴾ : السحاب ، الملائكة ، والتاليات : مثله .

﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝﴾^(٢) : لأن الشمس لها ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك

المغرب ، ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين .

﴿بَزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۝﴾^(٣) : الزينة : اسم يُزَانُ به كالليقة اسم لما يُلاق به .

﴿مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝﴾ : المارد : الخارج عن الطاعة .

(١) الصافات ، الزاجرات ، التاليات : الملائكة فى قول ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة . تُصَفُّ فى السماء كصفوف الخلق فى الدنيا للصلاة وقيل : تصف أجنحتها فى الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله بما يريد . وقيل هى الطير - والزاجرات : الملائكة . وقال السدى لأنها تزجر السحاب وتسوقه . وقال قتادة : هى زواجر القرآن .

فالتاليات ذكرا : الملائكة تقرأ كتاب الله تعالى . قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وابن جبير والسدى - وقال قتادة : المراد كل من تلا ذكر الله تعالى وكتبه .

(٢) قال ابن عباس : للشمس فى كل يوم مشرق ومغرب ؛ وذلك أن الله تعالى خلق للشمس ثلاثمائة وخمسة وستين كوة فى مطلعها ، ومثلها فى مغربها على عدد أيام السنة الشمسية ، تطلع فى كل يوم فى كوة منها ، وتغيب فى كوة ، لا تطلع فى تلك الكوة إلا فى ذلك اليوم من العام المقبل .

(٣) فى الزينة وجهان أحدهما مصدر والثانى اسم وعلى الثانى فالإضافة وجهان : أن تقع الكواكب بيانا للزينة لأن الزينة مبهمة فى الكواكب وغيرها مما يزان به ، وجاء عن ابن عباس بضوء الكواكب ، ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة .

﴿ دُحُورًا ﴾^(١) : الدحور : الطرد . وقرئ بفتح الدال على أنه جاء ^(٢) مجئ القبول والولوع .

﴿ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ : اللازب ^(٣) : اللاصق .

﴿ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ : أى صاغرون .

﴿ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ : الزجرة : الصيحة ومنه زجر الراعى الابل أو الغنم إذا

صاح عليها قال الراجز

"زجرُ أبى عروة السباع إذا أشفق أن يختلطن بالغنم"

أبو عروة هذا هو العباس بن عبد المطلب وكان صبيّاً .

﴿ وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾^(٤) : نظرائهم وأقرانهم .

﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ : الغول^(٥) من غاله يغوله غَوْلاً إذا أهلكه ، ومن الغول التى

كانت فى تكاذيب العرب . ومن أمثالهم "الغضب غول الحلم" .

(١) دُحُورا : مصدر لأن معنى يُقذفون يُدحرون . دَحَرْتُهُ دَحْرًا ودُحُورًا : طردته وقرأ السلمي و
الحضرمي دُحُورًا مصدر على زنة فَعُول . وقال الفراء اسم فاعل أى يقذفون بما يدحروهم ١٠ هـ

(٢) فَعُول بالفتح بمعنى "ما يفعل به كثير مثل طَهُور ، غَسُول لما يُتَطهَر به ويُغسل به . وفَعُول فى
المصادر قليل مثل وَضوء ، طَهُور ، وَلُوع ، وَقُود ، قبول .

(٣) قاله ابن عباس وقال عكرمة لازب : لَزَجٌ . وقال السدى والكلبي إنه الخالص وعن مجاهد
والضحاك إنه المنتن . وعن سعيد بن جبير : جيد حر يلصق باليد .

(٤) قال ابن عباس وأزواجهم أى أشباههم . وعن عمر بن الخطاب أنه قال : أزواجهم أمثالهم
الذين هم مثلهم يحشر أصحاب الربا مع أصحاب الربا وأصحاب الزنا مع أصحاب الزنا
وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر .

(٥) قال الراغب والمراد هنا نفى أن يكون فيها ضرر أصلاً . قال القرطبي أى لا تغتال عقولهم ولا
يصيبهم منها مرض ولا صداع ١٠ هـ

﴿يُنزَفُونَ﴾ : من نَزَفَ الشارب إذا ذهب عَقْلُهُ ، ويقال للمطعون نُزِفَ فمات إذا خرج دَمُهُ كُلُّهُ ، وأنزَفَ القومُ : إذا فرغ شراِبُهُمْ ، ونزَفْتُ القوم : فرَغْتُ شراِبَهُمْ ، ومثله أَقْشَعَ السحاب وقشَعَتِ الرياح . والمعنى " ليس فى خمر الآخرة فساد من أنواع الفساد كالمغص والخمار والصداع والعريضة واللغو والتأثيم وغير ذلك .

﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾^(١) : قَصَرَتْ أَبْصَارُهُنَّ عَلَى أزواجهن لا ينظرن غيرهن .

﴿عَيْنٌ ٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ٤٩﴾ : العَيْنُ^(٢) : ذوات الأعين النُّجُل والبيض المكنون بيض النعام فى الأداحى التى تبيض فيها ، ولونها بياض بصفرة وهو أحسن الألوان .

أذلك خير نزلا : النزول : الرزق المهيأ للنازل بالمكان .

﴿الزُّقُومُ ٦٢﴾ : شجر مُنْتَنٍ مَرٌّ يَقَالُ^(٣) لِحِمْلِهِ .

﴿رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ ينبت بتهامه ، وقيل الزقوم : طعام الجاهلية فيه تمر وزبد والزَّقْم : أكله . قال ابن عباس لما أنزل الله تعالى ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ﴾ قال أبو جهل " الزُّبْدُ بالتمر " فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فى أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ .

(١) قاله ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب . وقال عكرمة : أى محبوسات على أزواجهن .

(٢) العين : عظام العيون الواحدة عَيْنَاء .

(٣) حِمْلُهَا : طَلْعُهَا . ومعنى طلعتها ثمرها ؛ سَمَى طَلْعاً لطلوعه .

الغريب

تأتوننا عن اليمين : أى تأتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها . وقيل : تأتوننا من قِبَل الدين فتهونون علينا أمر الشريعة وتنفروننا عنها . واستحسن القرطبى هذا القول جداً وعلل ذلك بقوله : لأن من جهة الدين يكون الخير والشر ، واليمين بمعنى الدين ؛ أى كنتم تزينون لنا الضلالة وقيل اليمين بمعنى القوة ؛ أى تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر ؛ قال الله تعالى " فراغ عليهم ضرباً باليمين " أى بالقوة وقوة الرجل فى يمينه . ١٠ هـ

﴿عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾^(١) : قرئ بالضم والفتح وهو اسم ما تُشَاب به أى تُخَلَطُ.

والحميم : الحار .

﴿يُهْرَعُونَ﴾^(٢) : هَرَعَ الرجل يهرع إذا أسرع ، والمهروع : المجنون الذى

يُصرع ، وأهرع الرجل إذا كان يَرْعَد من غضبٍ أو حُمَى أو فزع أو غير ذلك .

﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ﴾^(٣) : راغ الثعلب يروغ رَوَغًا ، والاسم الرواغ إذا ذهب فى

خَفِيَّةٍ

﴿فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ : الجحيم : النار الشديدة الوقود ، وقيل كل نار على

نار وجمر على جمر .

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهَ لِلْجَبِينِ﴾^(٤) : فلما أسلما : أخلصا من التسليم ،

وتلَّه : صرعه على شقه فوق أحد جنبيه على الأرض .

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾^(٥) : اسم صنم كان لهم قيل كان من ذهب طوله عشرون

ذراعاً وله أربعة أوجه فتنوا به حتى أخدموه أربع مائة سادن وجعلوهم أنبياء لأن

الشیطان كان يدخل فى جوفه ويتكلم بكلامه ، والسدنة يحفظونه فيجعلونه شريعة

(١) لشراباً ممزوجاً بماء شديد الحرارة . أما قراءة لشوباً فلم تُنسَب لأحد . وهو اسم لما يُشَاب به ، والأول مصدر سُمِيَ به .

(٢) يُهْرَعُونَ أى يُسْرَعُونَ قاله قتادة . وقال مجاهد : كهيئة الهرولة . قال الفراء : الإسراع برعدة .

(٣) قال قتادة : مال إليهم .

(٤) أسلما : انقادا لأمر الله . وقرأ ابن مسعود وابن عباس وعلى " فلما سلماً " أى فوضا أمرهما إلى الله . وقال ابن عباس : استسلما . وتلَّه للجبين : قال قتادة : كَبَّ وَحوَّل وجهه إلى القبلة

(٥) قال سيبويه معنى أَدْعُونَ : أَسْمُون . والبعل بلغة اليمن : الرب وهو مروي عن ابن عباس . والقولان صحيحان . والله أعلم .

ويعلمونها الناس وبه سميت بَعْلُ بَكَّ ، والبَكُّ : الملك ، وقيل البعل : الرب بلغة اليمن يقال مَنْ بَعْلُ هذه الدار أى مَنْ رَبُّهَا .

﴿ أَبَقَ ﴾^(١) : سُمِّيَ هَرَبُهُ مِنْ قَوْمِهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ إِبَاقًا عَلَى طَرِيقَةِ الْمَجَازِ ، وَالْمُسَاهَمَةِ الْمَقَارَعَةِ ، وَالْمُدْحَضِ : الْمَغْلُوبِ .

﴿ وَهُوَ مَلِيمٌ ﴾^(٢) : دَاخِلٌ فِي الْمَلَامَةِ يُقَالُ رُبَّ لَائِمٍ مُلِيمٍ ، وَقُرِئَ مَلِيمٌ^(٣) بَفَتْحِ الْمِيمِ كَمَا جَاءَ مَشِيبٌ فِي مَشُوبٍ .

﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ ﴾ : النَّبَذُ : الْإِلْقَاءُ ، وَالْعَرَاءُ : الْمَكَانُ الْخَالِي مِنَ الشَّجَرِ ؛ كَأَنِ اسْتَقَاقَهُ مِنَ الْعُرَى .

﴿ شَجَرَةً مِّنْ يَّقْطِينِ ﴾ : الْيَقْطِينُ : مَا لَاسَقَ لَهُ مِنَ النَّبَاتِ كَالْبَطِيخِ وَالْقِثَاءِ وَالْمَرَادُ بِهِ هَاهُنَا الدَّبَاءُ . قُلْتُ وَأَهْلُ اللُّغَةِ يَقُولُونَ الشَّجَرُ مَا لَهُ سَاقٌ وَالنَّجْمُ مَا لَاسَقَ لَهُ ، وَالْقُرْآنُ نَطَقَ بِالشَّجَرِ وَهُوَ عَمَّا لَاسَقَ لَهُ ، وَقِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكَ تَحِبُّ الْقَرْعَ قَالَ هِيَ شَجَرَةٌ أَخَى يُونُسَ وَقِيلَ هِيَ التِّينُ ، وَقِيلَ شَجَرَةُ الْمَوْزِ تَغْطِيْ بَوْرَقَهَا وَأَكَلَ مِنْ ثَمَارِهَا .

(١) قال المبرد : أَصْلُ أَبَقَ تَبَاعَدَ وَمِنْهُ غَلَامٌ أَبَقَ . وَإِنَّمَا قِيلَ لِيُونُسَ أَبَقَ ؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ بِغَيْرِ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مُسْتَتِرًا مِنَ النَّاسِ . وَعَلَيْهِ فَلَا مَجَازَ فِي الْكَلَامِ .

(٢) قال ابن عباس ومجاهد مليم أى مُسِيئٌ .

(٣) لم ينسبها في البحر لأحد - ومَلِيمٌ بَفَتْحِ الْمِيمِ اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنْ لَامٍ .

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ﴾ : أراد^(١) الملائكة مأخوذ من الاجتئان فمن خُبْتُ من الجنة كان شيطاناً ومن طهرُ كان ملكا .

﴿ بِفَاتِنِينَ ﴾ : أى مفسدين^(٢) .

﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾^(٣) : صَلَّى النار يصلها تصليَةً إذا غَشَتْهُ ومنه صليت بالنار إذا لينتها .

﴿ بِسَاحَتِهِمْ ﴾ : ساحة الدار فناؤها .

(١) هذا مروى عن مجاهد ، وعكرمة وأبى صالح وحكاه فى مجمع البيان عن قتادة . وروى عن الحسن أنه قال : أشركوا الشيطان فى عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه . وعلى هذا فالمقصود بالنسب المناسبة والمعنى جعلوا بينه سبحانه وبينهم مناسبة حيث أشركوهم به تعالى فى استحقاق العبادة .

(٢) فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين . ما بمعنى الذى . وقيل بمعنى المصدر أى فإنكم وعبادتكم لهذه الأصنام . وقيل : أى فإنكم مع ما تعبدون من دون الله . ما أنتم (عليه) أى على الله فالضمير فى عليه لله عز وجل - ومعنى فاتنين مضلين . قال النحاس : أهل التفسير مجمعون فيما علمت على أن المعنى : ما أنتم بمضلين أحداً إلا مَنْ قَدَّرَ الله عزَّ وجل عليه أن يضل .

(٣) صال الجحيم : داخلها . أو مقاسٍ حرَّها .

سورة ص

﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾^(١) : لا هى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رُبٍّ وثُمَّ للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم يدخل إلا على الأحيان ، ولا يقترن بها إلا الاسم أو الخبر ، وامتنع بروزهما جميعا معها . هذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش إنها التى لِنَفْيِ الجنس زيدت عليها التاء وخُصت بنفى الأحيان وحين منصوب بها والمناص : المنجى .

﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾^(٢) : ملة عيسى عليه السلام لأنّ النصارى يدعونها وهى مثلثة غير مُوحَّدة أو فى ملة قريش التى أدركنا عليها آباءنا .

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ : افتعال وكذب .

﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ﴾^(٣) : الجُند : الأعوان والأنصار ، وفلان جُنْدُ الجنود . وفى الحديث "الأرواح جنود مُجَنَّدَةٌ" والشام خمسة أجناد دمشق وحمص وقيسرون وأردن وفلسطين كل واحد منهما جُنْدٌ باسكان النون وضم الجيم - وما . مزيد فيها معنى الاستعظام كما فى قول امرئ القيس "وحديث على ما قصره" إلا انه على

(١) قال زيد بن أسلم مناص : ملجأ . وعن ابن عباس قولان : مَغَاث ، زوال . وعن عكرمة والضحاك وقتادة بمعنى فرار . قال الفراء مناص مصدر من ناص يَنُوصُ بمعنى تأخر . وقال جار الله ناصه ينوصه إذا فاته ، والمناص : المنجى والفوت والمعانى كلها متقاربة وهى تدور على : الفرار ، والخلاص .

(٢) قال ابن عباس وقتادة والسدى : الملة الآخرة : النصرانية لأنها كانت آخر الملل وقال مجاهد : ملة قريش .

(٣) جند أى هم جند ، فجند خبر مبتدأ محذوف مقدر . وما مزيدة لأمرين إما للتقليل والتحقير نحو أكلت شيئاً ما ، وقيل للتكثير والاستعظام على سبيل الاستهزاء وهو الأرجح نحو لأمر ما يسود من يسود . مهزوم : أى مغموع ذليل قد انقطعت حجتهم .

سبيل الهزء والتهكم .

﴿ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾^(١) : اختلف فيه ؛ فقليل استعارة لثبات ملكه وعِزّه ، وقيل يشبّح المَعْدَب بين الأوتاد . وقيل كان له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه .

﴿ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾^(٢) : الفَوَاق : مقدار ما بين حَلَبَتِي الحالب ورضعتي الراضع وقرئ بالضم .

﴿ عَجَلْنَا قِطْنًا ﴾^(٣) : أى لجائزتنا لأنَّ القِطَّ الصكّ أو الكتاب بالجائزة واشتقاقه من القط وهو القطع لأن الجائزة قطعة من القرطاس .

﴿ ذَا الْأَيْدِ ﴾ : الأيد : القوة يقال فلان ذو أيدٍ^(٤) وذو آدٍ . وأياد كل شئ ما يتقوى به .

﴿ أَوَابٍ ﴾ : رجّاع إلى مرضات الله تعالى .

﴿ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ : أى لا تَبْتَعِدِ عن الحق .

﴿ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ : وسطه .

(١) ليس فى كلام استعارة إذ لا مجاز فى القرآن والصحيح كما قال ابن عباس وقتادة والسدى أنه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب عليها أو لأنه كان يُعَذَّبُ الناس بالأوتاد .

(٢) قال ابن عباس : مالها من فواق : أى تردد . وقال الحسن وقتادة . مالها من رجوع إلى الدنيا . قرأ حمزة والكسائي وخلف وفواق بضم الفاء .

(٣) هذا القول لأبى عبيدة والكسائي والفرّاء . قال ابن عباس : عَجَلْنَا لنا نصيبنا من العذاب الذى وعدتنا استهزاء منهم بذلك وأصل القِطّ : القَطْعُ وقولهم ما رأيته قط أى قَطَعَ الدهرُ بينى وبينه وأطلق على النصيب والكتاب والرزق لقطعه عن غيره إلا أنه فى الكتاب أكثر استعمالاً وأقوى حقيقة .

(٤) ذو أيد وذو آد كما يقال عَيَّبَ وعَاب .

﴿ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ : النعجة^(١) : الأنثى من الضأن ، والمراد به الكناية عن المرأة الجميلة .

﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ : أى غلبنى . من قولهم "مَنْ عَزَّ بَرٌّ" أى مَنْ غلب أخذ السلب وعزنى فى الخطاب : نقول عزّه يَعِزُّهُ عَزًّا بالفتح غلبه ، وعز الشيء يَعِزُّ عِزًّا إذا قلَّ وعز الشيء يعز عزا إذا صار عزيزاً بعد ذلّ .

﴿ الصَّافِنَاتُ ﴾ : التقدير الخيل الصافنات والصفون أن يقف الفرس على ثلاث قوائم ويشنى طرف سُنْبُكِهِ ، ولا يكون إلا فى العِرابِ الخُلُص . ألا ترى قول من قال :
ألف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا

﴿ فطَفِقَ ﴾ : أى جعل

﴿ رُخَاءً ﴾ : الرخاء : الريح اللينة^(٢) .

﴿ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ : الأصفاد الأغلال ، وفرّقوا بين صَفَدَه^(٣) وأصفده . فالأول بمعنى قيده ، والثانى بمعنى أعطاه ؛ والصفَد يكون من حديد أو من قَدِّ

﴿ بِنُصْبٍ ﴾^(٤) : والنُّصْب كالرُّشد والرَّشد وقرئ بِنُصْبٍ بضمّتين : التعب

(١) قال قطرب : النعجة هى المرأة الجميلة . والصحيح تفسير الآية على ظاهرها فالمراد بالنعاج إناث الضأن . قال الحسن : أراد النعاج ١٠ هـ .

(٢) الرُّخاء : الريح اللينة السهلة مع شدة وقوة ، ولذا وصفت فى الآية الأخرى بـ "عاصفة" حيث أصاب : أى حيث أراد .

(٣) قال فى اللسان . الصَّفَدُ والصَّفْدُ : العطاء وقد أَصْفَدَهُ وَيُعَدَّى إلى مفعولين . وَصَفَدَهُ يَصْفِدُهُ صَفْدًا وَصَفُودًا وَصَفْدَةً : أوثقه وشدّه وقيدَهُ فى الحديد وغيره .

(٤) قرأ أبو جعفر بِنُصْبٍ . ويعقوب بِنَصَبٍ . قال أبو عبيدة : النَّصَبُ التعب والإعياء ، والنُّصْبُ الشرّ البلاء ١ هـ .

الضعف^(١) : الحزمة الصغيرة من الحشيش أو الريحان أو غير ذلك .

﴿ الْمُصْطَفَيْنِ ﴾ : المختارين ، والأخيار جمع خيرٍ أو خيرٌ مثل مَيِّت ومَيِّت .

﴿ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ : الغساق : صديد أهل النار . وقيل الحميم يحرق بحرّه

والغساق يحرق ببرده قيل لو قطرت منه قطرة فى المشرق لأنتنت أهل المغرب .

﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ ﴾^(٢) : الفوج : الجمع - مقتحم : اقتحم الشيء إذا دخل

فيه وارتكب الشدة فيه والقحمة : الشدة .

﴿ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ﴾ : دعاء عليهم . تقول لمن يدعوا له مرحباً أى أتيت رُحْباً من

البلاد

﴿ ضِعْفًا ﴾ : الضعف أن يُزاد عليه مثل عذابه .

(١) قال ابن عباس : الضغث : عثكال النخل الجامع لشماريخه . وكان أيوب قد حلف فى مرضه على زوجته أن يضربها مائة جلدة وسبب ذلك أن إبليس لقيها فى صورة طبيب فدعته لمداواة أيوب ، فقال أوأويه على أنه إذا برئ قال أنت شفيتنى لا أريد جزاء سواه قالت نعم ، فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها

(٢) قال ابن عباس : هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع ، قالت الخزنة للقادة : " هذا فوج " يعنى الأتباع والفوج الجماعة " مقتحم معكم " أى داخل النار معكم ؛ فقالت السادة : " لا مرحبا بهم " أى لا اتسعت منازلهم فى النار . والرحب السعة .

سورة الزمر

﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ﴾ : أى يغشى^(١) هذا مكان هذا من تكوير العمامة لأن التكوير اللَّف واللى ، ومنه كور العمامة يقال كارها وكورّها .

﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ : الابل والبقر والضأن والمعز ذكور وإناث ، والزواج اسم لواحد معه آخر فإذا تفرد فهو فرد .

﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ : البطن والرحم والمشيمة^(٢) ، وقيل الصُّلب والرحم^(٣) والبطن .

﴿ فَسَلَكَهُ يَنَابِيعٌ ﴾ : أى أدخل المطر فى الأرض كما تدخل اللؤلؤة فى السِّلْك ، والسلك الخيط الذى يُنظَم فيه الخرز ، فاتخذ له مسالك فى الأرض كالعروق فى الأجساد .

﴿ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾ : أى أخرج به زرعاً ألوانه من حُمْرة وخُضرة وصُفْرة وبياض .

﴿ ثُمَّ يَهِيجُ ﴾ : الهيجان^(٤) : تمام الجفاف .

﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ﴾ : أى قُتَاتًا ودريساً .

﴿ مُتَشَابِهًا مَثَانِي ﴾ : التشابه فى المعانى الدالة على الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق وتناسب ألفاظه فى التخيّر والاصابة ، والمثنائى : جمع مثنى بمعنى

(١) أى ياذهاب أحدهما وتغشية الآخر مكانه . كأنما ألبسه ولفَّ عليه وقيل فى معنى التكوير : زيادته فى هذا من ذاك .

(٢) قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة .

(٣) حكاه ابن عيسى .

(٤) يقال هاج البقل يهيج اصفرّ وطاب .

مُرَدَّدٌ وَمُكْرَرٌ لَمَّا ثَنِي مِنْ قِصَصِهِ وَأَخْبَارِهِ .

﴿ تَقَشَّعِرُ ﴾ : الاقشعرار : تَقَبُّضُ الْجِلْدِ تَقَبُّضًا شَدِيدًا ، رُكْبٌ مِنْ حُرُوفِ الْقَشَعِ

زِيدَتْ عَلَيْهِ الرَّاءُ لِيَكُونَ رِبَاعِيًّا دَالًا عَلَى زَائِدٍ فِي الْمَعْنَى .

﴿ مُتَشَاكِسُونَ ﴾ : التَشَاكُسُ وَالتَّشَاخُنُ : الْإِخْتِلَافُ ، وَرَجُلٌ شَكِسٌ بِالتَّسْكِينِ

صَعِبَ الْخَلْقُ وَقَوْمٌ شَكِسٌ مِثْلُ قَوْمٍ صُدُقٌ - وَحَكِيَ الْفَرَاءُ شَكِسٌ وَهُوَ الْقِيَاسُ .

﴿ اِشْمَازَتْ ﴾ : أَيْ (١) انْقَبَضَتْ . تَقُولُ اِشْمَازَ الرَّجُلُ اِشْمَازًا .

﴿ ثُمَّ إِذَا خَوْلْنَاهُ ﴾ : التَّخْوِيلُ مُخْتَصٌّ بِالتَّفْضِيلِ يُقَالُ خَوَّلَهُ إِذَا أَعْطَاهُ عَلَى غَيْرِ

جِزَاءٍ .

﴿ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ (٢) : الْجَنْبُ : النَّاحِيَةُ فِي الْأَصْلِ . تَقُولُ أَنَا فِي جَنْبِ فُلَانٍ

وَنَاحِيَّتِهِ وَجَانِبِهِ وَفُلَانٍ لَيْنَ الْجَانِبِ وَالْجَنْبِ ثُمَّ قَالُوا فَرَطَ فِي جَانِبِهِ أَيْ فِي حَقِّهِ وَالْمُرَادُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ .

﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ : تَقُولُ صَعِقَ الرَّجُلُ صَعَقَةً وَتَصْعَاقًا أَيْ غُشِيَ عَلَيْهِ

وَالْمُرَادُ فِي الْآيَةِ مَاتَ

﴿ زُمَرًا ﴾ (٣) : جَمَاعَةً .

﴿ حَافِينَ ﴾ (٤) : مُحَدِّقِينَ مِنْ حَفٍّ بِهِ إِذَا أَحْدَقَ .

(١) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ . وَقَالَ قَتَادَةُ : نَفَرَتْ وَاسْتَكْبَرَتْ وَكَفَرَتْ وَتَعَصَّتْ ١ . هـ وَأَصْلُ الْاِشْمَازِ النُّفُورُ وَالْاِزْدِرَارُ . وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : اِشْمَازَ الرَّجُلُ دُعْرًا مِنَ الْفِرْعِ .

(٢) قَالَ الْحَسَنُ : فِي طَاعَةِ اللَّهِ .

(٣) الزُّمَرُ : الْجَمَاعَاتُ وَاحِدَتُهَا زُمْرَةٌ مِثْلُ ظُلْمَةٍ ، وَغُرْفَةٍ .

(٤) وَالْحَافِقُونَ أَخَذُوا مِنْ حَافَاتِ الشَّيْءِ وَنَوَاحِيهِ . قَالَ الْأَخْفَشُ : وَاحِدُهُمْ حَافٌّ وَقَالَ الْفَرَاءُ : لَا وَاحِدَ لَهُ إِذْ لَا يَقَعُ لَهُمُ الْاسْمُ إِلَّا مُجْتَمِعِينَ .

سورة المؤمن "غافر"

﴿ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ : التَّوْبِ وَالْأَوْبِ : الرجوع وهما أخوان .

﴿ ذِي الطُّوْلِ ﴾^(١) : الطول: الفضل والزيادة يقال طال عليه وتطوّل عليه .

﴿ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ : الدحض والدحض : المكان الزلّق تقول دحضت رجله إذا زلقت ، ودحضت الشمس زالت .

﴿ يُنَادُونَ لَمَقَّتْ اللَّهُ ﴾ : المقت : أشد البغض .

﴿ أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ : أراد خلقهم أمواتاً أولاً وأماتهم عند انقضاء آجالهم وبالإحياء بين الحياة الأولى فى الدنيا وإحياء للبعث وناهيك تفسيراً قوله تعالى "وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم" .

﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ ﴾ : الآزفة : القيامة ، سميت لأزوفها أى لقربها تقول أزف الترحل يَأْزِفُ أَرْفًا أى قَرُبَ وأزف الرجل أى عجل .

﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾^(٢) : أى يوم المتناداة يريد به "ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار" ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة" ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور، وقرئ بالتشديد وهو من نداء البعير إذا هرب كَفَرَّ المرء من أخيه .

(١) قال ابن عباس : ذى الطُّوْلِ ذى النعم وعنه أيضاً ذى الغنى عمن لا يقول لا إله إلا الله . وقال مجاهد : ذى الغنى والسُّعة . قال الجوهري : الطُّوْل بالفتح المنّ ؛ يقال منه طال عليه وتطوّل عليه إذا امتنّ عليه .

(٢) التناد مصدر تنادى القوم أى نادى بعضهم بعضاً . وقرأ ابن عباس والضحاك وأبو صالح والكلبي والزعفرانى وابن مِقْسَم التناد أى يوم الهرب والفرار وفى الحديث أن للناس جولة يوم القيامة يندون يظنون أنهم يجدون مهرباً .

﴿ابْنِ لِي صِرْحًا﴾: الصرح : القصر ، وقيل البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر اشتقوه من صرح الشئ إذا ظهر .

﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ : طرقها وأبوابها .

﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ : معناه رجع إليهم ما همُّوا به من المكر للمسلمين ، وحاق به الشئ يحقُّ أى أحاط به .

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾^(١) : عرضهم على النار تعذيبهم من قولهم عُرِضَ بنو فلان على السيف ويجوز أن يُراد يُعْرَضُ النار عليهم عرضهم على النار فيكون من باب عرضت الناقة على الخوض يريدون عرض الخوض عليها .

﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ : من سَجَرَ التَّنُّور إذا ملأه بالوقود ، والمعنى يسجرون بالنار مملوءة بها أجوافهم . والله أعلم .

(١) الجمهور على أن هذا العرض فى البرزخ واحتج بعض أهل العلم فى تثبيت عذاب القبر بقوله ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ ما دامت الدنيا . كذلك قال مجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب كلهم قال : هذه الآية تدل على عذاب القبر فى الدنيا ، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة ﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ .

سورة فصلت

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ : الأكنة جمع كنان وهو الغطاء .

﴿ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ : الممنون : المقطوع^(١) وقيل من المنّة .

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ : والأصل فى هذا من قولهم استوى إلى مكان كذا

إذا توجه إليه توجّهاً لا يلو على غيره وهو من الاستواء الذى هو ضد الاعوجاج^(٢) .

﴿ فَقَضَاهُنَّ ﴾ : أى صنعهن ومنه قول الشاعر :

وعليهما مسرودتان قضاهما داوود أو صنّع السّوابغ تبع

﴿ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ : الريح الصّرصر : القاصفة التى تُصْرَصِرُ أى تُصَوّت فى

هبوبها^(٣) . وقيل الباردة^(٤) التى تحرق بشدة بردها .

﴿ الْعَذَابِ الْهُونِ ﴾ : الهون : الهوان^(٥) .

﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ : يُحْبَسَ^(٦) أولهم على آخرهم تُستَوْقَفُ سوابقهم حتى

يلحق تواليهم ، وهى عبارة عن كثرة أهل النار .

﴿ وَلِيٍّ حَمِيمٍ ﴾ : الحميم : الخالص فى الصداقة .

(١) هذا قول ابن عيسى مأخوذ من مننت الحبل إذا قطعته وعن ابن عباس غير منقوص ، وقوله

"وقيل من المنّة" إشارة إلى قول السدى غير ممنون عليهم به .

(٢) قال ابن جرير استوى : ارتفع إلى السماء ، أى بلا تكييف ولا تمثيل .

(٣) قاله السدى مأخوذ من الصرير .

(٤) قاله عكرمة وسعيد بن جبير .

(٥) قاله السدى .

(٦) قاله مجاهد - وقال ابن عباس يُدْفَعُونَ - وقال ابن زيد : يُسَاقُونَ .

﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ : سَمِتُ من الشيء أسام أساماً وسامَةً . إذا ملَّيته ، ورجل

سئوم .

﴿تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ : أى هامدة استعارة^(١) لها حالة قُحُوطها .

﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ : استعارة^(٢) لها خَصْبُها . فالأولى استعارة لها بحال

الخاضع الذليل والثانية لها بحال المُختال فى ثيابه .

﴿يُلْحِدُونَ﴾ : تقدم فى الحج ذكر الالحاد وما فيه من الكلام .

﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ : واحد الأكمام كِمُّ بكسر الكاف وهو وعاء الثمرة كجُفَّ

الطلعة ويُطلق على وعاء التنور وجمعه كِمام وأكمام وأكاميم .

﴿فِي الْآفَاقِ﴾ : الآفاق جمع أَفُق وَأَفُق وهى النَّواحِي ، ورجل أَفَقَىُّ بفتح

الهمزة والفاء إذا كان من آفاق الأرض .

(١) ليس فى الكلام استعارة . قال القرطبي : والأرض الخاشعة ؛ الغبراء التى تنبت . وبلدة

خاشعة أى مغبرة لا منزل بها .

(٢) قال مجاهد : اهتزت أى بالنبات . يقال : اهتزَّ الإنسان إذا تحرك وريت أى انتفخت وعلت قبل

أن تنبت وعلى هذا يكون فى الكلام تقديم وتأخير وقرأ أبو جعفر وربات ومعناه عظمت ؛ من

الريئة ؛ وهى طليعة على الموضع المرتفع وربات أى زادت .

سورة الشورى

﴿لَتُنذِرُ أُمَّ الْقُرَى﴾ : مكة . والتقدير أهل أم القرى

﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ : الساعة مؤكّلة بالبعث فلذلك قيل قريب . أو لعلّ

مجئ^(١) الساعة .

﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ : سُمِّيَ ما يعملُه العاملِ ممّا يَبْغِي به الفائدة

حَرْثاً على المجاز^(٢) .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾ : السفن . واحداثها جارية نُسب إلى فعلها . وقرئ بغير

ياء .

﴿إِلَّا فِي الْمَوَدَّةِ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣) : القُرْبَى مصدر كالزُّفَى والبُشْرَى بمعنى

القربة .

﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ : الأعلام هى الجبال واحدها عَلم .

﴿فَيَظْلَنَ﴾^(٤) : أى يَقْمَن من قولك ظل زيد يفعل كذا إذا أقام عليه .

(١) قال الزجاج : والمعنى لعل البعث أو لعل مجئ الساعة قريب ١. هـ ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقى لأنها كالوقت . وقال الكسائى : قريب نعت يُنعتُ به المذكر والمؤنث والجمع بمعنى ولفظ واحد .

(٢) ليس فى الكلام مجاز وإنما هو جار على الحقيقة . والمقصود بالحرث العمل والكسب والمعنى أن الله تعالى يعطى على نية الآخرة مَنْ يشاء مِنْ أمر الدنيا ، ولا يعطى على نية الدنيا إلا الدنيا . قاله قتادة .

(٣) معناه ألا تؤذونى فى نفسى لقرباتى منكم ، وهذا لقريش خاصة لأنه لم يكن بطن من قريش إلا بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد .

(٤) قال القرطبى : أى فتبقى السفن سواكن على ظهر البحر لا تجرى .

﴿أَوْ يُؤْبِقُهُنَّ﴾ : أَىْ يُهْلِكُهُنَّ . تقول أَوْبَقَهُ يُؤْبِقُهُ إِيْبَاقاً .

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(١) : الشورى بضم الشين الاجتماع لِقَدْح^(٢) الرأى

كَانَ كل واحد منهم يشير إلى الآخر أَىْ يُؤْمِئُ إليه ، ويُقال لهما المشورة بضم الشين .

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾^(٣) : سَمَّى الثانية سيئة على حكم المقابلة .

(١) الشورى مصدر كَالْفَتْيَا بمعنى التشاور . والمعنى أَنهم لانقيادهم إلى الرأى فى أمورهم متفقون لا يختلفون فمدحوا على اتفاق كلمتهم قال الحسن : ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم .

(٢) لِقَدْح الرأى أَىْ لإِبْدَاء الرأى .

(٣) جعل الله المؤمنين صنفين ؛ صنف يعفون عن الظالم فبدأ بذكرهم فى قوله ﴿إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ وصنف ينتصرون من ظالمهم . ثم بين حد الانتصار بقوله ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ فينتصر ممن ظلمه من غير أن يعتدى .

سورة الزخرف

﴿ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾ : أم الكتاب : اللوح المحفوظ وقد تقدم .

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ ^(١) : صفحا على وجهين إما مصدر من صفح

عنه إذا أعرض وإما بمعنى الجانب من قولهم نظر إليه بصفح وجهه والمعنى على الأول .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ : سخر بمعنى ذلل ، مُقْرِنِينَ

بمعنى مطيقين يقال أقرن الشيء إذا أطاقه قال ابن هرمة

وأقرنت ما حملتني ولقلّ ما يُطاق احتمال الصديا دعدو والهجر

وحقيقته إنما هو مأخوذ من الاقتران به لأن الصعب لا يكون قريناً للضعيف إلا بلطف إلهي .

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ : جعلوا هاهنا بمعنى صيروا والجزء ^(٢) : البعض

جعلوا الملائكة بعض الله وسموهم بناته ، ومن بدع التفسير أن الجزء اسم للإناث وأدعاء

مثل ذلك على العرب كذب ، وصنعوا في مثل ذلك شعراً فمته : إن أجزأت حرة يوماً

فلا عجب . وأنشدوا : زوجتها من بنات الأوس مجزئة . وقُرئ ^(٣) جزءاً بضميتين .

﴿ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ ﴾ ^(٤) : أى يترى فى الزينة والنعمة ليس عنده حجة إذا

(١) قال ابن عباس ومجاهد : المعنى أفنترك تذكيركم وتخويفكم عفوا عنكم ، وعفوا عن إجرامكم

من أجل أن كنتم قوما مسرفين أى : هذا لا يصلح . وقال الكلبي : أن تترككم هملا بلا أمر

ولا نهى . والأصل فى الصفح صفحة العنق وانتصب صفحا على المصدر .

(٢) معنى "من عباده جزءاً" أن قالوا الملائكة بنات الله ، فجعلوهم جزءاً له وبعضا .

(٣) قرأ شعبة عن عاصم بضم الجيم والزاي معاً .

(٤) يَنْشَأُ أى يُرَبَّى وَيَسْبُ . والنشوء التربية . وقرأ الجمهور يَنْشَأُ أى يَرْسَخُ وينبت ، وأصله من نشأ

أى ارتفع ، وَيَنْشَأُ متعد وينشأ لازم . وأما الحلية فهى الزينة . قال ابن عباس : هُنَّ الجوارى

رِيهَنَ غير رى الرجال . قال مجاهد : رُحِصَ للنساء فى الذهب والحريز ؛ وقرأ هذه الآية .

احتاج إلى مجادلة الخصوم كان غير مبین .

﴿ إِنِّي بَرَاءٌ ﴾ : رجل براء مُتَبَرِّئٌ .

﴿ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ ﴾ : المراد بهما مكة والطائف . والتقدير من رجلى

القريتين ، واختلف فيهما ؛ فقيـل الوليد بن المغيرة ، وحبيب بن عمرو الثقفى . ذلك عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانه بن عبد ياليل ، وعن قتادة الوليد بن المغيرة ، وعروة بن مسعود الثقفى .

﴿ وَمَعَارِجٌ ﴾ ^(١) : جمع مِعْرَج أو اسم جمع لمعراج وهى المصاعد إلى العلالى .

﴿ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ ^(٢) : أى يعلنون الأسطحة .

﴿ وَزُخْرُفًا ﴾ : الزخرف : الذهب ، وله أسماء عديدة ؛ ذهب ، ونُضَارٌ ،

وتبرٌ ، وإبريز ، وزخرف ، وعَسْجَدٌ .

﴿ وَمَنْ يَعِشْ ﴾ ^(٣) : من العِشَى وهو سوء البصر ليلاً .

﴿ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ ﴾ : خـلجان النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر

دمياط ونهر تنيس ، قيل كانت تجرى تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه .

﴿ أَسْوَرةٌ مِّنْ ذَهَبٍ ﴾ : أساور جمع أسورة وأساوير جمع إسوار وهو السُّوار

وأسورة على تعويض التاء من ياء أساوير .

(١) معارج يعنى الدَّرَج ؛ قاله ابن عباس وهو قول الجمهور . واحدها مِعْرَاج والمِعْرَاج السُّلَّم . قال

الأخفش : إن شئت جعلت الواحد مِعْرَج ومِعْرَج .

(٢) يظهرون : أى على المعارج يرتقون ويصعدون . يقال : ظهرت على البيت أى علوت سطحه .

(٣) يَعِشُ : يتعَامَ ويُعْرَضُ ويتغافل - نُقِضَ أى نُتِحَ له ونُسَبِّبُ .

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ ﴾ ^(١) : فاستفزهم ، وحقيقته حملهم على أن يخفوا له لما أراد منهم .

﴿ آسَفُونَا ﴾ : من أسف إذا اشتد غضبه ^(٢) .

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا ﴾ : أى قوماً سلفوا فمن فعل مثل فعلهم التحق بهم ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون .

﴿ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ ﴾ : أى بدلكم ^(٣) .

﴿ الْأَخِلَاءُ ﴾ : جمع خليل ^(٤) .

﴿ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ ﴾ : أى تُسَرُّون من السرور ويظهر جباره فى وجوهكم أى أثره .

﴿ وَأَكْوَابٍ ﴾ : الكوب : الكوز بلا عُرْوَة .

(١) وجدهم خفاف العقول . وقال ابن الأعرابى : استجهلهم لحفة أحلامهم وقيل : حملهم على أن يخفوا لما يريد منهم فأجابوه لفسقهم .

(٢) وعن ابن عباس : أحزنوا أولياءنا المؤمنين ، وعنه أيضا : أغضبونا وعن علي : أسخطونا .
* إذا قومك منه يصدون : منه أى من أجله يَضْجُون ويصيحون فرحاً وجذلاً وَمَنْ قَرَأَ يَصْدُودُ : فمعناه يعرضون عن الحق من أجل ضرب المثل .

(٣) ليست من الآية بمعنى بدل والمعنى -والله أعلم- ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الأمور وبدايع الفطر "لجعلنا منكم" لولدنا منكم يارجال "ملائكة" يخلقونكم فى الأرض كما يخلقكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فعل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك .

(٤) الْخُلَّةُ : المودة إمَّا لِأَنَّهَا تَتَخَلَّلُ النَّفْسَ أى تتوسطها ، وإما لِأَنَّهَا تُخِلُّ النَّفْسَ فتؤثر فيه تأثير السهم فى الرمية وإمَّا لِفَرْطِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا .

﴿ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ : المَبْلِسُ : الساكت سكوت يائس من الفرح .

﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴾^(١) : فُسر بأنه لو كان له ولد على زعمكم لكنت أول عابد لكنه فرض ذلك كما يفرض المحالات ، وكيف وقد قامت البراهين على خلاف ذلك ، وقيل إن كان للرحمن ولد على زعمكم فأنا أول الأنفين من عبد إذا أنف . والمصدر عَبْدًا والاسم العَبْدَة مثل الأنفَة قال الفرزدق أولئك أجلاسى فجئنى بمثلهم وأعبدُ أن أهجو كلييا بدارم .

(١) قال ابن عباس والحسن والسدى : المعنى ماكان للرحمن ولد ، ف "إن" بمعنى ما ويكون الكلام على هذا تاما ، ثم تبتدى : فأنا أول العابدين أى الموحدين وقال مجاهد : المعنى إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده وحده ، على أنه لا ولد له .

سورة الدخان

﴿فَارْتَقِبْ﴾ : تقول رَقَبْتُ الشَّيْءَ وارتقبتَه أَرْقُبُهُ رُقُوباً وَرِقْبَةً وَرِقْبَاناً بالكسر فيهما إذا رصدته .

﴿الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى﴾ : البطش : السطوة والأخذ بالقوة والعنف . وقد بطش به يبطِشُ وَيَبْطِشُ بَطْشاً . قيل المراد بها يوم بدر .

﴿أَنْ أَدُّوا﴾ : أى سلموهم إلىَّ وأرسلوهم معى مأخوذ من أدَّتِ الناقة إذا رجعت الحنين فى جوفها .

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا﴾ : أى ترتفعوا . أو لا تتكبروا .

﴿وَإِنِّي عُذْتُ﴾ : أى لُذْتُ مِنَ العيَاذَةِ . أى استجرت به والتجأت إليه .

﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ : فيه وجهان أحدهما أنه الساكن

قال الأعشى (١)

يمشين رهوا فلا الأعجازُ خاذلةٌ ولا الصدور على الأعجاز تتكل .

أى يمشين ساكناً على هيئة . والثانى أن الرهو : الفجوة الواسعة ، وعن بعض

العرب أنه رأى جَمَلًا فالجاً (٢) فقال سبحان الله رَهُوٌ بين سنامين أى اتركه مفتوحاً على حاله مُنْفَرَجًا .

(١) يصف الشاعر نوقاً ، والخذلان : تركك نصره أخيك . والمعنى تمشى هذه النوق مشياً ساكناً على هيئة فلا الأعجاز تَخْذُلُ قوائمها فلا تنصرها ولا الصدور تتكل على أعجازها : أى لَسَنَ مكسرات اللحم .

(٢) الفالَج : البعير ذو السنامين سُمِّيَ بذلك لأنَّ سنامه نصفان أو لأن سناميه يختلف ميلهما . =

﴿ وَنَعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ (٢٧) : النَّعْمَةُ بِالْفَتْحِ مِنَ التَّعْنَمِ وَبِالْكَسْرِ مِنَ
الْإِنْعَامِ وَقَرِئْ فَاكِهِينَ^(١) . فَكِهِينَ . نَعْمَةٌ : تَعْنَمُ أَوْ نَضَارَةٌ عِيشَ وَلِذَاقَتِهِ .

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾ : يُقَالُ نَشَرَهُمْ وَأَنْشَرَهُمْ إِذَا بَعَثَهُمْ .

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا ﴾ : قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ لَفْظَةَ الْمَوْلَى مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ
مَحَامِلَ عَدِيدَةٍ أَيْ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى كَانَ مِنْ قَرَابَةٍ أَوْ غَيْرِهَا عَنْ أَى مَوْلَى كَانَ .

﴿ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ : عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ .

﴿ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ : السُّنْدُسُ : رَقِيقُ الْحَرِيرِ . وَالْإِسْتَبْرَقُ : غَلِيظُهُ .

﴿ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ (٤٦) : الْحَمِيمُ : الْمَاءُ الْحَارُّ، وَالْمُهْلُ وَالزَّقُومُ قَدْ تَقَدَّمَ فِي

الْصَّافَاتِ .

= وَفِي الرَّهْوِ سَبْعَةُ تَأْوِيلَاتٍ مِنْهَا : طَرِيقًا ، قَالَهُ كَعْبٌ وَالْحَسَنُ ، مُنْفَرَجًا ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ . قَالَ
قَتَادَةُ : لَمَّا نَجَّى بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْبَحْرِ وَأَرَادَ آلُ فِرْعَوْنَ أَنْ يَدْخُلُوهُ خَشِيَ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ أَنْ يَدْرِكُوهُ فَأَرَادَ أَنْ يَضْرِبَ الْبَحْرَ حَتَّى يَعُودَ كَمَا كَانَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَاتْرِكْ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾
أَيْ طَرِيقًا يَابَسًا حَتَّى يَدْخُلُوهُ .

(١) فَاكِهِينَ : قِرَاءَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ عَنِ الْقِرَاءَةِ الْعَشْرَةِ . وَأَمَّا فَكِهِينَ ؛ فَشَاذَةٌ نَسَبَتْ إِلَى الْحَسَنِ وَأَبَى رَجَاءٍ .
فَأَمَّا نَسَبَتُهُ إِلَى الْحَسَنِ فَلَمْ يَثْبُتْ . وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ مَعْنَاهَا طَيِّبَى الْأَنْفُسِ وَأَصْحَابِ فَاكِهَةٍ كَلَايِنٍ
وَتَامِرٍ . وَكَذَلِكَ .

فَاكِهِينَ تَأْتِي بِمَعْنَى لَاهِينَ . وَأَمَّا مَعْنَى فَكِهِينَ أَيْ مُسْتَخْفِينَ مُسْتَهْزِئِينَ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : فَكِهِ
الرَّجُلُ بِالْكَسْرِ ، فَهُوَ فَكِهِ إِذَا كَانَ مَزَاحًا ، وَالْفَكْهُ أَيْضًا الْأَشْرُ .

الْغَرِيبُ

فِيهَا يَفْرُقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ : يُفَصِّلُ وَيُبَيِّنُ . أَمْرٌ حَكِيمٌ : مُحْكَمٌ مَبْرَمٌ .

أَنْى لَهُمُ الذِّكْرَى : كَيْفَ يَتَذَكَّرُونَ وَيَتَعَذَّلُونَ .

مُعَلِّمٌ : يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ .

يوم نبطش : يوم نأخذ بشدة وعُنف

مُنظرين : مُمهّلين بالعذاب إلى وقت آخر .

فاعتَلوه : جُرّوه بعنف وقهر .

فارتقب : فانتظر ما يحل بهم . إنهم مرتقبون : منتظرون ما يحل بك .

سورة الجاثية

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧)﴾ : الافك : الكذب ، والاثم : الكثير الاثم .

﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ : أصرّ الرجل على الشيء إذا أقام عليه وأصله من اصرار الحمار على العانة وهو أن ينحنى عليها صاراً أذنيه غير راجع عنها إذا ضمها إلى رأسه مادته من الدوام على الشيء .

﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ : وراء هاهنا بمعنى الأمام وقد تقدم فى الكهف .

﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ : الاجترأح : الاكتساب ومنه الجوارح ؛ ففلان جارحة أهله أى كاسبهم وقد تقدم .

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ : فى تفسيرها أقوال : نموت ويحى أولادنا أو يموت بعض ويحى بعض أو يصيبنا الأمان ، أو يكون من باب التقديم والتأخير والتقدير نحى ونموت وليس وراء ذلك حياة . وقرئ نُحْيِ بضم النون .

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ : أى باركة مستوفزة^(١) على الركب ، وقرئ جاذية . والجدو أشد استيفاراً من الجثو لأن الجاذى هو الذى يجلس على رؤوس أصابعه ، وعن ابن عباس جاثية : مجتمعة ، وعن قتادة : جماعات - من الجثوة - وجمعها جثى .

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ﴾ : أى يشهد .

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ : أى نستثبت^(٢) الملائكة أعمالكم .

﴿يَسْتَعْتَبُونَ﴾ : أى يطلب منهم العتبي أن يعتبروا ربهم أى يرؤوه .

(١) وهى هيئة المذنب الخائف .

(٢) هكذا فى الأصل ، والصحيح نستكتب الملائكة أعمالكم أى نأمرهم بكتابة الأعمال .

سورة الأحقاف

﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾^(١) : أى بقية من علم من علوم الأولين . من قولهم سمعت الناقة على أثارة من شحم أى على بقية شحم كانت بها ، وقرئ أثره^(٢) وقرئ بالحركات الثلاث فى الهمزة مع سكون الثاء .

﴿ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ : أى بما تندفعون فيه من القَدَح فى وحى الله تعالى والطعن فيه .

﴿ مَا كُنْتُ بِدْعًا ﴾ : البدع بمعنى البديع كالحِيف بمعنى الخفيف . وقرئ^(٣) بِدْعًا بفتح الدال أى ذا بدع ومعناه ما كنت مخترعاً أمراً لم أسبق إليه ، ومن ذلك البدعة الحدَث فى الدين بعد الاكمال .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ : قيل الأشد^(٤) أن يبلغ الأربعين وقيل ثلاث وثلاثون سنة وقرئ فَصْلُهُ وفصاله كالفَظْم والفِطَام .

(١) أثارة مصدر كالشجاعة والسماحة ، وهى البقية من الشيء . كما تستعمل الأثارة فى بقية الشرف يقال لبنى فلان أثارة من شرف إذا كانت عندهم شواهد قديمة .

(٢) عزا أبو حيان هذه القراءة إلى علي وابن عباس ، وزيد بن على وعكرمة وقتادة والحسن والسلمى والأعمش وعمرو بن ميمون . قلت أما نسبته إلى الأعمش فغير صحيح ولو صح لذكر ضمن القراءات الشاذة . وأقول قراءة الحسن بسكون الثاء من غير ألف على وزن فَعْلُهُ وهو اسم مرة مما يؤثر ويُنقل من الأخبار . وأما أثره بفتح الهمزة والثاء جمعها أثر مثل قَتْرَةٍ وقَتَر . وعزا أبو حيان قراءة أثره بضم الهمزة وسكون الثاء إلى الكسائى . وليس بشيء

(٣) نُسبت هذه القراءة إلى عكرمة وأبى حيوه وابن أبى عَبلَة جمع بِدْعَة ، أى : ذا بدع .

(٤) هذا القول ضعيف وسبب ذلك عطف "أربعين سنة" والعطف يقتضى التغاير "والتأسيس أولى من التأكيد" إذ لا وجه لقول بعضهم أن ذلك "أى العطف" للتأكيد . ومما يدل على صحة ذلك ما روى عن ابن عباس أن الأشد ثمانية عشر عاماً وقاله عكرمة ، وعن الضحاك عشرون . وقال مجاهد وقتادة ثلاثة وثلاثون ورواه ابن جبير عن ابن عباس . وهو أرجح الأقوال والله أعلم .

﴿ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ : جمع حَقْفٍ وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوجَّ وكانت عاد أصحاب عُمَدٍ يسكنون بين رمالٍ مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشُّحْرُ^(١) من بلاد اليمن ، وقيل بين عُمان ومَهْرَه^(٢) .

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا ﴾ : أى سحابا يعرض فى الأفق ومثله الحَبِيثُ والعنان إذا حبا وعنَّ إذا عرض .

﴿ فَلَوْلَا نَصْرَهُمْ ﴾ : لولا بمعنى هلا .

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ ﴾^(٣) : أهل الجِدِّ والثبات كنوح وإبراهيم ويعقوب ويوسف وأيوب وعيسى ، والمعنى كل نبي ابتلى وصبر على الابتلاء .

(١) وهو قول قتادة

(٢) نسب هذا إلى ابن عباس ، القرطبي ، البحر

(٣) قال ابن عباس : ذوو الحزم والصبر ، قال مجاهد : هم خمسة : نوح ، وإبراهيم وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

سورة القتال "سورة محمد صلى الله عليه وسلم"

﴿ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ : التكفير : التغطية .

﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ ^(١) : حالهم .

﴿ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ ﴾ : أكثرتم قتلهم وأعظمتموه مأخوذ من الشيء الشخين .

﴿ فَشَدُّوا الْوَتَاق ﴾ : أى الأسر، والوَتَاق -بالفتح والكسر- اسم ما يُوثَقُ به .

﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ : الأوزار للحرب الآلات التى تقوم بها

كالسلاح والكرع قال الأعشى

وأعددت للحرب أوزارها رماحا طوالاً وخيلاً ذكوراً .

وقيل أوزارها ^(٢) : آثامها . يعنى حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم

بأن يسلموا .

﴿ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴾ ^(٣) : فيه أقوال : قيل طيَّبها وقيل عَرَفَهَا أى بَيَّنَّها ، وقيل

حدَّدَها وأفرزها عن غيرها مأخوذ من العُرْفَة وهى الحد وكذلك الأُرْفَة الحد أيضا .

(١) قاله قتادة وعن ابن عباس : أمورهم وعن مجاهد : شأنهم . والبال كالمصدر ولا يعرف منه

فعل ، ولا تجمع العرب إلا فى ضرورة الشعر . وقد يكون البال بمعنى القلب يقال : ما يخطر

فلان على بالى أى على قلبى .

(٢) أوزارها : أثقالها : والوزر الشقل ، ومنه وزير الملك لأنه يتحمل عنه الأثقال وأثقالها السلاح

لثقل حملها .

(٣) أى إذا دخلوها يقال لهم تفرَّقوا إلى منازلكم ؛ فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا

إلى منازلهم . وعليه أكثر المفسرين ومجاهد . وأخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يخلص المؤمنون من النار فيُحبسون على قنطرة بين الجنة

والنار فيُقَصُّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُوا أُذِنَ لهم فى

دخول الجنة فالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله فى الدنيا) .

﴿ فَتَعَسَّ لَهُمْ ﴾ : أى عثوراً وانحطاطاً ، وهو نقيض لَعَا قال الأعشى فالتعسأولى بها من أن أقول لَعَا . أى العثور أولى بها من الانتعاش .

﴿ دَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾^(١) : التدمير : الهلاك .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾^(٢) . المولى هاهنا الناصر لا المالك بدليل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ﴾ {الأنعام-٦٢} .

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ : المثل هاهنا بمعنى الصفة .

﴿ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ : الآسن : المتغير وقد تقدم تصريفه .

﴿ مَاذَا قَالَ آتِفًا ﴾^(٣) : قال الزجاج هو من استأنفت الشيء إذا ابتدأته ، والمعنى قال فى أول وقت يقرب منا .

﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ : أى علاماتها .

﴿ أَنَّ لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ : الأضغان : الحقود .

﴿ بِسِمَاهُمْ ﴾ : بعلامتهم .

﴿ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾^(٤) : أى فى أسلوبه ، وهو قولهم مالنا من الثواب إن أطعنا ولا يقولون ما علينا إن عصينا من العقاب .

(١) دَمَر : أهلك واستأصل .

(٢) حتى إذا فارقوا مجلسك قالوا لابن عباس وابن مسعود وأبى الدرداء وعلماء الصحابة ماذا قال الآن على جهة الاستهزاء . أى أنا لم ألتفت إلى قوله . وآتفا يراد به الساعة التى هى أقرب الأوقات إليك .

(٣) لحن القول : أى فى فحواه ومعناه . قال أنس : فلم يَخَفَ منافق بعد هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم . عرّفه الله بوحى أو علامة عرّفها بتعريف الله إياه .

﴿وَلَنْ يَتْرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾^(٤) : مادته من الوتر وهو الانفراد ومنه وترتُ الرجل إذا قتلت له قتيلا ينفرد به ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "من فاتته صلاةُ العصر فكأنما وتر أهله وماله" أى أفردَ عنهما .

﴿فِيْحَفِكُمْ تَبْخُلُوا﴾^(٥) : الاحفاء : المبالغة فى الشئ يقال أحفى فى المسألة إذا لم يترك شيئا من الالحاح . ومنه أحفأ شاربه إذا استأصله والمعنى لو سألكم جميع أموالكم بخلتم .

(١) لن يترككم : أى لن ينتقصكم فى أعمالكم ، وهو مشتق من الوتر وهو الفرد فكان المعنى : ولن يفردكم بغير ثواب .

(٢) يحفكم : يلحّ عليكم ، يقال : أحفى بالمسألة وألحف وألحّ بمعنى واحد . وألحفى المستقصى فى السؤال ، وكذلك الإحفاء الاستقصاء فى الكلام والمنازعة . ومنه أحفى شاربه أى استقصى فى أخذه .

الغريب

فشدوا الوثاق : أحكموا قيد الأسارى منهم .
 فلن يضل أعمالهم : فلن يبطلها بل يوفيهم ثوابها .
 ذكراهم : تذكّرهم ماضيّوا من طاعة الله .
 يعلم متقلبكم : متصرفكم حيث تتحركون .
 فأولى لهم : قاربهم ما يهلكهم .
 عزّم الأمر : جدّ ولزمهم الجهاد .
 فهل عسيتم : فهل يتوقع منكم ؟ أى يتوقع .
 سؤل لهم : رين وسهل لهم خطاياهم ومناهم .
 أملى لهم : مدّ لهم فى الأمانى الباطلة .

سورة الفتح

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١ ﴾ : يريد فتح مكة - نزلت مرجع النبي صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له وجئ بالماضى جزماً بالوقوع على عادة اخبار رب العزة ، والفتح : الظفر بالبلد عنوة أو صلحاً بحرب أو غير حرب لأنه متعلق بما لم يظفر به فإذا ظفر به فقد فتح ما كان معلقاً بينه وبينه ، وقيل فتح الحديبية وهو مرجوح ، وقيل غير ذلك ، وقيل فتحنا أى قضينا لك قضاءً بيناً على أهل مكة أن تدخلها أنت وقومك من قابلٍ لتطوفوا بالبيت من الفتحا وهى الحكومة .

﴿ ظَنَّ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۝٢ ﴾ : فإن قيل هل من فرق بين السوء والسوء قلت هما كالكرة والكرة والضعف والضعف إلا أن المفتوح غلب فى أن يضاف إليه ما يراد ذمّه من كل شئ وأما المضموم فجرى مجرى الشر الذى هو نقيض الخير .

﴿ فَتُصَبِّحُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ ۝٣ ﴾ (١) : من عره إذا ألقاه بما يكرهه .

﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ۝٤ ﴾ : أى تفرقوا وتميز بعضهم عن بعض ، من أزاله يُزيله وقرئ (٢)

لو تزايلوا

(١) مَعْرَةٌ : عيب وهى مَفْعَلَةٌ من العُرِّ وهو الجَرْبُ وقال ابن الجوهري وابن إسحاق : غُرْمُ الدية . والمعنى والله أعلم . ولولا بعض المستضعفين من المؤمنين بمكة وسط الكفار كسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة وأبى جندل بن سهيل ، وأشباهم لم تعرفوهم فتوقعوا به لأذن الله لكم فى دخول مكة ؛ فإنكم إن قتلتموهم لقال المشركون : قد قتلوا أهل دينهم وقوله " بغير علم " إخبار عن صفة من صفات الصحابة من العفة عن المعصية ، حتى لو أنهم أصابوا من ذلك أحداً لكان عن غير قصد . ولو قتلتموهم لأدخلهم الله فى رحمته . ولو زال المؤمنون من بين أظهر الكفار لعذبهم بالقتل . ولكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار .

(٢) تزايلوا : قراءة أبى حيوة والتزائل : التباين .

﴿ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾^(١) : الْأَنْفَةِ .

﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ ﴾ : السَّكِينَةُ : الْوَقَارُ .

﴿ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾^(٢) : هِيَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَمُحَمَّدُ رَسُولُ

اللَّهُ .

﴿ أَخْرَجَ شَطَأَهُ ﴾ : يُقَالُ أَشْطَأَ الزَّرْعُ إِذَا فَرَّخَ وَقَرَّى^(٣) شَطَأَهُ بِالتَّخْفِيفِ وَشَطَأَهُ

بِالتَّحْرِيكِ وَشَطَوَهُ بِقَلْبِهَا وَآوَأَ .

﴿ فَأَزَرَهُ ﴾ : مِنَ الْمَوَازَرَةِ وَهِيَ الْمَعَاوَنَةُ .

﴿ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ : يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الزُّرَّاعُ لِأَنَّ الزَّارِعَ يُسَمَّى كَافِرًا لِسِتْرِهِ

الْبَذْرِ فِي الْأَرْضِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِالْكَفَّارِ الْجَاهِلِينَ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) الْحَمِيَّةُ : فَعِيلَةٌ وَهِيَ الْأَنْفَةُ وَحَمِيَّتُهُمْ : أَنْفَتُهُمْ مِنَ الْإِقْرَارِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّسَالَةِ . وَالْإِسْتِفْتَاَحُ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَمَنْعُهُمْ مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ .

(٢) كَلِمَةُ التَّقْوَى : هِيَ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - قَالَ مُجَاهِدٌ : الْإِخْلَاصُ - وَقَالَ الزَّهْرِيُّ : قَوْلُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

(٣) قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ ذَكْوَانَ شَطَأَهُ ، وَقَرَأَ أَنَسُ بْنُ نَصْرٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ وَثَّابٍ شَطَأَهُ عَلَى وَزْنِ عَصَاهُ . وَقَرَأَ الْجَحْدَرِيُّ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ شَطَهُ وَكُلُّهَا لُغَاتٌ .

سورة الحجرات

﴿ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾^(١) : الحجرة : الرقعة من الأرض يُحَجَّر عليها بحائط ، وحظيرة الابل تسمى حجرة وهى فُعْلة بمعنى مفعولة كَالْغُرْفَةِ والقُبْصَةِ ، وجمعها حُجُرَات بضمتين والحجرات بضم الجيم ، والحجرات بتسكينها - وقرئ بهن جميعا ، والمراد حجرات نساء النبی صلى الله عليه وسلم .

﴿ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ : فاء : رجع ، ومنه فيء الظل .

﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾ : لفظة قوم تطلق على جمع من الرجال ليس فيهم امرأة ، وإن وجدت امرأة كانت على سبيل التبع كقوله تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ .

﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾^(٢) : اللمز : العيب ، وأصله الإشارة بالعين ونحوها ، وقد لَمَزَه يَلْمِزُهُ ويلْمِزُهُ ، وقرئ بهما ، ورجل لماز ولُمِزَ ، ويقال لمزه إذا دفعه .

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾^(٣) : التنابز : التداعى بالألقاب ، والنَّبَزُ بالتحريك : اللقب والجمع الأنباز - والنبز بالتسكين المصدر .

﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ : الغيبة : أن تذكر أخاك بما يكره ، فإن كان فيه فقد إغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته .

(١) قرأ الجمهور الحُجُرَات كَالْغُرَفَات . وقرأ أبو جعفر الحُجَرَات بفتح الجيم

(٢) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبیر : لا يطعن بعضكم على بعض وقرأ يعقوب الحضرمي : ولا تلمزوا بضم الميم .

(٣) قال ابن عباس : التنابز بالألقاب أن يكون الرجل قد عمل السيئات ثم تاب ، فنهى الله أن يُعِيرَ بما سلف .

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا ﴾^(١) : جمع شَعْبٍ ، وهو الطبقة الأولى من النسب التى عليه العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة ، فالشعب وجمعه شعوب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمائر تجمع البطون ، والبطون تجمع الأفخاذ ، والأفخاذ تجمع الفصائل . فخزيمه شعب ، وكنانه قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصى بطن ، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة .

﴿ لَا يَلْتَكُمُ ﴾^(٢) : أى لا ينقصكم . من أَلَتْهُ السلطان حقه أشد الأَلْتِ ، وهى لغة غطفان وأسد وأهل الحجاز يقولون يَلْتُ ، وقرئ باللغتين ، وحكى الأصمعى عن أم هشام السلولية أنها قالت : الحمد لله الذى لا يُصَلْتُ ولا يُلَات ولا تَصُمُّه الأصوات ﴿ يَمْنُونُ عَلَيْكَ ﴾ : المنّ : العطاء أو المنّة : النعمة ، ومنّ فى العطاء : إذا ذكره على سبيل الترفع فكأنه يقتطع النعمة بما بيديه من الترفع . والله أعلم .

(١) الشعوب مَنْ لَا يُعْرِفُ لَهُمْ أَصْلَ نَسَبٍ كَالْهِنْدِ وَالتُّرْكِ . والقبائل من العرب قاله القشيري وهو مأخوذ من قول ابن عباس إن الشعوب الموالي ، والقبائل العرب .

(٢) رسم المؤلف هذه الكلمة على حسب قراءة أبى عمرو وابن العلاء . والفعل لا يَلِيْتُ لَيْتًا ومنه ما حكاه الأصمعى عن أم هشام السلولية الحمد لله الذى لا يُلَات ولا يَفَات ولا تَصُمُّه الأصوات . أَلْتُ يَأْلُتُ أَلْنَا وهى لغة أسد وغطفان .

سورة ق

﴿ق﴾ : قيل أقسم باسم الجبل المحيط بالأرض ، وقيل بالحرف .

﴿فِي أَمْرِ مَرْيَمَ﴾ : يقولون مَرْجِ الخاتم في أُصْبَعِي بالكسر أى^(١) قَلِقَ مثل جَرَجَ ، وَمَرْجَتِ أمانات الناس فسدت ، ومَرْجِ الدين الأمر : اختلط واضطرب ، ومنه الهرج والمرج ، قيل إنما سكن المَرْجُ لأجل الهرج فأمر مريـمَ : مختلط .

﴿مَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ : جمع فَرْجِ أى مالها من فُتُوق ؛ يريد أنها ملساء سليمة من العيوب لا فَتَّقَ فيها ولا صَدَعٌ ولا خلل .

﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ : أى صِنْفٍ . بهيج : يتهج بحسنه .

﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ : فعيل بمعنى مفعول أى حَبَّ ما يُحْصَد .

﴿بِأَسْفَاتٍ﴾ : طَوَالاً ، وقرأ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بإبدال السين صاداً لأجل القاف .

﴿نَضِيدٍ﴾ : بمعنى منضود وقد تقدم الفرق بين المنظوم والمنضود .

(١) جَرَجَ الخاتم في يدي يَجْرَجُ جَرْجاً إذا قلق واضطرب من سَعَتِهِ وَجَالَ . قال في اللسان . قال لعبد الله : كيف أنت إذا بَقِيَتْ في حُسَالَةٍ من الناس قد مَرَجَتْ عهودهم وأماناتهم ؟ أى اختلطت ؛ ومعنى قوله مَرْجِ الدين : اضطرب والتبس المخرج فيه ، وأصل المَرْجِ القلق .

(٢) هذه قراءة غير صحيحة الاسناد وآفته سنيد بن داود . بل ثبت في الصحيح والسنن أن رواية زيادة بن علاقة الثعلبي أبو مالك الكوفي عن عمه قطبة بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بالسين وبه قرأ الجمهور .

﴿ حَبْلُ الْوَرِيدِ ﴾ : الحَبْلُ : العرق المستطيل بالعاتق . والوريد : العرق - وهما وريدان يكتنفان العنق وسمى وريداً لأن الروح يردُّه والمعنى " أنه أقرب إلى الانسان من كل قريب " .

﴿ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ : القعيد بمعنى القاعد مثل المجلس بمعنى الجالس .

﴿ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ : العتيد : الحاضر .

﴿ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ : أى تميل . تقول حاد عن الشيء يحيد حيوداً وحيدودة .

﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ : أى قوى .

﴿ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ : أى مُهيأً لجهنم فهو حاضر .

﴿ فَتَقَبُّوا فِي الْبِلَادِ ﴾ : أى فَتَشُّوا وبحثوا .

﴿ هَلْ مِنْ مَّحِصٍ ﴾ : تقول حاص عنه محيصاً ومحاصاً وحيوصاً وحيأصاً إذا عدل عنه وحاد .

لمن كان له قلب : أى عقل .

﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ : أى تعب وفتر .

سورة الذاريات

﴿وَالذَّارِيَّاتِ﴾^(١) : الرياح لأنها تذرّو التراب وغيره .

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾^(٢) : السحاب لأنها تحمل المطر ، وقرئ وقرأً ووقراً .

﴿فَالْجَارِيَّاتِ يُسْرًا﴾^(٣) : الفلك . ومعنى يسر أى سيراً ذا سهولة .

﴿فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا﴾^(٤) : الملائكة لأنها تقسم الأمطار والأرزاق وغيرها .

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾^(٥) : الحُبْك : الطرائق مثل حُبْك الرمل والماء

إذا ضربته الريح قال زهير يصف غديراً * "مُكَلَّلٌ بِأَصُولِ النِّجْمِ يَنْسُجُهُ رِيحٌ خَرِيقٌ"
لضاحي مائه حُبْكٌ" وقيل حبكها نجومها . والمعنى أنها يزينها كما يزين الموشى بطرائق
الموشى - وقيل حبكها صفاقها وإحكامها .

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾^(٦) : تارة يقولون عن النبى صلى الله عليه وسلم

شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن وتارة مجنون وتارة يقولون أساطير الأولين .

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾^(٧) : الكذابون^(٨) .

(١) الذاريات : الرياح واحدها ذارية . لأنها تذرّو التراب والتبن أى تفرقه فى الهواء .

(٢) قال ابن عباس (فالحاملات) هى السفن الموقرة بالناس وأمتاعهم

(٣) فى الحبك سبعة أقاويل : منها الحُسْن والزينة قاله علىّ وقادة ومجاهد وسعيد بن جبير وقال الحسن : حبكت بالنجوم . وقال خصيف : الحبك : الصفاقة .

(٤) هذا قول الحسن . وقال ابن عباس : المرتابون أو المنهمكون ، وقال قتادة : أهل الظنون والفرية .

﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ ﴾^(١) : الصرة : الصيحة والصرة : الشدة ، والصرة : الجماعة ، وصرة القيظ : شدته .

﴿ وَالسَّمَاءَ بَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ : أى بقوة .

﴿ ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ﴾ : الذنوب فى الأصل الدلو المملوءة ثم استعمل

فى النصيب ، لأن السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب . قال الشاعر**

لكم ذنوب ولنا ذنوب فإن أبيتم قلنا القليبُ

(١) صرة : رثة وتأوه قاله قتادة . وقال ابن عباس ومجاهد : الصيحة ، ومنه أخذ صرير الباب وقال ابن بحر : أنها الجماعة ، ومنه المصرة من الغنم لجمع اللبن فى ضرعها . وسميت صرة الدراهم فيها .

الغريب

كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . الهجوع : النوم .

* مُكَلَّلٌ مجرور على الوصف لماء فى قوله سابقا حتى استغاثت بماء مكلل ذلك الماء بأصول النبات فصارت حوله كالإكليل . يقال روضة مكللة : محفوفة بالأنوار . والخريق : الريح الباردة الشديدة الهبوب والضاحى : الظاهر ، حُبُّكَ الماء : طرائقه - وَحُبُّكَ الشَّعْرَ : آثار تشيته وتكسره .

** إنا إذا شاربنا شريب له ذنوب ولنا ذنوب فإن أبى كان له القليب

هكذا رواه جار الله . ومعنى شريب : مَنْ يشرب معك . والذَّنُوبُ : الدلو العظيمة ، وهذا المثل أصله فى السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب . والمعنى إنى أؤثر شريبى بالخط الأوفر والنصيب الأجل ، فإن لم يرض أؤثره بالجميع .

سورة والطور

﴿وَالطُّورِ (١)﴾^(١) : الجبل الذى كلم الله تعالى موسى عليه وهو بمدين .

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ (٢)﴾ : الرق : الصحيفة ، وقيل الجلد الذى يُكْتَبُ فيه .

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤)﴾^(٢) : قيل الضُّرَّاح الذى فى السماء : وقيل الكعبة

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥)﴾ : السماء^(٣) .

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦)﴾^(٤) : المملوء ، وقيل المسجور الموقد عليه بالنار لما

روى أن الله عز وجل يجعل يوم القيامة من البحار كلها ناراً يسجر بها نار جهنم ،
وسأل عليّ يهوديا أين موضع النار من كتابكم ؟ قال : فى البحر قال عليّ : ماأراه إلا
صدق .

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩)﴾ : تضطرب وتجيئ وتذهب ، وقيل المور : تَحْرُكُ

(١) الطور إما أنه اسم للجبل بالسريانية وإما يُقصد بالطور ما أنبت قاله ابن عباس وفى هذا الطور
الذى أقسم به الله ثلاثة أقاويل

أحدها : أنه طور سيناء قاله السدى

الثانى : أنه الطور الذى كلم الله عليه موسى قاله ابن قتبية

الثالث : أنه جبل مِثْمَم .

(٢) البيت المعمور هو بيت فى السماء حيال الكعبة .

روى قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
"أتى بى إلى السماء فرُفِعَ لنا البيت المعمور ، فإذا هو حِيالُ الكعبة ، لو خَرَّ خَرٌّ عليها يدخله
كلُّ يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه " . رواه البخارى ومسلم .

(٣) قاله عليّ وقال الربيع إنه العرش .

(٤) البحر هو بحر الأرض والمسجور هو المملوء أو الممتلئ قاله قتادة أو الموقد ناراً قاله مجاهد .

فى تموج وهو الشئ ىتردد.

﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴾ (١٣) : الدَّعُ : الدفء العنيف ، وذلك أن

خزنة النار تدفعهم على وجوههم وتزج فى أقفيتهم ، وقرئ^(١) يوم يُدْعَوْنَ من الدعاء ،
وهى قراءة منسوبة إلى زيد بن على يقال لهم هلموا إلى النار .

﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا ﴾ : أى يتعاطون .

﴿ كَانَهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ : أى مخزون لأنه إذا كان رطباً كان أحسن نضارة مما لم

يكن فى الصَّدَفِ .

﴿ مُشْفِقِينَ ﴾ : أرقاء القلوب من خشية الله .

﴿ عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ : الريح الحارة التى تدخل فى المسام ، قال أبو عبيدة الحرور

بالليل وقد تكون بالنهار والسموم بالنهار وقد تكون بالليل ، وقيل الحرور بالليل ،
والسموم بالنهار .

﴿ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴾ : أى هم الذين^(٢) يسطرون الأشياء ليدبروا الأمور .

وقرئ بالصاد .

﴿ فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ : أى لزمهم مَغْرَمٌ ثَقِيلٌ فَدَحَهُمْ^(٣) .

(١) نسبها فى البحر إلى على وأبى رجاء والسلمى وزيد بن على .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الصحيح : المسيطرون : الأرباب الغالبون حتى يدبروا أمور الربوبية وينوا
الأمر على إرادتهم ومشيتهم . وقرأ الجمهور المصيطرون وقرأ هشام وقنبل وحفص بخلف عنه
بالسين وهو الأصل .

(٣) أى فادح فردهم ذلك فى أتباعك والمعنى ألزمتهم وأجبرتهم على دفع مبلغ يثقل عليهم
ويعجزون عن أدائه مقابل تأديتك رسالة الله إليهم فزهدهم ذلك فى أن يتبعوك ؟

﴿ هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾ : أى الذين يرجع عليهم كيدهم ويحقيق بهم مكرهم .
والمغلوب فى الكيد من كاديته فكدته .

﴿ كَسَفًا ﴾ : الكسْفُ : القطعة وقد تقدم - فإنك بأعيننا : مثل أى بحيث نراك
ونكلاك .

﴿ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾^(١) : إذا أدبرت آخر الليل ، وقرئ بالفتح أى فى أعقاب
النجوم وآثارها إذا غربت .

(١) نسب أبو حيان فى البحر قراءة وإدبار النجوم بفتح الهمزة إلى سالم بن أبى الجعد والمنهال ابن عمرو ويعقوب - قلت فأما نسبتها إلى يعقوب فسهو لأن القراء العشرة أجمعوا على قراءتها بكسر الهمزة .

سورة والنجم

﴿وَالنَّجْمِ﴾ : النجم : الثريا ^(١) ، وهو اسمٌ غالب لها - ومن أمثالهم " إذا طلع النجم عشاءً ابتغى الراعى كساءً " وقيل نجم الرّجم ، وقيل نجم القرآن ، من نجومه ، وقد نزل منجماً فى عشرين سنة .

﴿إِذَا هَوَى﴾ : إذا نزل ، وقيل المراد بالنجم : النبات إذا ذبل فسقط على الأرض .

﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ ^(٢) : أى حصافة فى عقله ودينه .

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ ^(٣) : أى مقدار قوسين عربيين ، والقاب والقيب ، والقاد والقيد والقيس : المقدار . وقد جاء بالتقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتل والأصبع .

(١) قال ابن عباس ومجاهد : معنى ﴿والنجم إذا هوى﴾ الثريا إذا سقطت مع الفجر والعرب تسمى الثريا نجماً وإن كانت فى العدد نجوماً . وعن مجاهد أيضاً أن المعنى والقرآن إذا نزل ؛ لأنه كان ينزل نجوماً .

وأصل النجم الطلوع . والهوى النزول والسقوط ؛ يقال : هوى يهوى هويّاً مثل مضى يمضى مضياً .

(٢) قال ابن عباس : ذو مِرَّةٍ ذو منطق حسنٍ . وقيل ذو مِرَّةٍ أى ذو قوة قاله مجاهد وقتادة وقال قطرب : تقول العرب لكل جزلٍ الرأى حصيف العقل : ذو مرة . وأصل كلمة مِرَّةٍ من شدة فتلّ الحبل ، كأنه استمر به الفتل حتى بلغ إلى غاية يصعب معها الحل . تقول أمررت الحبل إذا أحكمت فتله .

(٣) قاله ابن عباس وعطاء والفراء . وفى الصحاح : وتقول بينهما قَابُ قَوْسٍ ، وقَيْبُ قَوْسٍ وقَادُ قَوْسٍ وقَيْدُ قَوْسٍ ؛ أى قَدَرُ قَوْسٍ . وقال سعيد بن جبير فى قوله : " فكان قَاب قَوْسَيْنِ " أى قدر ذراعين . والقوس الذراع يقاس بها كل شئ ، وهى لغة بعض الحجازيين .

﴿ أَفْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ (١) : كان كل واحد من المجادلين يَمُرُّ ما عند صاحبه - مِنْ مَرَى الناقة ، وقرئ اُفتمرونه أى اُفتغلبونه من المراء من ماريته فَمَريته ولما فيه من معنى الغلبة عُدَى بَعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل اُفتمرونه : اُفتجحدونه ، وأنشدوا :

لئن هجرت أخا صدق ومكرمة لقد مرّيتَ أخا ما كان يَمْرِيكَ
يقال مَرّيته حقه إذا جحدته .

﴿ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ (٢) : شجرة نَبَقٍ فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كَقَلالِ هَجَرٍ وورقها كأذان الفيلة تنبع من أصلها الأنهار التى ذكرها الله تعالى فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاماً لا يقطعها والمنتهى : موضع الانتهاء عندها . جنة المأوى : هى التى تصير إليها أرواح المتقين .

﴿ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ (١٩) وَمَنَاةٌ : هذه أسماء أصنام كانت للعرب . فاللات لثقيف ، وسميت اللات لأنهم كانوا يلتون عليها أى يطوفون بها ، وقيل كان رجل يلت عندها السَّمَن بالسويق ويطعمه الحاج . والعُزى كانت لغطفان ؛ وهى سَمرة فبعث لها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة (١) قرأ حمزة والكسائى وخلف ويعقوب " أَفْتَمَرُونَهُ " على معنى اُفتجحدونه . واختاره أبو عبيد ؛ لأنه قال : لم يماروه وإنما جحدوه . يقال : مراة حقه أى جحدته ومَرّيته أى جحدته وقراءة الجمهور اُفتمارونه أى اُتجادلونه وتدافعونه فى أنه رأى الله ؛ والمعنيان متداخلان ؛ لأن مجادلتهم جحود . وقيل إن الجحود كان دائماً منهم وهذا جدال جديد ؛ قالوا : صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن غيرنا التى فى طريق الشام .

(٢) روى قتادة عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لما رفعت إلى سدرة المنتهى فى السماء السابعة نَبَقها مثل قلال هجر وورقها مثل أذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان . الحديث . وعند الترمذى " يسير الراكب فى ظل الغصن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راکب - شك يحيى - فيها فَرَأش الذهب كأن ثمرها القلال " قال أبو عيسى :

هذا حديث حسن . ١ هـ

ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها ، وهو يقول "يا عَزُّ كُفْرَانِكَ لا سُبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ" ، فرجع فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال "تلك العزى ولن تُعَبِّدَ أبداً" ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة ، وعن ابن عباس لثقيف . وقرئ^(١) مناة كأنها سميت بذلك لأن دماء النساء تُمنى عندها أى تُراق - وقيل اشتقاقها من النوء لأنهم كانوا يستمطرون عندها .

﴿ قِسْمَةُ ضِيْزَى ﴾ : من ضازه يضيْزُهُ إذا ضامَهُ والأصل ضَوْزَى ، وقرئ^(٢) ضِيْزَى بالهمز من ضازه وقرئ ضِيْزَى^(٣) . بفتح الضاد .

﴿ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ : الصغائر من الذنوب ، وعن أبى سعيد الخدرى "هى النظرة والغمزة والقبلة" وعن الكلبي "كل ذنب لم يَذْكُرْ الله عليه حدا ولا عقاباً"

﴿ وَأَكْدَى ﴾ : أكدى الرجل : إذا أعطى القليل ثم قطعه . وأصله أكدى الحافر إذا وصل إلى الكُدْيَةِ وهى الأرض الصُّلبه .

﴿ إِذَا تُمْنَى ﴾ : أى تُرَاقُ فى الرَّحِمِ يقال أُمْنَى وامتنى .

﴿ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴾ : أى صار المال قُنِيَّةً له .

﴿ رَبُّ الشَّعْرَى ﴾ : هما شعريان : العبور وهى المعبودة ، وسميت عبوراً لأنها عبرت المجرة والثانية : الغُمِيْصَاءُ . كأن على أعينها الغمص لشدة بكائها على مفارقة

(١) وقرئ مناة وهى قراءة ابن كثير المكي . ووزنها مَفْعَلَةٌ ، فألفها منقلبة عن واو .

(٢) قرأ ابن كثير ضِيْزَى مأخوذة من ضَارَ يضَارُ ضَاراً . وهو مصدر مثل ذكرى وأصلها ضَوْزَى على وزن فُعْلَى مثل حُبْلَى وانثى .

وقال ابن عباس وقتادة : ضيزى : جائرة - وقال سفيان : منقوصة .

(٣) قرأ زيد بن علي ضِيْزَى بفتح الضاد وسكون الياء وهو مصدر مثل دَعَوَى وُصِفَ به ، أو وصف مثل سكرى وناقاة خَرَمَى .

أختها سهيل لكونها لم تعبر إليها المجرة .

﴿ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾ : قوم نوح ، وعاداً الأخرى إرم .

﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ ﴾ : القرى التى اتفكت بأهلها أى انقلبت بهم وهم قوم لوط .
قلبها جبريل بجناحه .

﴿ تَتَمَارَى ﴾ : تشكك .

﴿ هَذَا نَذِيرٌ ﴾ : إشارة إلى القرآن وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

﴿ أَرْفَتِ الْآزِفَةَ (٥٧) ﴾ : أى قُرُبَتِ الموصوفة بالقرب من قوله اقتربت الساعة

﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) ﴾ : أى مُبَيِّنَةٌ أمرها متى تقوم ، وقيل

الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعاقبة .

﴿ سَامِدُونَ ﴾ : قيل شَامِخُونَ ، وقيل لاهون لاعبون ، وقال بعضهم لجاريته

اسمُدَى لنا أى غنى لنا .

سورة القمر

﴿ مَا فِيهِ مَزْجَرٌ ﴾^(١) : وهو موضع الازدجار

﴿ مِنْ الْأَجْدَاثِ ﴾ : هى القبور .

﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ : مسرعين مادى أعناقهم .

﴿ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ : أى مُنْصَبٍ^(٢)

﴿ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾^(٣) : أراد السفينة ، ودسر جمع دِسار وهو السفينة .

﴿ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ : أى باردة . (٤)

﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ : مُنْقَلِعٍ^(٥) عن مغارسه .

﴿ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴾ : الأشِرُّ : الْبَطْرُ .

﴿ كَهَشِيمٍ الْمُحْتَظِرِ ﴾ : الهشيم : الشجر اليابس ، والمحْتَظِرُ : الذى يصنع

الحظيرة ليقى الابل البرد والريح .

﴿ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ : الضلال : الخطايا : والسُّعُرُ : جمع سَعِيرٍ وقيل السُّعُرُ

الجنون من قولهم ناقة مسعورة .

(١) الازدجار بمعنى الانتهاز والردع عما هم فيه من الكفر والضلال .

(٢) منصب بشدة وغزارة .

(٣) والدسر أيضا المسامير التى تُشَدُّ بها ألواح السفينة .

(٤) الصرصر : شديدة السموم أو البرد أو الصوت .

(٥) تنزع الناس أى تقلعهم من أماكنهم وترمي بهم . وأعجاز النخل أصوله بلا رؤوس .

سورة الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (٦) : النجم من النبات مالا ساق له ، والشجر

ماله ساق

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ (١٢) : العصف : ورق الزرع ، وقيل التبن .

والريحان ؛ وهو اللب ، وقيل الريحان الذي يُشَمُّ .

﴿مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ : المارج : اللهب بلا دخان ، وقيل المختلط بسواد النار

من مَرَج الشيء إذا اختلط .

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ : أى حاجر . لا يبغيان : أى لا يتجاوزان حدهما .

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (٢٢) : قيل المرجان : الخرز الأحمر المُسَمَّى

بالسَّبْد ، وقيل المرجان صغار اللؤلؤ . فإن قيل فهو لا يخرج إلا من الملح . قيل

العرب من شأنهم أن ينسبوا أمراً إلى اثنين أو إلى جماعة والمقصود واحد . ألا ترى إلى

قوله تعالى ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ﴾ [الرحمن-٣٣] والرسَل إنما هم

من الإنس . وذهب بعضهم إلى أن اللؤلؤ إنما يكون من المطر لأن السمكة تفتح صدفتها

لتلقى القطر وهى فى البحر ، فصَح أن اللؤلؤ من مجموع العذب والملح .

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ : الشواظ : الخالص من النار ،

والنحاس : الدخان وأنشدوا

يُضَيُّ كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نُحَاساً .

وقيل الصَّفَر المذاب يصب على رءوسهم .

﴿وَرَدَّةٌ كَالدِّهَانِ﴾ : الدهان : دُرْدَى الزيت . وهو جمع دُهْنٍ ، أو اسم ما

يُدُهْنُ به كالخزام والإدام وقيل كالأديم الأحمر . أى تصوير السماء كذلك .

﴿ حَمِيمٍ آتٍ ﴾ : أى حار .

﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) ﴾ : أى أغصان وهى التى تثمر وتُجْنى ويحصل منها الظل .

﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ : أى أن طرفهن مقصورٌ على أزواجهن . لا ينظرن غير الأزواج .

﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ ﴾ : لم يجامعهن .

﴿ مُدْهَامَتَانِ (٦٤) ﴾ : أى سوداوان من كثرة الشجر فيهما .

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ (٦٦) ﴾ : النَّضْخُ أكثر من النَّضْح .

﴿ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) ﴾ : الرفرف : ضرب من البسط ،

وقيل الوسادة ويقال لكل ثوب قصير رفرف . وقيل لأطراف البُسْط ، وفضول الفسطاط رفرف ، ورفارف السحاب : هُدْبُهُ .

والعبقرى : منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه بلد للجن - فما أعجبهم نسبوه

إلى عبقر أى إلى صنعه الجن . والله أعلم .

الغريب

بحسبان : يجريان بحسابٍ مقدرٍ فى بروجهما .

وضع الميزان : شرع العدل وأمر به الخلق .

لأتُخسروا الميزان : لا تنقصوا موزون الميزان .

الأرض وضعها : خلقها مخفوضة عن السماء .

ذات الأكمام : أوعية الثمر وهى الطَّلَع .

تفقدوا : تخرجوا هربا من قضائى .

زوجان : صنفان .

لم يطمثهن : لم يفتضهن قبل أزواجهن .

نضاختان : فوارتان بالماء لا تنقطعان .

عبقرى : بُسْط ذات حَمْلٍ رقيق .

سورة الواقعة

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١﴾ : المراد القيامة ، كقولك كانت الكائنة ، وحدثت

الحادثة .

﴿لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾^(١) : أى نفس كاذبة .

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝٤﴾ : أى تحركت تحركا شديدا .

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۝٥﴾ : فُتَّتْ حتى تعود كالسويق .

﴿هَبَاءٌ مُنَبِّئًا ۝٦﴾ : الهباء^(٢) : ما يئث من ضوء الشمس فى البيت .

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٧﴾ : هم الذين يتناولون كتبهم بأيمانهم وأصحاب المشأمة

هم الذين يتناولون كتبهم بشمالهم .

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾^(٣) : الثُّلَّة : الأمة من الناس الكثيرة . قال الشاعر .

وجاءت إليهم ثلة خندقية^١ بجيش كتيار من السيل مُزبد .

(١) قال ابن عباس : ليس لها مردود - وعن قتادة : لا رجعة فيها ولا مشورة أو ليس لها تكذيب ولارد وقال ابن كامل : ليس لها مكذب من مؤمن ولا من كافر .

ويجوز أن يكون لفظ "كاذبة" مصدراً كالعاقبة بمعنى التكذيب وهو الشيط . واللام للاختصاص وعلى القول بأن كاذبة اسم فاعل وقع صفة لموصوف من محذوف أى نفس تكون اللام للتوقيت .

(٢) الهباء الغبار - منبثا متفرقا ؛ والمراد مطلق الغبار عند الأكثرين . وقال ابن عباس : هو ما يثور مع شعاع الشمس إذا دخلت من كوة .

(٣) الثُّلَّة : الجماعة من الناس . وعن الفراء الثُّلَّة الفتة . والثُّلَّة بفتح الشاء التراب الذى يخرج من البئر .

والبيت الذى استشهد به على أن الثلة بمعنى الأمة من الناس الكثيرة على أن الباء تجريدية . وهو الظاهر . وإلا فلا استدلال عليها من أن المقام مقام مبالغة ومدح . =

وهى من الثل وهو الكسر . كما أن الأمة من الأم وهو الشج . فكأنها كسرت من الأم وقُطعت منهم ، وأما الثلة -بالفتح- فالكثير من الضأن . ولا يقال للكثير من المعز . ويقال لما خرج من البئر ثلّة .

﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) ﴾ : أى مُشَيَّكَةً بالذهب والدر والياقوت قد دُوخل بعضها فى بعض .

﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) ﴾ : المخضود : مالا شوك فيه . والسدر شجر النبق ، وقيل المخضود الشجر الذى تنشى أغصانه لكثرة حملة ، من قولهم خضد الغصن إذا ثناه .

﴿ وَطَلَحَ مَنْضُودٍ (٢٩) ﴾ : الطلح : شجر الموز .

﴿ عُرْبًا ﴾ : جمع عروب وهى المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل .

﴿ أَتْرَابًا ﴾ : المستويات فى السن قيل اشتقاقه من لعبهم فى التراب فى حال الصغر .

﴿ يَحْمُومٌ ﴾ : اليعموم : الدخان .

﴿ شُرْبُ الْهِيمِ ﴾ : هى الابل التى بها الهيم وهو داء يشرب منه ولا يروى جمع أهيم وهيماء ، والهيماء -بالضم- أشد العطش ، ويُطلق على الجنون ، وعلى داء يأخذ الابل فتهم فى الأرض ولا ترعى . يقال ناقة هيماء ، والهيماء : المفازة التى لا ماء فيها ، والهيماء -بالفتح- الرمل الذى لا يتماسك من كثرة لينه ، والجمع هيم وهيماء

= وخندفية : منسوبة إلى قبيلة خندف . والتيار : الموج ، ومزيد : كثير الزبد ؛ والمراد كثرة الجيش وتموجهم كتموج السيل المزبد .

* ومعنى الاختصاص أى للتوقيت كالتى فى قولهم ولد لسبع خلّون من شهر كذا . وسميت لام الاختصاص لأن ما وقع فى وقت اختص به دون غيره من الأوقات .

-بالكسر- الابل العطاش الواحد هيمان . وناقاة هيماء .

﴿ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ : الحُطَام : الفتات وهو ما صار هشيما .

﴿ تَفَكَّهُونَ ﴾ : تتعجبون ، وقيل تندمون على تعبيكم .

﴿ مِنَ الْمُنْزَنِ ﴾ : واحده مُنْزَنَة ، قيل هو السحاب الأبيض خاصة . وهو أعذب

الماء .

﴿ وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ : الْمُقْوِينَ الذين ينزلون القَوَا وهو القَفَر ، وقيل الذين خلت

بطونهم ومزاودهم من الطعام من قولهم أقويت منذ ثلاثة أيام أى لم أكل .

﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ : أى بمساقطها ، وقيل بمنازلها ومساييرها . وقيل أوقات

وقوع نجوم القرآن أى : أوقات نزولها .

﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ : أى مَصُون .

﴿ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ : أى متهاونون به (١) .

﴿ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ : الحلقوم : الحَلَق .

﴿ غَيْرِ مَدِينِينَ ﴾ (٢) : أى غير مربوبين ، من دان السلطان للرعية إذا سَأَسَهُمْ

(١) مدهنون : متهاونون به كمن يدهن فى الأمر : أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به .
وعن ابن عباس أى مكذبون .

(٢) غير مدنيين : غير محاسبين قاله ابن عباس . وعن الحسن : غير مبعوثين .

سورة الحديد

﴿مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ : جعلكم خلفاء فى ماله الذى أوجده^(١) .

﴿وَكَلَّاءَ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ : أى المثوبة الحسنى^(٢) .

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾^(٣) : القرض لغة القطع وفيه لغتان -بكسر القاف

وفتحها- .

﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ : أى انظروا^(٤) إلينا . وقرئ أنظرونا من النظرة

وهى الامهال .

﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ : أى بحائط حائل بين أهل الجنة وأهل النار قيل هو

الأعراف .

﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾^(٥) : أى أولى بكم ، ويجوز أن تكون هى ناصركم على

(١) أى مما جعلكم مستخلفين فيه بوراثتكم له عن قبلكم ، قاله الحسن . أو جعلكم خلفاء عنه فى التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة .

(٢) الحسنى الجنة ، قاله مجاهد وقتادة .

(٣) القرض الحسن ما يجمع عشر صفات . أن يكون من الحلال فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا . وأن يكون من أكرم ما يملكه المرء . وأن يكون المرء صحيح شحيح يأمل العيش ويخشى الفقر . وأن يضعه فى الأحوج الأولى . وأن يكتسب ذلك . وأن لا يتبعه بالمن والأذى . وأن يقصد به وجه الله تعالى . وأن يستحق ما يعطى وإن كثر . وأن يكون من أحب أمواله إليه . وأن يتوخى فى إيصاله للفقير ما هو أسرّ لديه من الوجوه كحمله إلى بيته . ولا يخفى أنه يمكن الزيادة والنقص فيما ذكر .

(٤) انظرونا : انتظرونا .

(٥) ومن هذه المادة قول العرب "أصيب فلان" فاستنصر الجزع" ومن هذه المادة لا يسألون الناس

معنى لا ناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر ، ومن هذه المادة قوله تعالى ﴿يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ على معنى لا غوث .

إلخافاً ومنه قوله تعالى ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يَطَاعُ﴾ ومن هذه المادة قول امرئ القيس
"على لأحِب لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعُودُ النَّبَاطَى جَرَجَرَا"
ومن هذه المادة قول مَنْ قال

"لَا يُفْزَعُ الْأَرْنَبَ أَهْوَالُهَا وَلَا يُرَى الضَّبُّ بِهَا يَنْجَحِرُ"

* أَلَمْ يَأْنِ : مِنْ أَتَى الْأَمْرُ يَأْنِي إِذَا حَانَ وَقْتُهُ . لثَلَا يَعْلَمُ : لَا زَائِدَةٌ .

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال : إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال سبحانه : أَلَمْ يَأْنِ الْآيَةُ وَأَخْرَجَ ابْنَ الْمُبَارَكِ وَعَبْدَ الرَّازِقِ وَابْنَ الْمُنْذَرِ عَنِ الْأَعْشَى قَالَ : لَمَّا قَدِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَصَابُوا مِنْ لَيْنِ الْعَيْشِ مَا أَصَابُوا بَعْدَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْجُحْدِ فَكَأَنَّهُمْ فَتَرَوْا عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فَعُوتُوا فَنَزَلَتْ أَلَمْ يَأْنِ الْآيَةُ . ١ هـ

سورة المجادلة

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾^(١) : هى خولة بنت ثعلبة امرأة

أوس بن الصامت أخى عبادة رآها وهى تصلى فلما سلّمت راودها فأبت وغضب وظاهر منها - والظاهر كان من أيمان جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم ؛ كانوا يقولون أنتِ علىّ كظهر أمي .

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ : التحرير : العتق ، والرقبة عبارة عن الذات كلها وهو من

مجاز اطلاق البعض وإرادة الكل .

﴿كَبِتُوا﴾ : أى أُخْزُوا^(٢) وأهلكوا .

﴿مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ : النجوى : التناجى ؛ وهو السر بين اثنين .

﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا﴾^(٣) : النشور : الارتفاع والنهوض للتوسعة .

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ : أى وقاية .

(١) سبب النزول ما رواه البخارى تعليقا عن عروة قال : قالت عائشة : تبارك الذى وسع سمعه كل شئ ، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفى علىّ بعضه ، وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى تقول : يا رسول الله ، أبلى شبابى ، ونشرت له بطنى ، حتى إذا كبر سنّى ، وانقطع ولدى ظاهر منى ، اللهم إني أشكو إليك قالت : فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات قد سمع الله . . . الآيات .

وسبب الظهار كما أخرج أحمد فى المسند وأبو داود البيهقى فى السنن الكبرى عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال : حدثنى خويلة قالت : دخل علىّ [أوس بن الصامت . زوجها] ذات يوم فكلمنى بشئ وهو فيه كالضجر ، فرادته فغضب ، فقال : أنت علىّ كظهر أمي . . . الحديث .

(٢) قاله قتادة . وأهلكوا . قاله الأخفش وأبو عبيدة .

(٣) معناه إذا قيل لكم انهضوا إلى القتال فانهضوا ، قاله الحسن وقال قتادة : إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا .

﴿ اسْتَحُوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ : استولى عليهم وهو أحد ما جاء على الأصل

نحو* استحوذ واستصوب واستوفز**

﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ ﴾ : حزيه جنوده وأعوانه .

* فكان القياس أن يقال : استحاذ ، لأن الواو إذا كانت عين الفعل وكانت متحركة بالفتح وما قبلها ساكن ، جعلت العرب حركتها فى فاء الفعل قبلها ، وحولوها ألفا كقولهم : استحال هذا الشيء عما كان عليه ، من : حال يحول ، واستنار فلان بنور الله من النور ، واستعاذ بالله من عاذ يعوذ فجاء هذا اللفظ على الأصل من غير إعلال ، ومثله : استروح ، واستصوب ، واستجوب .

** استوفز : قعد غير مطمئن .

سورة الحشر

﴿ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ ﴾ : الجلاء : الخروج من الأوطان : تقول جلّوا عن أوطانهم وجلّوتهم يتعدى ولا يتعدى .

﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ ﴾ ^(١) : اللينة : النخلة - من الألوان - وهى ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وقيل النخلة الكريمة مشتقة من اللين .

﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ ﴾ : الايجاف ^(٢) : من الوجيف وهو السَّير السريع .

﴿ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٣) : الدَّولة - بالضم والفتح - ما يدُول للإنسان أى يدور من الجد .

﴿ وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ : متفرقة .

﴿ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ ^(٤) : الوبال : الخسران مأخوذ من قولهم كلاً وبيل أى وخيم .

﴿ الْقُدُّوسُ ﴾ بالضم والفتح : المُطَهَّر المُتَزَه .

(١) لينه أى نخلة وهى فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لانكسار ما قبلها أى أصلها لونه وتجمع على ألوان . وقال ابن عباس : اللينة هى النخلة ما لم تكن عجوة . وقال أبو عبيدة وسفيان : ما تمرّها لون وهو نوع من التمر .

وقال الثورى : الكريمة من النخل كأنهم اشتقوها من اللين فتجمع على لين ، وجاء جمعها لياناً .

(٢) أوجفتهم : أجريتهم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السَّير . والمعنى أنكم ما تعبتم فى القتال عليه وإنما مشيتم إليه على أرجلكم .

(٣) الدَّولة - بالفتح - بمعنى التداول . والمعنى : كيلا يكون أخذه غلبةً وأثرة جاهلية ومنه قول الحسن " اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا " يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به .

(٤) وبال أمرهم : سوء عاقبة كفرهم .

﴿السَّلَامُ﴾^(١) : بمعنى السلامة ومنه "دار السلام" وقرئ المؤمن -بفتح الميم

الثانية- ومعناه المؤمن به على حذف الجار .

والمهيمن : الرقيب مفتعل من الأمن وقد تقدم .

﴿الْجَبَّارُ﴾ : القهار

والتكبر : البليغ الكبرياء والعظمة .

﴿الْبَارِئُ﴾ : المُمَيِّز بعض الأشياء من بعض بالأشكال والصور .

(١) قوله السلام : بمعنى السلامة خطأ-والصواب ذو السلامة والسلام مصدر وُصف به للمبالغة .

قال ابن عباس : إنه مأخوذ من سلامة عباده من ظلمه وفي المؤمن ثلاثة أوجه : أحدها : الذى يُؤمَّنُ أوليائه من عذابه . الثانى : أنه مصدق خلقه فى وعده . والثالث : أنه الداعى إلى الإيمان به . وقيل : المصدق لنفسه ولرسله عليهم السلام فيما بلغوه عنه وقرأ أبو جعفر بن محمد المؤمن -بفتح الميم الثانية- ومعناه المؤمن به . وقال أبو حاتم : لا يجوز إطلاق ذلك عليه تعالى لايهامه -مالا يليق به سبحانه إذ المؤمن المطلق مَنْ كان خائفاً وأمنه غيره .

المهيمن : الشاهد على خلقه بأعمالهم ، وعلى نفسه بشوابهم قاله أبو هريرة ، والحسن ، وقتادة .

الجبَّار : الذى جبر خلقه على ما شاء ، قاله أبو هريرة ، والحسن ، وقتادة . أو الذى يجبر فاقة عباده . قال ابن القيم فى الكافية الشافية .

وكذلك الجبَّار من أوصافه والجبَّار فى أوصافه قسمان

جبَّار الضعيف . وكل قلب قد غدا ذا كسره ، فالجبَّار منه داني

والثانى جبَّار القهر بالعز الذى لا ينبغى لسواه من إنسان

التكبر : المستحق لصفات الكبر ، والتعظيم ، والتكبر فى صفات الله مدح وفى صفات المخلوقين ذم ، قاله الماوردى ، وقال الألوسى : تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصاناً .

البارئ : المميز للخلق أو الموجد للأشياء بريئة من تفاوت ما تقتضيه بحسب الحكمة والجبلة .

المصور : خالق الصور على ما يريد .

سورة الممتحنة

﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ : الالتقاء عبارة عن اتصال المودة والافضاء بها إليهم ،
يقال ألقى إليه خراشي صدره بالخاء المعجمة إذا أفضى إليه بأسراره .

﴿ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ ﴾ : المظاهرة : المعاونة ومنه ظاهر بين درعين إذا
لبسهما .

﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ : العصم : ما يُعْتَصَمُ به من عهد وسبب .
يعنى إياكم وإياهم ولا يكن بينكم وبينهم عصمة ولا عُلُقَةٌ زوجية . وعن ابن عباس
" مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ كَافِرَةٌ فَلَا يَعْتَدَنَّ لَهَا مِنْ نِسَائِهِ لِأَنَّ اخْتِلَافَ الدَّارَيْنِ قَطَعَ عِصْمَتَهَا
منه " وعن مجاهد هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر .

﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِيْهْتَانٍ يُفْتَرِيْهِ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ ﴾ : تقول لزوجها هذا ولدى
منك فكنى بالبهتان المفتري بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا وذلك
بأنها تحمله بين يديها وفرجها .

ومن الغريب

أَنْ تَوْمَنُوا : لايمانكم أو كراهة إيمانكم .

يُثْقِفُوكُمْ : يظفروا بكم أو يصادفوكم .

لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً : مفتونين بهم مُعَذِّبِينَ بأيديهم .

تَقْسُطُوا إِلَيْهِمْ : تُفْضُوا إِلَيْهِمْ بالقسط والعدل .

ظَاهَرُوا : عاونوا الذين قاتلوكم وأخرجوكم .

أَنْ تَوَلَّوْهُمْ : أَنْ تَتَخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ .

فَاتَكُمْ شَيْءٌ : انفلت أحد بردة .

فَعَاقَبْتُمْ : فغزوتهم فغنمتم منهم .

سورة الصف

﴿ كَبُرَ مَقْتًا ﴾ : المقت : أشد البُغض .

﴿ بُنَيَانٌ مَّرْصُوص ﴾ : بعضه على بعض ^(١) .

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا ﴾ : الزيغ ^(٢) : الميل

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ﴾ ، نور الله : القرآن . تَهَكُّمٌ جعلهم
بمنزلة مَنْ يريد أن يُطفئ ضوء الشمس بالنفخ .

﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ : إلى ^(٣) بمعنى مع ، ولم يرتضه جار الله .

﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ : هم أصفياء الله وخلصاؤه وكانوا اثني
عشر رجلا . والحوارى : الدَّرمك . وقيل كانوا قصَّارين كانوا يُحَوِّرون الثياب أى
يبيضونها .

﴿ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ : أى غالبين .

(١) بنیان مرصوص : متلاصقٌ مُحْكَمٌ لا فُرْجة فيه .

(٢) الزيغ : الميل ومعناه هاهنا : مالوا باختيارهم عن الحق .

(٣) قوله إلى بمعنى مع خطأ والصواب - والله أعلم - أنها على بابها ؛ لأن معنى قوله ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ مَنْ جندى متوجهاً إلى نصرته الله ، وإضافة أنصارى خلاف إضافة أنصار الله فإن معنى "نحن أنصار الله" نحن الذين ينصرون الله . ومعنى " مَنْ أَنْصَارِي ؟ " أى مَنْ الأَنْصار الذين يختصون بى ويكونون معي فى نصرته الله ، ولا يصح أن يكون معناه : مَنْ ينصرنى مع الله ؛ لأنه لا يطابق الجواب ، والدليل عليه قراءة " مَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ " .

ومن الغريب

* أراغ الله قلوبهم : حرهم التوفيق لاتباع الحق .

* فَأَيَّدْنَا : قوَّيْنَا الْمُحِقِّينَ بِالْإِيمَانِ .

سورة الجمعة

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾^(١) : الْأُمِّيّ : الذي لا يقرأ ولا يكتب ، قيل

بدأت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من الأتبار . وقرئ في الأميين بحذف ياء النسب .

﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(٢) : جمع سفر ، والسفر : الكتاب الكبير من كتب العلم .

﴿إِنْ زَعَمْتُمْ﴾^(٣) : الزَّعْمُ مثل الرأي ، ويكون بمعنى الظن ، وبمعنى الاعتقاد ،

وبمعنى الكذب .

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾^(٤) : النداء : الأذان ، وقالوا المراد به

الأذان عند قعود الامام على المنبر وأول مَنْ سماها جمعة "كعب بن لؤى" وفيها ثلاث لغات وكان يقال لها العروبة .

(١) قال ابن عباس : الأميون العرب كلهم ، مَنْ كتب منهم وَمَنْ لم يكتب ، لأنهم لم يكونوا أهل كتاب . وروى منصور عن ابراهيم قال : الأمي الذي يقرأ ولا يكتب .

قوله تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم : أى لم يكونوا فى زمانهم وسيجيئون بعدهم قال ابن عمر وسعيد بن جبير : هم العجم .

(٢) سمى سفرا لأنه يسفر عن المعنى إذا قُرئ . قال القرطبي : وفى هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه ؛ لئلا يلحقه من الذم مآلحق هؤلاء .

(٣) قال الراغب : الزعم حكاية قول يكون مظنةً للكذب ولهذا جاء فى القرآن فى كل موضع ذمُّ القائلين به . وقيل للضمان بالقول والرئاسة زعامة ف قيل للمتكفل والرئيس زعيم للاعتقاد فى قوليهما أنهما مظنةٌ للكذب .

(٤) قرأ ابن الزبير والأعمش "الجمعة" وهما لغتان والجمع على جُمَعَ وجُمُعَات . وأما لغة الجمعة فلم يقرأ بها أحد . ، وهى لغة بنى عقيل . وعن سلمان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "إنما سميت جمعة لأن الله جمع فيها خلق آدم" .

﴿ تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ﴾ : اللهو^(١) : الغناء والمراد بها هاهنا صوت الطبل والتصفيق لأنهم كانوا إذا قدمت عليهم غير من الشام حاملة تجارة أو ميرة يتلقونها بالطبول والتصفيق .

قال أبو سلمة أول من سمّاها جمعة "كعب بن لؤى" . وقال ابن سيرين : جمّع أهل المدينة من قبل أن يقدّم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة ؛ وهم الذين سموها الجمعة . وكان الذى جمّع بهم وصلى أسعد بن زرارة ، وروى أنهم كانوا اثنى عشر رجلا . وقال البيهقى وروينا عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري أن مصعب بن عمير كان أول من جمّع الجمعة بالمدينة للمسلمين قبل أن يقدّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال البيهقى : يحتمل أن يكون مصعب جمّع بهم بمعونة أسعد بن زرارة فأضافه كعب إليهم .

(١) فى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة ، فجاءت غير من الشام فانقتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا - فى رواية أنا فيهم - فأنزلت هذه الآية التى فى الجمعة .

وقد ذكر الكلبي وغيره : أن الذى قدّم بها دحية بن خليفة الكلبي من الشام عند مجاعة وغلاء سعر ، وكان معه جميع ما يحتاج الناس من برّ ودقيق وغيره ، فنزل عند أحجاز الزيت ، وضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه ؛ فخرج الناس إلا اثنى عشر رجلا .

وعند الدارقطني من حديث جابر . أنهم انفضوا غير أربعين رجلا أنا فيهم . والسبب فى تركهم استماع الخطبة ما ذكره أبو داود بسنده عن مقاتل بن حيان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قبل الجمعة مثل العيدين ، حتى كان يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب ، وقد صلى الجمعة ، فدخل رجل فقال : إن دحية بن خليفة الكلبي قدّم بتجارة ، وكان دحية إذا تقدّم تلقاه أهله بالدّفاف ؛ فخرج الناس فلم يظنوا إلا أنه ليس فى ترك الخطبة شئى فنزلت .

سورة المنافقون

﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ : الجُنَّة : الرِّقَاية .

﴿ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ : ساءَ أخت بئس .

﴿ كَانَهُمْ خَشَبٌ مُسْتَدَدٌ ﴾ (١) : جمع الخشبة خَشَبٌ و خُشْبٌ و خُشْبَانٌ

شبههم بالخشب المستددة لعدم الانتفاع بها ، وإنما يُتَنَفَّعُ بها إذا كانت فى سقف أو حائط أو باب وإذا كانت مُلصقة إلى الجُدُر فلا نفع بها ، ويجوز أن يكون شبههم بالأصنام المنحوتة لأنها لا يُتَنَفَّعُ بها . فكأنهم مثلها فى المنظر وعدم المخبر .

﴿ لَوْأَ رِءُوسُهُمْ ﴾ (٢) : أى عطفوها إعراضا .

﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِى ﴾ : لولا هاهنا بمعنى هلاً للتخصيض .

(١) قرأ قنبل وأبو عمرو والكسائى خُشْبٌ بسكون الشين واحدها خَشْبَةٌ مثل بَذَنَّةٌ و بُذْنٌ - وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ أى هيئاتهم ومناظرهم . قال ابن عباس : كان عبد الله بن أبى وسيماً جسيماً صحيحاً صبيحاً ذلق اللسان . فإذا قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم مقالته ، وصفه الله بحُسن الإبانة وتَمَامِ الصورة . وفى صحيح مسلم : وقوله : ﴿ كَانَهُمْ خَشَبٌ مُسْتَدَدٌ ﴾ قال : كانوا رجالاً أجمل شئى كأنهم خشب مستددة ، شبههم بخشب مستددة إلى الحائط لا يسمعون ولا يعقلون ، أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام .

(٢) قال القرطبى : لوأا رؤوسهم : أى حركوها استهزاء وإباء ؛ قاله ابن عباس .

سورة التغابن

﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ : الملك : اسم المصدر ، والمصدر الملك ، والمُلك عبارة عن استيلاء الملك على البلاد والعباد وتقديم في الملك والحمد يدلان على الاختصاص وأما ملك غيره فتسليط واسترعاء .

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : الزعم : ادعاء العلم ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "زعموا مَظَنَّةُ الكذب" وعن سريح "لكل شئ كنية وكُنْيَةُ الكذب" زعموا ، فإن كان بمعنى العلم تعدى إلى مفعولين .

﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾^(١) : مُسْتَعَارٌ مِنْ تَغَابَنَ الْقَوْمُ فِي التَّجَارَةِ يُقَسَّرُهُ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ^(٢) "ما من عبد يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا . وما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حَسْرَةً" . ومعنى ذلك يوم التغابن .

(١) أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس ومجاهد وقتادة أنهم قالوا : يوم غبن فيه أهل الجنة أهل النار ، يقال : غَبِنْتُ فلاناً إذا بايعته أو شاربته فكان النقص عليه والغلبة لك .

(٢) والحديث في الصحيح .

الغريب

* يَهْدِ قَلْبُهُ : يوفقه لليقين والصبر والتسليم .

* فتنة : بلاء ومحنة واختبار .

سورة الطلاق

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ : خصَّ النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعمَّ بالخطاب لأن النبي صلى الله عليه وسلم إمام أمتهم وقُدوتهم . كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان فعلوا كَيْت وكَيْت إظهاراً لتقدمه واعتباراً برياسته وكأنه وحده فى حكم كلهم ومعنى طَلَّقْتُم إذا أردتم الطلاق .

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ : أحصى الشئ يُحصيه إحصاء إذا عدَّه وضبطه ، نحن أكثر منهم حصى أى عددا . والحصو المنع

قال : (١)

ألا تخافُ الله إذ حصوتنى حَقَّى بلا ذنب وإذ عَنَيْتَنى؟

﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ﴾ : الوعظ : النصيح والتذكير بالعواقب .

﴿وَاللَّائِي يَئْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ : اليأس : القنوط وقد يئس من الشئ يئأس وفيه لغة يئس -بالكسر فيهما- وهو شاذ ، قال المبرد منهم مَنْ يُبْدَل فى المستقبل الياء الثانية ألفا يا أس . ويئس بمعنى علم فى لغة النخع ومنه قوله تعالى ﴿أفلم يئأس الذين آمنوا﴾ {الرعد-٣١} .

﴿مَنْ وَجَدَكُمْ﴾ (٢) : الوجد : الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث .

(١) الشاعر هو بشير الفريرى كما فى اللسان .

وأصل معنى الاحصاء العدَّ بالحصى كما كان معتاداً فى القديم .

(٢) قرأ ابن يعقوب الحضرمى وهو صاحب قراءة متواترة مِنْ وَجَدَكُمْ . وقرأ الحسن والأعرج وابن أبى عسلة من وَجَدَكُمْ بفتح الواو .

﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾^(١) : الائتثار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور

ويُقال اتتمر القوم إذا أمر بعضهم بعضا .

﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ : أعرضت عنه على حد العتو والعناد .

(١) قال القرطبي في قوله تعالى "وأتمروا بينكم بمعروف" هو خطاب للأزواج والزوجات أى وليقبل بعضكم من بعض ما أمره به من المعروف الجميل . والجميل منها إرضاع الولد من غير أجرة . والجميل منه توفير الأجرة عليها للارضاع . ١٠ هـ .
وإن تعاسرتم : أى تضايقتن وتشاكستن . وقال الضحاك : إن أبت الأم أن ترضع استأجر لولده أخرى ، فإن لم يقبل أجبرت أمه على الرضاع بالأجر .

سورة التحريم

﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ : فيه معنيان الأول : قد شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولهم «حل فلان في يمينه إذا استثنى فيه» ، ومنه «حلا أبيت اللعن» أى استثن ومنه «يا حالف اذكر حلاً في يمينك إذا طلقت». وذلك أن يقول إن شاء الله عَقَبَهَا . والثانى : قد شرع لكم تحليلها بالكفارة .

﴿ قَانِتَات ﴾ : القنوت : الطاعة طاعة الله وطاعة رسوله .

ثِيَّات وأبكارا : وَسُطَّت الواو دون باقى الصفات لوجود التنافى إذ لا يجتمعان بخلاف البواقى لاحتمال الاجتماع فيهن .

﴿ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ : وُصِفَت التوبة بالنُّصْح على سبيل المجاز والنصح صفة التائبين أن يأتوا بها متداركة للفرطات ماحية للسيئات عازمين على أن لا يعودوا موطنين أنفسهم على ذلك - وعن عليّ تجمعها ستة أشياء " الندم على الماضى من الذنوب ، والاعادة للفروض ، ورد المظالم واستحلال الخصوم ، والعزم على عدم العود ، وأن تُدْبِهَا فى طاعة الله تعالى كما أدأبتها فى معصيته ، وأن تذيبها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصى . "

﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ : الكفار بالسيف ، والمنافقين بالاحتجاج .

﴿ امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ ﴾ : لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يُغْنِ الرسولان عنهما شيئاً ، وإن كان قد وقعت صلة الزوجية . ثم ضرب الله المثل بالمرأتين الصالحتين وإن كان قومهما كفاراً مريم وامرأة فرعون فإن قيل ما خيانة امرأة نوح . قيل إنها كانت تقول لقومها هو مجنون . وأما امرأة لوط فدلّت على ضيفانه واسم امرأة فرعون آسية بنت مزاحم ، وقيل هى عمة موسى آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الافك .

﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ : غَلَبَ الذَّكَوْرَةُ عَلَى الْإُنْثَى ، وَقِيلَ اسْمُ امْرَأَةِ نُوحٍ
وَإِغْلَى وَاسْمُ امْرَأَةِ لُوطٍ وَاهِلَةٌ ، قَالَ جَارُ اللَّهِ وَحْدِيثُ أَثَرِ الصَّنْعَةِ عَلَيْهِ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ .

الغريب

- * فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا : أَى زَاغَتْ وَمَالَتْ عَنِ الْحَقِّ .
- * تَظَاهَرَا عَلَيْهِ : تَتَعَاوَنَا عَلَى النَّبَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يُؤْذِيهِ .
- * مَوْلَاهُ : وَلِيهِ وَنَاصِرُهُ .
- * ظَهِيرٌ : فَوْجٌ مُعِينٌ .

سورة الملك

﴿تَبَارَكَ﴾ : تعالى عن صفات المخلوقين وتعاضم .

﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ : أى هو مستولٍ على كل موجودٍ حاصلٍ وعلى كل موجود لم

يوجد داخل تحت القدرة ، وذكر اليد مجاز^(١) عن الاحاطة والشمول .

﴿خَلَقَ الْمَوْتَ﴾^(٢) والحياة : الموت : عدم الاحساس ، والحياة : وجود

الاحساس .

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾^(٣) : ليس الغرض التثنية وإنما الغرض التكرار لأنه لا

ينقلب خاسئاً حسيراً بمرتين ، ونظيره لبيك وسعديك أى تلبية بعد تلبية .

(١) قال ابن كثير : يمجّد الله تعالى نفسه الكريمة ويخبر أن بيده الملك أى هو المتصرف فى جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يُسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله ١ هـ . وقال ابن عباس : بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء ، ويحيى ويميت ، ويعفى ويفقر ، ويعطى ويمنع .

(٢) خلق الموت والحياة أى قدر الموت والحياة فأما مَنْ شَاءَ وماشَاءَ ، وأحْيَى مَنْ أَرَادَ وما أَرَادَ إِلَى - = أجل معلوم . أو أوجد الحياة ، وأزالها حسبما قدره .

وأما ما ذكره المؤلف فقد جرى فيه مجرى جار الله . وهو أشبه برأى القدرية -قطع الله ذكرها- فى أن الموت عدم وهو خطأ ، ومعتقد أهل السنة والجماعة أنه أمر وجودى يضاد الحياة . ولو كان العدم مخلوقاً حادثاً وعدم الحوادث مقررأً أزلاً لَلَزِمَ القول بقطع الحوادث أزلاً وذلك يشم منه القول بقديم العالم . نعوذ بالله من زلة القدم واللسان .

(٣) الغرض من التثنية فى قوله "كرتين" التأكيد . ومعنى كرتين أى مرتين ونصبها على المصدر . ومعنى هل ترى من فطور . قال مجاهد : الفطور : الشقوق وهو مأخوذ من "فطر نابُ البعير" أى شقَّ اللحم والظهر . وجملة "هل ترى من فطور" فى موضع نصب بفعل معلق محذوف ، أى : فانظر هل ترى .

﴿ رَجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾^(١) : جمع رَجَمَ وهو مصدر سُمِّيَ به ما يُرْجَمُ به ، ومعنى كونها ما يَرَجَمُ به أن الشهب التي تنقضُ لرُمى المسترقة منفصلة من نار الكواكب . لا أن الرجم يقع بالكواكب لأنها قارّةٌ في أفلاكها وما ذاك إلا كقبس يؤخذ من النار .

﴿ تَكَادُ تَمِيزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ : التميز هاهنا التَّقَطُّعُ^(٢) .

﴿ ذُلُولًا ﴾^(٣) : الذلول المطيعة من النياق واستعارها للأرض ثم جعل المشى في مناكبها مَثَلٌ لفرط التذليل والمناكب هاهنا الجبال وهو أبلغ في التذليل .

﴿ صَافَاتٍ ﴾ : باسطات أجنحتها لأنَّ الطيران في الهواء كالسباحة في الماء .

﴿ مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ ﴾^(٤) : فجعل أكبر مطاوع كَبَّهَ لأنهم يقولون كَبَّهَ فَأَكَبَّ ولم يقولوا فانكبَّ وهو من الشواذ ، وذلك لأن الثلاثي متعد والرباعي لازم، ونحوه قشعت الريح السحاب فأقشع ولا شئى من بناء أفعال مطاوعاً ؛ وهذا منقول من جملة كتاب سيبويه ، وقال الزمخشري هو من باب انقضض ومعناه دخل في الكب فصار ذا كب

(١) قوله ﴿وجعلناها رجوما﴾ أى جعلناها منها ، لأن السماء ذاتها ليست يَرَجَمُ بها وهذا على تقدير عود الضمير على السماء . والظاهر عوده على "مصابيح" ونُسب الرجم إليها لأن الشهاب المتبع للمسترق منفصل من نارها والكوكب قارٌّ في فلكه .

(٢) قاله سعيد بن جبير . وقال ابن عباس : تفرق من الغيظ من شدة الغيظ على أعداء الله تعالى . وقيل من الغيظ من الغليان .

(٣) ذلولا : أى سهلة تستقرون عليها . والذلُّول المنقاد الذى يذلُّ لك ؛ والمصدر الذلُّ وهو اللين والانقياد . أى لم يجعل الأرض بحيث يمتنع المشى فيها بالحزونة والغلظة .

(٤) مُكَبًّا : أى منكساً رأسه لا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله . قال أبو حيان : مكبا حال من أكب ، وهو لا يتعدى ، وكبَّ متعد قال تعالى ﴿فكبت وجوههم فى النار﴾ والهمزة فيه للدخول فى الشئى ، أو للصيرورة ، ومطاوع كب انكبَّ تقول كبيتها فانكب .

وكذلك أقشع السحاب دخل في القشع بجعل الهمزة للصيرورة ، مثل أَعْدًا البَعِير
وأحصد الزرع .

﴿ سَيِّئَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ : عليها الكآبة وغشيتها الكسوف كحال مَنْ يُقَاد
إلى القتل أو يُعَرَّض على العذاب .

﴿ كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴾ : يجوز أن يكون تفتعلون من الدعاء تطلبونه وتستعجلونه ،
وقيل من الدعوى أى كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبعثون .

﴿ مَا أُرْكُمْ غَوْرًا ﴾ : أى غائراً ذاهباً فى الأرض ، وعن الكلبي لا تناله الدلاء ،
وهو وصف بالمصدر كعدل ورضى . وعن بعض الجهال أنه لما قرأ هذه الآية قال تأتى به
الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينه نعوذ بالله من الجرأة على كلامه المعجز .

سورة ن

قال جار الله المُراد بنون الحرف المعروف من حروف المعجم ، وقول . من قال أراد به الدّواة لا أدري أهو وضع لغوى أم شرعى .^(١)

وقال الجوهري : النون : الحوت وجمه أنوان ونيان ، والنون شفرة السيف ، قال الشاعر بذي نونين مِفْصَالٍ مِقْطَ .^(٢) والنون اسم سيف لبعض العرب قال الشاعر (الحارث بن زهير)

سأجعله مكان النون منى وما أُعْطِيَتْهُ عَرَقَ الحِلالِ .^(٣)

والنون حرف من حروف المعجم .

﴿وَالْقَلَمُ﴾ : لا تُسَمَّى اليراعة قلماً . إلا إذا بُرِيت ، وقد تقدم وأقسم به لما فيه من المنافع والفوائد .

﴿الْمَفْتُونُ﴾ ومفتون^(٤) : أى مجنون لأنه فُتِنَ أى مجن بالجنون ، والمفتون مصدر كالمعقول والمجلود والمحصول والميسور والمعسور قال سيبويه مهما جاء من هذا الوزن فهو صفة ولا يجئ المصدر عندهم على وزن مفعول البتة . ويتأول قولهم دعه إلى

(١) قال الأزهري لا يجوز فيه غير الهجاء ألا ترى أنّ كتاب المصحف كتبون ن ولو أريد به الدواة أو الحوت لكتب نون . وإن ورد فى تفسيره عن الحسن وقتادة .

(٢) وجاء فى اللسان : بذي نونين فَصَّالٍ مِقْطَ .

(٣) يقول سأجعله أى هذا السيف الذى استفدته مكان ذلك السيف الآخر ، قوله وما أُعْطِيَتْهُ عَرَقَ الحِلالِ أى ما أُعْطِيَتْهُ مكافأة ولا مودة ولكنى قتلت حملاً وأخذته منه قسراً ، والنون سيف حنش بن عمرو وكان حمل بن بدر أخذه منه يوم قتله وأخذه الحارث بن زهير صاحب الشعر من حمل بن بدر يوم قتله .

(٤) هكذا بالأصل والآية «بأيكم المفتون» أى فى أى الفريقين منكم المجنون .

ميسورة ومعسورة إلى أمر يُوسَّر فيه أو أمر يُعسَّر فيه .

﴿لَوْ تَدَّهَنَ﴾ : أى تَلين وتصانع .

﴿هَمَّازٌ﴾ : كبير الغيبة، وقال الحسن : يلوى شذقيه فى أقفية الناس .

﴿مُشَاءً بِنَمِيمٍ﴾ : نَقَّال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السَّعاية .

﴿زَنِيمٍ﴾ ^(١) : مجاوز للظلم .

﴿عُتْلٍ﴾ : جاف غليظ من عَتَلَه إذا ساقه بُعُف، وقيل زَنِيم دَعَى : قال حسان

: وأنت زَنِيم نِيط فى آل هاشم : كما نِيط خَلَقُ الراكب القَدْحُ الفَرْدُ، قيل المراد به الوليد بن المغيرة، وكان دَعِيًّا فى قريش .

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦)﴾ : الرِّسْم : العلامة، والخرطوم : الأنف،

والخرطوم من أسماء الخمر وهو كناية عن الأهانة لأن الأنف محل العز والأنفة والشَّمَم .

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ : يريد أهل مكة .

﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ : قوم من أهل الصلاة، كانت لأبيهم جنة، هذه الجنة دون

صنعاء اليمن بفرسخين، وكان يأخذ منها قوت سنته، ويتصدق بالباقي، فَشَحَّتْ نفوس أولاده فأحرقها الله تعالى .

﴿وَلَا يَسْتَنْوَنَ (١٨)﴾ ^(٢) : فى يمينهم وهو قولهم إن شاء الله، قال جار الله .

(١) زَنِيم : دَعَى مُلْصَقٍ بقومه أو شَرِير .

(٢) وَلَا يَسْتَنْوَنُونَ حَصَّةَ المساكين . وقد أقسموا ليقطعن ثمارها بعد الاستواء ولا يتركوا شيئاً للمساكين مخالفين فى ذلك عادة أبيهم .

كيف سمي استثناء وهو شرط. فأجاب : أنه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث إن معنى قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد.

﴿ كَالصَّرِيم ﴾ : أى كالمصرومة لهلاك ثمرها، وقيل الصريم : الليل. أى احترقت فاسودت وقيل النهار وهو من الأضداد، وقيل الصريم الرمال.

﴿ يَتَخَفَتُونَ ﴾ (١) : يتسارون، وخفى وخفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم.

﴿ عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ : الحرد : المنع من حاردت السنة إذا منعت خيرها . وحاردت الابل إذا منعت درها وقيل الحرد : الحنق والغضب. وقيل : القصد والسرعة - يقال حردت حردك إذا قصدت قصدك قال.

أقبل سيل جاء من عند الله
يَحْرُدُ حَرْدَ الْحَيَّةِ الْمُغَلَّةِ (٢)

والمعنى غدوا على جنتهم بسرعة

﴿ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (٣) : التسبيح هاهنا : الاستثناء ، وقيل المراد به الصلاة

(١) يتسارون أى يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم أحد ؛ قال عطاء وقتادة وهو من خفت يخفت إذا سكن ولم يبين.

(٢) المغلة : التى لها دخل وثمار. والرأى الذى اختاره المؤلف هو قول أهل اللغة مثل أبى عبيدة والفتيبي. وحاردت الابل حرادا أى قلت ألبانها. والحرد من النوق القليلة الدر وحاردت السنة قل مطرها وخيرها.

قال قتادة ومجاهد : «على حرد» أى على جد. الحسن : على حاجة وفاقة وقيل على حرد على انفراد يقال : حرد يخرد حُرودا ؛ أى تنحى عن قومه ونزل منفرداً ولم يخالطهم. و المنحرد المنفرد فى لغة هذيل.

والراجح عندى هو قول مجاهد والمعنى أى غدوا إلى جنتهم، على نشاط وسرعة وجد من أمرهم. وقادرين أى فى زعمهم على ما أصروا عليه من الصرام وحرمان المساكين.

(٣) هو قول مجاهد. أى لولا تستنون عند قولهم «ليصرمنها مصبحين» وذلك لأن المراد بالاستثناء ذكر الله، وهو موجود من التسبيح.

لأنهم . كانوا يتوانون عنها .

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ (١) : مثل يُضْرَبُ لشدة الأمر .

﴿ مِّنْ مَّغْرَمٍ ﴾ : المغرم : الغرامة .

﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ (٢) : المكظوم المممتلئ غيظاً من كظم السقاء إذا ملاه .

﴿ لَيُزْلِقُونَكَ ﴾ (٣) : : بضم الياء وفتحها : يعنى أن عيونهم تؤثر فيك حتى تزلق قدمك . أو يهلكونك بأبصارهم .

(١) روى البخارى ومسلم من حديث أبى سعيد الخدرى قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً» وهذه الآية من التشابه الذى يجب على كل مسلم أن يؤمن بها كما نزلت من غير تعطيل ولا تجسيم . وأما تأويل الكشف عن الساق بالكشف عن نوره كما عند أبى يعلى ففيه روح ! بن جناح شامى يأتى بأحاديث منكرة . لا يتابع عليها وقد رواه روح عن مولى عمر بن عبد العزيز وقال ابن حبان فيه إن «روح منكر الحديث جداً يروى عن الثقات ما إذا سمعه الإنسان شهد له بالوضع . والمولى الذى يروى عنه مجهول وموالى عمر بن عبد العزيز كثر لا يُدرى من منهم روى عنه روح

(٢) مكظوم : مغموم ؛ قاله ابن عباس ومجاهد والسدى قال أبو مالك وعطاء : مكروب .

(٣) قرأ نافع وأبو جعفر : لَيُزْلِقُونَكَ بفتح الياء . قال ابن عباس ومجاهد : ليزلقونك : لينفذونك بأبصارهم أى يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم . وفى هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة .

سورة الحاقة

﴿ الْحَاقَّةُ ١ ﴾ (١) : الساعة الواجبة الوقوع الآتية بلا ريب فيها، أو التي فيها حَوَاقُ الأمور من الحساب والثواب والعقاب. أو التي تُحَقُّ فيها الأمور؛ من قولك لا أحق هذا أى لا أعرف حقيقته. جعل الفعل لها وهو لأهلها.

﴿ بِالْقَارِعَةِ ٢ ﴾ (٢) : التي تفرع الأسماع بالأهوال.

﴿ بِالطَّائِفَةِ ٣ ﴾ (٣) : أى بالواقعة المجاوزة الحد في الشدة، واختلف فيها ؛ ف قيل الرجفة وقيل الصاعقة ، وقيل الطافية مصدر كالعافية.

﴿ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ٤ ﴾ (٤) : الصرصر : الشديدة الصوت لها صرصرة من قولهم إذا صرصر البازى فلا ديك يصرخ وقيل الباردة من الصَّرَّ عاتية: شديدة العصف، وقيل عتت على عادٍ فلم تقدر على ردها. لأنها كانت تنزعهم من أماكنهم ومن آبارهم التي ينزلون فيها.

﴿ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ٥ ﴾ (٥) : إما أن تكون جمع حاسم وهو القاطع ومنه

(١) قال ابن كثير : الحاقة من أسماء يوم القيامة لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله أمرها.

(٢) القارعة : القيامة سميت بذلك لأنها تفرع الناس بأهوالها.

(٣) قال قتادة بالصيحة . وقال الكلبي بالصاعقة .

(٤) قال الضحاك والحسن الصرصر الريح الباردة مأخوذ من الصَّرَّ وهو البرد وقال مجاهد : أنها الشديدة الصوت . وأما العاتية ففي تسميتها بذلك وجهان .

الأول : لأنها عتت على القوم بلا رحمة ولا رأفة قاله ابن عباس .

والثاني : أنها عتت على خزانها فلم تطيعهم .

(٥) حسوما : متتابعة لا تفتر ولا تنقطع : قاله ابن عباس وابن مسعود ١٠ هـ وهو الراجح عندي

الحُسَام : السيف كَشَاهِد وشهود، أو يكون مصدرًا كالكَفُور والشُّكُور، والمراد بالحسوم أنها حسمت كل خير، قيل إنها أيام العجوز وهى إشارة إلى عجوز من عاد توارت فى سربٍ فانتزعها الريح، وقيل من عَجَزُ الشتاء وهى آخر الشتاء، وقيل متتابعة، ويقال الحسوم : الشوم ومعنى سخرها عليهم أى سلطها عليهم كما يشاء.

﴿ رَأْيِيَّة ﴾ (١): مرتفعة.

﴿ طَعَا الْمَاء ﴾ (٢) : أى ارتفع وكبر شأنه.

﴿ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ (٣) : الجارية : السفينة اشتق لها من فعلها.

قال الفراء : الحسوم التَّبَاع . مِنْ حَسَمَ الدَّاءُ إِذَا كُوِيَ صَاحِبُهُ .

وقال المبرد : هو من قولك حسمت الشيء إذا قطعته وفصلته عن غيره.

قال ابن زيد : حسمتهم فلم تَبَقْ منهم أحداً وعنه أنها حسمت الليالى والأيام حتى استوعبتها لأنها بدأت طلوع الشمس من أول يوم وانقطعت غروب الشمس من آخر يوم.

وقال الليث : الحسوم الشؤم . ويقال : هذه ليالى الحسوم ، أى تحسم الخير عن أهلها وقاله فى الصحاح.

وعن عطية العوفى حسوماً أى حسمت الخير عن أهلها.

قال وهب : وهذه الأيام التى تسميها العرب أيام العجوز ذات برد وريح شديدة ونُسبت إلى العجوز لأن عجوزاً من عادٍ دخلت سَرَباً فتبعتها الريح فقتلتها فى اليوم الثامن . وقيل سميت أيام العجوزة لأنها وقعت فى عجز الشتاء.

(١) قال مجاهد : رابية شديدة . كأنه أراد رائدة فى الشدة.

(٢) قال علىّ رضى الله عنه : طغى على خَزَّانِهِ من الملائكة غضباً لربه فلم يقدروا على حبسه وقال ابن عباس : طغى الماء زمن نوح على خَزَّانِهِ فكثر عليهم فلم يَدْرُوا كم خرج . وليس من الماء مَطَرَةٌ تنزل قبله ولا بعده إلا بكيل معلوم غير ذلك اليوم.

(٣) حملناكم أى حملنا آباءكم وأنتم فى أصلابهم.

﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَأَعِيَةٌ﴾^(١) : قال جابر الله : لِمَ جِئَ بِهِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّنْكِيرِ ،
قلت إِيذَانُ بَأَنِ الْوَعَاةِ فِيهِمْ قَلَّةٌ .

﴿فَدُكَّتَا﴾^(٢) : الدَّكُّ : ضَرْبُ بَعْضِ الشَّيْءِ بِبَعْضِهِ حَتَّى يَنْدَقَ ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ
الدَّقِّ .

﴿وَاهِيَةٌ﴾ : أَيْ ضَعِيفَةٌ ، وَقِيلَ مُسْتَرْخِيَةٌ سَاقِطَةُ الْقُوَّةِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُحْكَمَةً .

﴿خَافِيَةٌ﴾^(٣) : سَرِيرَةٌ .

﴿هَآؤُمُ﴾^(٤) : صَوْتُ يُفْهَمُ مِنْهُ خُذْ .

(١) واعية : حافظة سامعة؛ قاله ابن عباس . وقال قتادة : أذن عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت
من كتاب الله .

(٢) قال القرطبي في قوله «فدكتا» أى فتتا وكسرتا . ولم يقل فدككن لأنه جعل الجبال كلها كالجملة
الواحدة ، والأرض كالجملة الواحدة .

وفرقوا بين الدك والدق بأن فى الأول تفرق الأجزاء وفى الثانى اختلافها . وأصله الضرب على
ما ارتفع لينخفض ويلزمه التسوية غالباً فلذا شاع فيها حتى صار حقيقة ومنه أرض دكاء للمتسعة
المستوية .

(٣) قال عبد الله بن عمرو : لا يخفى المؤمن من الكافر ، ولا البر من الفاجر أو لا تستتر منكم
عورة .

(٤) فى الكلمة لغات أجودها ما حكاه سيبويه فى كتابه فقال : العرب تقول هاء يا رجل بفتح
الهمزة وهاء يا امرأة بكسرها وهاء يا رجلان أو امرأتان وهاء يا رجال ، وهاء يا نسوة . فالميم
فى هاء الميم فى أنتم . وفُسِّرَ ههنا بخذوا وهو متعد بنفسه إلى المفعول - وهو محذوف دل
عليه المذكور أعنى كناية .

وقال الجوهري : هاء بكسر الهمزة بمعنى هات وبفتحها بمعنى خذ ، وإذا قيل لك هاء بالفتح فلك
ما أهأ أى ما أخذ وما أهأ على ما لم يسم فاعله أى ما أعطى .

﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ ﴾ (١) : أى علمت وإنما أُجْرى الظن مجرى العلم لأن الظنَّ الغالب يُقام مقام العلم فى العادات والأحكام، يُقال أَظُنُّ كاليقين. أن السر كيت وكيت.

﴿ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ (٢) : أى راضٍ صاحبُها، وقيل أُسند إليها الرضى على حكم الملايسة.

﴿ قُطِرُفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ (٢٣) : ينالها القاعد والقائم.

﴿ الْخَالِيَةِ ﴾ (٣) : الماضية، وقيل المراد بها أيام الصيام .

﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴾ (٢٧) . أى القاطعة لأمرى فلم أُبعث بعدها. وقيل المراد الحالة التى شاهدها - ليتها كانت الموتة التى قضيت علىَّ لأنه رآها أبشع وأمرَّ مما ذاقه من الموت فتمناه عندها.

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ ﴾ (٢٨) (٤) : يحتمل النفى ويحتمل الاستفهام على وجه الإنكار. أى أى شَيْءٍ أغنى عنى مما كان لى من اليسار.

(١) إني ظننت : أى قد كنت موقناً فى الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة قال الضحاك : كل ظن فى القرآن من المؤمن فهو يقين. ومن الكافر فهو شك.

وهذه الجملة وقعت موقع التعليل لما تشعر به الجملة الأولى من حسن الحال فكأنه قيل إني على ما يحسن من الأحوال أو إني فرح مسرور لأننى ظننت بربى سبحانه أن يحاسبنى حساباً يسيراً وقد حاسبنى كذلك فالله تعالى عند ظن عبده به.

(٢) راضية أى مرضية قاله أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى يرفعانه : «إنهم يعيشون فلا يموتون أبداً ويصحون فلا يمرضون أبداً، ويتنعمون فلا يرون بؤساً أبداً، ويشبون فلا يهرمون أبداً». رواه مسلم والترمذى.

(٣) الماضية وهى أيام الدنيا. وروى عن مجاهد وابن جبير ووکیع من تفسيرهذه الأيام بأيام الصيام وهو محمول على الخصوص والعموم فى الآية هو الظاهر.

(٤) إذا كانت ما نافية فى قوله ما أغنى تكون ما فى «مالية» موصولة فاعل أغنى ومفعوله محذوف، لِيَهٗ جار ومجرور فى موضع الصلة. ويجوز أن تكون ما فى «ما أغنى» استفهامية للإنكار.

﴿سُلْطَانِيَّة﴾ (١) : الهاء للسكت ، والسلطان ههنا : المُلْك .

﴿الْجَحِيم﴾ : النار العُظمى .

﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ : أى اجعلوا السلسلة سِلْكَاً له كالسِّلْك الواقع فيه الخرز واللؤلؤ وهو الخَيْط ، ووصفها بالسبعين إرادة الطول كقوله تعالى ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ يريد مرّات كثيرة .

﴿وَلَا يَحْضُ﴾ : أى يَحْثُ .

﴿غَسَلِينَ﴾ الغَسَلين : ما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم .

﴿الْخَاطِئُونَ﴾ (٢) : الآثِمون . وَخَطِئَ الرَّجُلُ إِذَا تَعَمَّدَ الذَّنْبَ . قال الجوهري ، وقال أبو عبيدة خَطِئَ وَأَخْطَأَ لَفْتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَفِي الْمَثَلِ «مَعَ الْخَوَاطِئِ سَهْمٌ صَائِبٌ» ، وقال الأُمَوِيُّ الْمَخْطِئُ مَنْ أَرَادَ الصَّوَابَ فَصَارَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَالْخَاطِئُ مَنْ تَعَمَّدَ مَا لَا يَنْبَغِي .

﴿تَقُولَ عَلَيْنَا﴾ (٣) : افعل القول ، والأقاويل جمع أَقْوُولَةٍ أَفْعُولَةٌ تَصْغِيرٌ لَهَا وَتَحْقِيرٌ مِثْلُ الْأَعَاجِبِ وَالْأَضَاحِكِ .

﴿لَا أَخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) ﴿ (٤) : أبرز هذا القول فى جزاء مَنْ كَذَبَ عَلَى الْمَلِكِ وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ أَنَّهُ يَقْتَضِي قَتْلَهُ صَبْرًا لَكُونِهِ يُوْخَذُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُقْطَعُ وَتَيْنُهُ ، وَالْوَتِينَ نِيَاطُ الْقَلْبِ ، وَهُوَ حَبْلُ الْوَرِيدِ إِذَا قُطِعَ مَاتَ صَاحِبُهُ .

(١) فسر ابن عباس السلطان ههنا بالحُجَّة وهو قول مجاهد وعكرمة والسدى والضحاك وقال ابن زيد: يعنى سلطانية فى الدنيا الذى هو المُلْك . وكان هذا الرجل مطاعاً فى أصحابه .

(٢) وقال ابن عباس : خطئ الرجل إذا تعمد الذنب وهم المشركون .

(٣) الظاهر أن الأقاويل جمع الجمع كالأناعم جمع أقوال وأنعام .

(٤) معنى لاأخذنا منه باليمين أى لاأخذنا منه قوته كلها ، قال الربيع والراجح عندى حَمَلَ الْيَمِينِ عَلَى الظاهر أى لقطعنا يده اليمنى كما جاء عن الحسن .

﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ (٤٧) : مانعين ، وهو إخبار عن أحد لأنَّ أحد في معنى الجماعة والضمير في «عنه» للقتل .
﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ (٥١) (١) : أى عَيْنُ اليقين . والله تعالى أعلم

(١) حق اليقين هو أعلى مراتب العلم ودونه عين اليقين ودونه علم اليقين فالأول كعلم العاقل بالموت إذا ذاقه والثانى : كعلمه به عند معاينة ملائكته والثالث كعلمه به فى سائر أوقاته . والله أعلم .

سورة المعارج

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ (١) : ضَمَنَّ سَأَلَ دَعَا ؛ فلذلك عدَّاه بحرف الجر ، قيل الداعى : النضر بن الحارث لأنه قال : فأاطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . ، وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعَجَلَ عذاب الكافرين . وقرئَ سال سائل وهى لغة قريش .

﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ : أى المصاعد جمع مَعْرَج .

﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٢) : من سِنِي الدنيا ، وقيل فيه (٣) خمسون موطناً ، كل موطن ألف سنة .

﴿كَأَلْمُهْلِ﴾ : المَهْل : دُرْدَى الزيت .

﴿كَالْعِهْنِ﴾ والعهن : الصوف المصبوغ ألواناً لأن الجبال جُدَدٌ بيض وحمَر مختلف ألوانها وغرايب سود فإذا بُسَّتِ وطِيرَتْ فى الجو أشبهت العهن المنفوش .

(١) أخرج الحاكم عن سعيد بن جبير أنه النضر بن الحارث . قال الذهبي حديث صحيح على شرط البخارى .

(٢) المراد بذلك يوم القيامة رواه ابن أبى حاتم عن ابن عباس يسند صحيح وهو مروي عن عكرمة والضحاك وابن زيد . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال : هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وقد ورد أحاديث فى معنى ذلك أنظر تفسير ابن كثير (ج ٤ ص ٤٢٠) .

(٣) وقوله : وقيل فيه خمسون موطناً . . . الخ . قال القرطبي : وقال يَمَان : هو يوم القيامة ، فيه خمسون موطناً كل موطن ألف سنة . قلت وهو على الحقيقة إلا أن المعنى مقدار ما يقضى فيه من الحساب قدر ما يقضى بالعدل فى خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وتخصيص عروج الملائكة وجبريل لذلك اليوم مع أن عروجهم متحقق فى غيره إشارة إلى عِظَم الهول وانقطاع الخلق فيه إلى الله وانتظارهم أمره .

﴿يَصْرُونَهُمْ﴾^(١) : الضمير راجع إلى الحميم والحميم وهما اثنان والضمير

جمع .

قال جار الله : راعى معنى العموم أى لكل حميمين حميمين لا لحميمين اثنين

فقط .

﴿وَفَصِّلَتْهُ﴾ : عشيرته الأدنون الذين فصل عنهم .

﴿تُرْوِيهِ﴾ : تضمه .

﴿إِنَّهَا لَطْيٌ﴾^(٢) : الضمير للنار ولم يجر لها ذكر؛ لكن ذكر العذاب دلّ

عليها . ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً ترجم عنه الخبر . أو ضمير القصة ، ولطى علم

لنار منقول من اللطى وهو اللهب لأن تَلَطَّى النار التهاؤها .

﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوَى﴾^(٣) : الشوى : الأطراف^(٤) أو جمع شواه وهو جلدة

الرأس .

﴿تَدْعُو﴾ : أى تدعوهم مجاز^(٥) عن احضارهم ومنه قول أبى النجم : تقول للرائد

(١) يصرونهم : أى يصير الأحماء الأحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساؤل إلا اشتغالهم

بحال أنفسهم .

قال العوفى عن ابن عباس : يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض .

(٢) لطى : اسم مؤنث معرفة فلا ينصرف سميت بذلك لأنها تلتطى أى تلتهب .

(٣) قال أبو صالح . وقال ابن عباس ومجاهد : جلدة الرأس .

(٤) قوله مجاز خطأ . والصحيح أن الدعاء على حقيقته إذ يخلق الله تعالى فيها القدرة على الكلام

كما يخلقه فى جلودهم وأيديهم وأرجلهم فتناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم .

أَعَشِبْتَ أَنْزِلِ» وقيل ^(١) : تدعو : تَهْلِكُ. من قول العرب «دعاك الله» أى أهلكك الله .

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ ﴾ ^(٢) : المراد الناس ويؤيده الاستثناء إلا المصلين والهلَعَ سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير . وقولهم ناقة هِلَوَاع أى سريعة السير ، والخيرُ فى الآية المال .

﴿ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ ﴾ . المحروم : المتعفف الذى يُظَنُّ أنه غِنَى فَيُحْرَمَ .

﴿ قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ۝ ﴾ : أى يَمْدُون أعناقهم مُقْبِلِينَ بأبصارهم .

﴿ عَزِيزِينَ ۝ ﴾ : مفترقين جمع عِزَّة .

﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ۝ ﴾ : الأجداث : القبور ، وقيل تُبَدَلُ الثَّاءُ فاء .

﴿ إِلَىٰ نُصُبٍ ۝ ﴾ : وهو كل ما نُصِبَ لغير عبادة الله تعالى .

﴿ يُؤَفِّضُونَ ۝ ﴾ : يُسْرَعُونَ .

(١) قاله ثعلب .

(٢) والهلوع إما البخيل أو الحريص أو الضجور أو شديد الجزع .

سورة نوح

قال جار الله: ﴿لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ دائباً من غير فتور مستغرقاً به الأوقات كلها، قلت وفي كلامه نظر إذ لا يمكن استغراق الأوقات لوجود الضرورات الانسانية من قضاء الحاجة والأكل والنوم، وإنما ذلك على سبيل المبالغة. كقولهم «إن فلاناً لا يضع عصاه عن عاتقه».

﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ : وضعوا ثيابهم على وجوههم كراهة النظر إليه، وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ {هود-٥}.

﴿وَأَصْرُوا﴾ : قال جار الله من أصرَّ ^(١) الحمار على العانة إذا صرَّ أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها، واستعير للإقبال على المعاصي والأكباب عليها، ويقال أصرَّ على الشيء إذا دام عليه، ومن ذلك قولهم في اليمين «هى منى صررى» أى عزمه وجد، وهى مشتقة من أصررت على الشيء.

(١) أصرَّ الحمار على العانة ... الخ. لم يذكر عن أحد من أهل اللغة إلا ذلك المعتزلى ونقله المؤلف والألوسى وقوله يكدمها أى يطلب سفادها. والصحيح والله أعلم أن المراد بالصرِّ إما من الشدِّ والتعقد كما فى حديث عمران بن حصين «تَكَادُ تَنْصُرُ مِنَ الْمَلَأِ»، كأنه من صررته إذا شدته، وكل شيء جمعته فقد صررته، صرَّ الناقة يصُرُّها صرّاً : شدَّ ضرعها، والصرار ما يُشدُّ به والجمع أصيرة وإما من العزم على الشيء. وهى مشتقة من قولهم «أصررت على الشيء» إذا أقمت ودّمت عليه. ومنه قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وأمّا قولهم صرَّ الفرس والحمار بأذنه يصُرُّ صرّاً ضمّها إلى رأسيه، وأصرَّ الفرس، جمع أذنيه وعزم على الشد. فالمادة كما ترى إما من الضم وهو متضمن معنى التعقد أو الشد وهو بمعنى الأول وكقولهم صرّرت الصرّة : شدتها. وأصل ذلك كله الجمع والشد. وفى الآية عزموا على الكفر. والله أعلم.

﴿ مَدْرَارًا ﴾ : كثير الدور.

﴿ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ : أى توقيراً.

﴿ أَطْوَارًا ﴾ : أى تارات نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظماً ولحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر.

﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾^(١) : فإن قيل فالقمر فى سماء الدنيا، قلت بين السموات ملابس من حيث إنها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا، وإن لم يكن فى جميعها. كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها.

﴿ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾^(٢) : أكبر من الكبير، والكُّبَّار أبْلَغ من الكُّبَّار ونحوه طُوَّال وطُوَّال.

﴿ وَدَا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ : أسماء أصنامهم، وانتقلت من قوم نوح إلى العرب، فودٌ لكلب وسواع لهمدان، ويغوث لمذحج، ويعوق لمراد، ونسرٌ لحميم، وقيل كان ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر.

﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّارًا ﴾^(٣) : فإن قلت بِمَ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَا يَلِدُونَ إِلَّا فَاكِراً

(١) توصل أهل العلم فى هذا العصر إلى نظرية مفادها أن : هناك أقماراً لسبعة من الكواكب التسعة وعطارد والزهرة هما الوحيدان بدون أقمار. فللمريخ قمران. وللمشتري ستة عشر قمراً ولزحل ثلاثة وعشرون قمراً. وللسيار السابع خمسة أقمار متوسطة الحجم وعشرة أخرى أصغر منها أما السيار الثامن فله قمران. والله أعلم.

(٢) يقال كبير وكُبَّار وكُبَّار، مثل عجيب وعُجَّاب وعُجَّاب، ومثله طويل وطُوَّال وطُوَّال. ويقال رجل حَسَنٌ وحُسَّان. وجميل وجُمَّال، وقُرَّاء للقارئ، ووُضَاءٌ للوضي.

(٣) المراد بالكافرين قومه الذين دعاهم إلى الإيمان والطاعة فلم يجيبوا ومن المعروف أن بعثة نوح=

كفاراً، . قلت لأن نوحاً لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم فقد عرفهم، وكان الرجل ينطلق إليه بابه ويقول له : احذر هذا فإنه كذاب فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك . وأنصع من هذا الجواب أن الله تعالى أخبر عن قوم نوح ﴿لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ فعلم أن من وُلد لا يكون مؤمناً، ووصفهم بما يصيرون إليه من الكفر والفجور كقوله عليه السلام «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ» .

﴿ تَبَارَأَ ﴾ : هلاكاً.

= لم تكن عامة كبعثة نبينا صلى الله عليه وسلم . وإن كان المشهور أن نوحاً عليه السلام كان مبعوثاً لجميع أهل الأرض وأنه ما آمن منهم إلا قليل واستدل عليه بهذا الدعاء وعموم الطوفان غير أن لفظ الأرض كثيراً ما يُطلق ويراد به قطعة منها . وعليه فيحتمل عدم عموم الطوفان . والله أعلم .

سورة الجن

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ يُقَالُ أُوحِيَ إِلَيْهِ وَوُحِيَ إِلَيْهِ، وقرئ^(١) ووحى وأصله وُحِيَ فقلبت الواو همزة كما يقال وَعِدَ وَأُذِنَ ومثله أَقَتْتُ فى وقتت وهو من القلب المطلق جوازه فى كل واو مضمومة وكذا المكسورة كإشاح وإسادة وإِعَاء أخيه وقرأ ابن أبى عبلة وحى على الأصل.

﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾^(٢) : بالفتح على أنه فاعل أوحى .

﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ : بالكسر لأنه مبتدأ محكى بعد القول ثم يحمل عليهما البواقى .

﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ : جماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة .

﴿عَجَبًا﴾ : أى عجباً .

﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ : عظمته ، من قولك جَدَّ فلان فى عينى أى عَظُمَ : استعارة^(٣) من الجدِّ وهو الخطُّ .

﴿شَطَطًا﴾ : مجاوزة الحد فى الظلم وغيره .

(١) فى الكلام ههنا خلط وعدم ووضح بعض الأحرف . وبرجوعنا إلى الكشف والبحر وروح المعانى وكتب اللغة تبين ما يأتى : روى الأزهري عن أبى زيد فى قوله «قل أوحى إلى» من أوحيت، قال: وناس من العرب يقولون وَحِيْتُ إِلَيْهِ وَوَحِيْتُ لَهُ وَأَوْحِيْتُ لَهُ وَأَوْحِيْتُ إِلَيْهِ وَلَهُ، قال : وقرأ جُؤَيَّةُ الأسدَى : قُلْ أَحْيِ إِلَيَّ، من وَحِيْتُ . ١٠ هـ ، وفى روح المعانى «وقرأ ابن أبى عبلة وَحَى إلى بلا همزة ومنه قال العجاج وحى لها القرار فاستقرت . وَحِيْتُ أَحْيِ وَحِيًا، وَأَوْحِيْتُ إِلَيْهِ أَوْحِيَ إِيحَاءٌ إذا أشرت إليه وأومأت .

(٢) أنه استمع مصدر مؤول تقديره استماع وقع نائب فاعل للفعل أَوْحِيَ .

(٣) فى معنى جَدَّ ربنا عشرة تأويلات منها عن ابن عباس : فِعْلُ رَبَّنَا . جلال ربنا وعظمته قاله قتادة .

﴿لَبَدًا﴾ : مزدحمين متراكمين مأخوذ من لبدة الأسد، وقرئ لبدا وهى فى معنى اللبدة. وقرئ لبدا كساجد وسجداً ، ولبداً مثل صابر وصبر.

﴿مُلْتَحِدًا﴾ : ملجأ .

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ : الرَّهَقُ : غشيان المحارم. والمعنى أَنَّ الانس باستعاذتهم زادوهم كُفْرًا وكبراً. والمعنى أَنَّ الرجل من العرب كان إِذَا أُمْسَى فى وادٍ قَفْرٍ وخاف على نَفْسِهِ قال أَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِى مِنْ سَفَهَاءِ قَوْمِهِ فَإِذَا سَمِعُوا بِذَلِكَ اسْتَكْبَرُوا وَقَالُوا سُدْنَا الْأَنْسَ وَالْجَنَ فَذَلِكَ رَهَقُهُمْ.

﴿لَمَسْنَا﴾ : اللمس : الْمَسَّ واستُعير للطلب قال الشاعر

مَسَسْنَا مِنَ الْأَبَاءِ شَيْئًا وَكَلْنَا إِلَى نَسَبِ فِى قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعٍ.

يقال لمسه والتمسه وتلمسه مثل طلبه وتطلبه وأطلبه ونحوه الجسُّ.

﴿حَرَسًا﴾ : الحرس : اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدَّام.

﴿رَصَدًا﴾ : الرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد، ويجوز أن يكون صفة

للشهاب.

﴿قَدَدًا﴾ : أَيْ طُرُقًا مُتَفَرِّقَةً مِنْ قَدِّ الشَّيْءِ إِذَا قَطَعَهُ، شَبَّهَ الطَّرِيقَ بِاخْتِلَافِهَا

كاختلاف السيور المقدودة.

﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ : الجائرون وقد تقدمه.

﴿وَأَنَا ظَنُّنَا﴾ : الظن ههنا بمعنى اليقين.

﴿غَدَاً﴾ : أى كثيراً. بكسر الدال وفتحها.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ : لنختبرهم فيه. ويُحْتَمَلُ لَوْ اسْتَمَرَّ الْجَنُّ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ

الأولى التى كانوا عليها قبل الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم.

﴿ نَسْلُكُهُ ﴾ : قرئ بفتح النون وضمها ، والياء . أى ندخله عذاباً والتقدير فى عذاب كقوله ما سلككم فى سقر .

﴿ صَعَدًا ﴾ : مصدر صَعَدَ صَعَدًا وصعوداً .

﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ : معناه يعبده ، وحسن ذكر العبودية دون الرسول لإظهار التواضع والخضوع .

سورة المزمل

﴿الْمُزْمَلِ﴾ المتزمل ، وهو الذى يلتف فى ثيابه بإدغام التاء فى الزاى ، ونحوه المدثر فى المدثر، وقرئ المتزمل على الأصل، وقرئ المزمل على أنه اسم مفعول. قال جار الله ^(١) أراد بالمزمل الكناية عن الشخص الذى لا يهमे أمر ومن أمثالهم.

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا توردد يا سعد الأبل

ومن ذلك قول ذى الرمة

وكائن تخطت ناقتى من مفازة ومن نائم عن ليلها متزمل

وللمفسرين فيها أقوال

﴿تَرْتِيلاً﴾ : قراءة على تَوَدَّة ، وَتَبَيُّنُ حُرُوفِهِ وَاشْبَاعُ حَرَكَاتِهِ حَتَّى يَجِيءَ الْمُتَلَوُّ مِنْهُ شَبِيهَا بِالشَّعْرِ الْمُرْتَلِّ وَهُوَ الْمُفْلَجُ الْمَشْبَهُ بِنُورِ الْأَقْحَوَانِ.

﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ : وصف القرآن بالثقل لما تضمن من الأوامر والنواهي ، ولا يخفى ما فى ذلك من المشقة وقيل ثقیل فى الميزان ، وقيل ثقیل على المنافقين.

﴿نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ : هى العبادة التى حثت العابد على ارتفاعه من مضجعه ، من نشأت السحابة إذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز أى نهض .

(١) هذا المعتزلى نقل هذا الكلام عن الراغب الذى قال فيه «يا أيها المزمل» أى المتزمل فى ثوبه وذلك على سبيل الاستعارة كناية عن المقصر والمتهاون بالأمر وتعريضاً به . وهذا الكلام غير لائق بمقام النبوة . والصحيح من أقوال أهل العلم أن المزمل ليس من أسمائه صلى الله عليه وسلم وإنما هو مشتق من حالته التى كان التيس بها وقت الخطاب ، والعرب إذا قصدت الملاحظة بالمخاطب تترك المعاتبة . وهذا نظير قوله عليه السلام لعلى وقد نام ولصق بجنبه التراب «قم أبا تراب» إشعاراً بأنه ملاطف له . فقوله «يا أيها المزمل» فيه تأنيس وملاطفة .

﴿ أَشَدُّ وَطْئًا ﴾^(١) : أى مُوَاطَأةٌ لأن القلب يُواطئ فيها اللسان. بسكون الليل.

بخلاف النهار.

﴿ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾^(٢) : أى مُتَصَرِّفًا.

﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾^(٣) : أى انقطع إليه.

﴿ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾^(٤) : أى يجانبهم بقلبه ويخالطهم بالأعضاء والمداراة.

﴿ وَذَرْنِي ﴾ : اتركنى.

﴿ أَنْكَالًا ﴾ : قيوداً.

﴿ مَهْيَلًا ﴾^(٥) : مُنْتَرَأً.

(١) وطاءٌ قراءة أبى عمرو وابن عامر على أنه مصدر واطأ مثل قاتل قتال والمعنى إن أُريد بالناشئة النفس المتهجدة أى هى خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها.

وقد اختار المؤلف القول بأن ناشئة الليل هى العبادة. وعليه فيكون قوله أشد وطأً معناه يواطئ فيها قلب القائم لسانه والاسناد على هذا الوجه مجازى وهو غير صحيح.

(٢) أصل السَّبْح المَرَّ السريع فى الماء. والمعنى إن لك فى النهار تقلباً وتصرفاً فى مهماتك واشتغلاً بشواغلِكَ فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها فى الليل.

(٣) هذا قول أبى جعفر الطبرى . قال مجاهد : أخلص «إليه إخلاصاً». وقال ابن زيد تعبداً له تعبداً. وقال ابن كثير . أى أَكْثَرَ من ذكره وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالكَ وما تحتاج إليه من أمور دنياكَ.

(٤) الهجر الجميل الذى لا عتاب معه. وقال ابن جريج : اصفح عنهم وقل سلام.

(٥) مهياً : رملًا سائلاً. قاله ابن عباس. أو أن المهيل الذى إذا وطئه القدم زل من تحتها وإذا أخذت أسفله انهال أعلاه قاله الضحاك والكلبى.

﴿وَيْلًا﴾^(١) : الويل : الوخيم ، والويل : العصا الضخمة ، ومنه الوابل للمطر العظيم .

﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ : يحتمل أن يكون مفعول به ، ويحتمل للظرفية .

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ : أى ذات انفطار .

﴿يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ : يريد بهم المجاهدين والتُّجَّار . وسَوَّى بينهما لأن المقصد طلب الحلال .

(١) ويلاً : شديداً ، قاله ابن عباس ومجاهد .

سورة المدثر

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)﴾ (١) : هو لابس الدُّثَار ؛ وهو ما فوق الشُّعَار . لأنه الذى يلى الشعار ، ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم «الأنصار شعار ، والناس دِثَار» قيل إنها أول سورة نزلت عن جابر وعن الزهري أن أول سورة نزلت اقراً .

﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)﴾ (٢) : قيل نَقَّهَا من النجاسات، قيل قَصَّرَ (٣) لمخالفة العرب وقيل (٤) أمر بتطهير النفس من قولهم «فلان طاهر الأردان والجيب» إذا وصفوه بالنقاء من المعاييب وفلان دنس الثياب كناية عن الغدر .

(١) ثبت فى صحيح البخارى عن جابر أنه كان يقول : أول شئ نزل من القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ وخالفه الجمهور . فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولاً قوله تعالى «اقرأ باسم ربك الذى خلق» وروى الشيخان عن الزهري قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي ، فقال فى حديثه : فبينما أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسى ، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض ، فَجِئْتُ مِنْهُ رِعْباً ، فرجعت فقلت : زملونى زملونى فذرُونى ، فانزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ويقتضى هذا الحديث أنه قد نزل الوحي قبل هذا لقوله «إذاذا الملك الذى جاء بحراء» وهو جبريل حين أتاه بقوله ﴿اقرأ باسم ربك ...﴾ ثم إنه حصل بعد ذلك فترة ، ثم نزل الملك بعدها .

والمدثر المتلف بشيابه لنوم أو استدفاء ، من الدثار ، وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار والشعار الثوب الذى يلى الجسد . وأصله المتدثر فأدغم خوطب بذلك لحالته التى كان عليها وقت نزول الوحي أو لقوله : دثرونى .

(٢) قال ابن سيرين وابن زيد : أمر بتطهير الثياب من النجاسات التى لا تجوز الصلاة معها . لأن المشركين كانوا لا يتطهرون ، ولا يطهرون ثيابهم .

(٣) قال طاوس : وثيابك فقصر . لأن تقصير الثياب طهرة لها .

(٤) والجمهور على هذا القول وهم قتادة ومجاهد وإبراهيم والضحاك والشعبي والزهري .

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ (٦) : (١) : المعنى لا تعط مستكثراً لما تعطيه .

﴿فَإِذَا نَقَرْنَا فِي النَّاقُورِ﴾ (٨) : نفخ فى الصور .

﴿وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ (٢) : يجوز أن يكون حالاً من «الله» على مَعْنَيْنِ

أحدهما ذرنى وحدى معه فأنا أنتقم منه ، والثانى : خلقتة وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد ، أو حال من المخلوق أى خلقتة وحيداً فريداً لا مال له ، قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة . وكان يُلقَّبُ فى قومه بالوحيد . ولعله لُقِّبَ بعد نزوله الآية .

﴿مَالاً مَّمْدُوداً﴾ (٣) : مبسوطاً ، واختلف فى كميته ، فقليل ألف مثقال ، وقيل

أربعة آلاف وقيل تسعة ، وقيل ألف ألف ، وعن ابن جريج «غلة شهر بشهر» .

و، قال ابن عباس : لا تلبسها على معصية ولا قدر . والعرب تقول فى وصف الرجل بالصدق والوفاء طاهر الثياب ، وتقول للفاجر والغادر : دنس الثياب .

وعندى أن القول الأول هو الصحيح : لأن الأصل فى المعنى أن يحمل على ظاهر لفظه ، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل . ثم إن المعنى المحمول على ظاهره لا يقع فى تفسيره خلاف . والمعنى المعدول عن ظاهره إلى التأويل يقع فيه الخلاف ، إذ باب التأويل غير محصور . والعلماء متفاوتون فى هذا ، فإنه قد يأخذ بعضهم وجهاً ضعيفاً من التأويل ، فيكسوه بعبارة قوة تميزه عن غيره من الوجوه القوية ، فإن السيف بضاربه .

(١) لا تعط شيئاً لتعطى أكثر منه . يقال : مننتُ فلاناً كذا ، أى أعطيته . قاله ابن عباس . وقيل : لا تعط عطاءً مستكثراً له وعلى هذا القول فالمنُّ تعداد اليد وذكرها .

(٢) قال فى البحر : والظاهر انتصاب "وحيداً" على الحال من الضمير المحذوف العائد على "من" أى : خلقتة منفرداً ذليلاً قليلاً لا مال له ولا ولد . وقيل : حال من ضمير النصب فى "ذرنى" قاله مجاهد ، أى ذرنى وحدى معه . أو حال من التاء فى "خلقت" أى : خلقتة وحدى لم يشركنى فى خلقى أحد .

(٣) ممدودا : مبسوطا كثيراً ، أو ممدوداً بالنماء . من قولهم مدَّ النهر ومدَّه نهر آخر . ويقال لكل شئ دخل فيه مثله فكثَّره : مدَّه يمدُّه مدّاً .

﴿ وَبَيْنَ شُهُوداً (١٣) ﴾^(١) قيل كانوا عشرة، وقيل ثلاثة عشر كلهم رجال، قيل أسماؤهم الوليد بن الوليد وخالد، وعماره، وهشام، والعاص، وقيس، وعبد شمس، أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعماره.

﴿ عَنِيداً ﴾ : معانداً والعناد : المخالفة.

﴿ سَأَرَهُنَّ صَعُوداً (١٧) ﴾ : سأغشيه عقبة شاقة المصعد؛ وهو مثل لما يَلْقَى من العذاب الشاق وقيل «الصَّعُود» جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً.

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) ﴾ : فكَّر في قولهم ماذا تقول في القرآن ، وقَدَّر في نفسه ما يقوله.

﴿ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ﴾^(٢) : تعجيب من تقديره وإصابته المحزّ. ومعنى قول القائل «قتله الله ما أشجعه، وأخزاه الله ما أشعره» يريدون بذلك أنه قد بلغ المبلغ الذي يُحَسَدُ عليه ويُدْعَى عليه روى أن الوليد بن المغيرة قال لبنى مخزوم «لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا الجن. إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يُعلَى . . فقالت قريش : صبأ والله الوليد».

(١) شهوداً : يشهدون معه المحافل . أو بمعنى حضوراً معه يأنس بهم .

قوله كانوا عشرة هو قول مجاهد. وحكى الثعلبي عن مقاتل أنه أسلم منهم ثلاثة خالد، وعماره وهشام. والصواب خالد وهشام والوليد.

(٢) معنى قُتِلَ : لُعن أو غُلِبَ وقُهر لقول امرئ القيس «في أعشار قلب مُقْتَلٍ أى مغلوب مقهور مذل بالحب، فلعن دعاء عليه بالطرد والإبعاد، وغلب، وذلك إخبار بقهره وذلته وقوله «كيف قدر» معناه : كيف قدرَ مالا يصح تقديره ومالا يسوغ أن يقدره عاقل، وقيل : دعاء مقتضاه التعجب، فقيل : ذلك لمنزعه الأول في مدحه القرآن، وفي نفيه الشعر والكهانة والجنون عنه.

﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ (٢٢) ﴿ (١) : بسر الرجل وجهه إذا كلع .

﴿ لَوَاحِة ﴾ (٢) : التلويع تغير الوجه . تقول لَوَحَتِ الشمس إذا غَيَّرَتْه ، وقيل اشتقاقه من اللوح بضم اللام وهو ما بين السماء والأرض .

﴿ وَكُنَّا نَخْرُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ (٤٥) ﴿ : الخوض : الشروع فى الباطل وما لا ينبغي .

﴿ حُمُرٌ مُّسْتَفْرَةٌ ﴾ (٣) : قرئ بكسر الفاء وفتحها ؛ وهى الشديدة النفار .

﴿ فَفَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ (٥١) ﴿ (٤) : قيل المراد الرماة الذين يصيدونها ، وقيل الأسد

(١) عبس وبسر : أى قطّب وكلح لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول .

(٢) لواحة للبشر : مُغَيَّرَةٌ للبشرة ، مُحَرَّقة للجلود ، مُسَوَّدة لها والبشر جمع بشرة .

وقال الحسن : لواحة صيغة مبالغة من لاح إذا ظهر ، والمعنى : أنها تظهر للناس وهم البشر من مسيرة خمائة عام ، وذلك لعظمتها وهولها وزجرها والجمهور على رفع لواحة على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هى لواحة وقرأ الحسن لواحة بالنصب على الحال المؤكدة . .

(٣) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بفتح الفاء والباقون بكسرها .

(٤) قال ابن القيم : شبههم فى إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحُمُرٍ رأت الأسد أو الرماة ففرت منه وهذا من بديع القياس والتشثيل ، فإن القوم فى جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحمر وهى لا تعقل شيئاً . فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامى نفرت منه أشد النفور وهذا غاية الذم لهؤلاء . فإنهم نفروا عن الهدى الذى فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها . وتحت المستفزة» معنى أبلغ من النافرة . فإنها لشدة نفورها قد استنفرت بعضها بعضاً وحضه على النفور . فإن فى الاستفعال من الطلب قدراً زائداً على الفعل المجرد . كأنها تواصلت بالنفور وتواطأت عليه . ومن قرأها بفتح الفاء : فالمعنى : أن القسورة استنفرتها وحملها على النفور بيزسه وشدته .

وقال ابن عباس : ركّز الناس أى حسّهم وأصواتهم . وقال عكرمة : القسورة : ظلمة الليل .

وجمع القسورة قساور، واشتقاقه من القَسْر وهو القَهْر والغلبة، وقيل القسورة :
أصوات الناس وقيل ظلمة الليل .

﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ۝٥٤ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝٥٥ ﴾ : الضمير في «إنَّه» ، «ذَكَرَهُ»
يعودان إلى التذكرة .

كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ : وإنما ذكر حملاً على معنى الذكر أو القرآن .

﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۝٥٦ ﴾ : أى هو أهل أن يُتَّقَىٰ وأهل أن يغفر لمن
اتقاه .

سورة القيامة

﴿لَا أُقْسِمُ﴾^(١) : ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض فى كلامهم

وأشعارهم قال امرؤ القيس :

لا وأبيك ابنة العامرى لا يدعى القوم أنى أفرّ

وفائدتها : تأكيد القسم ، وقالوا أنها صلة مثل قوله تعالى «لئلا يعلم أهل الكتاب» واعترض هذا القول بأن زيادتها لا تقع إلا فى وسط الكلام وقيل لا نفى لكلام تقدم ثم قال أقسم^(٢) وقرئ لأقسم على أن اللام للابتداء ، وأقسم^(٣) خبر مبتدأ محذوف معناه لأننا أقسم ويعضده كونه فى الإمام بغير ألف .

﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾^(٤) : هى التى تلوم النفوس يوم القيامة على تقصيرهن أو

التي تلوم نفسها على التقصير .

(١) قال أبو الليث : أجمع المفسرون على أن معنى «لا أقسم» : أقسم . واختلفوا فى تفسير «لا» قال بعضهم : «لا» فى الكلام للزينة ، ويجرى فى كلام العرب زيادة «لا» كما قال فى آية أخرى : ﴿قال ما منعك أن لا تسجد﴾ حص : ٧٥ يعنى : أن تسجد وقال بعضهم «لا» : ردّ لكلامهم حيث أنكروا البعث ، فقال : ليس الأمر كما زعمتم .

(٢) قرأ ابن كثير وقراءته سبعة متواترة والحسن والزهرى وابن هرمز «لأقسم» قال أبوحيان . والأولى عندي أنها لام أشيعت فتحتها فتولدت منها ألف . كقوله ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم﴾ إبراهيم : ٣٧ فى قراءة هشام .

(٣) الفعل أقسم فعل حال وفى القسم عليه خلاف غير أن الصحيح من أقوال أهل العلم جواز القسم على فعل الحال فتقول : والله ليخرج زيد وعليه قول الشاعر ليعلم ربي أن بيتي واسع . واللام فى لأقسم هى لام القسم والقسم قد يكون جواباً للقسم ، كما قال تعالى ﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى﴾ . التوبة ١٠٧ فاللام فى (وليحلفن) جواب قسم . وهو قسم لكنه لما لم يكن حلفهم حالاً بل مستقبلاً لزمّت النون ، وهى مخرصة المضارع للاستقبال .

(٤) معنى «بالنفس اللوامة» أى بنفس المؤمن الذى لا تراه إلا يلوم نفسه ، يقول : ما أردتُ بكذا ؟ =

﴿نُسَوِّي بَنَانَهُ﴾^(١) : أى أصابعه بضم السَّلَامِيَّات مع صغرها بعضها إلى بعض فكيف بالعظام الكبار.

﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ : ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات وفيما يستقبله من الزمان.

وعن سعيد بن جبير : يقدم الذنب ويؤخر التوبة إلى أن يغشاه الموت على أشر أحواله.

﴿بَرْقَ الْبَصَرُ﴾^(٢) : تحيّر فزعاً وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره بكسر الراء. وقرئ بَرْق بفتح الراء من البريق إذا شخص ولمعت عينه من شدة شخوص وقرأ أبو السّمال بلق إذا انفتح وانفرج من بلق الباب وأبلقته إذا فتحت.

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾^(٣) : ذهب ضوءه.

= فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه، قال ابن عباس ومجاهد والحسن قال الحسن : هى والله نفس المؤمن، ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه يقول : ما أردت بكلامى ؟ ما أردت بأكلى ؟ ما أردت بحديث نفسى ؟ والفاجر لا يحاسب نفسه.

(١) البنان : الأصابع ، واحدها بَنَانَةٌ. قال القتيبي والزجاج : وزعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام؛ فقال الله تعالى : بلى قادرين على أن يُعِيدَ السَّلَامِيَّات على صغرها، ونؤلف بينها حتى تستوى، ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار أقدر. وقال ابن عباس وعامة المفسرين : معنى ﴿على أن نسوى بنانه﴾ أى نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخف البعير، أو كحافر الحمار، أو كظلف الخنزير ولا يمكنه أن يعمل به شيئاً، ولكننا فرقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء. ١. هـ.

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر بَرْق بفتح الراء. ومعنى بَرْق لمع بصره من شدة شخوصه فتراه لا يطرف. قال مجاهد وغيره وهذا عند الموت. وقال الحسن : هذا يوم القيامة.

(٣) خسف القمر : ذهب ضوءه. والخسوف فى الدنيا إلى انجلاء، بخلاف الآخرة فإنه لا يعود ضوءه. ويحتمل أن يكون معنى غاب ومنه قوله ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ {القصص ٨١}.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ (١١) ﴿١﴾ أى ملجأ .

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (١٤) ﴿٢﴾ : أى حجة بينة .

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾ (١٥) ﴿٣﴾ أى جاء بكل معذرة .

﴿نَاضِرَةٌ﴾ : ناعمة

﴿بَاسِرَةٌ﴾ : كالحلة

﴿فَاقِرَةٌ﴾ : داهية تكسر فقار الظهر ، والمعاذير ليست جمع معذرة لأن جمعها

معاذر وإنما المعاذير اسم جمع لها كالمناكير فى المنكر .

﴿بَلَغَتِ التَّرَاقِي﴾ : التراقى : عظام الصدر واحدها ترقوة والضمير للنفس وإن

لم يَجِرْ لها ذكر ، وحسّن ذلك ذكر التراقى .

(١) الوزر فى اللغة ما يُلْجَأُ إليه من حصن أو جبل أو غيرها . قال السدى : كانوا فى الدنيا إذا فرغوا تحصنوا فى الجبال ، فقال الله لهم : لا وزر يعصمكم يؤمئذ منى . وكان ابن مسعود يقول : لا حصن . والحسن يقول : لا جبل . وابن عباس يقول : لا ملجأ . وابن جبير يقول : لا محيص ولا منعة .

(٢) قال ابن عباس : بصيرة أى شاهدة وهو شهود جوارحه عليه ، يداه بما بطش بها ، ورجلاه بما مشى عليها ، وعيناه بما أبصر بها .

وأنث اللفظ لأن المراد بالإنسان هاهنا الجوارح . فكأنه قال : بل الجوارح على نفس الإنسان بصيرة .

وقال الحسن : يعنى بصير بعيوب غيره ، جاهل بعيوب نفسه .

(٣) هذا قول الجمهور مجاهد وقتادة وبن جبير وعبد الرحمن بن زيد وأبى العالية وعطاء والفرّاء والسدى ومقاتل . فالمعاذير مأخوذة من العذر . وقال الزجاج : المعاذر : الستور والواحد معذار ؛ أى وإنه أرخى ستره ، يريد أن يخفى عمله فنفسه شاهدة عليه واستظهر القرطبى معنى الإدلاء بالحجة والاعتذار من الذنب .

﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ ^(١) : أى مَنْ يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب .

﴿ يَتَمَطَّى ﴾ ^(٢) : يتبختر وأصله يتمطط أى : يتمدد مأخوذ من المطا وهو الظهر لأنه يلويه .

(١) ورد عن ابن عباس وعكرمة فى معنى راقٍ أنه من الرقية، وعن عكرمة قال : مَنْ راقٍ يَرُقِيْ أى يَشْفِيْ، وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس : أى هل من طبيب يشفيه . وعن ابن عباس وأبى الجوزاء أنه من رقى يَرُقِيْ : إذا صعد . والمعنى : مَنْ يَرُقِيْ بروحه إلى السماء؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟

(٢) قال قتادة : أقبل أبو جهل بن هشام يتبختر ، فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم بيده فقال «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى» فقال : ما تستطيع أنت ولا ربك لى شيئاً، إن لأعزَّ مَنْ بين جبلها . فلما كان يوم بدر أشرف على المسلمين فقال : لا يُعْبَدُ اللهُ بعد هذا اليوم أبداً . فضرب الله عنقه، وقتله شر قتلة .

سورة الدهر

﴿هَلْ﴾ : بمعنى قد فى الاستفهام خاصة ، والأصل أهل والتقدير قد على جهة التقرير والتقريب .

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهلَ رأونا بسفح القاع ذى الأكم .

﴿مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ : قيل اختلاط المائِن وقيل عروق النطفة ، وقيل أمشاج ألوان وأطوار يريد أنها تكون نطفة ثم علقه ثم مضغة ، ويقال من نطفة مشج ، والجمع أمشاج هذا رأى الجوهري . وقال جار الله أمشاج ليس بجمع وهو مثل بُرْمَة أعشار فَوَصَفَ المفرد بالمفرد ، وَمَشَجَ وَمَزَجَ بمعنى .

﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ : أى منتشرًا بالغاً أقصى المبالغ من استطار الحريق ، واستطار الفجر .

﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ : أى حُبُّ الطعام ، وقيل على حُبِّ الله .

﴿عَبُوسًا قَمَطِرًا﴾ * : القمطير : الشديد العبوس الذى يجمع ما بين عينيه . قال الزجاج أَقْمَطَرَتِ النَّاقَةُ إِذَا رَفَعَتْ ذَنْبَهَا وَجَمَعَتْ قُطْرَيْهَا وَزَمَّتْ بَأَنْفَهَا فَاشْتَقَهُ مِنَ الْقُطْرِ وَجَعَلَ الْمِيمَ مَزِيدَةً -
قال أسد بن ناعصة **

واصطليت الحروب فى كل يوم باسلِ الشر قمطير الصباح

* عبوساً : تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته ، وعن ابن عباس : العبوس «: الضيق ، والقمطير : الطويل وقيل : الشديد - وقال مجاهد : إن العبوس بالشفيتين ، والقمطير بالجبهة والحاجبين . وقيل الصعب الشديد .

** صلى واصطلى بهذا الأمر : إذا قاسى حره وشدته - باسل : أى شديد ؛ وهو الشجاع إذا اشتد كلوحه .

﴿ وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ : هو البرد الشديد ، وقيل هو القمر : يعنى أن الجنة لا شمس فيها ولا قمر .

قال طائى

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير مازهر .

﴿ وَذَلَّلْتَ قُطُوفَهَا تَذْلِيلًا ﴾ ^(١) التذليل : أن تجعل ذللاً لا تمتنع على قطافها كيف شاءوا - ويجوز أن يراد أنها خاضعة لهم متقاصرة من قولهم حائط ذليل إذا كان قصيراً .

﴿ وَأَكْوَابٍ ﴾ : الأكواب كيزان بلا عروة .

﴿ سَلْسِيلًا ﴾ ^(٢) هو صفة لما كان فى غاية السلاسة .

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ ﴾ ^(٣) : ثم بمعنى هناك .

﴿ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾ ^(٤) : الأسر ، الربط والتوثيق ومنه أسر الرجل إذا أوثق بالقد وهو الإسار .

(١) ذَلَّلْتَ : أدنيت ثمارها أى سهل تناولها .

(٢) قال الزجاج : السلسيل فى اللغة : اسم لما كان فى غاية السلاسة ؛ فكان العين سميت بصفتها . وقال قتادة : سلسة منقاد ماؤها حيث شاءوا .

(٣) ثُمَّ : ظرف مكان أى هناك فى الجنة . والعامل فى ثُمَّ معنى «رأيت» أى وإذا رأيت ببصرك «ثُمَّ» .

(٤) الأمر : شدة الخلق قال الحسن : شددنا أوصالهم بعضاً إلى بعض بالعروق والعصب .

سورة المرسلات

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ : فيها أقوال : قيل الملائكة ، وقيل الرياح ، وقيل السحاب .
﴿عُرْفًا﴾ : مُتَابَعَةٌ مأخوذ من عُرِفَ الضَّبْعُ ، وما بعد ذلك من الناشرات والفارقات
والملقىات يرجع إلى ما تقدم .

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦)﴾ : هما مصدران كالكفر والشكر .

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨)﴾ : مُحِيت .

﴿فُرجَتْ﴾ : فُتِحَتْ .

﴿نُسِفَتْ﴾ : قال الجوهري : نَسَفْتُ البناءُ قلْعته ، ونَسَفَ البعيرُ الكلاً يَنْسِفُهُ إذا
اقتلعه بأصله ونسف الطعام : نقضه ، والمنسف : ما يُنْسَفُ به الطعام .

﴿الرُّسُلُ أُقِيتَتْ﴾ : وقرئ وقتت وقرئ بالتشديد والتخفيف فيها ، والأصل

الواو ، ومعنى توقيت الرسل : تبين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أمرهم .

﴿كِفَاتًا﴾ : الكِفَات من كَفَتُ الشئ إذا ضممته وجمعته وهو اسم ما يُكْفَتُ

كقولهم الجماع والضمام لما يُضَمُّ ويُجْمَع .

﴿إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ : الظل ههنا الدخان ولِعظمِهِ يتشعب ثلاث

شعب .

﴿كَالْقَصْرِ﴾ قيل أراد به البناء المعروف ، وقيل أراد به الغليظ من الشجر ،

الواحدة قَصْرَةٌ ، نحو جَمْرَةٌ وَجَمْرٌ ، وقرئ كالقَصْرَ بفتحيتين ، وهى أعناق الإبل أو

أعناق النخل نحو شجرة وشجر .

﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣)﴾ : جمالات جمع جمال أو جمالة ، وجمالة جمع

جمل ، وقرئ جمالات بالضم وهى قُلُوسٌ * الجسور ، وقيل قلوس سفن البحر ؛ وهى

الجبال الغلاظ ، وقُسرَ صفر بتفسيرين أحدهما صفر ، والثانى سود .

* قلوس جمع قَلَسٍ هو حَبْلٌ ضَخَمٌ من ليف وخوص ، وقيل هو حبل غليظ من حبال السفن .

سورة النبأ

﴿عَم﴾^(١) : أصله عمّا دخل عليه حرف الجر فحذف ألف ما الاستفهامية لأن حرف الجر الداخل على ما الاستفهامية يحذفها. فعلى ذلك عمّ ، وعلام ، وحتّام . وقرئ^(٢) عما وهى لغة القوم قال حسان

على ما قام يشتمنى لثيم كخنزير تمرّغ فى رماد.

والمعنى عن أى شئ يتساءلون ، قيل^(٣) القرآن ، وقيل نبوة محمد عليه السلام.

﴿مِهَادًا﴾^(٤) فراشاً ، وقرئ مهّداً والمعنى ممهوداً فيكون بمعنى^(٥) الخلق والضرب .

﴿سُبَاتًا﴾^(٦) : موتاً ، والمسبوت : الميت من السبّ وهو القطع لأنه مقطوع عن الحركة بالنوم وقيل السبات : الراحة.

(١) عم لفظ استفهام ؛ ولذلك سقطت منها ألف «ما» لتمييز الخبر عن الاستفهام .

(٢) وقرأ عبد الله وأبى وعكرمة وعيسى «عما» بإثبات الألف .

(٣) روى أبو صالح عن ابن عباس قال : هو القرآن - والتساؤل هو أن يسأل بعضهم بعضاً كالتقابل ، وقد يستعمل أيضاً فى أن يتحدثوا به وإن لم يكن بينهم سؤال . قال الله تعالى «وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» . قال قائل منهم «إنى كان لى قرين» وهذا يدل على أنه التحدّث .

(٤) قرأ مجاهد وعيسى مهّداً .

(٥) هكذا بالأصل والصحيح . ومعناه أنها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الأمير .

(٦) السبات : النوم الثقيل . وفى الكلام تشبيه بليغ أى جعلنا نومكم كالموت وقيل : راحة لأبدانكم . والله أعلم .

﴿ الْمُعْصِرَات ﴾^(١) : هى السحاب والمعنى إذا عَصَرَتْ أى شَارَفَتْ أن تعصرها الرياح فتمطر كقولهم «أَجَزَّ الزرع» إذا حان له أن يُجَزَّ ، ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض

﴿ نَجَاجًا ﴾ : مُنْصَبًّا بكثرة ، يقال نَجَّهْ وَنَجَّ بِنَفْسِهِ .

﴿ أَلْفَافًا ﴾^(٢) : ملتفة لا واحد لها وقيل الواحد لُفٌّ وأنشد عليه

جنة لُفٍّ وعيشُ غدقٍ وندامى كلهم بيضُ زهرٍ

وقيل^(٣) أن واحده لفاء ثُمَّ جُمِعَ على لف ثم جمع على ألفاف .

﴿ مَابًا ﴾ : مرجعًا .

﴿ لَا بَيْنَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾^(٢٣) : اللَّبْتُ ، وَاللَّبْتُ ، وَاللَّبْتُ : الإقامة .

أحقابا : جمع حَقْب ، ولا يكاد يستعمل إلا حيث يراد تتابع الأزمنة ، وقيل هو

ثمانون سنة^(٤)

(١) قال ابن عباس : المعصرات السحاب . وقال مجاهد وقتادة : الرياح . وعلى هذا فالرياح تسمى معصرات ؛ يقال أعصرت الريح تُعَصِّرُ إعصاراً : إذا أثارت العجاج ، وهى الإعصار . والسحب تسمى أيضاً المعصرات لأنها تُمَطِّرُ .

(٢) والرواية كما فى الكشاف والبحر والقرطبي «جنة لُفٍّ وعيشُ مُغْدَقٍ وندامى كلهم بيضُ زهرٍ» وهو للحسن بن على الطوسى - يقال حديقة لف ولفة . يصف الشاعر طيب الزمان والمكان وكرم الإخوان . والغدق : الماء الكثير . والندامى جمع الندمان . وبيض : حسان . ورجل أزهر : أى أبيض مشرق الوجه .

(٣) يقال جنة لفاء ونبت لُفٍّ والجمع لُفٌّ بضم اللام مثل حُرٌّ ثم يجمع اللُفُّ على ألفاف وقيل : ألفاف لا واحد لها مثل أوزاع وأخفاف .

(٤) أحقاباً : دهوراً متتابعة إلى غير نهاية .

﴿ وَغَسَّاقًا ﴾ : الغَسَّاق : وهو ما يَغْسَقُ أى يسيل من صديدهم .

﴿ جَزَاءً وَفَاقًا ﴾ (٢٦) : وصف المصدر أى ذا وفاق .

وكذابا : تكذيباً .

﴿ مَفَازًا ﴾ : موضع فوز .

﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ (٣٣) : الكاعب : التى استدار كالفلكة تُدِيها . والأتراب :

اللَّدَات .

﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ (٣٤) : أى مُتْرَعَة ، وأدهق الحوض ملاءه .

﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ (٣٧) : أى لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن

عدلهم .

سورة النازعات

﴿وَالْنازِعَات﴾ اختلف فى النازعات ^(١) : فقال قوم أقسم بالملائكة التى تنزع الأرواح من الأجساد ، وكذا الناشطات التى تنشطها من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها ، وبالطوائف التى تسبح فى مَضِيَّهَا : أى تُسْرِع فتسبق إلى ما أمروا به من تدبير أمر العباد .

﴿غَرْقًا﴾ و﴿غَرْقًا﴾ : إغراقاً فى الترع أى تنزعها من أقاصى الأجساد من أناملها وأظفارها . وقيل أقسم بخيل الغزاة التى تنزع فى أعْتَتِهَا نزعاً تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عَرَّاب .

﴿وَالْناشِطَات﴾ وناشطات : خارجات فى دار الإسلام إلى دار الحرب من قولهم ثور ناشط إذا خرج من مكان إلى مكان ، والتى تسبح فى جَرِيَّهَا فَتُسَبِّحُ إلى الغاية فتُدْبِرُ أمر الغلبة وأسند التدبير إليها لأنها من أسبابه ، وقيل المراد بالنازعات النجوم التى تنزع من المشرق إلى المغرب وإغراقها فى الترع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط فى أقصى المغرب والتى تخرج من برج إلى برج والتى تسبح فى الفلك فتسبق فتدبر أمراً من علم

(١) أقسم الله بالملائكة تَنْزِعُ أرواح الكفار من أقاصى أجسامهم .

غَرْقًا : نزعاً شديداً مؤلماً بالغ الغاية .

والناشطات : الملائكة تَسْلُ أرواح المؤمنين برفق . وعن ابن عباس : هى أنفُسُ المؤمنين عند الموت تَنْشَطُ للخروج .

والسابحات سَبَّحًا : قال مجاهد وأبو صالح : هى الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لأمر الله . فالسَّابِقَاتُ سَبَقًا : الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ؛ قاله مقاتل

وأما السبب فى ذكر الفاء فى قوله «فالسَّابِقَاتُ» فلأنها مشتقة من التى قَبَلَهَا أى واللائى يسبحن فيَسْبِقْنَ ، تقول : قام فذهب ؛ فهذا يوجب أن يكون القيام سبباً للذهاب ، ولو قلت : قام وذهب ، لم يكن القيام سبباً للذهاب .

فالمدبرات أمراً : الملائكة وكلت بتدبير أحوال الأرض فى الرياح والأمطار وغير ذلك .

الحساب ، وقيل النازعات : أيدى فى نزع القوس بإغراق السهام ، والمُقَسَم عليه محذوف وهو لتبعثن . لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة .

﴿ الرَّاجِفَةُ ﴾^(١) : الواقعة التى ترجف عندها الأرض والجبال : وهى النفخة الأولى .

﴿ الرَّادِفَةُ ﴾ : النفخة الثانية .

﴿ وَاجِفَةٌ ﴾ : مضطربة .

﴿ أَبْصَارُهَا ﴾ : أى أبصار أصحاب القلوب .

﴿ لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾^(٢) : يقال رجع فلان فى حافرتة أى فى طريقه التى جاء فيها . بمشيه ويُشَد

أَحَافِرَةً عَلَى صُلْعٍ وَشَيْبٍ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارٍ .

يريد رجوعاً إلى الحالة الأولى .

﴿ نَخْرَةٌ ﴾^(٣) : يَقَالُ نَخِرَ الْعِظَمُ فَهُوَ نَخْرٌ وَنَاخِرٌ كَقَوْلِكَ طَمَعَ فَهُوَ طَمِعٌ وَطَامِعٌ وَفَعَلَ أَبْلَغَ مِنْ فَاعِلٍ ؛ وَهُوَ الْبَالَى الْأَجُوفُ الَّذِي تَمُرُّ فِيهِ الرِّيحُ فَيَسْمَعُ لَهُ نَخِيرَ .

(١) الراجفة : الصيحة أو النفخة الأولى التى يموت بها كل شئ بإذن الله تعالى .

والرادفة : النفخة الثانية التى يحى بها كل شئ بإذن الله تعالى . وبينهما أربعون سنة .

(٢) الحافرة : الحالة الأولى {الحياة} - يقال رجع فلان فى حافرتة أى رجع من حيث جاء .

(٣) ناخرة قراءة حمزة والكسائى وشعبة - والباقون نَخْرَةٌ .

تقول نَخِرَ الْعِظَمُ أَيْ بَلَى وَتَفَتَّتْ ، وَالنَّاخِرُ مِنَ الْعِظَامِ الَّتِي تَدْخُلُ الرِّيحُ فِيهِ ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْهُ وَلَهَا نَخِيرٌ .

﴿ كَرَّةٌ ﴾ : رَجَعَةٌ

﴿ خَاسِرَةٌ ﴾ : (١) غير مربحة .

﴿ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ : وهى الصيحة الثانية فإذا هم أحياء على وجه الأرض .

﴿ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ (١٤) ﴿ (٢) الأرض البيضاء .

﴿ الْآيَةُ الْكُبْرَى ﴾ : العصا ، وذكر الكبرى بالنسبة إلى الآيات التسع وقد تقدم ذكرها .

﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴾ (٢٣) ﴿ (٣) : يحتمل أنه باشر النداء ، ويحتمل أنه أمر .

﴿ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ (٤) : إشارة إلى الكلمتين الفطيعتين أولاهما ﴿ ما علمت لكم من إله غيرى ﴾ { القصص : ٣٨ } والآخرة هذه .

﴿ سَمَكُهَا ﴾ (٥) : ارتفاعها .

(١) كَرَّةٌ أى رجعة وخاسرة بمعنى خائبة غابئة . وإنما قالوا هذا لأنهم أوعدوا بالنار .

(٢) الساهرة : وجه الأرض . والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة ؛ لأنه يُسَهَرُ فيها خوفاً منها . فوصفها بصفة ما فيها . وعن ابن عباس قال فى الساهرة : أرض من فضة لم يُعْصِ الله جلّ ثناؤه عليها قط خلقها حيثئذ ، ويقال : الساهرة : الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك ، لأن السراب يجرى فيها من قولهم عينٌ ساهرة أى جارية الماء . أو لأنّ سالكها لا ينام خوف الهلكة .

(٣) فحشر أى جمع السحرة أو الجُند ، جمع السحرة للمعارضة والجند للقتال والمحاربة وقيل : جمع الناس للحضور .

(٤) الأولى هى ﴿ ما علمت لكم من إله غيرى ﴾ { القصص : ٣٨ } والآخرة هى ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ { النازعات : ٢٤ } .

(٥) سمكها : ثخنّها . والمعنى جعل ثخنها مرتفعاً جهة العلو .

﴿وَأَغْطَشُ﴾^(١) : أَظْلَمَ يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى ؛ يُقَالُ أَغْطَشَ اللَّيْلُ ، وَأَغْطَشَ اللَّهُ
الليْلَ .

﴿دَحَاها﴾ : بَسَطَهَا ، وَالِدَّحْرُ : الْبَسَطُ .

﴿وَمَرَعَاهَا﴾^(٢) : أَصْلُهُ مَوْضِعُ الرِّعَى فَأُطْلِقَهُ عَلَى مَا يُرَعَى مُجَازاً .

﴿مَتَاعاً﴾ : الْمَتَاعُ : مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ .

﴿الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ : الدَّاهِيَةُ الَّتِي تَطُمُّ عَلَى الدَّوَاهِي مِنْ قَوْلِهِمْ طَمَّ الْوَادِي عَلَى
الْقَرْىِ وَقِيلَ النِّفْخَةُ الثَّانِيَةُ .

﴿الْمَأْوَى﴾ : الْمَكَانُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ الشَّخْصُ أَيْ يَسْكُنُ إِلَيْهِ .

﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾^(٣) (٤٢) : ظَرْفٌ يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنِ الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ وَفِيهِ كَسْرُ
الْهَمْزَةِ .

(١) أَغْطَشَ لَيْلَهَا : جَعَلَهُ مَظْلَمًا . غَطَشَ اللَّيْلُ وَأَغْطَشَهُ اللَّهُ . وَالْغَطَشُ وَالْغَبْشُ الظُّلْمَةُ .

(٢) لَيْسَ فِي الْكَلَامِ مُجَازٌ . وَالْمَقْصُودُ بِالْمَرَعَى النِّبَاتُ الَّتِي يُرَعَى وَقَدْ دَلَّ بِشَيْئَيْنِ عَلَى جَمِيعِ مَا
أَخْرَجَهُ مِنَ الْأَرْضِ قَوْتًا وَمَتَاعًا لِلْأَنْعَامِ مِنَ الْعُشْبِ وَالشَّجَرِ وَالْحَبِّ وَالتَّمْرِ وَالْعَصْفِ وَالْخَطْبِ
وَاللِّبَاسِ وَالنَّارِ وَالْمَلْحِ ؛ لِأَنَّ النَّارَ مِنَ الْعِيدَانِ وَالْمَلْحَ مِنَ الْمَاءِ ؛ قَالَهُ الْقَتَبِيُّ .

(٣) أَيَّانَ مُرْسَاهَا : مَتَى يُقِيمُهَا اللَّهُ وَيُثَبِّتُهَا وَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ اسْتِعَارَةٌ كَمَا ادَّعَاهُ قَوْمٌ بِقَوْلِهِمْ «كَانَ
السَّاعَةُ سَفِينَةً ، وَرُسُودُهَا مَعْنَاهُ انْتِهَاءُ رَحْلَتِهَا» .

سورة عبس

﴿عَبَسَ﴾ يعبس عبوساً : قطب وجهه مثل كلع ، وقرئ عبس بالتشديد

﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ (٢) : يريد به عبد الله بن أم مكتوم ، وأم مكتوم أم أبيه

، واسمه عبد الله ابن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري . من بنى عامر ابن لؤى جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليهم الاسلام ، وكانو عتبة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبا جهل ابن هشام ، والعباس بن عبد المطلب ، وأميمة بن خلف ، والوليد بن المغيرة . ورسول الله صلى الله عليه وسلم منصب إليهم فوقف ابن أم مكتوم ، وقال يا رسول الله : أقرئني وعلمني مما علمك الله ، واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يقطع كلامه رجاء أن يسلم منهم أحد فيسلم بإسلامه خلق كثير فعبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه فتزلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجده يقول له مرحباً بمن عاتبني فيه ربي . هل لك من حاجة واستخلفه في المدينة مرتين .

﴿تَصَدَّى﴾ : تعرّض ، وقيل تصدى مشتق من الصدى : وهو عود الصوت

أى مجاوبة

﴿تَلَهَّى﴾ : يقال لهي عنه والتهى وتلهى إذا تشاغل عنه .

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (١٥) : قيل القراء ، وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وقيل الكتبة الذين يسفرون الأوراق أى ينسخونها .

﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾ : دعاء عليه وهى من أشنع دعواتهم لأن القتل قصارى شذائد

الدنيا .

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ (٢٠) : اختلف فى السبيل فقيل : بطن أمه ، وقيل سبيل

الخير والشر بتقديره وتمكينه .

﴿ فَأَقْبَرَهُ ﴾ : جعله صاحب قبر ولم يجعله مطروحاً على وجه الأرض جزراً
للسباع والطيور كسائر الحيوان ، يقال قبر الميت إذا قبره وأقبره إذا اتخذ له قبراً .

﴿ وَقَضَبًا ﴾ : القَضَبُ : الرطبة لأنه يُقَضَّبُ مرة بعد أخرى .

﴿ وَحَدَائِقُ غُلْبًا ﴾ (٣٠) : جمع حديقة وهى البستان .

﴿ غُلْبًا ﴾ : متكاثفة الشجر كما يقال ضخمة والأصل فى الوصف بالغلب للغلب للرقاب
فاستعير .

﴿ وَأَبًا ﴾ والأبُ : المرعى لأنه يُؤَبُّ أى يُؤَمُّ وَيُنْتَجِع .

قال الشاعر :

جِذْمُنَا قَيْسٌ وَنَجْدٌ دَارُنَا وَلَنَا الْأَبُّ بِهِ وَالْمَكْرَعُ .

﴿ الصَّاخَّةُ ﴾ : النفخة وعبر عنها بالصاخة مجازاً لأن الناس يصخون أى
يصفنون .

﴿ تَرَهَّقُهَا ﴾ : تعلوها - قَتَرَة : غُبرة كالدخان ، ولا يُرى أوحش من إجتماع
السَّوَاد والغُبرة كما يُرى فى وجوه الزنج .

سورة التكوير

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝﴾ (١) : فى التكوير وجهان : أحدهما من كورت العمامة إذا لففتها. أى يلف ضوءها لفاً فيذهب ضوءها، والثانى : عبّر بالتكوير عن لفّها، ولفّها عبارة عن سترها لأن الثوب إذا أريد لفه لف وطوى.

﴿وَأِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝﴾ (٢) أى انقضّت.

﴿وَأِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝﴾ (٤) : جمع عُشراء ؛ وهى التى أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى «أن تضع لتمام السنة وهى أنفس ما تكون عند أهلها، ومعنى عَطِّلَتْ : تُرِكَتْ مُهْمَلَةً ، وقيل عطّلها أهلها عن الحلب والصرّ لاشتغالهم بأنفسهم.

﴿حُشِرَتْ ۝﴾ : جمعت من كل ناحية .

﴿سُجِّرَتْ ۝﴾ : مُلِئَتْ كما يُسَجَّرُ التنور بالحطب.

﴿وَأِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝﴾ (٣) : قيل نفوس المؤمنين بالخور ، ونفوس

الكافرين بالشياطين.

(١) عبارة المؤلف منقولة من الكشف وبها تصرف أدخل بالمعنى .

قال جابر الله : فى التكوير وجهان : أن يكون من كورت العمامة إذا لففتها : أى يلف ضوءها لفاً فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق، وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها، لأنها مادامت باقية كان ضياؤها منبسطة غير ملفوف، أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لأن الثوب إذا أريد رفعه لُف وطوى ، ونحوه قوله - يوم نطوى السماء - وأن يكون من طعنه فجوره وكوره إذا ألقاه : أى تلقى وتطرح من فلکها كما وصفت النجوم بالانكدار.

(٢) انكدرت : تساقطت وتهافت . ومعنى سِيرَتْ : أُزِيلَتْ عن مواضعها.

(٣) عن النعمان بن بشير : قال النبى صلى الله عليه وسلم «وإذا النفوس زوجت» قال : يُقَرَّن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون بعمله» والتزويج أن يُقَرَّن الشئُ بمثله .

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ (٨) : الرّأد : قيل البنات ودفنهن في التراب ، وكان هذا في الجاهلية ومنعه صمصعة بن ناجية ،

وفى ذلك يقول الفرزدق يفتخر بذلك

ومنا الذي منع الوائدات فأحيا الرئيد فلم توأد.

﴿ كُشِطَتْ ﴾ (١) : كُشِفَتْ وأزيلت كما يكشط الالهاب عن الذبيحة ، وقرأ ابن مسعود قشطت. واعتقاب القاف والكاف كثير في كلامهم. يقال لَبَكْتُ الثريد ولبقته ، والكافور ، والقافور.

﴿ سَعِرَتْ ﴾ : إذا أوقدت إيقاداً شديداً.

﴿ أُرْزِلَتْ ﴾ (٢) أدنيت : قيل هذه اثنا عشرة خصلة ست منها في الدنيا، وست منها في الآخرة.

﴿ بِالْخُنُسِ ﴾ (٣) : الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج إذ كرّ راجعاً إلى أوله .

﴿ الْجَوَارِ الْكُنْسِ ﴾ (١٦) والجواري : السيّارة ، والكنس : الغيب من كنس الوحش إذا دخل كناسته وقيل هي الدراى الخمسة : بهرام وزحل، وعطارد، والزهرة

(١) الكَشَطُ : قَلَعٌ عن شدة التزاق . وكشطت البعير كَشِطاً : نَزَعَتْ جلده ولا يقال سلخته . فالسما تَنْزَعُ من مكانها كما يَنْزَعُ الغطاء من الشيء .

(٢) الرِّزْلَى في كلام العرب : القُرْبَى ، وَرَزَفَ فلان تقرب . والمعنى أنهم يُقَرَّبُونَ منها لا أنها تزول عن موضعها .

(٣) الخُنُسُ : جمع خانس وخانسة وسُميت خُنْساً لتأخرها . يقال خنس عنه يَخْنُسُ خنوساً . تأخّر وأخنسيه غيره : إذا خَلَّفَهُ ومضى عنه .

والكنس جمع كانس وكانسة .

والمشتري تجرى مع الشمى وترجع حتى تختفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها فلا يطلع نهاراً وتكنس ليلاً أى تبدو فى أبراجها كما يبدو الوحش فى بيته .

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ (١٧)﴾ (١) : يقال عسس وسعس إذا أدبر ، قال العجاج حتى إذا الصبح لها تنفساً وانجاب عنها ليلاً وعسسا .

وقيل عسس : إذا أقبل بظلامه وهو من الأضداد .

﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)﴾ : فإن قيل ما معنى تنفس الصبح ، قلت إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك تنفساً على سبيل المجاز (٢) .

﴿إِنَّهُ﴾ : الضمير للقرآن ، والرسول الكريم جبريل مطاع فى ملائكته المقربين يصدر عن أمره ويرجعون إلى رأيه ، وثم بمعنى هناك .

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ (٣) : والمعنى لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل

﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ : مَطْلَعُ الشَّمْسِ الْأَعْلَى

(١) أجمع المفسرون على أن معنى عسس أدبر . وقال الفراء : العرب تقول عسس وسعس «إذا لم يبق منه إلا اليسير . واللفظ من الأضداد والمعنيان يرجعان إلى شئ واحد ، وهو ابتداء الظلام فى أوله وإدباره فى آخره .

وأصل العسى الامتلاء ؛ ومنه قيل للقدح الكبير عس لا متلائه بما فيه ، فأطلق على إقبال لاليل لابتداء امتلائه ؛ وأطلق على إدباره لانتهاه امتلائه على ظلامه ؛ لاستكمال امتلائه به .

(٢) لا مجاز فى الكلام . ومعنى التنفس : خروج النسيم من الجوف . والمعنى : امتدّ حتى يصير نهاراً واضحاً ؛ يقال للنهار إذا زاد تنفس .

(٣) رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته له ستمائة جناح ، بمطلع الشمس من قبل المشرق .

﴿بِظَنِّينَ﴾^(١) : قرئ بالظاء فيكون من التهمة ، وبالضاد فيكون من البخل .

﴿وَمَا هُوَ﴾ : الضمير عائد إلى القرآن .

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾^(٢) : استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافاً أو

ذهاباً في بُنَيَات الطريق أين تذهب ؛ مثلت حالهم بحالة في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل .

(١) قرأ بالظاء المعجمة ابن كثير وأبو عمرو والكسائي . والظنة التُّهْمَة . والباقون بالضاد والغيب القرآن وخبر السماء . وعن مجاهد قال : لا يَضِنُّ عليكم بما يعلم ، بَلْ يُعَلِّمُ الخلق كلام الله وأحكامه .

(٢) قال قتادة : فإلى أين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته .

سورة الانفطار

﴿ انْفَطَرْتُ ﴾ ^(١) : انشقت .

﴿ فُجِرْتُ ﴾ ^(٢) : اختلط العذب بالملح وزال البرزخ .

﴿ بُعِثْتُ ﴾ ^(٣) : أخرجت موتاها . ويقال بُحِثْتُ وهما مركبان من البعث

والبُحْث مع راء مضمومة إليها ، وقيل لها المبعثرة : لأنها بعثت أسرار المنافقين .

﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ ^(٤) : ما حملك على الغرّة حتى حصل التقصير .

﴿ فَسَوَّاكَ ﴾ : جعلك سوياً سالم الأعضاء .

﴿ فَعَدَّلَكَ ﴾ : صيّرك معتدل القامة ، وخصّك بهذه الخلقة دون سائر الحيوانات .

﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ ^(٥) : ما مزيدة .

﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ : يوم الجزاء .

(١) انفطرت أى تشققت لنزول الملائكة . وقيل تفتّرت لهيبة الله والفطر الشقُّ .

(٢) فُجِرْتُ أى ذهب ماؤها وييست ؛ وذلك «أنها أولاً راكدة مجتمعة ؛ فإذا فُجِرَتْ تفرقت ، فذهب ماؤها ؛ قال الحسن . وقيل فجر بعضها فى بعض ، فصارت بحراً واحداً .

(٣) مأخوذ من قولك بعثرت المتاع إذا قلبته ظهر البطن ، وبعثرت وبحشرت الحوض إذا هدمته وجعلت أسفله أعلاه . والمعنى والله أعلم قُلبت وأُخرج ما فيها من أهلها أحياء .

(٤) ما غرّك : ما خدعك وجرّأك على عصيانه ؟

(٥) فى أى شبه من أب أو أم أو عم أو خال أو غيرهم .

وفى متعلقة بـ «ركبك» ولا تتعلق بـ «عدلك» على قراءة مَنْ خفف «لأنك تقول عدلت إلى كذا ولا تقول عدلت فى كذا ، وما يجوز أن تكون شرطية .

اعراب فى أى صورة ما شاء ركبك

فى أى : جار ومجرور متعلقان بركبك . أو متعلقان بمحذوف على «أنه حال أى ركبك حال كونك حاصلاً فى بعض الصور . ويجوز أن يتعلق بعدلك ويكون معنى «أى» للتعجل أى فعدلك فى صورة عجيبة .

وإذا أعربت ما زائدة . وجملة «شاء» صفة لصورة والمفعول به محذوف أى شاءها يكون المعنى «وصفك فى أى صورة اقتضتها مشيئته من طول وقصر من حسن ودمامة من ذكورة وأنوثة .

سورة المطفين

﴿وَيْلٌ﴾ : الويل كلمة تقال ويراد بها العذاب .

﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ : التطفيف : البخس فى الكيل والوزن ، لأنَّ ما يُبَخَسُ شَيْءٌ طفيف حقير فنزلت فى قوم بالمدينة كانوا من أبخس الناس كيلاً وَوَزْناً . وقيل نزلت فى رجل يقال له أبو جهينة كان معه صاعان يكيل أحدهما ويكتال بالآخر .

﴿لَفِي سَجِينٍ﴾^(١) : هو كتاب جامع هو ديوان الشر دوّن الله تعالى فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس .

﴿مَرْقُومٌ﴾ : مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم مَنْ رآه أنه لا خير فيه .

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ﴾ : بمعنى ركبها الصدى وغلب عليها حتى اسودّت . ومنه قولهم ران فيه النوم رسخ فيه ورائت به الخمر ذهبت به .

﴿عَلِيُونَ﴾^(٢) : علم لديوان الخير الذى دوّن فيه كل ما عليه الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على كما سجين منقول من السجن .

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾^(٣) : الأسرة فى الحجال .

(١) سُمى سَجِيناً فَعِيلاً من السجن وهو الحبس والتضييق .

وقيل هو اسم علم منقول من وصف ك حاتم وهو منصرف لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف .

وقال صاحب القاموس : هو موضع فى كتاب الفجار وواد فى جهنم .

(٢) عَلِيُونَ : اسم موضوع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه .

(٣) جمع حَجَلَةٍ ، بَيْتٌ يُزَيَّنُ بِالْأَسِرَةِ وَالسُّتُورِ .

﴿ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴾ : الرحيق : الشراب الخالص من الغش ، المختوم ^(١) :
الذى ختم بالمسك أى يجعل ذلك فى أكوابه وأباريقه .

﴿ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾ ^(٢) : علم لعين بعينها سميت بالتنسيم الذى هو مصدر سنمه إذا
رفعه إما لأنها أرفع شراب فى الجنة ، وإما لأنها تأتيهم من فوق على ما روى أنها تجرى
فى الهواء مُسَنَّمَةً فتصب فى أوانيهم ، وعيناً نصب على المدح . وقال الزجاج نصب
على الحال .

﴿ يَتَغَامَزُونَ ﴾ ^(٣) : الغمز بالعيون أى يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم .

(١) ختامه أى آخر طعمه ذلك لأن سبيل الأشربة أن يكون الكدّر فى آخرها ، فوصف شراب أهل
الجنة بأن رائحة آخره رائحة المسك .

(٢) تنسيم معرفة ليس يُعرف له اشتقاق وهى عين تجرى من تحت العرش . وعن ابن عباس قال :
هذا مما قال الله تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ {السجدة ١٧} .

(٣) الغمز بمعنى العيب ، يقال غمزه أى عابه .

سورة الانشقاق

﴿وَأَذِنْتُ﴾ (١) : أى استمعت من أذن له .

﴿وَحَقَّتْ﴾ : أى حُقَّ لها الانقياد لطاعته .

﴿وَتَخَلَّتْ﴾ (٢) : تكلفت الخلو حتى لم يبق فيها شئ كما يقال تَكَرَّم الكريم

وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما فى الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما فى طبعهما .

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ (٣) الكدح : جهد النفس فى العمل والكد فيه من كدح جلده

إذا خدشه ومعنى كادح : جاهد إلى لقاء ربه وهو الموت وما بعده من الحال .

﴿حِسَابًا يَسِيرًا﴾ : سهلاً لا يُنَاقَشُ فيه . (٤)

﴿ثُبُورًا﴾ : هلاكاً . (٥)

﴿أَنْ لَّنْ يَحُورَ﴾ : يرجع إلى الله تعالى تكذيباً بالمعاد . قال لييد (٦) يحور رماداً

بعد إذ هو ساطع . وعن ابن عباس ما كنت أدرى ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية

(١) أذنت مشتقة من أَلْأَذَنَ ومنه الحديث «ما أذن الله لشيء كآذنه لنبى يتغنى بالقرآن» أى ما استمع الله لشيء والفعل أَذَنَ يَأْذَنُ .

(٢) تخلَّت : ألفت ما فى بطنها من الموتى ، وتخلت ممن على ظهرها من الأحياء .

(٣) كادح : أى راجع إلى ربك رجوعاً لا محالة . والكدح فى لغة العرب العمل والكسب والنَّصَبُ فى المعيشة .

(٤) المقصود بالحساب هنا العرض . وفى الحديث «ليس ذاك الحساب ؛ إنما ذلك العرض ، مَنْ نُوقِشَ الحساب يوم القيامة عُدِّبَ أخرجه البخارى ومسلم والتزمذى .

(٥) يقول يا ويلاه . يا ثبوراه .

(٦) قال لييد وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحورُ رماداً بعد إذ هو ساطع .

ومعنى لن يحور أى لن يرجع حياً مبعوثاً فيحاسب ، ثم يُثَاب أو يعاقب .

تقول لُبْنِيَّةٌ لَهَا حورى أى ارجعى .

﴿ بِالشَّفَقِ ﴾ : الشفق : الحمرة التى تُرى بعد المغرب .

﴿ وَمَا وَسَقَ ﴾ : أى ما جمع ^(١) ، ووسق واستوسق بمعنى وهو من باب افتعل واستفعل مثل اتسع واستوسع .

﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا اتَّسَقَ ^(١٨) ﴾ ^(٢) : أى استوى وهى فى ليلة أربع عشرة .

﴿ طَبَقًا عَنْ طَبَقَ ﴾ ^(٣) : أى حالاً بعد حال ، وعن بمعنى بعد ، والمعنى لتركبن أحوالاً بعد أحوال هى طبقات فى الشدة .

﴿ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ : لا يخضعون .

﴿ بِمَا يُوعُونَ ﴾ ^(٤) يجمعون فى صدورهم من الكفر والحسد والبغى والبغضاء أو بما يجمعون فى صنفهم من أعمال السوء .

(١) تقول وَسَقَتْهُ أَسْفُهُ وَسَقَا . ومعناه ضَمَكَ الشئُ بعضه إلى بعض . ومنه قيل للطعام الكثير المجتمع وَسَقٌ وهو ستون صاعاً . وإبل مستوسقة أى مجتمعة .

(٢) اتَّسَقَ : تَمَّ واجتمع واستوى . وعن الحسن : امتلاً ، وقال قتادة : استدار . يقال أمر فلان مُتَّسِقٌ أى مجتمع على الصلاح منتظم . قال الفراء : اتَّسَاقُهُ : امتلاؤه واستواؤه ليالى البدر .

(٣) حالاً بعد حال ، فطيما بعد رضيع ، وشيخاً بعد شباب . وقال الحسن : « أمراً بعد أمر ، رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقراً بعد غنى ، وصحة بعد سُقْم ، وسُقْماً بعد صحة .

وأصل الطباق فى استعمال اللغة الشدة . تقول العرب لمن وقع فى أى شديد : وقع فى بنات طبق .

وأصلها من الحيات ، إذ يقال للحية أم طبق لِتَحْوِيَهَا .

(٤) تقول : أَوْعَيْتُ الزاد والمتاع : إذا جعلته فى وعاء . ويوعون معناه : يضمرون ويكتمون .

سورة البروج

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ (١) : يريد الاثنى عشر ؛ وهى قصور السماء

على التشبيه ، وقيل منازل القمر ، وقيل عظام الكواكب .

﴿وَشَاهدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (٢) : اضطربت فيه أقوال المفسرين ؛ قيل الشاهد

والمشهدود محمد ويوم القيامة وقيل عيسى وأمه لقوله «وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم» وقيل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأمم ، وقيل يوم التروية ويوم عرفة ، وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة ، وقيل الحجر الأسود والحجيج . وقيل الأيام والليالى وبنو آدم ، وقيل الحفظة وبنو آدم ، وقيل الأنبياء ومحمد عليهم السلام .

﴿أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ (٣) : الخدّ فى الأرض : الشق ، واختلف فى أصحاب

الأخدود على ما هو مشروح فى التفاسير .

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ : أى عابوا ؛ وعيهم عندهم الإيمان بالله ؛ وهذا يسميه

البديعيون تأكيد المدح بما يشبه الذم . ومن ذلك قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وقرأ أبو حيوة نقموا بالكسر ، والفصيح الفتح .

﴿بَطْشَ رَبِّكَ﴾ (٤) : البطش : الأخذ .

(١) فيها أربعة أقاويل أحدها : النجوم . والثانى : القصور . الثالث : ذات الخلق الحسن . الرابع : ذات المنازل .

(٢) روى أبو هريرة مرفوعاً «اليوم الموعود يوم القيامة ، واليوم المشهدود يوم عرفة ، والشاهد يوم الجمعة .

(٣) الأخدود : الشق العظيم المستطيل فى الأرض كالخندق ، وجمعه أخاديد . ومنه الخد لمجاري الدموع . والمخدة لأن الخد يوضع عليها .

(٤) إن بطش ربك لشديد : هو جواب القسم .

ومن الغريب . قُتِلَ بمعنى لُعن . فتنوا : حرقوا بالنار .

الودود : المحب لأولياته المتوّد إليهم بالمغفرة .

سورة الطارق

﴿الطَّارِق﴾ : النجم لأنه يطرق ليلاً أو لأنه يطرق الجنى أى يصكه .

﴿الثَّاقِب﴾ : المضى (١)

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (٢) : لأن إن لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى إلا أن تكون نافية ، وفيمن قرأها مخففة تكون إن مخففة من الثقيلة . وتكون ما صلة إن .

﴿دَافِقٍ﴾ (٣) : الدفق : صب فيه دفع .

﴿مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (٤) : الصُّلْب : وسط الظهر ، والترائب . جمع تريبة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة ، وفى الصلب أربع لغات . الصُّلْب بفتحتين ، وضممتين ، وبضم الصاد وتسكين اللام والرابع صالب .
﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ﴾ : الضمير يرجع إلى الإنسان .

(١) تقول العرب : أثقُبُ نارك أى أضيتها . قال مجاهد : الثاقب : المتوهج .

(٢) حافظ : حفظة يكتبون على الناس آجالهم وأعمالهم وأرزاقهم . وهذا هو جواب القسم .
وإن : مخففة من الثقيلة ، «ما» مؤكدة أى إن كل نفس لعلها حافظ يحفظها من الآفات ، حتى يُسلمها إلى القدر .

وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة «لما» والمعنى ما كل نفس إلا عليها حافظ . وهى لغة هذيل يقولون : نشدتك لما قتت .

(٣) تقول : دَفَقْتُ الماء أدْفَقُهُ دَفْقاً : صَبَبْتُهُ . قال ابن عباس : دافق : لزج .

(٤) الصلب : الظهر . وعن ابن عباس : الترائب ما بين ثديى المرأة . قال ابن القيم : واختلف فى الترائب فقليل : المراد بها ترائبها أيضاً . وهى عظام الصدر ما بين الترقوة إلى الشدوة . وهى الصحيح .

﴿ السَّرَائِرُ ﴾ (١) : جمع سريرة .

﴿ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾ : الرجوع : المطر ، وذلك أن العرب تزعم أن السحاب يحمل الماء من أبخرة البحر ثم يرجع إلى البحر فسموه رجعاً وأوبأ .

﴿ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ : ما يتصدع عنه الأرض من النبات .

﴿ إِنَّهُ ﴾ : الضمير للقرآن . إنه لقول فصل : أى فاصل .

﴿ فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) : أى لا تستعجل اهلاكهم .

﴿ رُوَيْدًا ﴾ (٣) إمهالاً يسيراً .

(١) وفى المقصود بالسرائر أقوال أقواها : الصلاة ، والصوم ، والوضوء ، والغسل من الجنابة .

فإن الله ائتمن خلقه عليها . فإن شاء قال صليت ولم يصل . وإن شاء قال صمت ولم يصم . وإن شاء قال اغتسلت من الجنابة ولم يغتسل . وفى الحديث «غسل الجنابة من الأمانة» .

قال ابن عمر : يُبدى الله يوم القيامة كل سرٍّ خفىٍّ ، فيكون زيناً فى الوجوه وشيناً فى الوجوه .

(٢) فمهمل الكافرين : أى أخرهم ، ولا تسأل الله تعجيل اهلاكهم ، وارض بما يدبره فى أمورهم .

(٣) الرُّوَيْدُ فى كلام العرب : تصغير روْد : ومنه قولهم كأنها تَمَلُّ يمشى على رُودٍ .

أى على مهل . ورويداً بمعنى مَهْلاً . وهو نعت للمصدر أى إمهالاً رويداً ويجوز أن يكون للحال أى أمهلهم غير مستعجل لهم العذاب .

ورويدا عمرا : اسم فعل أى أَرَوْدُ عمرا . بمعنى أمهله . وقولهم «ساروا سيرا رُوَيْدًا» صفة وسار القوم رويداً . حال ، ورويدَ عمرو بالإضافة مصدر مثل قوله تعالى ﴿ فضرب الرقاب ﴾ .

سورة الأعلى

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) : تسبح اسمه تنزيهه عما لا يصح فيه من المعانى ، وقيل الاسم مقحم والمعنى سبح ربك . مثل قول الشاعر ثم اسم السلام عليكما .
﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ : أى عدّل تعديلا لا تفاوت فيه .

﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (١) : قدّر لكل حيوان ما يصلحه ، وهداه إليه ، ومن غرائب المخلوقات أنّ الحية إذا أتت عليها ألف سنة عميت ، وإن الله تعالى يلهمها أن تمسح عينها بأصول الرازيانج الغض فيزول ما بها من العمى . تعالى الله علواً كبيراً . وربما كانت فى برية بعيدة من الرازيانج فتطوى إليه المراحل والسباسب حتى تهجم على بعض البساتين على الشجرة ولا تخطئها .

﴿غُثَاءً أَحْوَى﴾ (٢) : الغثاء : ما يعلو على وجه السيل ، والأحوى : الأسود الذى يضرب إلى خضرة .

﴿النَّارَ الْكُبرى﴾ : قيل السفلى من أطباق جهنم ، وقيل الكبرى نار جهنم ، والصغرى نار الدنيا .

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (٣) : أى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه .

(١) هدى : أرشد عن الخير : « عرّف خلقه كيف يأتى الذكر الأنثى . قال مجاهد : قدّر الشقاوة والسعادة وهدى للرشد والضلالة .

(٢) الغثاء : ما يقذف به السيل على جوانب الوادى من النبات وأوراق الشجر .
وأصل الحوة سُمرة الشفة يقال رجل أحوى ، وامرأة حواء .

وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها ؛ إذ أنه أخرج المرعى أخضر ثم لما ييس اسودّ من احتراقه ، فصار غثاء تذهب به الرياح والسيول .

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨)﴾ : الضمير راجع إلى معنى الآيات من قوله تعالى «قد أفلح مَنْ تَزَكَّى» إلى قوله «خير وأبقى» وإن معنى هذه الآيات فى الصحف : المتزلة ثم بيَّنها فقال صحف إبراهيم وموسى . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم أنزل الله تعالى من كتاب فقال «مائة وأربعة كتب منها على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى إدريس ثلاثون صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان .

سورة الغاشية

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ (١) ﴾ : الغاشية : الداهية التي تغشى بشدائدها

يعنى بها القيامة من قوله تعالى : ﴿ يوم يغشاهم العذاب ﴾ ، وقيل الغاشية : النار من قوله ﴿ وتغشى وجوههم النار ﴾

﴿ خَاشِعَةً ﴾ : ذليلة .

﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝ (٢) ﴾ : تعمل فى النار عملاً تتعب فيه وهو جرّها السلاسل

والأغلال ، وخوضها فى النار كما تخوض الابل فى الوحل ، وقيل هم أصحاب الصوامع ، خشعت وعملت ونصبت فى أعمالها ما أجدى عليها .

﴿ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ۝ (٣) ﴾ : قرئ بفتح التاء وضمها ، وتصلّى بالتشديد ، وقيل

المصلّى عند العرب أن يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا إلى شاة فيدسوها وسطه ، فأما ما يُشوى فوق الجمر أو على المقلّى أو فى التنور فلا يسمى مَصْلِيًّا .

﴿ آيَةٌ ۝ (٤) ﴾ : متناهية فى الحرّ .

(١) هل بمعنى قد . وقال ابن جبير ومحمد بن كعب : الغاشية : النار التي تغشى وجوه الكفار ورواه أبو صالح عن ابن عباس ؛ ودليله قوله تعالى ﴿ وتغشى وجوههم النار ﴾ {إبراهيم : ٥٠} .

(٢) قال قتادة : تكبرت فى الدنيا عن طاعة الله عز وجل ، فأعملها الله وأنصبها فى النار ، بجرّ السلاسل الثقالة ، وحمل الأغلال ، والوقوف حفاة عراة فى العرصات .

وقال ابن جبير وزيد بن أسلم : « هم الرهبان أصحاب الصوامع . وعن على : أنهم أهل حروراء .

قال أهل اللغة : يقال للرجل إذا دأب فى سيره : قد عمل يعمل عملاً .

(٣) تَصْلَى : قراءة أبى عمرو وشعبه ويعقوب .

(٤) الآئى : الذى قد انتهى حرّه ؛ مأخوذ من الإيئاء بمعنى التأخير ، ومنه {أُتيت وأذيت} وأناة يؤنيه إيئاء ، أى أحره وجبسه وأبطأه .

﴿ مِنْ ضَرِيعٍ ﴾ : هو شوك ترعاه الابل ما دام رطباً فإذا يبس تحامته الابل وهو

سم قاتل قال أبو ذؤيب

رَعَى الشَّبْرُقَ الرِّيانَ حَتَّى إِذَا ذَوَى وَعَادَ ضَرِيعاً بَانَ عَنْهُ النَّحَائِصُ

والنحائص جمع نحيسة وهو اكتناز اللحم.

﴿ لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ جُوعٍ ﴾ (٧) : فائدة الطعام أمران : اماطة الجوع

وحصول الشبع والسمن ، وهاتان المنفعتان متفتيتان ، ويجوز أن يراد به أن لا طعام لهم لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الأناس كما يقال : ليس لفلان ظل إلا الشمس تريد نفى الظل على التوكيد. ومثل ذلك كثير. منه قوله تعالى ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافاً ﴾ [البقرة-٢٧٣] على أحد التفسيرين ، ومنه ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعَ ﴾ [غافر-١٨] ومن ذلك قول امرئ القيس

على لَا حَبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعُودُ النَّبَاطِيُّ جَرَجَرَاً

ومن ذلك قوله

لَا يُفْزَعُ الْأَرْنَبُ أَهْوَالُهَا وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ

﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغِيَّةٍ ﴾ (١) : أى لا يتكلم فيها متكلم بما هو لغو بل ينطق

ومن الغريب

نمارق : وسائل ، الواحدة نمرقة .

زرابى : بسط ، الواحدة زريبة .

مبثوثة : متفرقة فى المجالس .

بمسيطر : أى بمسلط عليهم فتقتلهم .

(١) لاغية : كلاماً ساقطاً غير مرضى . واللغو واللغا واللاغية : بمعنى واحد .

والمراد باللغية : الكذب والبهتان ، أو الباطل والإثم .

أهل الجنة بالحكمة.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥﴾ : جمع ثمرقة وهى المساند.

﴿وَزَرَائِي﴾ : هى البسط العراض ، وقيل الطنافس التى لها حمل رقيق جمع زريبة.

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ : فى المجالس.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ﴾ ^(١) : فإن قلت كيف انتظم ذكر الإبل مع السماء والأرض والجبال ولا مناسبة ؟ قلت إنمّا حسن ذلك ما عليه العربي من الفكرة عند هبوبة من نومه إلى جماله ثم النظر فى مخايل السماء يريد المطر ثم إلى جبل يليه ثم إلى مكان يرمى فيه فلما وجدت المناسبة حسن الجمع. أشار إليه جار الله بغير هذه العبارة.

﴿بِمَسِيرٍ﴾ المسير : المسلط.

﴿إِيَابَهُمْ﴾ : رجوعهم.

(١) والذى أشار إليه جار الله مقولة : فإن قلت : كيف حين ذكر الإبل مع السماء والجبال والأرض ولا مناسبة ؟ قلت : قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب فى أوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم.

وقيل : التناسب فيها أن الكلام مع العرب وهم أهل أسفار على الإبل فى البرارى فربما انفردوا فيها، والمتفرد يتفكر لعدم رفيق يحادثه وشاغل يشغله فيتفكر فيما يقع عليه طرفه فإذا نظر لما معه رأى الإبل وإذا نظر لما فوقه رأى السماء وإذا نظر يميناً وشمالاً رأى الجبال وإذا نظر لأسفل رأى الأرض فأمر بالنظر فى خلوته لما يتعلق به النظر من هذه الأمور فبينها مناسبة بهذا الاعتبار. والله أعلم.

سورة الفجر

﴿وَالْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾^(١) : أقسم بالفجر كما أقسم بالصبح ، وأراد بالعشر عشر ذى الحجة .

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣﴾^(٢) : فُسِّرَ بشفع الأشياء ووترها ، أو شفع هذه الليالي ووترها . والوتر بالكسر : الفرد ، والوتر بالفتح^(٣) : الذَّحْلَ هذه لغة أهل العالية ، فأما أهل الحجاز فبالضد منه ، وأما تميم فبالكسر فيهما جميعاً .

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤﴾^(٤) : وحذف ياء يسرى اكتفاء عنها بالكسرة ؛ هذا حال الوصل ، وأما حال الوقف فتحذف مع الكسرة ، وقيل معنى يسرى أى فيه .
﴿لَئِي حِجْرٍ ٥﴾^(٥) : أى عقل لأنه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي .

(١) الفجر هو يوم فجر يوم المحرم وهو فجر أول يوم منه ، ومنه تنفجر السنة . وعن ابن عباس : صلاة الصبح أو هو صبيحة يوم النحر .

(٢) الشفع الاثنان ، والوتر : الفرد . وقرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر الواو . وفى الصحاح الوتر بالكسر الفرد ، والوتر «بفتح الواو» : الذَّحْلُ . والراجح من هذه الأقوال أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة ، لحديث جابر المرفوع . والله أعلم .

(٣) الذَّحْلُ : الحقد والعداوة . يقال وترت فلاناً إذا أصبته بوترٍ ، ويقال : وتره فى الذَّحْلُ يتره وترأ والفعل من الوترِ الذَّحْلُ ، ومن الوترِ الفردُ .

(٤) يُسْرَى أى يمضى . والمراد بالليل جنسه ، وقال مجاهد وعكرمة والكلبي : المراد به ليلة النحر وهى يسرى الحاج فيها إلى المزدلفة بعد الإفاضة من عرفات . وحذفت الياء عند الجمهور وصلاً ووفقاً من آخر يسر مع أنها لام مضارع غير مجذوم اكتفاء عنها بالكسرة للتخفيف وللتوافق رؤس الآى ولذا رسمت كذلك فى المصاحف . وقد أثبتتها وصلاً ووقفاً ابن كثير ويعقوب . وزئبتها نافع وأبو عمرو حال الوصل . وسئل الأخفش عن علة سقوط ياء يسر فقال : الليل لا يسرى ولكن يُسْرَى فيه .

(٥) هكذا بالأصل وفى روح المعانى : والحِجْر : العقل لأنه يحجر صاحبه عن التهافت فيما لا =

﴿بَعَادٍ (٦) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧)﴾ : قيل لقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن

نوح

عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ، ثم قيل للأوليين منهم عاد الأولى وإرم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الأخيرة . وإرم عطف بيان لعاد .

ذات العمد (١) : اسم المدينة ، وقرئ بعادٍ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . أى جعلها رميما والإرم : العلم يَعْنِي بعاد أهل أعلام ذات العمد ، ويجوز أن تكون صفة للقبيلة بمعنى أهل عَمَدٍ يرحلون بها .

﴿جَابُوا الصَّخْرَ﴾ : قطعوه .

﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾ : لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها إذا نزلوا .

= ينبغى . والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبين كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ . أخرج ابن المنذر عن ابن مسعود أنه قرأ ﴿والفجر﴾ إلى قوله ﴿إذا يسر﴾ فقال هذا قسم على أن ربك لبالمرصاد وإلى أنه هو المقسم عليه .

(١) الأكثر من أهل العلم قالوا : أنها اسم مدينة عظيمة فى أرض اليمن ، والوصفات لها ، والمراد ذات البناء الرفيع أو ذات الأساطين التى لم يُخلَقْ مثلها سعة وحسن بيوت وبساتين فى بلاد الدنيا . ويروى أنه كان لعاد إبنان شدّاد وشديد فهلكا وقهرا ثم مات شديد ، وخلص الأمر لشدّاد فهلك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال : إبنى مثلها ، فبنى إرم فى بعض صحارى عدن فى ثلاثمائة سنة ، وكان عمره تسعمائة سنة ، وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة ، وأساطينها من الزبرجد والياقوت ، وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة ، ولما تمّ بناؤها سار إليها بأهل مملكته ، فلما كان منها مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا . وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب إبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما هناك . وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقصّ عليه ، فبعث إلى كعب فسأله ، فقال : هى إرم ذات العمد ، وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبة خال - يخرج فى طلب إبل له ، ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال : هذا والله ذلك الرجل .

﴿لَبِئْسَ رِصَادٌ﴾ : المكان الذى يترقب فيه الرّصد . مِفْعَال من رصده كالميقات من وقته .

﴿وَلَا تَحَاضُّونَ﴾ ولا يحثون .

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ ^(١) : الميراث أصله مَوْرَث انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، والتراث أصل التاء فيه واو تقول ورثت أبى أرثه بالكسر ورثاً ووراثه وورثة ، ورثه .

﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ : أى ذال لمّ وهو الجمع بين الحلال والحرام

قال الخطيئة

إذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدّسَ الرحمنُ تلك الطواحنا .

والمعنى أنهم يجمعون فى أكلهم من نصيبهم ونصيب غيرهم ، وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان . ويأكلون تراثهم مع تراثهم .

﴿حُبًّا جَمًّا﴾ : كثيراً .

(١) التراث : أى ميراث اليتامى . وأصله الوارث .

ومن الغريب

دكاً دكا : الدكّ : الكسر والدق أى زلزلت الأرض ، وحُرِّكت تحريكاً بعد تحريك ، يقال ناقة دكاء أى لا سنام لها ، ويقال : دك الشيء أى هدم ، دكاً دكا : أى مرّة بعد مرّة ؛ فليس الثانى تأكيداً للأول ، بل ذلك نظير الحال فى نحو قولك جاءوا رجلاً رجلاً ، وعلمته الحساب باباً باباً . أى إذا دكت الأرض دكاً متتابعاً حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية وقصور وغيرها حين زلزلت المرة بعد المرة وصارت هباء منثوراً .

سورة البلد

﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) ﴾ : المراد الحرم .

﴿ كَبَدَ ﴾ : أى فى مشاق .

﴿ مَا لَا بُدَّ ﴾ (١) قرئ بالضم والكسر جمع بُدَّة وهو ما تلبد يريد الكثرة .

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) ﴾ : طريقَي الخير والشر (٢) ، وقيل الثديين (٣) .

﴿ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ : المسغبة (٤) : المجاعة .

﴿ ذَا مَقَرَّةٍ ﴾ : يقال فلان ذو مقربة (٥) أى ذو قرابتي وذو مقربتي .

(١) والمعنى يقول على سبيل الفخر أهلك ما لا كثيراً فى المكارم وما يحصل به الشئاء أبحسب أنَّ أعماله تخفى وأنه لا يراه أحد ، ولا يطلع عليه فى إنفاقه ، ومقصد ما يتتبعه مما ليس لوجه الله منه شئ بل عليه حفظة يكتبون ما يصدر منه من عمل فى حياته ويحصونه إلى يوم الجزاء . وقرأ أبو جعفر بُدَّ ، وقرأ زيد بن على لبدا بسكون الباء ومجاهد وابن أبى الزناد بضمهما . بُدَّ جمع لبود ولَبَدَّ بالتشديد جمع لابد .

(٢) هو قول ابن مسعود أخرجه الحاكم وصححه . والنجد مشهور فى الطريق المرتفع . والامتنان المحدث عنه بأن هداه سبحانه ويبيّن له تعالى شأن ما إنَّ سلكه نجا ، وما إنَّ سلكه هلك . ولا يتوقف الامتنان على سلوك طريق الخير . ووصف سبيل الخير بالرفعة والنجدية ظاهرة بخلاف سبيل الشر فإن فيه هبوطاً من ذروة الفطرة إلى حضيض الشقاوة فهو على التغليب أو على توهم المتخيلة له صعوداً ، ولذا استعمل الترقى فى الوصول إلى كل شئ وتكميله .

(٣) أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم من طرق عن ابن عباس أنهما الثديان . وروى ذلك عن ابن المسيب أى ثدى الأم لأنها كالطريقين لحياة الولد ورزقه والارتفاع فيها ظاهرة والبطن تحتها كالغور . والعرب تقسم بثديي الأم فتقول أمّاً ونجدياً ما فعلت ، ونسب هذا التفسير لعلى ، والذي فى الدر المنثور : أن ناساً يقولون : إن النجدين الثديان فقال : لا هما الخير والشر .

(٤) المسغبة : مصدر ميمي بمعنى السغب ؛ وهو الجوع العام . قال الراغب : وهو الجوع مع التعب .

(٥) مقربة أى قرابة . وهو مصدر ميمي . قال الزجاج : وفلان قرابتي قبيح لأن القرابة مصدر .

﴿ذَا مَرَبَةٍ﴾^(١) : أى ذَا فقر من تَرِبَ إذا افتقر، وأما أَتَرِبَ فمعناه استغنى .

﴿أَصْحَابُ الْمِمْنَةِ﴾ : أى أصحاب اليمين .

﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾^(٢) : أصحاب الشمال .

﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ : مطبقة من أوصدت الباب وأصدته إذا أطبقته وأغلقتها .

(١) متربة أى افتقار وهو مصدر ميمي . من تَرِبَ إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب .

فائدة :

استشكل بعضهم عدم تكرار لا - هنا فى قوله «فلا اقتحم العقبة» فلافك رقية ولا اطعم مسكيناً .. مع أنها دخلت على الماضى . وقد قالوا : يلزم تكرارها كما فى قوله تعالى ﴿فلا صدق

ولا صلى﴾ والجواب : بأن اللازم تكرارها لفظاً أو معنى ، وهى هنا مكررة معنى ؛ لأن تفسير العقبة بالأعمال الشاقة المرتفعة القدر عند الله تعالى . يلزم منه تفسير الاقتحام فيكون فلا اقتحم العقبة فى معنى فلا فك رقية ولا أطعم يتيماً ... الخ .

(٢) السر فى الاتيان بضمير الفصل مع أصحاب الشمال هو إفادة الحصر ، وقد اعتبروا غيباً كأنهم بحيث لا يصلحون بوجه من الوجوه لأن يكونوا مشارا إليهم ، ولم يسلك نحو هذا المسلك فى الجملة الأولى التى فى شأن المؤمنين . وقال بعضهم : الحكمة فى ترك ضمير الفصل فى الأولين والاتيان بدله باسم الإشارة أن اسم الإشارة يؤتى به لتمييز ما أريد به أكمل تمييز كقوله :

هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه من نسل شيان بين الضّالّ والسّلم .

ولا كذلك الضمير ؛ فإن اسم الإشارة البعيد يفيد التعظيم لتزليل رفعة محل المشار به إليه منزلة بعد درجته ، فاسم الإشارة للتعظيم والإشارة إلى تمييزهم واستحقاقهم كمال الشهرة بخلاف أصحاب المشأمة - والضمير لا يفيد ذلك .

سورة الشمس

﴿ وَضَحَّاهَا ﴾ ^(١) : ضوؤها إذا أشرقت ، وقيل الضحوة ارتفاع النهار ،

والضحى فوق ذلك والضحاء بالمد والفتح امتداد النهار .

﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا ﴾ ^(٢) : طالعا عند غروبها .

﴿ وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ ^(٣) : عند انتفاخ النهار وانبساطه لأن الشمس تنجلي في

ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو للأرض أو للعالم وإن لم يَجْر لها ذكر كقولهم أضحت باردة يريدون الغداة ، وأرسلت يريدون السماء .

﴿ وَمَا طَحَّاهَا ﴾ : دحاهها ، والطَّحُو : الدَّحُو ، والمراد البسط .

﴿ مِنْ دَسَّاهَا ﴾ ^(٤) : التدسية : النقص والإخفاء بالفجور .

﴿ بِطَغَوَاهَا ﴾ ^(٥) : من الطغيان .

﴿ إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ ^(٥) : هو عاقر الناقة وهو سالف بن قُدار .

(١) ضحاها : ضوؤها وإشراقها ، وأضاف الضحى إلى الشمس لأنه إنما يكون بارتفاع الشمس .
وأصل الضُّحَى من الضَّح وهو نور الشمس والألف مقلوبة من الحاء الثانية . وقال أبو الهيثم
الضَّح نقيض الظل وهو نور الشمس على وجه الأرض .

(٢) تلاها : تبعها .

(٣) أصل دسَّاهَا : دسَّها فأبدلت سينه ياء . قال ابن عباس : خابت نفس أضلها وأغواها .
وقيل دسَّاهَا : دسَّها .

(٤) طغواها أى بطغيانه ، وهو خروجها عند الحد فى العصيان . والأصل بطغْيَاهَا إلا أن فعلى
«إذا كانت من ذوات إلیاء أبدلت فى الاسم واواً ، لیُفصل بین الاسم والوصف .

(٥) انبعث أى نهض واسمه قُدار بن سالف .

﴿ وَسُقْيَاهَا ﴾ ^(١) نصيها من الشراب .

﴿ فَدَمْدَمَ ﴾ ^(٢) : أى أطبقَ عليهم لم يَنْجُ صغير ولا كبير .

(١) وسُقْيَاهَا : أى ذروها وشربها . فإنهم لما اقترحوا الناقة ، وأخرجها لهم من الصخرة ، جعل لهم شرب يوم من بئرهم ، ولها شرب يوم مكان ذلك ، فشق ذلك عليهم . فكذبوا صالحاً فى قوله لهم : «إنكم تُعَذِّبُون إن عقرتموها» .

(٢) دمدم : حقيقة الدَّمْدَمَة تضعيف العذاب وترديده ، ويقال دممت عليه القبر أى أطبقته فإن كررت الإطباق قلت : دمدمت . ودمدمت عليه القبر : أى سوّيته عليه .

وفى الكلام تقديم وتأخير فحواء : إذ نهض أشقاها ولا يخاف عاقبة ما صنع . وعليه فالضمير فى ولا يخاف إما يعود على العاقر أو على نبي الله صالح . أى لا يخاف صالح عاقبة إهلاك قومه ، ولا يخشى ضرراً يعود عليه من عذابهم ؛ لأنه قد أنذرهم ، ونجاه الله تعالى حين أهلكهم .

سورة الليل

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ (١) : يحتمل أن يكون المغشى الشمس ويحتمل أن يكون النهار أما الأول فلقوله تعالى : والليل إذا يغشاها وأما الثاني فلقوله تعالى «يغشى الليل النهار». ويحتمل كل شئ يواريه بظلامه .

﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَشِئْنٌ﴾ (٤) (١) : جمع شئت أى إن مساعيكم مختلفة .

﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ (٢) : أى نزل الحفرة ، وقيل تردى أى نزل فى قعر جهنم .

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ (١٢) (٣) : الدلالة على الحق أو بيان طريقه .

﴿نَارًا تَلْقَى﴾ : تتوقد وتتلهب .

﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ (٤) : لا يقاسى حرها أو لا يدخلها .

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ : سيبعد عنها .

﴿يَتَزَكَّى﴾ (٥) : يطهر به من الذنوب .

﴿تُجْزَى﴾ : تُكَافَأُ ، وقد نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه .

(١) هذا جواب القسم والمعنى : إن عملكم لمختلف . وواحد شتى شئت مثل مرضى ومريض . وإنما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه . أى إن عملكم لتباعد بعضه من بعض ؛ لأن بعضه ضلالة وبعضه هدى . أى فمنكم مؤمن وبر ، وكافر وفاجر ، ومطيع وعاص .

(٢) تردى أى مات يقال : ردى يردى ردى : إذا هلك . وقال أبو صالح وزيد بن أسلم : تردى : سقط فى جهنم و «ما» يحتمل أن تكون جحداً ؛ أى ولا يغنى عنه ماله شيئاً ؛ ويحتمل أن تكون استفهاماً معناه التوبيخ ؛ أى أى شئ يغنى عنه إذا هلك ووقع فى جهنم .

(٣) قال قتادة : على الله بيان حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .

(٤) أصل الصلأ الحر والمعنى لا يجد حرها إلا الشقى .

(٥) يتزكى أى يطلب أن يكون عند الله زاكياً ، ولا يطلب بذلك رياء ولا سمعة ، بل يتصدق به مبتغياً به وجهه تعالى .

سورة الضحى

﴿وَالضُّحَىٰ (١)﴾ المراد بالضحى (١) : صدر النهار وخصه بالقسم لأنه الوقت الذى كلم الله فيه موسى وألقى فيه السحرة سجداً لقوله تعالى ﴿وَأَن يَحْشُرَ النَّاسَ ضَحَى﴾ .

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢)﴾ : أى سكن ، وركد ظلامه ، والمراد إما سكون الريح أو سكون أصوات العالم ومنه قولهم «ليلة ساجية» ساكنة الريح وسجى البحر : سكنت أمواجه .

﴿مَا وَدَّعَكَ (٣)﴾ : أى ما قطعك قطع المودع ، وقرئ بالتخفيف .

﴿وَمَا قَلَىٰ (٤)﴾ : أى ما هجرك أو أبغضك ، وحذف المفعول من قلى طلباً لتشاكل الفواصل .

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٥)﴾ : اختلف أقوال المفسرين فى معنى الضلال فى هذه الآية .

(١) هذا الكلام منقول عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق : أقسم بالضحى الذى كلم الله فيه موسى وبليلة المعراج .

(٢) ما ودعك : جواب القسم . وفى البخارى عن جندب بن سفيان قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً ؛ فجاءت امرأة فقالت : يا محمد ، إنى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث ؛ فنزلت والضحى .

وقراءة العامة ما ودَّعَكَ بالتشديد من التوديع . وعن ابن عباس وابن الزبير ما ودَّعَكَ بالتخفيف ومعناه تركك . واستعماله فى اللغة قليل فإنهم لا يكادون يقولو ودَّعَ ولا ودَّرَ ، لضعف الواو إذا قدمت ، واستغنوا عنها بـ «ترك» .

(٣) يقال : فلاه يَقلِّيه قَلَىً وقَلَاءً كما تقول : قرئتُ الضيفَ أَقرِّيه قرئاً وقرَّاه . ويقَلَّاه لغة طىء .

((٤)) ضلَّ فى اللغة على معانٍ منها المحبة ومنه قوله تعالى ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِ ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ =

أَيُّ مُحِبًّا أَوْ ضَالًّا فِي أَرْقَةِ مَكَّةَ .

والذى نراه أن ضالا بمعنى غافلاً عن أحكام الشرائع .

فهدى : فهداك إلى مناهجها بما أوحى إليك .

﴿ عَائِلًا ﴾ : فقيراً عديماً .

﴿ فَأَعْنَى ﴾ ^(١) : فَرَضَّاك بما أعطاك ومنحك .

﴿ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ ^(٢) : فلا تغلبه على ماله ولا تستند له .

﴿ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ : فلا تزجره ، وارفق به .

= {يوسف : ٩٥} أى فى محبتك ، وقول الشاعر : هذا الضلالُ أشاب منى المفرقا . وبمعنى الغفلة قال تعالى ﴿ لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ طه : ٥٢ {وبمعنى النسيان قال تعالى ﴿ أن تضل إحداهما ﴾ البقرة ٢٨٢} .

قال ابن عباس : ضلّ النبي صلى الله عليه وسلم فى شعاب مكة وهو صغير ، فرآه أبو جهل منصرفاً عن أغنامه فردّه إلى جده عبد المطلب ؛ فمنّ الله عليه بذلك ، حين ردّه إلى جدّه على يدى عدوه .

وقال شهر بن حوشب والضحاك : ضالا : لم تكن تدرى القرآن والشرائع ، فهداك الله إلى القرآن وشرائع الإسلام .

(١) هذا قول مقاتل .

(٢) فلا تقهر أى فلا تسلط عليه بالظلم ، ادفع إليه حقه ، واذكر يُتَمَك .

سورة ألم نشرح

﴿ وَزَرَكْ ﴾ (١) : الوزر : الذنب .

﴿ أَنْقَضَ ﴾ (٢) : الانتقاض : هو الصوت الصادر عن الظهر .

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (٤) : قرن اسمه مع اسم الله تعالى فى الاذان والإقامة

والتشهد والخطب وفى غير موضع من القرآن .

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ (٧) : أى اجتهد فى العبادة ، والنصب : التعب

والمعنى والله أعلم ألم تُفْسِحْ لك صدرك - بالحكمة والنبوة - قد أفسحنا .

(١) أى حططنا عنك ما كنت فيه من أمر الجاهلية ؛ لأنه كان فى كثير من مذاهب قومه ، وإن لم يكن عبد صنما ولا وثنا ؛ قاله القرطبى .

(٢) يقال : أنقض الحمل ظهر الناقة : إذا سُمِعَ له صرير من شدة الحمل .
فالوزر الحمل الثقيل وانقض أى أثقل وأوهن .

ومن الغريب

ووضعنا عنك : أى خففنا عنك ، وسهلنا عليك .

وزرك : حملك «أعباء النبوة والرسالة» .

فإذا فرغت من عبادة أدبتيها .

فانصب : فاجتهد وأتبعها بعبادة أخرى .

فارغب : فاجعل رغبتك فى جميع شؤونك .

سورة التين

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ (١)﴾ : اقسم بالتين والزيتون ، المراد بهما الفاكهتان المعروفتان واختلف فيهما ، ف قيل جبالان من جبال بيت المقدس أحدهما طور زيتا والثانى طور سينا ، وقيل . الزيتون جبال حلوان ، وهمذان ، وقيل المراد منابت الجبلين .

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣)﴾ : مكة حماها الله تعالى . والأمين من أمن الرجلُ

أمانة فهو أمين

وقيل أمان كما قيل كُرَّام فى كريم ، وأمانة البلد : أن يحفظ مَنْ دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ، ويجوز أن يكون فعيلًا بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن فى قوله تعالى «حرماً آمناً» بمعنى ذى أمن .

﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ : المراد بذلك أنه لما خلقه خلقاً فى أحسن تقويم لم يقابل ذلك بالشكر ردُّ إلى أسفل سافلين ، واختلف فى ذلك فقيل المراد الدركات التى هى أسفل شئ فى النار وقيل المراد رجوعه إلى ما كان عليه أولاً من ضعف التركيب وهو المراد بقوله تعالى «ننكسه فى الخلق» .

﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧)﴾ : هو خطاب للإنسان على طريقة الالتفات .

ومن الغريب

وجواب القسم «لقد خلقنا» .

وقوله «أحسن تقويم» : أحسن صورة ، أكمل تعديل .

ممنون : مقطوع .

والمراد بالدين : الجزء بعد البعث والحساب .

سورة العلق

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (٢) : المراد بالإنسان استغراق الجنس ، والعلق جمع علقه وهى الكائنة من النطفة وجمعت نظراً إلى جنس .

﴿ كَلَّا ﴾ : ردع لمن كفر النعمة بطغيانه .

﴿ الرَّجْعَى ﴾ : مصدر كالبُشْرِى بمعنى الرجوع .

﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ (١٥) : السَّفْع : القبض على الشيء ، و، الناصية : مُقَدِّم

الرأس

قال عمرو بن معدى كرب :

قومٌ إذا وقع الصريخُ رأيتهم ما بين مُلْجَمٍ مُهَرَّهٍ أو سافع .

﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ (١٨) : الزبانية فى كلام العرب الشُّرْط الواحد زَبْنِيَّة كعَفْرِيَّة من الزَّيْن وهو الدَّفْع، وقيل زبنى وكأنه نسب إلى الزَّيْن ثم غُيِّرَ للنسب كقولهم إِمْسِيَّ وأصله زباني فقليل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب .

﴿ كَلَّا ﴾ : ردع وزجر .

﴿ وَاقْتَرَبْ ﴾ : أى تقرب إلى ربك وفى الحديث «أقرب ما يكون العبد إلى ربه

إذا سجد» .

ومن الغريب

كلا إن الإنسان ليطغى : كلا بمعنى حقاً ، والعلق : الدم الجامد ، ليطغى : ليجاوز الحد فى العصيان .

أرأيت : أخبرنى ، ومعنى لنسفعن بالناصية ، لنسجبه بनावيته إلى النار

سورة القدر

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ : الضمير يعود إلى القرآن ، ليلة القدر مختلف فيها فأكثرهم على أنها في العشر الأواخر من رمضان . وأكثر القول على أنها السابعة منها . ولعلّ الداعي لإخفائها أن يُحْيى مَنْ يريدُها الليالي الكثيرة طلباً لموافقتها فتكثر عبادته فيُضَاعَف ثوابه ، ومعنى ليلة القدر : تقدير الأمور . من قوله تعالى ﴿فِيهَا يَفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان-٤] وقيل سميت بليلة القدر لخطورها وشرفها على سائر الليالي من ارتفاع القدر .

فإن قيل ما الحكمة في تخصيص هذه المدة وهي ألف شهر ^(١) يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً من بنى إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر ، فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم ، فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي» وقيل إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر . فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد .

﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ : تقديره ما هي إلا سلامة ، لا يُقَدَّرُ الله فيها إلا السلامة والخير ، ويقضى في غيرها بلاءٌ وشقاءٌ وسلامة . أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين .

ومن الغريب

ومعنى أنزلناه : ابتدأنا إنزاله ، القدر : الشرف والعظمة .

الروح : جبريل عليه السلام .

من كل أمر : بكل أمر من الخير والبركة .

(١) هو مروي عن مجاهد ، وعنه أيضاً قال : كان في بنى إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد بالنهار حتى يمسي ألف شهر .

﴿ مَطْلَع ﴾ (١) : بفتح اللام وكسرها .

(١) قوله بفتح اللام هي قراءة الجمهور : وقرأ الكسائي بكسر اللام وكذلك خلف على أن مَطْلَع مصدر . ومطلع : موضوع الطلوع (اسم زمان) .

فائدة : اختلف أهل العلم في تحديد ليلة القدر والجمهور على أن ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور وهل ليلة إحدى وعشرين لما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال : اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه فأثاه جبريل فقال : إن الذي تطلب أمامك ، فاعتكف العشر الأوسط فاعتكفنا معه فأثاه جبريل فقال : الذي تطلب أمامك ، ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً صبيحة عشرين من رمضان فقال : مَنْ كَانَ اعتكف معي فليرجع فإنني رأيت ليلة القدر وإنني أنسيتها وإنها في العشر الأواخر في وتر ، وإنني رأيت كأنني أسجد في طين وماء " . وكان سقف المسجد جريداً من النخل وما نرى في السماء شيئاً فجاءت قزعة ، فمطرنا ، فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديق رؤياه .

وفى لفظ من صبح إحدى وعشرين . قال الشافعي : وهذا الحديث أصح الروايات . وقيل ليلة ثلاث وعشرين لحديث عبد الله بن أنيس في صحيح مسلم وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد . والله أعلم

وقيل هي في ليلة الخامس والعشرين والسابعة والعشرين والتاسعة والعشرين . لما رواه البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال : خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة " .

سورة البينة

سمّاها المؤلف «سورة القيمة»

﴿ مُنْفَكِّين ﴾ : مأخوذ من انفكاك العظم من مفصله . كان الكفار من الفريقين أهل كتاب وعبدّة الأوثان فكانوا يقولون لا ننفكُ عن ديننا حتى يأتينا الرسول . فأهل الكتاب كانوا يقولون حتى يبعث الله محمداً الموصوف عندنا فى التوراة والانجيل فلما جاءهم ما زادهم إلا طغياناً وكُفراً . والمشركون لما جاءهم عاندوا .

﴿ قِيَمَة ﴾ : مستقيمة ناطقة بالحق .

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ : فإن قلت جمع بين أهل الكتاب والمشركين ثم خص أهل الكتاب بالتفرق ، قلت لأنهم كانوا على علم بوجود النبى صلى الله عليه وسلم فإذا وُصفوا بالتفرق مع العلم كان من لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف .

﴿ حُنَفَاء ﴾ : غير مائلين .

﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ : التقدير دين الملة القيمة .

﴿ الْبَرِّيَّة ﴾ وقرأ نافع بهمز البرية . والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل .

ومن الغريب

منفكين : مُزايِلين ما هم عليه من الكفر .

البينة : الحجة الواضحة وهى الرسول .

مطهرة : منزّهة عن الباطل والشبهات .

فيها كتب : آيات وأحكام مكتوبة .

الدِّين : العبادة .

حنفاء : مائلين عن الباطل إلى الإسلام .

البرية : الخلائق أو البشر .

سورة الزلزلة

﴿ زَلْزَلَاهَا ﴾ : الزلزال : الاضطراب والتحرك ، فإن قلت ما معنى الإضافة ، قلت ما تستوجبه في الحكمة ومشیئة الله تعالى ، وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده سكون (١).

﴿ أَثْقَالَهَا ﴾ (٢) : جمع ثقل وهو متاع البيت - جعل ما فى جوفها من الذخائر أثقالاً . وهذه الزلزلة تكون عند النفخة الثانية حين تلفظ الأرض أمواتها أحياء .
﴿ أَشْنَاتَا ﴾ : متفرقين إما إلى الجنة وإما إلى النار .

﴿ مُثْقَال ذَرَّة ﴾ : الذرة النملة ، وقيل ما يرى فى إشعاع الشمس ، وحكى أن أعرابياً قرأ شراً يره مقدماً فقليل له قدّمت وأخرت فقال هذا مثل يستعمل فى التخيير وأنشد .

خُذَا بَطْنَ هَرَشِيْ أَوْ قِفَاهَا فَإِنَّهُ كَلَا جَانِبِيْ هَرَشِيْ لَهْن طَرِيق .
قلت - قال الجوهري : هرشى ثنية فى طريق مكة فى طريق الجحفة يرى منها البحر ولهما طريقان ، وكل من سلكهما كان مصيباً .

(١) الإضافة فى قوله «زلزالها» للعهد ، ويجوز أن يراد بها الاستغراق لأن زلزالاً مصدر مضاف فيعم أى زلزالها كله وهو استغراق قصد به المبالغة .

(٢) قال ابن عباس : أثقالها : موتها ، وقال النقاش والمنذر بن سعيد : كنوزها وموتها .
وقيل : إنها تزلزل عند النفخة الأولى فتُخرج كنوزها ، وتزلزل عند الثانية فتُخرج موتها .
ومن الغريب

تحدث أخبارها : تدل بحالها على ما عمل عليها .
أوحى لها : جعل فى حالها دلالة على ذلك .
يصدر الناس : يخرجون من قبورهم إلى الحشر .
مثقال ذرة : وزن أصغر غلة أو هباءة .

سورة العاديات

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١)﴾ : أقسم بخيل الغزاة عاديات ، والضَّبْحُ صوت يَصْدُرُ من أجوافها وحكى عن ابن عباس - الصوت فقال أح أح قال عنترة والخيل تكدح في حياض الموت ضبْحًا.

﴿فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا (٢)﴾ : تورى بسنابكها النار وهو المسمى بنار الجُباحب ، والقَدَح : الصك والإبراء : اخراج النار . تقول قَدَحَ فَأَوْرَى وقَدَحَ فَأَصْلَدَ.

﴿نَقْعًا﴾ : النقع : الغبار الصادر من حوافر الخيل .

جمعاً : يريد به جمع الأعداء ، وَوَسَطَهُ بمعنى تَوَسَّطَهُ ، والضمير في «به» يحتمل أن يعود على مكان الغاره - أو على العدو الذي دل عليه والعاديات ، ويحتمل أن يراد بالنقع الصوت من قوله عليه السلام ، مالم يكن نقع ولا لقلقة .
وقرأ أبو حيوة : فَأَثَرُنْ بالتشديد أى أَظْهَرُنْ .

﴿لَكُنُودٍ﴾ : الكنود : الكفور ومنه كند النعمة إذا كفرها ومنه سمى كنده لأنه كند أباه ففارقه . وعن الكلبي الكنود بلسان كنده : العاصي ، وبلسان بنى مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور .

ومن الغريب

فالمغيرات ضَبْحًا : المباغيات للعدو وقت الصباح .

فأثرن به نقعا : هيَّجْنَ في الصبح غبارًا .

الخير : المال .

بُعْثَر : نُثِرَ وأُخرج .

حُصِّل : جُمِعَ ومِيزَ أو أَظْهَر .

سورة القارعة

﴿ الْقَارِعَةُ ١ ﴾ : التى تقرر العالم بهولها مأخوذ من قرع العصا للرأس ، والمراد

بها القيامة والقارعة : الداهية ، والقارعة : ساحة الدار .

﴿ كَالْفَرَّاشِ الْمُبْثُوثِ ﴾ : الفراش اسم لطائر يدور حول السراج ويحرق نفسه فيه

قال جرير يهجو الفرزدق :

إن الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلى

وسمى فراشاً لتفرشه وانتشاره - ومن أمثالهم «أضعف من فراشه وأذل وأجهل» .

﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ : العهن : الصوف المصبوغ ألواناً ، ووجه التشبيه أن

الجمال بعضها حمُر وبعضها بيض وبعضها سود فإذا دُكَّت واختلطت أشبهت القطن

المصبوغ قال الله تعالى «ومن الجبال جدد بيض وحمر» .

﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ ﴾ : من قولهم هوت أمه إذا دُعِيَ عليه بالهلكة لأنه متى

هلك هوت أمه أى سقطت وتهالكت عليه تُكَلَّأُ قال الشاعر (١)

هوت أمُّه ما يبعثُ الصبحُ غادياً وماذا يردُّ الليلُ حين يثوبُ

وقيل الهاوية : النار ، ويقال للمأوى أمُّ على التشبيه لأنَّ الأمَّ مأوى الولد .

وعن قتادة فأُمُّ رأسه هاوية فى قعر جهنم لأنه يُطْرَحُ فيها منكوساً .

﴿ مَاهِيَةٌ ١٠ ﴾ : ضمير القارعة (٢)

﴿ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ : رجحت مقاديرُ حسناته .

(١) الشاعر هو كعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه .

قوله ويبعث : من البعث من النوم ، والغادى : الذى يغدو ويثوب أى يروح

وهوت أمه : دعاء لا يريد به الوقوع وإنما يقال عند التعجب والمدح ، يتعجب منه حين يغدو

ويروح ويصفه بالجلد ، والتقدير : أى شئيب يبعث الصبح منه غادياً وأى شئيب يرد الليل من آتيا

على التعجب منه لانبعاثه فى طلب الغارة ، وإتيانه ظاهراً .

(٢) هذا خطأ فاضح - والضمير إما يعود على الداهية التى دل عليها قوله - فأُمُّه هاوية - فى

التفسير الأول ، أو ضمير هاوية . والهاء للسكت .

سورة التكاثر

﴿أَلْهَاكُمْ التُّكَاثُرُ (١)﴾ : ألهاء وأقهاه : إذا شغله والتكاثر : التبارى فى الكثرة

والتباهى بها - يقال إن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بكثرة المال والرجال فقالت بنو سهم إن البغى أهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فعادوهم فكثرتهم بنو سهم . والمعنى إنكم تكاثرتُم بالأحياء حتى استوعبتوهم ثم صرتم إلى المقابر فتكاثرتُم بالأموات ، عبّر عن بلوغهم إلى عدد الموتى بالزيارة للمقابر ، والمعنى ألهاكم ما لا يُجدى عما يُجدى من أمر الدين ، وقيل ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وزرتم المقابر .

﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)﴾ : الإنذار الثانى أبلغ

ونظيره أن تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل ، والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عايتم ما قدامكم من هول لقاء الله .

﴿عِلْمَ الْيَقِينِ (١)﴾ : ما يتحققه الإنسان ويستيقنه ، وعين اليقين رؤية اليقين

والمراد بالرؤية العلم .

﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ : نفسُ اليقين وهو المشاهدة .

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾ : فإن قلت ما النعيم المسئول عنه فما من

أحد إلا وله نعيم قلت هو نعيم من عكف على لذاته البدنية غير ملتفت إلى تعلم علم ولا عمل ما من تمتع بنعم الله تعالى وأرزاقه التى خلقها لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل ، وكان ناهضاً بالشكر فهو من ذاك بمعزل .

(١) فسر علم اليقين وعين اليقين بما قد علمت والصحيح والله أعلم أن حق اليقين هو أعلى مراتب العلم ودونه عين اليقين ودونه علم اليقين .

سورة العصر

﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ (١) : المراد صلاة العصر ولذلك فضلت وجُعِلت الوسطى على أحد التفاسير ولذلك جاء في الحديث «مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَكَأَنَّمَا تَرَاَهُلَهُ وَمَالُهُ» .

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ ۝٢﴾ (٢) : الإنسان هو الجنس المستغرق لأنَّ كلاً تخلفه ولذلك حَسُن الاستثناء .

﴿وَتَوَّاصَوْا بِالْحَقِّ ۝٣﴾ : من توحيد الله بطاعته واتباع كتبه ورساله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة .

﴿وَتَوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٤﴾ : عن المعاصي والثبات على الطاعات .

(١) العصر هو الدهر على قول ابن عباس أقسم به لما في مروره من أصناف العجائب . وأما مقاتل فاختار العصر بمعنى الصلاة الوسطى ، لأن التكنيف في آدائها أشق لتهافت الناس في تجارتهم وتحاسبهم آخر النهار ، واشتغالهم بمعاشهم .

(٢) هذا جواب القسم . والمراد جنس الناس . لفي خُسْرٍ أى في غبن وهلكة وشر . وقيل في عقوبة ومنه قوله تعالى ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق : ٩] .

وقيل لفي نقص . وقال إبراهيم : إن الإنسان إذا عُمِّر في الدنيا وهَرِمَ ، لفي نقص وضعف وتراجع .

فائدة :

أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب عن أبي حذيفة قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر . ثم يُسَلِّم أحدهما على الآخر وفيها إشارة إلى حال من لم يلهه التكاثر ولذلك وضعت بعد سورته . ومناسبة سورة الهزمة لسورة العصر أن الله تعالى استثنى في سورة العصر المؤمن من الخسران ، فبين الله تعالى في سورة الهزمة أحوال بعض الخاسرين .

سورة الهمزة

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١)﴾ : همزة : الكثير الهمز ، واللمز : الطعن ، والمراد الأخذ من أعراض الناس والغض منهم ، وهذه الصيغة تدل على أنَّ ذلك عادة مستمرة له ونحوهما اللُّعْنَةُ والضُّحْكَ ، وقرئ الهمزة اللُّمزة بسكون الميم وهو الآتى بما يُسَخَّرُ منه . قيل نزلت فى الأخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة وقيل فى أمية ابن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

﴿وَعَدَدَهُ﴾ : أى جمع المال وضبط عدده . وقيل عدّه على فكّ الأدغام والمعنى عدده .

﴿أَخْلَدَهُ﴾ : أى طولّ المال أمله .

﴿يَحْسَبُ﴾ : أنَّ المالَ تركه خالداً فى الدنيا لا يموت .

﴿لَيُبْذَنَ فِي الْحُطْمَةِ﴾ : النبذ : الطرح . والحطمة من أسماء طبقات النار

ويقال للرجل الاكول أنه الحطمة وقرئ الحاطمة . (١)

الأفتدة : القلوب ، وخص الأفتدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة ومعنى إطلاع النار عليها أنها تعلوها .

﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ : مطبقة ، قال الشاعر

نحن إلى أجبال مكة ناقتى ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة (٢)

(١) قرأ زيد بن على «فى الحاطمة» قال الضحاك : الحطمة الدرك الرابع من النار . وقال الكلبي

: الطبقة السادسة من جهنم ، وقال الواحدى : باب من أبواب جهنم ١٠ هـ .

(٢) حنين الناقة : نزاعها إلى ولدها ووطنها . وأجباب : جمع جبل - ومؤصدة : أى مطبقة مغلقة من أوصد الباب إذا أغلقه .

﴿ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ (٩) (١) : مثل المقاطر (٢) التي تُقَطَّر فيها اللصوص .

اللهم أجرنا من النار يا خير مستجار.

(١) ممددة : أى طوال مأخوذ من مَدَّ الشئ يَمُدُّه مَدًّا : طوله .

والمعنى أنهم فى سلاسل وأغلال مطوّلة ، وهى أحكم وأرسخ من القصيرة .

(٢) المقاطر هى : خشب أو جذوع كبار فيها خروق يوضع فيها أرجل المحبوسين من اللصوص .

فائدة :

ما ذكرناه من حمل العمد على المقاطر قيل : يناسب العموم لأن المغتاب كأنه سارق من أعراض الناس ؛ فيناسب أن يعذب بالمقاطر كاللصوص . ومن تأمل فى هذه السورة ظهر له العجب العجيب من التناسب ؛ فإنه لما بولغ فى الوصف فى قوله تعالى «همزة لمزة» قيل الخطمة للتعادل ، ولما أفاد ذلك كسر الأعراض قول بكسر الأضلاع المدلول عليه بالخطمة ، وجئ بالنبد النبئ عن الاستحقار فى مقابلة ما ظن الهامز اللازم بنفسه من الكرامة ، ولما كان منشأ جمع المال استيلاء حبه على القلب جئ فى مُقابله تطلع على الأفئدة ، ولما كان شأن جامع المال المحب له أن يأصد عليه قيل فى مقابلة : إنها عليهم مؤصدة ، ولما تضمن ذلك طول الأمل قيل فى عمد ممددة . والله أعلم .

سورة الفيل

﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ : أبرهة الأشرم وجنوده وكان ملك صنعاء واليمن من قبل أصحابه ملك الحبشة بنى كنيسة بصنعاء وسمّاها القُلَيْسَ على وزن القبيط وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج من كنانة رجل من الحجاز إلى أن جاء صنعاء ودخلها فأحدث فيها ليلاً فعلم الملك بذلك فغضب، وقيل إن جماعة من العرب أججت ناراً فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمنَّ الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وهو مُقَدَّم الفيلة التي كانت معه قيل كان عددها اثني عشر فيلاً وقيل ثمانية وقيل ألف ؛ فوجه أبرهة إلى مكة بالأفيلة وعساكره وكان كلما وجه الفيل إلى الحرم برك وإن وجهه إلى اليمن سار ، فلما نزل أبرهة بحرم الله فَلَقِيَهُ عَبْدُ الْمُطَلَبِ وعرض عليه ثلث أموال تهامة ويكرّ راجعاً فامتنع وصمم على البغي ؛ فأرسل الله طيراً سوداً وقيل خضراً وقيل بيضاً مع كل طائر حجرٌ في منقاره وحجّران في رجله أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فرمتهم الطير بها وكان الحجر يقع على الرأس فيخرج من الدُّبر فهلكوا وخرجوا خائبين ، وأما أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه .

﴿فِي تَضَلُّيلٍ﴾ : في تضليل وإبطال قال الله تعالى : وما كيد الكافرين إلا في ضلالٍ ومنه سُمِّي امرؤ القيس الملك الضَّلِيلَ لأنه ضلّل ملك أبيه أى ضيعه ووجه الكيد ههنا أنهم كادوا البيت أولاً ببناء الكنيسة ثم أرادوا أن يصرفوا الحجاج إليها فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيها ، وكادوه ثانياً . بإرادة هدمه فضلل بإرسال الطير عليهم .

﴿أَبَابِيلٍ﴾ ^(١) : جماعة الواحد إبّاله وقيل لا واحد له من لفظه مثل عبايد

وشمايط

(١) هذا قول الفرّاء . وقال الرّوّاسي . إبّالة مشددة الباء .

﴿سَجِيلٌ﴾ علم لديوان أعمالهم كأنه قيل بحجارة من حملة العذاب المكتوب المدوّن واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال لأن العذاب موصوف بذلك ، وقيل السجيل طين مطبوخ كما يُطبخُ الآجرُّ ، وقيل هو مُعَرَّبٌ .

﴿كَعَصْفٍ مَّاكُولٍ﴾ : العصف : ورق الزرع إذا أكلته الدواب ، وقيل هو التبن إذا أكلته الدواب ورائته . ولكنه جاء على آداب القرآن كقوله تعالى : ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ ويحتمل أن يُرَادَ بالعصف المأكول أنه أُكِلَ حَبُّهُ فَبَقِيَ صَفْرًا . والله تعالى أعلم .

سورة قريش

﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ (١) : تقول ألفت المكان أولفه إيلافاً إذا ألفتَه فأنا مولف ويقال ألفت المكان أولفه إلاًفاً فصار صورة أفعَل وفَاعِل في الماضي واحد وقُرئ لإلاف قريش أى لمؤالفة قريش ، واختُلِف في اللام بماذا تتعلق فقليل تتعلق بقوله تعالى ﴿فليعبدوا﴾ لإيلافهم على معنى أن الله تعالى أنعم عليهم نعماً لا تُحصى فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة ، وقيل المعنى اعجبوا لإيلاف قريش . وقيل متعلقة بما قبله أى فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش قال جار الله وهذه بمنزلة التضمين فى الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقاً لا يصح إلا به وهما فى مصحف أبى سورة واحدة بلا فصل . وكانت لقريش رحلتان رحلة فى الشتاء إلى اليمن ورحلة فى الصيف إلى الشام وكانوا فى رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاءُ بيته فلا يُتعرضُ لهم .

وقرأ أبو جعفر (١) لإلف قريش وقد جمعها مَنْ قال .

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف . (٢)

وقرأ عكرمة «ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف» .

وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبت

(١) الصحيح أن أبا جعفر قرأ لإلافهم أما ابن عامر فهو الذى قرأ لئلاف وقرأ أبو جعفر ليلاف .

(٢) البيت لمساور بن قيس . وقد استشهد بالبيت على أن ألفته إلاًفا ككتاب وألفته إلفاً وقد جمع الشاعر بينهما فى قوله لهم إلف الخ : أى أهلك أصحاب الفيل لإلف قريش مكة ولتألف قريش (رحلة الشتاء والصيف) أى تجمع بينهما إذا فرغوا من ذه أخذوا فى ذه . والشاعر يهجو بنى أسد ويقول : إنكم لستم من قريش ولا قريش منكم ، فدعواكم أخوتهم باطل لأنهم أطعموا من جوع وأومنوا من خوف ولستم كذلك .

بالسفن ويُنشد قول مَنْ قال :

وقريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشاً

والتصغير للتعظيم ، وقيل من القرش الذى هو الكسب لأنهم كانوا كسابين
بتجاراتهم وضربهم فى البلاد.

وقرىء رُحْلة بكسر الراء وضمها . وهى الجهة التى يُرحل إليها والمراد بالجوع :
جَدَب نزل بقريش حتى أكلت الجيف والعظام المحرقة .

﴿ خَوْفٍ ﴾ والمراد بالخوف : قيل الخوف من أهل الفيل ، وقيل الأمن من
التخطف ، ومن يدع التفاسير آمنهم من خوف أن تكون الخلافة فى غيرهم .

سورة الماعون

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ﴾ (١) قرئ رأيت بحذف الهمزة وليس بمختار (١)
لأن حذفها مُختَصٌّ بالمضارع ولم يصح عن العرب رَيْتَ ولكن الذى سَهَّلَ من أمرها
وقوع حرف الاستفهام فى أول الكلام ونحوه ما سمع من قول الشاعر (٢)

صاح هل رَيْتَ أو سمعت براع رَدَّ فى الضرع ما قرئ فى الحلاب.

والدين : ها هنا الجزاء .

﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ : يدفعه دفعاً عنيفاً بجفوة وأذى .

﴿وَلَا يَحْضُ﴾ (٣) : لا يبعث .

﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (٤) : المراد بالسهو قلة المبالاة بها حتى يفوت
وقتها ولا يصلونها . أو يصلونها على غير وضعها من غير خشوع وإخبات . بل العبث
باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات ؛ لا يدرى كم صلى ولا ما قرأ .

(١) قوله وليس بمختار كلام ساقط مردود لأنه يرد قراءة سبعة متواترة عن الكسائى القارئ النحوى .
والذى فى الآية أقوى توجيهاً من البيت لوجود الهمزتين ، فإذا وقع فى أول الكلام حرف
الاستفهام كره همزة أخرى بعدها .

(٢) صاح أصله يا صاحبي فرُخِمَ ، القرئ : جمع الماء فى الخوض ، يقول : يا صاحبي هل رأيت
أو سمعت براع ردَّ إلى الضرع ما حلب من اللبن .

(٣) أى ولا يبعث أحداً من أهله الموسرين لبذل الطعام إلى مَنْ يستحقه . وقرأ زيد بن على ولا
يحاضٌ مضارع حاضضت . وهذه الجملة عطف على جملة الصلة داخلة معها فى حيز التعريف
للمكذب . فتكون علامته الإقدام على إيذاء الضعيف وعدم بذل المعروف على معنى أن ذلك من
شأنه ولوازم جنسه .

(٤) المراد بالسهو فى الصلاة تأخيرها عن وقتها لحديث سعد ابن أبى وقاص . يرفعه بعضهم ، وقال
الحاكم والبيهقى : وقفه أصح .

﴿يُرَءَوْنَ﴾ : فإن قلت ما معنى المراءة قلت هى مفاعلة من الإراءة لأنَّ المُرأى يرى الناسَ عملَه وهم يُروْنهُ الثناء عليه والاعجاب من أعماله .

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾ ^(١) : ما يتعاوره الناس فى العادة من الفأس والقدر والمقدحة والقربة والصَّحفة ، وعن عائشة الماء والملح والنار .

(١) فى المراد بالماعون أقوال كثيرة أتمها قول عكرمة «رأس الماعون الزكاة وأدناه المنخل والدلو والإبرة . رواه ابن أبى حاتم . قال ابن كثير : وهذا الذى قال عكرمة حسن فإنه يشمل الأقوال كلها ، وترجع كلها إلى شئ واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة . ولهذا قال محمد بن كعب : ويمنعون الماعون قال : المعروف ، ولهذا جاء فى الحديث «كل معروف صدقة»

وأصل كلمة ماعون إما على وزن فاعول من المغن وهو الشئ القليل ، أو على وزن مفعول - على القلب - والأصل اسم مفعول من عان يعون . وحقه أن يكون مُعَوِّن ، والأصل معوون ، ثم قدمت عين الكلمة على فائها فقليل مَوْعُون ثم قلبت الواو ألفاً لفتح ما قبلها . والله أعلم .

سورة الكوثر

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١) : وفى قراءة إنا أنطيناك . والكوثر : اسم

النهر الذى فى الجنة وفعل من صيغ الكثرة قال الشاعر (٢)

وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثرًا.

وفى الحديث (٣) : والحديث «أنه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير» وروى فى صفته أنه أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء . وفسره سعيد بن جبير بالخير الكثير .

﴿وَأَنْحَرْ﴾ : نحر البدن بمنى ، وقيل صلاة العيد والتضحية ، ، وعن عطية أنها صلاة الفجر بجمع ، والنحر بمنى .

﴿الْأَبْتَرْ﴾ : فى الأصل المقطوع الذنب ثم استعير هاهنا لمن لا عقب له .

(١) قال فى البحر هى قراءة الحسن وطلحة وابن محيصن والزعفرانى ، وهى قراءة مروية عن رسول الله صلى عليه وسلم . قال التبريزى : هى لغة العرب العاربة من أولى قريش .

(٢) الكميت - ومعنى كثير : الكوثر من الرجال : السيد الكثير الخير .

(٣) والحديث عند مسلم ولفظه أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال : نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آتيته عدد النجوم .

سورة الكافرون

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ : المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون روى أن رهطاً من قريش قالوا يا محمد هَلُمَّ فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة. فقال معاذ الله أن أشرك بالله قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك» فنزلت .

فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا .

﴿لَا أَعْبُدُ﴾ : فى المستقبل ما تعبدونه لأن لا النافية تختص بالمستقبل ولا أنتم فاعلمون العبادة المطلوبة منكم من عبادة إلهى .

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ (٢)﴾ : فى الزمن الماضى ولم يُعرف منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف يُرجى منى فى الإسلام .

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ (٣)﴾ : فى الحال .

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ (٤)﴾ : فيما مضى وجاء على «ما» دون مَنْ لأن المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق ، وقيل إنَّ ما مصدرية أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى .

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ : أى لكم شرككم ولى توحيدى والآية منسوخة بآية السيف .

سورة النصر

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ : النصر : الاظهار والإعانة على العدو.

ومنه نصر الله الأرض أغاثها ، والفتح : فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب ، والفتح فتح مكة والاخبار بذلك قبل وقوعه من أعلام النبوة . وكان فتح مكة لعشر مَضِيْنٍ من شهر رمضان المبارك سنة ثمانٍ من الهجرة وكان معه عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب ، وأقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج إلى هوازن وحنين ولما رجع من ذلك وقف بباب الكعبة فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ثم قال : يا أهل مكة ماذا ترون أنى صانع بكم قالو خيراً أخُ كريم وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد كان الله أمكنه من رقابهم عَنوة .

﴿فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ : أى جماعات وقد كانوا يدخلون فى الإسلام قبل ذلك واحداً واحداً فلما ظهر لهم الحال وتبين لهم الصبح لذى عينين دخل الناس قبائل فقبائل .

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ﴾ : عن عائشة رضى الله عنها «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثِرُ قبل موته من قول «سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك» والأمر بالاستغفار مع التسييح تكميل الأمر بما هو قوام الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك يا عم فقال : نُعِيَتْ إِلَيْكَ نَفْسُكَ ، فقال : إنها لكما تقول فعاش بعدها ستين لم يُرَ فيهما ضاحكاً . ولذلك تُسَمَّى هذه السورة سورة التوديع .

﴿تَوَابًا﴾ : من صيغ المبالغة أى كثير الإنابة.

أى كان فى الأزمنة الماضية منذ خلق المكلفين تواباً عليهم إذا استغفروا فعل كل مستغفر «أن يتوقع مثل ذلك.

سورة أبى لهب «وهى سورة المسد»

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(١) : التباب الهلاك والخسْران . ومن أمثالهم «أشابة أم تابه أى هالكة من الهرم والتعجيز . والمعنى هلكت يده " أنه فيما يروى أخذ حجراً ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل أنه عنى باليدين عن ذاته كلها كقوله تعالى ﴿بما قدمت يدك﴾ .

﴿وَتَبَّ﴾ : أى حصل ذلك ووقع ، وذلك كقول مَنْ قال : (٢)

جزانى جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاديات وقد فعل .

وتدل عليه قراءة ابن مسعود «وقد تبَّ»^(٣) وروى أنه لما نزل ﴿وأندر عشيرتك

(١) لما ذكر سبحانه فى سورة النصر دخول الناس فى ملة الإسلام عقبه سبحانه بذكر هلاك بعض من لم يدخل فيها وخسرانه ، وقيل فى وجه الاتصال : إنه تعالى لما قال ﴿لكم دينكم ولى دين﴾ فكان النبى صلى الله عليه وسلم قال : إلهى فما جزائى ، فقال الله تعالى : لك النصر والفتح . فقال فما جزاء الذى دعانى إلى عبادة الأصنام فقال تبَّت يده . وأقوال المفسرين فى معنى التباب مقاربة ومادة التباب تدور على القطع وهو مؤد إلى الهلاك . وعندى أنه شأثر لفظ «تبَّت» على لفظ الهلاك والخسْران لأن التباب أقوى وأشد من الخسْران والهلاك لأنه يتضمن معنى الاستمرار ، ومنه استتب الأمر لفلان أى استمر .

(٢) البيت للنابعة ومعنى جزانى أى حصل الجزاء وقوله «جزاه الله شر جزائه - دعاء عليه .

(٣) قال الفرّاء : التَّبُّ الأول : دعاء ، والثانى خبر ؛ كما يقال أهلكه الله وقد هلك . كان لأبى لهب ثلاثة أبناء عتيبة وكان قد أراد الخروج إلى الشام مع أبيه فقال لآتين محمداً وأوذنيه فاتاه فقال : يا محمد إنى كافر بالنجم إذا هوى ، وبالذى دنا فتدلى ثم تفل تجاه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يصبه صلى الله عليه وسلم ، وطلق ابنته أم كلثوم . فأغضبه عليه السلام بما قال وفعل فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك ، وكان أبو طالب حاضراً فكره ذلك وقال له : ما أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة ، فرجع إلى «أبيه ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلاً فأشرف عليهم راهب من دير وقال لهم : إن هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب : أغثونى يا معشر قريش فى هذه الليلة فإنى أخاف على ابنى دعوة محمد ، فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم خوفاً من الأسد ، فجاء أسد يتشمم وجوههم حتى أتى عتيبة فقتله . =

الأقربين﴾ رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وقال : يا صباحاه ، فاستجمع إليه الناس من كل أوبٍ فقال : يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر إن أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكتتم مصدقاً؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى نذير لكم بين يدي الساعة» ، فقال أبو لهب : تباً لك ألهذا دعوتنا؟ فنزلت . فإن قلت لم كنأه والتكنية تكرمة ؟

قلت فيه ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون مشتهراً بالكنية دون الاسم ، فقد يكون الرجل مشهوراً بأحدهما ولذلك تجرى الكنية على الاسم أو الاسم على الكنية عطف بيان . فلما أريد تشهيره بدعوة سوء وأن تبقى سمة له ذكر الأشهر من علميه .

ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان ؛ لثلا يغير منه شئ فيشكل على السامع والثاني : أن اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى كنيته . والثالث : أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديراً بأن يذكر بها ، ويقال أبو لهب كما يقال «أبو الشر للشرير ، وأبو الخير للخير ، وقيل كنى بذلك لتلهب وجتيه وإشراقهما .

وقرئ^(١) أبى لهب بسكون الهاء وهو من باب تغيير الأعلام .

﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ : يحتمل ما يكسبه من ربح ماله أو مايوجده من ولده فإن الولد من كسب أبيه ، ويحتمل التالد والطارف من ماله .

﴿ سَيَصْلَى ﴾^(٢) : قرئ بفتح الياء وضمها ، والسين للوعيد الكائن لا محالة

= وأما عتبة ومعتب فأسلما يوم الفتح وشهدا حنيناً والطائف .

أما أبو لهب فهلك بعد بدر لسبع ليال بالعدسة ، فاجتنبه أهله مخافة العدوى ، فبقى ثلاثاً حتى أنتن ، فلما خافوا العار استأجروا بعض الدوسان فحفروا له حفرة ودفعوه بعود حتى وقع فيها ، فحذفوه بالحجارة حتى واروه .

(١) قرأ مجاهد وحמיד وابن محيصن وابن كثير من القراء السبعة . بإسكان الهاء .

(٢) قراءة الجمهور بفتح الياء . وقرأ الأعشى بضم الياء .

وإن تراخى وقته .

﴿ وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ (٤) ﴾ : هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت تحمل في ظلام الليل الشوك وترميه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل حمل الحطب كناية عن المشى بالنميمة يقال للنمام حمال الحطب والمعنى يوقد النائرة .

قال الشاعر

من البيض لم تُصْطَدَّ على ظَهْرٍ لَأَمَةٍ ولم تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْحَطَبِ الرُّطْبِ .
﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ (٥) ﴾ : الجيد : العنق ، والمسد : ما يُقْتَلُ قَتْلًا جَيِّدًا من ليفٍ أو غيره .

وقرئ (١) حمالة بالنصب على الذم والمعنى أنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الخطابون تخسيساً لحالها وتحقيراً لها وتصويراً لها بصورة بعض الخطابات لمتعضن من ذلك ويمتعض بعلمها وهما في بيت العز والشرف .
وعبر بعض الناس الفضل بن العباسي بن عتبية بن أبي لهب فقال له يا ابن حمالة الحطب فقال :

ماذا أردت إلى شتمى ومنقصتى أم ما تعير من حمالة الحطب
غراء شادخة في المجد عرتها كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب .
ويحتمل أن يكون المعنى : أنَّ حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها في الدنيا وأن الحزمة من الحطب تكون ناراً ، أو أن الحبل سلاسل من نار .

(١) هي قراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي والنصب على الذم ، كأنها اشتهرت بذلك فجاءت الصفة للذم لا للتخصيص . كقوله تعالى ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقَّفُوا ﴾ [الأحزاب : ٦١] . وقرأ أبو قتلابه « حَامِلَةٌ الحطب » .

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾ (١) : هو : ضمير الشأن والجملة مفسرة كقولك هو

زيد منطلق وعن ابن عباس قال «قالت قریش : يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا إليه، فتزلت قلت وهذا مُشكل من جهة العربية لأن من حق ضمير الشأن أن لا يعود على مذكور لا لفظاً ولا معنى .

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)﴾ (٢) : الصمد الذى يُصمَدُ إليه فى الحوائج وهو فعَل بمعنى

مفعول والمعنى : هو الله الذى تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض .

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣)﴾ : حتى لا يجانس مخلوقه .

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ (٣) : قرئ بضم الكاف والفاء ، وبضم الكاف

(١) المشهور أن «هو» ضمير الشأن ومحل الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ومثلها لا يكون لها رابط لأنها عين المبتدأ فى المعنى والسر فى تصديرها به التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة التحقيق والتقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقباً لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه قال أبو حيان : إن صح سبب النزول أى نزول سورة الاخلاص كان «هو» ضميراً عائداً على الرب أى «قل هو الله» أى ربى الله ويكون مبتدأ وخبر و «أحد» خبر ثان . قلت هذا الذى تميل إليه النفوس فقد أخرج الإمام أحمد فى المسند والبخارى فى تاريخه والتزمذى والبغوى فى معجمه وابن عاصم فى السنة والحاكم وصححه عن أبى بن كعب أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد : انسب لنا ربك» فأنزل الله تعالى قل هو الله أحد .

(٢) قال ابن الأبارى : لا خلاف بين أهل اللغة أنه السيد الذى ليس فوقه أحد الذى يصمد إليه الناس فى حوائجهم وأمورهم .

وعن أبى هريرة : هو المستغنى عن كل أحد المحتاج إليه كل أحد . وعن ابن جبير : هو الكامل فى جميع صفاته وأفعاله .

(٣) هى قراء حفص دون همز . وقرأ بإسكان الفاء مهموراً حمزة ويعقوب وخلف وقرأ سليمان =

وكسرهما مع سكون الفاء والمعنى مكافٍ له فى جميع صفاته تعالى الله علواً كبيراً .
وليس كمثل شئ وهو السميع البصير . قلت ولنذكر كلاماً مفيداً يتعلق بأحد .

أعلم أن أحداً على قسمين . قسم يستعمل فى الأعداد كقولك أحد وعشرون
وأحد وثلاثون ؛ فهذا همزته منقلبة عن واوٍ لأنه من وَحَد فهو واحدٌ ؛ ويُصْرَفُ فيقال
توَحَّد مثل توَكَّل وقلَّ إبدالُ الهمزة من الواو المفتوحة ، وإنما جاء فى أناة فى معنى وُناة
، وأما إبدال الهمزة من الواو المكسورة فكثير مثل وسادة ، ووِشاح فقلوا إسادة وإِشاح
إلى غير ذلك .

ومؤنث أحد : إحدى وأصلها وحدى ، وأما القسم الثانى فهو الذى للاستغراق
ولا يستعمل إلا فى النفى ويستوى فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وهمزته
أصلية . قال الله تعالى ﴿لست كأحد من النساء﴾ [الاحزاب-٣٢] وقال تعالى ﴿فما منكم
من أحد عنه حاجزين﴾ [الحاقة-٤٧] ولا تستعمل فى الإيجاب وتختص بمن يعقل فإن قلت
فقد جاء فى الإيجاب ألا ترى إلى قول الشاعر العربى :

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف القمران

= بن على بن عبد الله بن العباس كفاءً بكسر الكاف أى لا مثل له .

وقال ثعلب فى الفرق بين أحد ، وواحد قال : إن أحداً لا يثنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحد
واثنان . ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد . ولذلك اختص به سبحانه . وقيل :
الأحد فى النفى نص فى العموم بخلاف الواحد فإنه محتمل للعموم وغيره . فيقال ما فى الدار
أحد ولا يقال بل اثنان ، ويجوز أن يقال ما فى الدار واحد بل اثنان

ونُقِلَ عن بعض الأحناف أنه قال فى التفرقة بينهما أن الأحدية لا تحتل الجزئية والعديدية بحال .
والواحدية تحتلها لأنه يقال مائة واحدة وألف واحد ولا يقال مائة أحد ولا ألف أحد . وبنى
على ذلك مسألة الإمام محمد بن الحسن وهى «إذا كان لرجل أربع نسوة فقال والله لا أقرب
واحدة منكن صار مولياً منهن جميعاً ولم يَجُزْ أن يقرب واحدة منهن إلا بكفارة ولو قال والله لا
أقرب إحداكن لم يَصِرْ مولياً إلا من إحداهن ١٠ هـ .

أما الأول فعلى بابه من الاستغراق والنفى ، وأما الثانى فمخالف للقاعدة
فالجواب إنما جاز لكونه محكياً أو لكونه قد تقدمه نفى قال ابن السراج نظيره أن يقول
القائل «ما فى الدار أحد» فيقول مجيب له بل أحد تريد واحداً وكذلك الذى فى قوله
تعالى «قل هو الله أحد» هو أيضاً بمعنى واحد . وقد جاء به النابغة على أصله فقال

كأنّ رحلى وقد زال النهارُ بنا بذى الجليل على مُستأنس وحد

والمستعمل فى العدد جاء مجموعاً جمع السلامة قال : وقد رجعوا لحيّ واحدينا
وقد ثنى فى قول الشاعر

فلما التقينا واحدَيْن علوته .

والهمزة التى فيه للتأنيث وأصلها وحدى ووزنها فعلى .

سورة الفلق

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ : الفلق : الصبح ويقال له الْفَرْقُ أيضاً لأنَّ اللَّيْلَ يُفْلَقُ عنه ، وفلق بمعنى مفلوق ويقال فى المثل هو أبين من فلقِ الصبح ومن فرق الصبح . وقيل كل ما يفلقه الله كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد فى جهنم .

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)﴾ : أى من شر مخلوقاته ، وشرور المخلوقين تختلف أما شر الإنسان فمعلوم كالقتل والضرب وما إليه . والعدوان والظلم وغير ذلك . وأما غير الإنسان فكالنهنش واللدغ والعُصّ وما يصدر من الوحوش والسباع والحشرات وما وضعه الله تعالى فى الجمادات من أنواع الضرر كالأحراق والاغراق .

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)﴾ (١) الغاسق : الليل إذا اعتكر ظلامه ومنه غَسَقَتِ العين إذا امتلأت دُمْعاً ، وغَسَقَتِ الجراحة : امتلأت دماً ، ووقوبه : دخول ظلامه ومنه وقبت الشمس إذا غابت ، وقيل المراد بالغاسق إذا وقب : القمر إذا امتلأ نوراً ووقب : ووقوبه دخوله فى الكسوف ، ويجوز أن يراد بالغاسق : الأسود من الحيات ووقبه : ضربه . ونقبه ، والوقب : النقب ومنه وقبة الثريد .

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤)﴾ (٢) : يجوز أن يراد النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقداً فى خيط وينفنن عليها ويرقين .

(١) غاسق إذا وقب : القمر إذا غاب ؛ لما صح عند الترمذى عن عائشة : أن النبى صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر ، فقال : (يا عائشة استعيزى بالله من شر هذا ، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب)

(٢) النفاثات فى العقد : يعنى الساحرات اللاتى ينفنن فى عُقد الخيط حين يرقين عليها . وقراءة رويس عن يعقوب «النافثات» على وزن فاعلات . قال ابن زيد : كُنَّ من اليهود ، يعنى السواحر المذكورات . وقيل : هن بنات لبيد بن الأعصم .

والنفث : النفخ مع ريق .

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾ : والمعنى إذا أظهره ، وإن لم يُظهره فلا يعودُ

ضرره على المحسود وإنما هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره .

تمة :

قال شيخ الإسلام : وأما مَنْ قال : إن الفلق واد في جهنم ، فهذا أمر لا تعرف صحته ، لا بدلالة الاسم عليه ، ولا يتقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا في تخصيص ربوبيته بذلك حكمة ، بخلاف ما إذا قال رب الخلق ، أو رب كل ما انفلق .

فال الزجاج : وإذا تأملت الخلق بأن لك أن أكثره عن انفلاق : كالأرض بالنبات ، والسحاب بالمطر . قال شيخ الإسلام : والمشهور عند أهل التفسير واللغة أن الغاسق : الليل . وقب : دخل في كل شيء فأظلم ، وإذا فُسِّرَ بالقمر ، فقد يقال : وقوبه أى دخوله ، وهو دخوله في الكسوف ، ولا منافاة بين تفسيره بالليل وبالقمر ، فإن القمر آية الليل ، فهنا ثلاث مراتب : الليل مطلقاً ، ثم القمر مطلقاً ، ثم القمر حال كسوفه ، وهذا مناسب لما ذكر في المستعاذ به .

وفى الليل يقع من الشرور النفسانية ما لا يقع فى النهار . والقمر له تأثير فى الأرض لا سيما حال كسوفه ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنهما آيتان «يخوف الله بهما عباده» رواه البخارى ومسلم .

والتخويف إنما يكون بانعقاد سبب الخوف ، ولا يكون ذلك إلا عند سبب العذاب أو مظنته ، فعلم أن الكسوف مظنة حدوث عذاب بأهل الأرض ، ولهذا شرع عند الكسوف الصلاة الطويلة والصدقة ، والعताقة ، والدعاء لدفع العذاب .

سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣)﴾ (١) : هما عطفًا

بيان ، وزاد بإله ما يحسم به مادة الاشتراك . لأنه قد يقال لغيره رب الناس كقوله - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله - وأما إله الناس فخاص لا يشركه فيه أحد فجعل غاية للبيان .

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)﴾ (٢) : اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى

الزلزلة ، وأما المصدر فبالكسر . والمراد بالوسواس : الشيطان سُمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لأنها صنعتها التي هو عليها عاكف . والوسوسة : صوت خفى أو أُريد به ذو الوسواس . ويجوز أن يراد بالوسوسة وسوسة الحلى .

والخناس الذى من عاداته أن يخنس منسوب إلى الخنوس وهو الرجوع .

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾ (٣) : بيان للموسوس وهما ضربان إنسي وجني كما

قال تعالى ﴿شَیَاطِینَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الانعام-١١٢] .

(١) رب الناس : مالکهم ومصلح أمورهم .

(٢) الوسواس : الشيطان ، ووسوسته : الدعاء لطاعته بكلام خفى ، يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت .

(٣) قال الحسن : هما شيطانان ؛ أما شيطان الجن فيوسوس فى صدور الناس . وأما شيطان الإنس فيأتى علانية .

والراجح أن إبليس يوسوس فى صدور الجن ، كما يوسوس فى صدور الناس وعلى هذا يكون «فى صدور الناس» عاما فى الجميع ، و «من الجنة والناس» بيان لما يوسوس فى صدره .

تمة :

وعن ابن جريج : «من الجنة والناس» قال : إنهما وسواسان ، فوسواس من الجنة فهو «الخناس» ، ووسواس من نفس الإنسان فهو قوله : «والناس» .

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً
والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين
حسبنا الله ونعم الوكيل

قال شيخ الاسلام : النفس لها وسوسة كما قال تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ [ق : ١٦] فهذا توسوس به نفسه لنفسه ، كما يقال حديث النفس . قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به » أخرجاه في الصحيحين فالذى يوسوس في صدور الناس : نفسه ، وشياطين الجن ، وشياطين الإنس . والوسواس الخناس يتناول وسوسة الجنة ، وسوسة الإنس ، وإلا أى معنى للاستعاذة من وسوسة الجن فقط ، مع أن وسوسة نفسه وشياطين الإنس هي مما تضره ، وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن

ثبت المراجع

١- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن

محمد الأمين

٢- الصحابى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامهما

أحمد بن فارس

٣- تفسير القرآن العظيم

أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير.

٤- فتاوى ابن تيمية

٥- الإبهاج فى شرح المنهاج

على بن عبد الكافى ، عبد الوهاب بن على السبكى

٦- الدر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة

أحمد بن على بن حجر العسقلانى

٧- معجم مقاييس اللغة

أحمد بن فارس

٨- لسان العرب

لابن منظور

٩- الجامع لأحكام القرآن

القرطبى

١٠- الفتوحات الإلهية

الجمل

١١- الدر المصون

السمين الحلبي

١٢- البحر المحيط

أبو حيّان الأندلسي

١٣- روح المعاني

الألوسي

١٤- النكت والعيون

الماوردي

١٥- الكشف

الزمخشري

١٦- محاسن التأويل

القاسمي

١٧- تفسير المنار

محمد رشيد رضا

١٨- معاني القرآن

الفرّاء

١٩- المصباح المنير

الفيومي

٢٠- مختار الصحاح

الرازي

٢١- القاموس المحيط

الفيروزآبادى

٢٢- المزهرة فى علوم اللغة

السيوطى

٢٣- الاتقان فى علوم اللغة

السيوطى

٢٤- البرهان فى علوم القرآن

الزركشى

٢٥- دراسات لأساليب القرآن

محمد عبد الخالق عضيمة

٢٦- الفاصلة القرآنية

الحسنائى

٢٧- البدوز الزاهرة فى القراءات العشر، والقراءات الشاذة

عبد الفتاح القاضى

٢٨- المحرر الوجيز

ابن عطية

٢٩- فتح القدير

الشوكانى

٣٠- ارشاد الفحول

الشوكانى

الفهرس

٣	مقدمة التحقيق
٦	ترجمة المؤلف
١١	التعريف بغريب القرآن وأهميته وعلماء هذا الفن
١٣	منهج المؤلف ومميزات كتابه
٢٩	قسم الدراسة
٢٩	الفصل الأول
٣٠	المبحث الأول : الفاصلة القرآنية
٣٤	المبحث الثانى : قراءات النبى صلى الله عليه وسلم
٤٠	المبحث الثالث : لا مجاز فى القرآن
٤٩	الفصل الثانى
٥٠	المبحث الأول : المترادفات
٦١	النص المحقق
٤٦٣	ثبت المراجع